

أذكياء الأطباء

تأليف

الخطيب الشيخ محمد رضا الحكيمي

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب ٧١٢٠

المؤلف في سطور

ولد المؤلّف في مدينة كربلاء المقدّسة (بالعراق) عام ١٣٥٨ هجرية الموافق ١٩٣٧ ميلادية . ومدينة كربلاء تحتوي على حوزة علميّة كبيرة منذ ألف سنة وفيها مدارس دينيّة تربو على ثلاثين مدرسة ومنها انطلقت ثورة العشرين التي حرّرت العراق من نير الأجنبي بقيادة آية الله الإمام الثائر الشيخ محمد تقي الشيرازي .

نشأ نشأة دينية ، وتربى في أحضان العلم والقدس والتقوى.

كان ملازماً منذ نعومة أظفاره للوعّاظ ، ومجالس الوعظ ، وهيئات تعليم الأحكام ، ومجالس عزاء الحسين عليه السلام .

رقى المنبر الحسيني واختار الخطابة عام ١٣٨٠ هجرية .

له مؤلّفات عديدة طبع منها :

١ ــ فوائد العبادة .

٢ ــ القرآن دراسة عامّة .

٣ ــ القرآن يواكب الدهر .

٤ ــ القرآن علومه وتأريخه .

٥ ــ القرآن والعلوم الكونيّة .

٦ ــ القرآن ثوابه وخواصّه.

٧ ــ القرآن محور العلوم .

٨ ـ القرآن يسبق العلم الحديث .

٩ ـ سلوني قبل أن تفقدوني (١ـ ٢) طبع عدّة مرّات .

١٠ ـ تاريخ العلماء عبر العصور المختلفة .

١١ ـ أعيان النساء عبر العصور المختلفة .

١٢ ـ شرح الخطبة الشقشقيّة .

١٣ ـ علي (عليه السلام) مع القرآن والقرآن مع علي (١ ـ ٢) .

١٤ ـ لولا السنتان لهلك النعمان .

١٥ ـ أذكياء الأطبّاء (بين يديك) .

ومن المؤلفات المخطوطة :

١ ـ محمد (صلى الله عليه وآله) والقرآن .

٢ ـ الأئمّة (عليهم السلام) والقرآن .

٣ ـ المختصر في الإمام المنتظر (عليه السلام) .

٤ ـ التقيّة وموقف الإنسان منها .

٥ ـ المتعة في الإسلام والقرآن .

٦ ـ منتخب الحكيمي من الشعر في المناقب والمراثي (فارسي) .

إجازة المؤلِّف
من سماحة آية الله العُظْمَىٰ
السيد شهاب الدين النجفي المرعشي
« دام ظلّه العالي »

الحمـد لله على نوالـه والصلاة والسـلام على محمد وآلـه وبعـد : يقول خادم علوم أهـل البيت اللائـذ العائـذ بهم المنيخ مـطيّته بـأبوابهم السَّنيّة النابذ لكل وليجه دونهم وكلّ مطاع سواهم المشرّف بالانتسـاب إليهم العبد المضطر المستكين « أبـو المعـالي السيـد شهـاب الـدين الحسيني المـرعشي النجفي » أخـرجـة بـاريـه عن الـدنيـا مـع ولايتهم وحشـره تحت لوائهم آمين آمين . انّـه لمّـا كـان علم الحـديث بفنـونـه وشعوبه من أهمّ العلوم الإسلامية والفضـائل الهـامَّة تـوجّهت إليه انـظار الفـطاحل والفحـول وانصـرفت هممهم نحـوهـا فكم تـرى من محـدّث وحـافظ وحاكم وأميـر ولله درّهم وعليه أجـرهم حيث لم يـألـوا الجهـود والمساعي في الضبط والتّنسيق والتحمل والتدوين ألّفوا الجـوامع الكبـار والصّغار .

وبعـد لما كـان الإنسـلاك في سلسلة رُواة احـاديث سـاداتنـا أئمـة الهُدى ومشاكي الأنـوار في الدُّجىٰ عليهم السـلام والتحية ، والانـخـراط في زمـرة المحـدّثين عنهم ممّـا يتنـافس فيـه المتنـافسـون وتهـوى إليـه الأفئدة من كلّ فجّ عميق .

استجاز عنّي فخر الأفاضل ذخر الإسلام والمسلمين الشيخ محمد الرضا الحكيمي الحائري دام تأييده في رواية تلك الآثار المعنعنة الموصولة المتّصلة المودعة في جوامع الحديث من الكتب الأربعة وغيرها من الزّبر المؤلّفة في هذا الشّان .

وحيث كان حقيقاً لما هنالك وجديراً بذلك أجزت أن يرويها عنّي بطرقي الكثيرة المتظافرة المنتهية إليهم ولا مجال لسرد أسماء مشايخي جميعاً .

وفي الختام : أوصيه ونفسي الخاطئة بتقوى الله في السّرّ والعلن والاهتمام في الورع والزّهد في زخارف هذه الدنيا الدنية ، وأن لا يترك زيارة أهل القبور والاعتبار بهم بأنّهم من كانوا بالأمس فما صاروا اليوم ، واين كانوا فإلى أين صاروا ، وكيف كانوا فكيف صاروا ، الأموال قد قسّمت ، والاكفاء قد زوّجت . والدّور قد سكنت وما بقي لهم إلاّ ما كانوا يفعلون ويعملون ، وأن لا يترك تلاوة القرآن ومطالعة الأحاديث والتدبر فيهما والاستنارة من أنوارهما ، وأن يقلّل من المعاشرة مع النّاس فإنّك قلّما ترى مجلساً غير مشتمل على المناهي من اغتياب عباد الله والتّفكّه بأعراضهم والبهت في حقّهم وأكل لحومهم ميتة سيّما لو كان المغتاب بالفتح من أهل العلم فإنّ اغتياب العلماء بمنزلة أكل الميتة المسمومة ، وان لا ينسى ذوي حقوقه علماً وأدباً ومالاً وتوليداً من صالح الدعاء ، وان لا يألو جهده في ترويج الدّين واحياء المذهب فإنّ الشّرع قد أصبح غريباً ينادي بأعلا صوته هل من ناصر ينصرني هل من ذابّ يذبّ عنّي ، وأن لا يترك صلاة الليل والتّهجد في انآئه والاستغفار في اسحاره فقد قال مولانا سيد المظلومين أمير المؤمنين روحي له الفداء في وصاياه : عَلَيْكَ بِصَلاةِ

اللّيلِ عَلَيْكَ بِصَلاَةِ اللّيْلِ ، وأن يتورّع من أكل الشّبهات ألا وأنّه لأمر عظيم .

وأوصيه بالبرّ في حق اخوانه واخواته وأرحامه وطَلَبة العُلوم الدّينيّة وفقراء المؤمنين عصمنا الله وإيّاه من الزّلل والخطل في النيّة والقول والعمل انّه القدير على ذلك والقادر بما هنالك .

اللّهمّ احينا حياة آل محمد عليهم السلام وامتنا مماتهم وارزقنا في الدّنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم آمين آمين لا أرضىٰ بواحدة حتّى يضاف إليها ألف آمين .

أبو المعالي شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفيّ

جمادى الثانية ١٤٠٦ هجرية

ببلدة قم المشرّفة .

إجازة المؤلِّف
مِن آية الله العُظمىٰ السيد
محمّد الشيرازي
(دام ظلّه)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله رب العـالمين والصـلاة والسـلام على محمـد وآلـه الطاهرين وبعد. . . فقد أجزت فضيلة العلامـة الخطيب الجليـل الحاج الشيـخ محمد رضـا الحكيمي ، دام عزه في أن ينقـل عني مـا صحت لي روايته عن مشايخي العظام عن الكتب المعروفة والتآليف المشهـورة لعلمـائنا الأبـرار قدّس الله أسـرارهم وأوصيه ونفسي ان يـلاحظ موازين الاحتياط في النقل وأرجوه أن لا ينساني من صالح دعواته .

والله الموفق المستعان .

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي
كربلاء المقدسة

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفىٰ ، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء محمد المصطفى ، وعلى آله الطيّبين الطاهرين أولياء الصدق والصفا ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين .

وبعد : فقد ورد في الحديث الشريف : (الحكمة ضالّة المؤمن يأخذها حيث يجدها) وهذا أصل أصيل في الإسلام حتّىٰ أنّ الشيطان وعظ بعض الأنبياء ، فأمره الله تعالىٰ بالاتّعاظ حتى وإن كان الواعظ هو الشيطان .

وهذا الكتاب الذي جمعته إنّما كان علىٰ هذا الأساس والمبنىٰ .

فالبحث عن الأذكياء طريق لفتح باب الذكاء ، وسبيل عصر الفكر والاستنتاج منه لكلّ شخص وفي كلّ مجال .

وبما أنّ مجال الذكاء لا ينحصر بواد واحد وعلم فريد ، بل كان له في كلّ واد مسرحاً ، وفي كل علم منهلاً جمعت ذلك من مختلف الكتب ، وشتّىٰ المؤلّفين ، وعديد التواريخ ما أصبح بمجموعه كتاباً فذاً فريداً ومنهلاً متشعّب الفنون والعلوم ، ووادياً كثير المسير والمسيل ، وروضة غناء بالأزهار والأوراد ، وبستاناً كثّاً من ألوان الثمار المعنويّة .

وحيث أنّ الهدف كان جمع نقاط الذكاء من عظماء أذكياء ، فلم أتقيّد بأديان ومذاهب أصحابها سبيلي في ذلك سبيل كتب اللغة ، وكتب التاريخ ، إذ كلّ جامع من جهة قد يكون فارقاً من جهة أو من جهات ، وكلّ فارق من جهة قد يكون جامعاً من جهة أو جهات .

ودقائق كلّ علم ، وخبايا كلّ فن ، وأعماق كلّ حكمة لا تدرك إلّا بالذكاء ، والأذكياء هم الذين فتح الله تعالى ـ بحكمته العالية والدقيقة ـ أبواب الدقائق والخبايا والخفايا والأعماق عليهم ، فكل خيط علمي هو عالة على أذكياء ذلك العلم ، وكل سرب علماء في كل مجال هم التبع لحكماء فيه .

وانّني إذ أُقدم ـ في عالم التأليف ـ للملأ العلمي ، والملأ الفنّي ، والملأ التاريخي هذه المجموعة القيّمة لا أدّعي أنني استوعبت ما في هذا المجال ، بل ولا شيئاً من ذلك إلّا نزراً يسيراً مما وقع تحت يدي في هذا الهدف وهذا السبيل .

وكلي أمل أن يتقبّل الله ـ الكريم الوهّاب ـ منّي هذه الخدمة ، ويعفو عنّي .

ومن القرّاء الكرام أن يتحفوني بوجهات نظراتهم ، وبما فتقت عنه أذهانهم من نقد بنّاء مع شكري السالف لهم جميعاً على ذلك .

وما توفيقي إلّا بالله عليه توكّلت وإليه أُنيب .

محمد رضا الحكيمي

الفصل الأول

في أمور متعلقة بالطب والأطباء وأنواع كثيرة من الأمراض والأسقام

الطب جملته، إذا حققته،
حل وعقد طبيعة الأجسام
والعقل تدبير المزاج فضيلة
يشفى المريض بها وبالأوهام

(ابن سينا)

نشاط الشيعة في الطب

ونشاط[1] الشيعة في الطب لا يقلّ عن نشاطهم في غيره من جوانب العلم ، فقد عنوا فيه كما عنوا في غيره ، وتوصلوا في بحوثهم إلى كشوف طبّية لم تكن من قبل وأعطوا ملاحظات جليلة ، أقاموها على أساس من التجربة والاختبار .

ومن أشهر أطبّاء الشيعة (أبو بكر محمّد بن زكريّا الرازي الشهير) الذي طغت شهرته في الطب على أيّ شيء سواه ، حتّى تكاد تختفي جميع جوانبه العلميّة والفلسفية الأخرى .

والرازي من أوائل الذين ربطوا بين الكيمياء والطب ، ونسبوا الشفاء إلى إثارة تفاعل كيماوي في جسم المريض .

وهو من الأوائل الذين لمسوا أثر النواحي النفسية في العلاج والتطبيب ، فهو يرى أن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس ، ومن أقواله التي وردت في كتبه :

« . . . على الطبيب أن يوهم مريضه الصحة ، ويرجّيه بها ، وإن

---

(١) فلاسفة الشيعة ص ٨٢ .

لم يثق هو بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس » .

ويكفي دلالة على ما للرازي من تأثير انّ قسماً من كتبه مثل (الحاوي) و (المنصوري) وكتاب (الأسرار في الكيمياء) وغيرها قد أثارت دهشة أطباء الغرب ، وترجمت إلى لغات أجنبيّة من لاتينية وغيرها ، وظلّت المعوّل لمدارس أوروبا في البحوث الطبية مدة طويلة .

وبلغ من شأنه أن عدّة معاصره (طبيب المسلمين غير مدافع) وأنه (أبو الطب العربي) ، كما لقّبه مترجموه (بجالينوس العرب) أيضاً . حتىٰ قيل : « إن الطب كان معدوماً فأحياه (جالينوس) ، وكان متفرّقاً فجمعه (الرازي) وكان ناقصاً فكمله (ابن سينا) .

وبلغ من مكانته أن ولّاه (عضد الدولة البويهي) ـ كما قيل ـ رئاسة المستشفى العضدي في بغداد .

ومن روائع مؤلّفاته في الطب كتاب الجدري والحصبة الذي هو آية في الملاحظة المباشرة ، والتحليل الدقيق ، كما كان أولى الدراسات العلمية الصحيحة للأمراض المعدية ، وأول مجهود يبذل للتفرقة بين هذين المرضين .

وفي وسعنا أن نحكم على ما لهٰذه الرسالة من بالغ الأثر واتّساع الشهرة إذا عرفنا أنها طبعت باللغة الإنكليزية أربعين مرّة بين عامي ١٤٩٨ ـ ١٨٦٦ م ، وأنها ترجمت إلى عدّة لغات من لاتينية وغيرها . وفيها أقدم وصف سريري للجدري وهي إحدىٰ روائع الطب الإسلامي كما يقول (سارطون) .

اهتمام الأئمّة بالطب[1] :

ذكر أصحاب المعاجم في تراجم كثير من أصحاب الأئمة وحملة حديثهم كثيراً من المؤلفات في الطب ، ولم يزيدوا في بيانهم أكثر من قولهم له (كتاب في الطب) .

وإذا لاحظنا بعض القرائن الخارجية نجد تفسيراً لذلك وان المراد به (الطب المروي) كما إذا لاحظنا تراجم أولئك الأعلام واهتمامهم بحديث أهل البيت عليهم السلام وجمعهم له في كتب خاصة صنفت حسب مواضيعها الخاصة ، ومنها (الطب) مضافاً إلى أنّا وجدنا النقل عن بعض تلك الكتب في الطب في بعض الجوامع التي وصلتنا فكان ذلك مما صح عند مؤلفيها من طريق أهل البيت عليهم السلام في الطب كما أنّا لم نجد لكثير من أولئك الأصحاب ما يشعر بارتباطهم بالمتطببين في عصرهم أو أي علاقة تشعر بالأخذ عنهم والتحصيل عندهم ، ولو كان لهم شيء من ذلك لذكره المترجمون لهم كما ذكروا في تراجم كثير ممن كان عنده إثارة من علم الطب اليوناني أو الهندي أو انه حصل على شيء من سائر كتب الطب القديمة .

لذلك يمكننا القول بأن مؤلفاتهم تلك كانت في الطب المروي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وصح لنا أن نعدهم ممن جمع طب الأئمة عليهم السلام .

وإلى القارىء طائفة من هؤلاء الأعلام ممن عنى بجمع حديث أهل البيت في موضوع الطب وهم مرتبون على حسب الحروف الهجائية :

---

(١) من مُقدّمة بقلم الجليل السيد محمد مهدي بن آية الله السيد حسن خرسان

١ ـ أحمد بن محمد بن الحسين بن الحسن دؤل القمي المتوفى سنة ٣٥٠هـ .

٢ ـ أبو عبدالله أحمد بن محمد بن سيار البصري الكاتب لآل طاهر ، كان في زمن الإمام العسكري عليه السلام .

ويروي النجاشي كتابه بثلاث وسائط . وقد روى الصدوق في الخصال والبرقي في المحاسن وغيرهما بعض أحاديث الطب عنه بسنده عن الأئمة عليهم السلام .

٣ ـ الحسين بن بسطام بن سابور الزيات .

٤ ـ أبو أحمد عبدالعزيز يحيىٰ بن أحمد بن عيسى الجلودي شيخ أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه المتوفى سنة ٣٦٧ .

٥ ـ عبدالله بن بسطام بن سابور الزيات .

٦ ـ عبدالله بن جعفر بن الحسين بن مالك بن جامع الحميري من رجال القرنين الثالث والرابع صاحب كتاب (قرب الاسناد) المطبوع بالمطبعة الحيدرية وغيرها .

٧ ـ أبو الحسن علي بن الحسن بن فضال بن عمر بن أيمن الفطحي .

٨ ـ أبو الحسن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المتوفى سنة ٣٢٩ شيخ القميين ووالد الشيخ الصدوق صاحب كتاب (من لا يحضره الفقيه) أحد الجوامع الحديثية الأربعة ويروي عنه النجاشي عن شيخه عباس بن عمر الكلوذاني عنه وهو سند عال .

٩ ـ أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن رجاء البجلي الكوفي المتوفى سنة ٢٦٦ هـ راجعاً من مكة ، ودفن بذات عرق .

١٠ ـ أبو جعفر محمد بن أحمد بن يحيى بن عمران بن عبدالله بن سعد بن مالك الأشعري القمي صاحب (نوادر الحكمة) المعروف بدبة شبيب .

١١ ـ أبو عبدالله محمد بن عبيدالله الجنابي البرقي المعروف (بماجيلويه) .

١٢ ـ أبو الحسن موسى بن الحسن بن عامر بن عمران بن عبدالله بن سعد الأشعري القمي .

١٣ ـ أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السلمي السمرقندي .

وجمعه من المتأخرين عن عصر أصحاب الأئمة عليهم السلام جماعة من الأعلام وإلى القارىء أسماء بعضهم :

١ ـ السيد أبو محمد زيد بن علي بن الحسن الحسيني تلميذ الشيخ الطوسي وشيخ والد منتجب الدين (ابن بابويه) صاحب الفهرست .

٢ ـ الشيخ أحمد بن صالح البلادي البحراني الجهرمي المسكن المتوفى سنة ١١٢٤هـ له (الطب الأحمدي) ذكر فيه الروايات المروية في الطب ، قال الشيخ يوسف البحراني في لؤلؤة البحرين : إنه موجود عندي وقال : رأيت بخطه انه ولد سنة ١٠٥٧هـ .

٣ ـ السيد عبدالله شبر الكاظمي المتوفى سنة ١٢٤٢ هـ له طب الأئمة ذكره شيخنا الرازي في الذريعة ج ١٥ ص ١٤٠ وقال : يقرب من (١١٠٠٠) بيت وله الطب المروي ضعف كتابه الأول .

٤ ـ محمد قاسم بن غلام علي الطبيب له طب الأئمة وتوجد

نسخته في المكتبة الرضوية .

٥ ـ محمد شريف بن محمد صادق الخواتون آبادي له (شرح طب الأئمة) كما أن له (شرح طب النبي صلى الله عليه وآله وسلم) و (شرح طب الرضا عليه السلام) ذكرها جميعاً في كتابه (حافظ الأبدان) الذي ألّفه سنة ١١٢١ هـ.

٦ ـ السيد محمود الده سرخي المعاصر ، له مفاتيح الصحة ترجم فيه طب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطب الرضا وطب الأئمة وهو مطبوع بالفارسية .

إلى الجم الغفير من أمثالهم لا سيّما في هذا العصر؛ . .

وجهة نظر الطنطاوي[1]
حول بعض الأطباء

إعلم أنّ أهل الأرض جميعاً بالنسبة للأطبّاء كالمنوّمين ، ولو أنّهم قالوا لهم الحق لم ينتفعوا بالطب لجهالتهم فإن أكثر النّاس لا يعلمون وأيضاً لو قال الأطّباء الحق لم يكونوا أغنياء .

حوار بينه وبين طبيب . . .

قابلت طبيباً كان تلميذي بالمدارس التجهيزية وسألته عمّا يدرّ اللبن للمرأة التي قلّ لبنها ؟ فقال : الكشك والفجل وعدّ أنواعاً كثيرة ، فقلت : وكيف ذلك ؟! فقال : تأخذ ماء الفجل مثلاً وتعطيه لقليلة اللبن فتشربه وهذا أمر سهل ، ولكن الأطباء عندهم قاعدة وهي أنّهم لا يقولون للمرضىٰ أن دواءك هو فيما بين يديك ، لأنّهم لو قالوا ذلك لاحتقروا الطبيب ولم ينتفعوا بدوائه ولم يعطوه نقوداً ، وكلّما كان الطبيب أكثر حفظاً لمركزه وأكثر اغراباً في القول والعمل كان ذلك أدعى للاعتقاد فيه . ولو أنهم تنزل للمريض وقال إنّ دواءك في الفجل مثلاً أو في الملح لاحتقره المريض وقال إنّه جهول بل يكتبون التذاكر (الروشتة) بلغة لا يفهمها الجمهور حرصاً على المنفعة وجلباً للدراهم والناس جاهلون ، أليس هذا تنويماً للناس وتغشية على عقولهم وهم لا يعلمون ؟ .

---

(١) صاحب تفسير « الجواهر » في تفسيره ج ٤ ص ١٩٥ .

وهم المرض يسبب المرض[1]

في أواسط هذا الشهر (يوليو سنة ١٩٢٦) توفّي في باريس العالم الفرنسوي الشهير الدكتور (اميل كويه) الذي يعتبر أعظم دعاة الاستهواء وأكبر القائلين بمذهب الشفاء بطريقة الايهام .

توفّي هذا العالم في منزله بمدينة (نانسي) بعد عمر طويل قضى معظمه في المباحث النفسيّة وفي مدى تأثير الوهم في النفس .

وقد طار صيتُه في جميع أنحاء العالم ، وكان الإنكليز والأمريكيون يعتبرونه زعيم الأطبّاء الروحانيّين أو الاستهوائيين بلا منازع .

لم يكن هذا العالم مبتكراً ولكنه نقّح آراء علماء الاستهواء الفرنسيين بما أذاعه من النظريات الجديدة وهي نظريات تقضي بنبذ كثير من المذاهب العلمية وعدم التقيّد بها حتى لا يضل الاستهواء مجرد نظرية علمية بل يصبح من الحقائق التي هي في متناول الجميع .

وقد كانت شهرة (كويه) مبنية على ما أبانه من سلطة النفس على الجسد وما أثبته بتجارب عدّة أمام جماهير من الأطباء .

---

(١) المصدر السابق ج ٥ ص ٧٢ فصاعداً .

وكـان دائماً يقـول : إن الأطباء يغلطون غلطاً فـظيعـاً لأنهم يعنـون بـالجسـد دون النفس ولأنهم يمهلون درس السلطة غيـر المنـظورة التي للوهم على الجسد .

فـالطبيب الـذي يستشار في معـالجة العليـل لا يفحص عادة سـوى أعضـاء الجسم وحالتهـا ولا يعني بحالـة العليـل النفسيـة ومـا يمكن أن يعطاه لإيغاش تلك الحالة .

[وبعبـارة أُخرىٰ] إنّـه يتجاهـل قيمة (المقـوي المعنـوي) الـذي يفعل في شفاء النفس أكثر ممّا يفعل المقوّي الماديّ .

وقد أثبت الأستاذ (كـويه) بتجـارب عدّة أن للفكـر قوّة عجيبـة في كلا العالمين المـادّي والخيالي وأن تسليـطه على الجسد يحـدث تأثيـراً عجيباً .

وفي الـواقع أن الفكـر قـد يكـون سمّـاً زعـافـاً أو مصـلاً شـافيـاً ، وطريقة الاستعانة بـه على مداواة الأمـراض ليست حديثـة بل قـد كانت معـروفة منـذ أقدم الأزمنـة وقد أهملهـا العلماء مـدّة ثم عادوا اليـوم إلى إدراك أهميتها في معالجة الأمراض .

والحقُّ يقال إن الدكتور (كويه) أبلغ طريقـة المعالجـة بالاستهـواء أقصى الحـدود وأثبت أنهـا من الـطرق التي يجب على الأطبـاء أن يضعوها في مقدمة وسـائل المعـالجة ، فـإذا كان المصـل المادي يفيـد في بعض الحـالات فإن المصـل المعنـوي : أي التـطبيب بـالاستهـواء يفيـد في جميع الحـالات ، وإذا علمنا كيف نستعمله نكـون قد أسـدينا إلى الجنس البشري أعظم معـروف يتصوّره الفكـر وليس ذلك فقط بـل إن هـذا (المصل المعنـوي) يفيد أيضـاً في شفاء الكثيـر من الأمراض الأدبية .

الخوف على النفس يسبب المرض

ويبالغ (اميل كويه) الفرنسي في قوّة الاستهواء ويقول إنه يجب أن يتخذ كوسيلة لشفاء كثير من الأمراض ، ولا شك أن لقوله هذا نصيباً كثيراً من الصحّة إذ أنّا كثيراً ما نشعر بالصداع أو الضعف أو الانحلال الجسماني وكثيراً ما نصب بالأمراض العصبية نتيجة الأوهام والمخاوف التي لا وجود لها والتي نلقيها في ورع أنفسنا أو يوحىٰ إلينا بها ما حولنا من بيئة محزنة أو من قوم قصداً وإن عفواً ولذا يمكن أن نؤكد أن الطالب مثلاً الذي يفكر كثيراً في الرسوب إنما يستهوي نفسه للرسوب دون أن يدري فيرسب .

وكذلك العامل الذي يفكّر دائماً في الفشل غالباً ما يفشل بقوّة الاستهواء الذاتي .

فابتسم أيها القارىء في وجه الدهر يبتسم لك وافرح يأتك الفرح واعتقد في الشفاء من أمراضك وآلامك لأنك تساعد بذلك نَفْسَكَ على النجاة وتلهيها عن كل ما يحزنك بالرياضة البدنية والنزهة والأعمال اليدوية وأنظر إلى المستقبل دائماً نظرة المتفائل المسرور المؤمن بالنجاح تذهب عنك أوهامك الكثيرة القتالة وتسمو بنفسك إلى النجاح المحتم ، انتهى .

خوف المرض أشد من المرض :

وقد جرّب أحد مشاهير الأطباء قوّة الاستهواء في الجسم فاستأذن من حكومته في قتل مجرم محكوم عليه بالإعدام بقوّة الاستهواء وأخذه معصوب العينين إلى غرفة سوداء مظلمة وكان هو أيضاً يلبس الملابس السوداء القاتمة وأخذ يعيد عليه كثيراً جملة (سأعدمك بقطع شريان

من جسمك) بلهجة التأكيد والعزم ثم طرحه على سرير وكرر على مسامعه طريقة القتل وأوضح له ما سيشعر به ثانية وأخرىٰ عند قطع الشريان من سيلان الدم إلى الغيبوبة إلى الموت ، ثم أمسك موساً عادياً وقطع به ذراع المجرم قطعاً سطحياً ثم فتح صنبوراً كان قد أعدّه فأخذ الماء يسيل منه على ذراع المجرم كأنه الدم في حرارته العادية فلم يلبث المجرم أن مات تحت تأثير الاستهواء الشديد وتحقّقت الوفاة بواسطة مجمع من الأطباء فحصه فحصاً دقيقاً .

ومن التجارب التي عملت أيضاً لإظهار قوّة الاستهواء وتأثير الوهم على الجسم أن أحد علماء النفس في انجلترا اتّفق مع سكّان بضعة منازل كان يمرّ عليها بائع لبن في الصباح لتوزيع لبنه أن يبدي كل واحد منهم عجبه من الضعف الجسماني غير العادي الذي يبدوا على وجه هذا البائع بجملة خاصة بالترتيب كأن يقول الأوّل : (ما لي أرى وجهك اليوم شاحباً بخلاف عادتك) . والثاني : (لماذا ترتعش وأنت تعطيني اللبن) . والثالث : (أراك لا تقدر على المشي اليوم) . وهكذا فما وصل البائع إلى نهاية دورته حتى سقط على الأرض مغشياً عليه ، وقد كان بصحة جيّدة عادية عند خروجه من منزله ، وما ذلك إلاّ لأنّ فكرة الضعف التي رددها زبائنه في نفسه تحوّلت إلى عقيدة بالتكرار ثم إلى عمل فوقع على الأرض فاقد الرشد .

حوادث تؤكد أن العقد النفسية تؤثر على الأعصاب

وجاء[1] في المجلّات المصرية في ٢١ يونيو سنة ١٩٢٦ ما يأتي :

يفسّر لنا الاستهواء عدة مظاهر طالما حيّرت عقولنا في حياتنا اليومية ويكشف لنا الستار عن سر أوهامنا وآلامنا الخياليَّة التي كثيراً ما عكّرت صفو حياتنا ، وهكذا نكون مدينين بسعادتنا وهنائنا لعلم النفس الحديث .

والاستهواء القاء فكرة أو اعتقاد ما في نفس الموحى إليه فيتقبلها دون معارضة ، ولا تلبث أن تتحوّل إلى عمل أو عقيدة ثابتة دون أن يدري الموحى إليه .

والقابلية للاستهواء تكاد تكون غريزة في الإنسان إلاّ أنها تزداد كثيراً عند الأطفال والضعفاء قوّة وإرادة والعصبيين والذين في حالة غير عادية بوجه عام .

كما أن بعض الناس يمتازون بقوّة الاستهواء مثل الرؤساء والزعماء في العلم أو الدين أو السياسة وأقوياء الإرادة والجسم .

والاستهواء إما ذاتي أو خارجي : فالذاتي هو الذي يستهوي فيه

---

(١) تفسير الجواهر المجلّد الخامس جزء ٥ ص ٧٠.

الإنسان نفسه ، والخارجي هو الذي يستهوي فيه غيره من الأفراد أو الجماعات .

ويمارس البراهمة من الهنود نوعاً من الاستهواء الذاتي الواحد منهم نفسه إلى الزهد والتقشّف في الحياة فيخرج إلى مغارة بعيدة ويجلس القرفصاء عارياً ويردد جملاً خاصة طول يومه مثل : (يجب أن أزهد الحياة لأنها دنيئة) فلا يثبت بعد بضعة أيام حتى يجد فكرة الزهد قد تملّكت جميع مشاعره وتحوّلت إلى عقيدة شديدة ، وبذا يصبح رجلاً متقشّفاً زاهداً في الحياة قلباً وقالباً .

ويمكن لمن مارس أي عادة ضارّة أن يستهوي نفسه إلى إبطالها ، فالمدخن مثلاً يمكنه ترك التدخين ونسيانه إذا ردّد في نفسه كل صباح ومساء بلهجة العزم والحزم جملة خاصة مثل : (يجب أن أترك التدخين لأنه مضرّ بصحّتي) ولا شك أنه إذا واظب على ذلك تتحوّل هذه الفكرة التي تتردد في النفس إلى عقيدة ثابتة ثم إلى عمل وينتهي الأمر بإبطال التدخين .

وكثيراً ما كان الاستهواء وعلى الأخص الذاتي منه منبعاً لأوهامنا وآلامنا الخيالية ، فالإنسان قد يكثر من التفكير في مستقبله وينظر إليه خلال مناظر أسود فيساوره الخوف ويسود عليه روح التشاؤم فلا يلبث أن يتحور هذا التفكير إلى عقيدة ثابتة بل إلى عمل وتصبح حياته سلسلة من الأحزان والهموم التي لا سبب لها ويعاوده الفشل في جميع أعماله وتنحط قواه الجسمية فيظن أن تنبؤاته قد صدقت ، والواقع أنه إنما هو الذي جعلها تصدق لأنه استهوى نفسه إلى تحقيقها .

وقد تأيّدت هذه النظريّة النفسيّة بالتجارب والبراهين المحسوسة

في الإنسان والحيوان ، فمثلاً فحص الجهاز الهضمي لهرّة أثناء فرحها وأثناء حزنها فوجد أنه في الحالة الأولى يسير سيراً حسناً عادياً بينما يقف تقريباً عن العمل في الثانية .

الأريحية تكافح المرض(١)

فالشخص الذي هو رقّ لبعض العادات الرديئة يمكن شفاؤه من داء تلك العادات وإصلاح ما فسد من أخلاقه وشفاؤه بالاستهواء أسهل في هذه الحالة من شفائه بالعقاقير .

وفي هذه الحالة تصبح الهيئة الاجتماعيّة كلها مؤلّفة من أفراد أصحابه البنية ، أصحاء الأخلاق ، ويصبح العالم فردوساً زاهراً تطيب الإقامة فيه .

إن لكل امرىء كيانين : أحدهما الوجدان الذي بواسطته يدرك كل ما يقع حوله ويشعر بكل ما يحدث ، والآخر الوجدان الكامن الذي يدفع المرء إلى إتيان أعمال كثيرة بطريقة أوتوماتيكية مجرّدة من عنصر الإرادة ، وهذا الأخير : أي الوجدان الكامن معروف بآثاره أو بنتائج الأعمال التي تدفع المرء إلى إتيانها وهو المهيمن على كلّ حركة من حركات الجسم . فإذا استغرق المرء في سبات أو ذهول توقف ذلك الوجدان عن العمل وهو الواسطة التي بها يعمل الفكر عمل المصل المعنوي الشافي الذي في امكانه أن ينقذ الجسم من أمراض كثيرة وآلام عدّة .

هذا ، وإن ما يحدث في النفس في أثناء عمليّة الاستهواء يشبه عمليّة الانبات تماماً ، ولذلك يصح تسميته بالانبات النفسي أو العقلي .

---

(١) المصدر السابق .

ففكرة الشفاء هي البذرة التي يمكن بذرها في النفس لتنمو وتكبر حتّىٰ تتناول كل شيء وتأتي بالثمر المطلوب .

الاستهواء يسبب المرض

وطريقة الاستهواء المنسوبة إلى الدكتور (كويه) بسيطة جدّاً يستطيع كلّ امرئٍ أن يستعملها .

وخلاصتها أن يردّد كل يوم على مسمع من نفسه هذه العبارة وهي قوله : (أشعر كل يوم بأنني أنتقل من حسن إلى حسن من كلّ الوجوه) .

ويجب ترديد هذه العبارة صباح مساء حتّىٰ تصبح في النفس عقيدة راسخة . وكان (كويه) يلقها لكل من يقصده مستشفياً ويشهد الكثيرون أنهم نالوا بواسطتها الشفاء (وبعبارة أخرى) ان التفاؤل الحسن هو أساس طريقة (كويه) .

فإذا تشاءم المرء من كل ما حوله فلا يمكن أن يرى في العالم إلّا ظلاماً دامساً ، وبعكس ذلك إذا كان كثير التفاؤل شديد الثقة بحسن حالته فإن النتيجة تكون خيراً لا محالة .

وفي أوروبا اليوم جمهور كبير من أتباع (كويه) الذين خبروا طريقته بأنفسهم وهم يعملون على إذاعها بين الناس ، فكأن (كويه) علمهم أن يطببوا أنفسهم وينيّروا عقول الغير .

وبين الأطبّاء فريق غير قليل ممّن يحاولون الجمع بين الطب الاستهوائي والطب المادي ، والجمع بينهما ممكن لا يحتاج إلّا إلى شيء من الخبرة ، انتهىٰ .

كل هذا الذي نقلناه من سرّ قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ

مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[1] ، وهذا من عجائب القرآن التي أبرزها العلم الحديث .

ليس على الله أن يعمل كل ممكن[2]

اعلم أن الأطبّاء في زماننا الحاضر في أمريكا وأوروبا يجدون أن في طاقتهم أن يطيلوا الأعمار ويزعمون أن هذا ممكن وأنا أقول لك : إنه مستحيل ومستحيل أن تطول الأعمار كما يشتهون ، نعم يعمر قوم على سبيل الندور والقلّة ، أما أن طول العمر يعم في المسكونة فذلك لا سبيل إليه ، وذلك لأمرين :

(الأوّل) أن الناس لو عاشوا ألف سنة أو خمسمائة سنة مثلاً وتناسلوا لأصبحت الأرض لا تسعهم : أي لا تسع سكناهم وحدها فلا يجدون مكاناً يجلسون فيه ، فيبقى الابن وابنه إلى الجيل العاشر أو الثاني عشر ، وهذا هو العذاب الأليم ، وإذن يقتل الناس بعضهم بعضاً إن عاشوا ووجدوا قوتاً ، ومن أين يكون قوتهم إذن ؟ .

(الأمر الثاني) أن هذه المادّة التي نعيش فيها لو أنها خصصت بنا نحن ولم نلد ولم وعشنا أعماراً طوالاً لكان ذلك خطلاً وخطأ (وذلك) لحصر المنفعة في عدد معلوم من المخلوقات .

فأما الموت والحياة والحمل والولادة فإنّ معناه تكثير الأحياء فيعدّون بمئات الآلاف من الأجيال بدل جيل واحد ، وأيضاً لو كنا جيلاً واحداً على الأرض أزلاً وأبداً فما الذي نأكله؟ أليست الحيوانات والنباتات؟ ولكننا فرضنا أن الأحياء لا تجدّد ، فما الذي نأكله بعد

---

(١) سورة الأنفال آية : ٥٣ .

(٢) الجواهر في تفسير القرآن ج ٤ ص ٢٣٧ .

انقراض النبات والحيوان ؟ اللهم إلاّ إذا كان هناك (نظامان) : نظام لنا بالخلود وعدم الموت ، ونظام للنبات والحيوان بالتجدّد وهو خطل في النظام ، فسبحان مدبّر الكون ومبدعه .

هذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[1] ، فَلَمَّا سمع صاحبي ذلك قال : كفىٰ لقد أصبحت موقناً بسعة رحمة الله وعرفت أن أهل الأرض في الشرق والغرب نائمون وأحببت ما يحبه الله من حياتي الآن وموتي عند بلوغ الأجل ، وأيقنت أن أكثر هذا الإنسان غافل ساه ، ولو أنهم علموا ما دار بيننا لم يكره أحد الموت إن الله حكيم ، إنَّ الله رحيم ، هذه هي النعمة ، وهذه هي الرحمة .

إنَّ هذا هو العلم الذي تكون به سعادة النفوس وانشراح الصدور ، بل هذا هو السرّ المصون والجوهر المكنون ، والحمد لله ربّ العالمين .

علّة الابتلاء بالأمراض :

اعلم أرشدك الله تعالى انّ الله سبحانه بمنزلة المُؤدّب ، والناس بمنزلة الأطفال ، والمؤدّب شأنه تأديب الأطفال بما تقتضيه المصلحة ، فالأمراض كلّها تأديبات من الحكيم لمصالح لا يخفى بعضها .

منها ما رواه صاحب كتاب طبّ الأئمّة عليهم السلام وهو من إخوان عبدالله بن أبي بسطام الزيّات وأخوه الحسين بن أبي بسطام ذكرهما النجاشي (ره) رويا عن الصادق عليه السلام رواه ان جدّه الحسين بن علي عليهما السلام قال : عاد أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(١) الأعراف : ١٥٦ .

طالب عليه السلام سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فقال : يا أبا عبدالله كيف أصبحت من علّتك ؟ قال : يا أمير المؤمنين أحمد الله كثيراً وأشكو إليك كثرة الضجر . قال : فلا تضجر يا أبا عبدالله فما من أحد من شيعتنا يصيبه وجع إلاّ بذنب قد سبق منه ، وذلك الوجع تطهير له ، قال سلمان : فإن كان الأمر على ما ذكرت وهو كما ذكرت فليس لنا في شيء من ذلك أجر إلاّ التطهير ، قال علي عليه السلام : يا سلمان إنّ لكم الأجر بالصبر عليه والتضرّع إلى الله تعالى عزّ اسمه والدعاء له بهما يكتب لكم الحسنات ويرفع لكم الدرجات ، وأمّا الوجع خاصّة فهو تطهير وكفّارة ، قال : فقبّل سلمان ما بين عينيه وبكىٰ ، وقال : من كان يميّز لنا هذه الأشياء لولاك يا أمير المؤمنين؟! .

المريض لا يحرم عن المعنويات :

وروى شيخنا الكليني عن الباقر عليه السلام قال : كان الناس يعتبطون اعتباطاً فلمّا كان زمن إبراهيم عليه السلام قال : يا ربّ اجعل للموت علّة يؤجر بها الميّت ويسلى بها عن المصاب قال : فأنزل الله البرصام ثمّ أنزل بعده الداء .

وروى عن الصادق عليه السلام قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم رفع رأسه إلى السماء فتبسّم ، فقيل : يا رسول الله رأيناك رفعت رأسك إلى السماء فتبسّمت؟ فقال (ص) : نعم عجبت لملكين هبطا من السماء إلى الأرض يلتمسان عبداً صالحاً مؤمناً في مصلّى فيه ليكتبا له عمله في يومه وليلته ، فلم يجداه في مصلاّه ، فرجعا إلى السماء فقالا : ربّنا إنّ عبدك فلان المؤمن التمسناه في مصلاّه لنكتب عمله في يومه وليلته فلم نصبه فوجدناه في حبالك ، فقال الله عزّ وجلّ : اكتبا لعبدي مثل ما كان يعمله في صحّته من

الخير في يومه وليلته ما دام في حبالي ، فإنّ عليَّ أن أكتب له أجر ما كان يعمله إذا حبسته عنه ، وكذلك إذا ضعف عن العمل لكبر فإنّ الله يكتب له من الأعمال الصالحة مثل ما كان يعمله في نشاطه .

الأمراض زاجرة ومنبهة . . .

ومنها أنّ الأمراض زواجر للعبد عن المعاصي ، فالأمراض بمنزلة الأسواط الّتي يضرب المؤدّب الولد بها . ومنها انّ الإنسان إذا كان صحيح البدن كان غافلاً عن الوصية نائماً عنها ولا يوقظه إلاّ المرض إن كان لبيباً وإلاّ فأكثر الناس في غفلة حتّىٰ عند الموت .

روى صاحب روضة الواعظين انّه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من مات بغير وصيّة مات ميتة جاهليّة .

وقال صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم : لا ينبغي لامرءٍ مسلم أن يبيت ليلة إلاّ ووصيّته تحت رأسه .

وقال الصادق عليه السلام : من لم يوص عند موته لذوي قرابته ممّن لا يرث فقد ختم عمله بمعصية .

لعائد المريض ثواب عظيم :

ومنها تحصيل الثواب لعوّاده ، رُوي عن الصادق عليه السلام أنّه إذا كان يوم القيامة نادىٰ العبد إلى الله عزَّ وجلَّ فيحاسبه حساباً يسيراً فيقول : ما منعك أن تعودني حين مرضت ؟ فيقول المؤمن : أنت ربّي وأنا عبدك أنت الحيّ القيّوم الّذِي لا يصيبك أَلَمْ ولا نصب ، فيقول عزَّ وجلَّ : من عاد مؤمناً فقد عادني ، ثم يقول له : أتعرف فلان بن فلان ؟ فيقول : نعم يا ربّ ، فيقول : ما منعك أن تعوده حين مرض ؟ أما إنّك لو عدته لعدتني ، ثم لوجدتني به وعنده ، ثمّ

لو سألتني حاجة لقضيتها لك ولم أردّك عنها .

وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال : من عاد مريضاً فله بكلّ خطوة خطاها حتّىٰ يرجع إلى منزله ألف ألف حسنة ، ويمحى عنه سبعون ألف ألف سيّئة ، ويرفع له سبعون ألف ألف درجة ويوكّل به سبعون ألف ألف ملك يعودونه في قبره ويستغفرون له إلى يوم القيامة .

بعض آداب عيادة المريض :

أمّا وجع العين فلا عيادة فيه ، وأعظم العايدين ثواباً من خفّف الجلوس عند المريض إلاّ أن يعلم من حال المريض رضاه بطول الجلوس ، وقدر جلوس العيادة على ما في الروايات مقدار حلب ناقة ، وينبغي أن يحمل معه إلى المريض تفّاحة أو سفرجلة أو أترجة أو لعقة من طيب أو قطعة من عود ، لأنّ المريض يستريح إلى كل من دخله عليه بها ، كذا جاء في الرواية عن الصادق عليه السلام ومن تمام العيادة أن يضع إحدىٰ يديه على الأُخرىٰ أو على جبهته ، وينبغي أن يطلب العايد من المريض الدعاء للعايد ، وأن يأذن المريض لكلّ العايدين لأنّ مستجاب الدعوة مخفيّ بينهم ، فلعلّه الممنوع عن الدخول ، ومرض الصّبي كفّارة لذنوب والديه .

ثواب من يصاب بالحُمّىٰ :

وَرُوِي عن الباقر عليه السلام قال : حُمّىٰ ليلة تعدل عبادة سنة ، وحمّى ليلتين تعدل عبادة سنتين ، وحمّى ثلاث ليال تعدل عبادة سبعين سنة ، قال أبو حمزة قلت : فإن لم يبلغ سبعين سنة ؟ قال : فلأبيه وامّه ، قال : قلت : فإن لم يبلغا؟ قال : فلقرابته قال : فإن لم يبلغ قرابته ؟ قال : لجيرانه .

وَرُوِي أنَّ حمّى يـوم كفّارة ذنـوب سنة ، وذلـك انّ ألمهـا يبقى في البدن سنة ، وإنّها تأخذ من البدن عـافية سنـة أيضاً ، وهي حظّ المؤمن من جهنّم لأنّهـا من قيحها ، وذلـك لمـا عـرفت من أنّ نـوعـاً من النـار تحت الأرض فإذا فارت خـرجت حرارتهـا فأصـابت المياه سيّمـا رؤوس الجبال وما فيها من المياه .

وينبغي للمريض أن لا يشكو إلى العُوّاد فإنّـه ينقص الثواب ، وأمّـا كيفيّـة الشكوىٰ فـرواها جميـل بن صالـح عن أبي عبدالله عليه السـلام قـال : سئل عن حـدّ الشكايـة للمريض ؟ فقـال : إنّ الـرجـل يقـول : حممت اليـوم وسهـرت البـارحـة وقـد صـدق وليس هـذا شكـاة إنّمـا الشكـوى أن يقول : لقـد ابتليت بما لم يبتـل به أحـد ، ويقـول : لقـد أصـابني ما لم يصب أحـداً ، وليس الشكوىٰ أن يقـول سهرت البـارحة وحممت اليوم ونحو هذا .

التداوي والمُضي إلى الطبيب :

وأمّـا التداوي والمضي إلى الـطبيب فقـد ورد الأمـر بـه قـال النبي صلى الله عليـه وآله وسلّم : تـداووا فإنَّ اللّهَ عَـزَّ وجلَّ لم ينـزل داء إلاَّ وقد أنزل له شفاء .

وقـال صلى الله عليه وآلـه وسلّم : تجنّب الدواء مـا احتمل بـدنك من الداء ، فإذا لم يحتمل الداه فالدواء .

حكاية النبي الذي امتنع عن التداوي . .

وعن أبي عبـدالله عليه السـلام قال : إنَّ نبيًّـا من الأنبيـاء مـرض ، فقال : لا أتداوى حتّىٰ يكون الَّذِي أمـرضني هو الَّذِي يشفيني فـأوحى الله عزَّ وجلَّ : لا أشفيك حتّىٰ تداوى فإنَّ الشفاء منّي .

وقد قال موسى عليه السلام : يا ربّ ممّن الداء ؟ قال : منّي ، قال : فلم أمرت المرضى بالطبيب ؟ قال : ليطيب نفوسهم ، فمن هذا سمّى الطبيب طبيباً .

التداوي لا يدفع الأجل . .

فإن قلت : ما فائدة رجوع المريض إلى الطبيب الحاذق والأخذ بدوائه ؟ قلت : لعلّ فائدته رفع استمرار المرض لا دفع الأجل ، فإنّه لا يدفعه عن نفسه فكيف يدفعه عن غيره .

إنّ الطبيب له في الطبّ معرفة   ما دام في أجل الإنسان تأخير
حتّى إذا ما انقضت أيّام مدّته   حار الطبيب وخانته العقاقير

نعم سيأتي إن شاء الله تعالى في تحقيق الأجل انّ منه الأجل القابل للزيادة والنقصان باعتبار ارتباطه بالأسباب ، كصلة الأرحام وصلة المساكين وفعل بعض الطاعات والعبادات ، وحينئذٍ فيجوز أن يكون التداوي من جملة أسباب الزيادة وتركه من أسباب النقيصة حيث ورد الأمر به ، ولا يلزم في التداوي الرجوع إلى الأطبّاء والحكماء بل إلى من تركن النفس إلى دوائه ولو كنّ العجايز وأضرابهن ، فإنّ دوائهنّ أنفع في الغالب من أدوية أكثر الأطبّاء ، وذلك لأنّ دوائهنّ قد مرّت عليه التجاريب وأمّا أدوية الأطبّاء فالغالب عليها مجرّد الأخذ من الكتب المدوّنة في الفنّ .

كيف صار الطبيب ضامناً وإن كان حاذقاً؟

فإن قلت : إذا جاز للطبيب استعمال الطب وأمر المريض بالرجوع إليه فلم جعله الشارع ضامناً وإن كان حاذقاً ؟ قلت : جوازه

لا ينافي ضمانه ، فإنَّ كثيراً من الحِرَفِ الجائزة قد ضمَّن الشارعُ أهلَها ما يُتلفونه كالقصّار والصايغ وصاحب الحمّام ونحوهم احتياطاً لأموال الناس ، وهذا أيضاً احتياطاً في دمائهم حتّىٰ لا يتحرّىٰ على الطبّ من لا معرفة له به ولا وقف على مفرداته ومركّباته ، ولا على تمييز العقاقير بعضها عن بعض كما هو الغالب في هذه الأعصار ، ولهذا أسقط الشارع الضمان عنه إذا أخذ البراءة إمّا من المريض أو من وليّه .

التداوي قسمان . . دعاء ودواء :

واعلم أنّ التداوي قد روى عن الأئمّة عليهم السلام على قسمين : دعاء ودواء ، فأمّا الدعاء فهو صالح لكلّ الأبدان كما سيأتي إن شاء الله تعالى ، وأمّا الدواء فقد روى في بعض الأمراض أدوية لا تصلح ظاهراً ولا توافق كلّ الأبدان في جميع البلدان ، نعم ربّما وافق طبائع أهل العراق ومكّة والمدينة وما والاها ، ومن ثمّ قال جماعة من الأصحاب : إنّ تلك الأدوية والمعالجات المذكورة في كتاب طبّ الأئمة وغيره من المروي عنهم عليهم السلام إنّما هو مخصوص بأهل تلك البلاد المذكورة ، ولكنّ الحق أنّ في بعض الأخبار ما يدلّ على العموم ، مثل ما روي في غير حديث من الاستشفاء والمداواة بالعسل لقوله تعالى : ﴿ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ﴾(١) ، فإنَّ القرآن لم ينزل لخصوص بلد دون أخرى ، وحينئذٍ فالحقّ في الجواب هو أنّ ما ورد عنهم عليهم السلام من أنواع الدواء لأنواع الأمراض عامّ شامل للأبدان والبلدان .

نعم ينبغي للمريض أن يتعاطى تلك الأدوية من عزائم القلب

---

(١) النحل : ٦٩ .

وصميمه وأن لا يتوهّم من شيء منها فإنّك قد تحقّقت أنّ من تطيّر من شيء ضرّه ذلك الشيء ، وقد شاهدنا جماعة من الأفاضل ممّن ساعدهم وفور الاخلاص يتداوون في خراسان بالأدوية المذكورة في طبّ الأئمّة وغيره التي لو تداوى بها أهل تلك البلد لنالوا منها أنواع الضرر بزعمهم ، وحصل أولئك الأفاضل منها الشفاء العاجل فليس السبب إلّا ما عرفت .

قلة الأكل . . أهم أنواع الدواء!

وأعظم أنواع الدواء النافع ما روى عن الرضا عليه السلام انّه قال : لو أنّ الناس قصروا في الطعام لاستقامت أبدانهم ، وفي الرواية : إنّ طبيباً نصرانيّاً دخل على مولانا الصادق عليه السلام فقال له : يابن رسول الله أفي كتاب ربّكم أم في سنّة نبيّكم شيء من الطبّ؟ فقال : نعم أمّا كتاب ربّنا فقوله تعالى : ﴿ **كُلُوا واشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا** ﴾[1] ، وأمّا سُنّة نبيّنا فقال صلى الله عليه وآله وسلّم : الحمية من الأكل رأس كلّ دواء ، والإسراف في الأكل رأس كلّ داء ، فقام النصراني وهو يقول : والله ما ترك كتاب ربّكم ولا سُنّة نبيّكم شيئاً من الطب لجالينوس ، وقال عليه السلام : ليس الحمية من الشيء تركه إنّما الحمية من الشيء الإقلال منه .

الدواء الذي لا داء معه :

في الخصال : عن النبي صلى الله عليه وآله الأُمّهات أربعة : أُمّ الآداب ، وأُمّ العبادات وأُمّ الأماني ، وأُمّ الأدوية ، أمّا أمّ جميع الآداب فقلّة الكلام ، وأمّا أُمّ جميع العبادات فقلّة الذنوب ، وأمّا أُمّ جميع الأماني فالصّبر ، وأمّا أُمّ جميع الأدوية فقلّة الأكل .

---

(١) الأعراف : ٣١ .

الأم : بمعنى الأصل ، سمّيت مكّة بأمّ القرى ـ لأنها هي أصل جميع الأراضي من مكة ، وسمّيت الوالدة بالأم لأنها أصل ، والولد يولد منها ، وجمع الأم أمّهات وأمات وقيل : الأمّهات في الإنسان والأمات في البهائم .

والأمّهات في قول النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في هذه الأربعة بمعنى الأصل ، كما هو لا يخفى ، أمّا الأدوية يعني أصل الأدوية قلّة الأكل ـ كما أشار بقوله تبارك وتعالى في الآية الشريفة ﴿ كُلُوا واشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا ﴾ ـ وهي دواء نافع لا يحتاج معها إلى دواء آخر ، بل ولا يشتكي الإنسان معها داءاً .

قيل : اجتمع عند الملك كسرى أربعة من الحكماء : عراقي ورومي وهندي وسوادي ، فقال لهم كسرى : كل واحد منكم يصف لي دواء الذي لا داء معه! فقال العراقي : الدواء الذي لا داء معه أن تشرب كلّ يوم ثلاث جرع على الريق من الماء الساخن .

وقال الرُّومي : الدواء الذي لا داء فيه أن تبلع كلّ يوم قليلاً من حبّ الرشاد .

وقال الهندي : الدّواء الذي لا داء معه أن تأكل كلّ يوم ثلاث حبّات من الهليلج الأسود ، والسوادي ساكت ، وكان أحذقهم فقال له الملك : لم لا تتكلّم ؟ فقال : يا مولانا ، الماء الساخن يذيب شحم الكلى ويرخّي المعدة ، وحبّ الرشاد يهيج الصفراء والهليلج الأسود يهيج السوداء!!

قال : فما الذي تقول أنت؟! قال : يا مولانا الدواء الذي لا داء معه أن لا تأكل إلاّ بعد الجوع ، وإذ أكلت فارفع يدك قبل الشبع فإنّك لا تشكو إلاّ علّة الموت .

ولا يخفى أنّ صحّة البدن من أعظم نعماء الله على العبد ولا يدانيها شيء ولا يعرف قدرها إلّا بعد فقدها ، ولذا ورد في الخبر نعمتان مجهولتان : الصحّة والأمان ، وأنفع الأدوية للصحّة لمن أراد السلامة في أيّام حياته قلّة الأكل ، وإن كان الموت حقّاً ولا يمكن دفعه بعلاج ودواء ولكن ترى الإنسان يستعجل به من غاية حبّه الطعام وإفراطه في الأكل على أنه لا تطيب الحياة مع العلّة والمرض .

وربّما يرضى بالموت ولا يرضى بعمر معه الأسقام والأوجاع ويطلب منيته ولا يأتيه حتّىٰ تنصرم أيّامه وتنقطع آجاله فحينئذٍ لا يمكن العلاج ، ولا ينفع الدواء ولا يقدر على دفعه ، ولم يكن له تدبير في أمر نفسه ، كما لم يتمكنوا من دفعه الملوك والجبابرة ولا الفراعنة والقياصرة ، ولا أحد من الأطبّاء المهرة به ، وترى الطبيب يموت بمرض كان ماهراً في معالجته .

قيل : إنّ أربعة من الحكماء ماتوا بأربعة أمراض كانوا ماهرين في فنّ معالجته ، فإنّ أفلاطون مات مبرسماً ، وإنّ أرسطاطاليس مات بالسل ، وإنّ بقراط مات مفلوجاً ، وجالينوس مات مبطوناً ، ولقد أجاد الشاعر حيث قال :

ألا يا أيُّها المغرور تب من غير تأخير
فإنّ الموت قد يأتي ولو صيّرت قارونا
فكم قد مات ذو طب وكم قد مات ذو مال
يلاقي بطشة الجبّار ذا عقل ومجنونا
بسل مات ارسطاليس أفلاطون برساما
وبقراط بأفلاج وجالينوس مبطونا[1]

---

(١) شجرة طوبى للعلّامة الحائري (رحمه الله) المجلّد ٢ ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .

الفصل الثاني

الرسالة الذهبية المنسوبة الى الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام(1)

(1) الأنوار النعمانيّة ج ٤ ص ١٧٤ إلى ١٨٢ للسيّد الجزائري وتوضيحات الهامش عن البحار ج ٦٢ ص ٣٢٨ فصاعداً .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اهتم[1] أئمة أهل البيت عليهم السلام بمعالجة الجسد كاهتمامهم بمداواة الروح فكانت عنايتهم في صحة الأبدان كعنايتهم في تهذيب النفوس .

فهم أطباء الروح والجسد ، وقد رجع إليهم جماعة المسلمين يستوصفونهم لأمراضهم البدنية ، كما كانوا يرجعون إليهم في شفاء أمراضهم الروحية ، وهذه جوامع الحديث مملوءة بشواهد ذلك ، فلم يكونوا عليهم السلام مبلغي أحكام وأئمة تشريع فحسب ، بل كانوا قادة أولوا عنايتهم المسلمين يهمهم صحة أبدانهم وأديانهم - إن صح التعبير - على السواء حتى حثوا على تعلم الطب وقرنه أمير المؤمنين عليه السلام بعلم الفقه في كلمته الجامعة في تقسيم العلم قال (ع) العلوم أربعة : الفقه للأديان والطب للأبدان ، والنحو للسان ، والنجوم لمعرفة الأزمان .

ولقد ورد عنهم عليهم السلام في جوامع الطب وحفظ الصحة كثير ، كما ورد عنهم وصف العلاج بأنواعه أكثر ، وللتيمن بذكرهم عليهم السلام نقدم للقارىء نبذة يسيرة من أقوالهم التي تعتبر قواعد عامة في حفظ الصحة واعتدال المزاج .

---

(١) هذه من مقدمة للجليل السيد محمد مهدي ابن آية الله السيد حسن الخرسان .

قال أمير المؤمنين (ع) لولده الحسن عليه السلام : ألا أعلمك أربع كلمات تستغني بها عن الطب؟ فقال : بلىٰ يا أمير المؤمنين. قال عليه السلام : لا تجلس على الطعام إلاّ وأنت جائع ، ولا تقم عن الطعام إلاّ وأنت تشتهيه ، وجوّد المضغ ، وإذا نمت فاعرض نفسك على الخلاء ، فإذا استعملت هذا استغنيت عن الطب .

وقال عليه السلام أيضاً : إن في القرآن لآية تجمع الطب كله : ﴿ كلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ .

وقال زر بن حبيش قال أمير المؤمنين علي (ع) : أربع كلمات في الطب لو قالها بقراط وجالينوس لقدم أمامها مائة ورقة ثم زينها بهذه الكلمات وهي قوله : توقوا البرد في أوله ، وتلقوه في آخره ، فإنه يفعل في الأبدان كفعله بالأشجار أوله يحرق ، وآخره يورق .

وقال عليه السلام : لا صحة مع النهم .

وقال الباقر عليه السلام : طب العرب في سبعة : شرطة الحجامة ، والحقنة ، والحمام ، والسعوط والقيء ، وشربة عسل وآخر الدواء الكي ، وربما يزاد فيه النورة .

وقال الصادق عليه السلام لو اقتصد الناس في المطعم لاستقامت أبدانهم .

وقال عليه السلام أيضاً : ثلاث يسمن وثلاث يهزلن ، فأما التي يسمن فادمان الحمام وشم الرائحة الطيبة ، ولبس الثياب اللينة ، وأما التي يهزلن فادمان أكل البيض والسمك والضلع ، أي امتلاء البطن من الطعام .

وحدث أبو هفان ـ يوحنا بن ماسويه الطبيب النصراني الشهير

حاضر ـ إن جعفر بن محمد عليه السلام قال : الطبائع أربع الدم وهو عبد وربما قتل العبد سيده والريح وهو عدو إذا سددت له باباً أتاك من آخر ، والبلغم وهو ملك يداري والمرة وهي الأرض إذا رجفت رجفت بمن عليها ، فقال ابن ماسويه : أعد عليَّ فوالله ما يحسن جالينوس أن يصف هذا الوصف .

وقال الصادق عليه السلام : إن المشي للمريض نكس ان أبي كان إذا اعتل جعل في ثوب فحمل لحاجته ـ يعني الوضوء ـ وذاك انه كان يقول إن المشي للمريض نكس .

وقال الكاظم عليه السلام ادفعوا معالجة الأطباء ، ما اندفع الداء عنكم ، فإنه بمنزلة البناء قليله يجر إلى كثيره .

وقال أيضاً : الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء وعود بدناً ما تعود .

وقال أبو الحسن عليه السلام : ليس من دواء إلا ويهيج داءاً ، وليس شيء في البدن أنفع من إمساك البدن إلا عمّا يحتاج إليه .

وقال الرضا عليه السلام : . . . ولو غمز الميت فعاش لما انكرت ذلك .

وقالوا عليهم السلام : اجتنب الدواء ما احتمل بدنك الداء ، فإذا لم يحتمل الداء فالدواء .

فهذه اضمامة من بعض ما ورد عنهم عليهم السلام فيما يتعلق بالطب وانها لتجمع الأصول العامة والأسس التي يقوم عليها حفظ الصحة .

فالتحذير من النهمة التي هي أساس الداء ، والاقتصاد في

المطعم بحدود استقامة البدن واحتياجه ، والالتزام بالراحة والهدوء بعد الابتلاء بالمرض ، والحمية واعطاء البدن عادته ، والتحذير من استعمال الدواء بدون حاجة ، وعندها بأكثر من الواجب وبيان طبائع البدن وعناصره المقومة ، بل وحتى الإشارة إلى الطب الرياضي أو فقل التنفس الصناعي وغير ذلك وهي نصائح طبية عامة يمكن الجزم بأنها لا تخص فرداً دون آخر ، أو بلداً دون بلد أو عصراً دون عصر آخر .

وهناك مستحضرات طبية ووصفات علاجية بنسب معينة وكيفيات خاصة اشتمل عليها الطب المروي عنهم عليهم السلام في كتابنا هذا وغيره يمكن القول بأنها ربما كانت مختصة بأحوال خاصة وملاحظة حال المريض وطقس بلده والتربة التي يعيش فيها إذ يمكن أن تكون الإجابة صدرت من أحدهم عليهم السلام على سؤال المريض وعلاجه بملاحظة ما قلناه ، وهو أمر حري بالاعتبار ، فإن اختلاف الطقوس باختلاف البلدان والفصول يستدعي اختصاص العلاج ببعض المرضى دون بعض فالدواء المستحضر للبلاد الحارة مثلاً لا يصح استعماله بنفس النسبة والكيفية في البلاد الباردة ، وبالعكس .

إذن فما يرى من تفاوت بعض الوصفات العلاجية أو التي لا يعرف وجهها يمكن أن تكون من هذا القبيل ، وقد نصَّ الاعلام من مشايخنا القدماء والمتأخرين على ذلك ، وإلى القارىء بعض بيانهم في المقام .

قال الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه (ره) المتوفى سنة ٣٨١ هـ : اعتقادنا في الأخبار الواردة في الطب أنها على وجوه :

منها ما قيل على هواء مكة والمدينة ولا يجوز استعماله على سائر الأهوية .

ومنها ما أخبر به العالم - الإمام - على ما عرف من طبع السائل ولم يعتبر بوصفه إذا كان أعرف بطبعه منه .

ومنها ما دلّسه المخالفون في الكتب لتقبيح صورة المذهب عند الناس .

ومنها ما وقع فيه سهو من ناقليه .

ومنها ما حفظ بعضه ونسي بعضه .

وما روي في العسل أنه شفاء من كل داء فهو صحيح ومعناه شفاء من كل داء بارد .

وما ورد في الاستنجاء بالماء البارد لصاحب البواسير ، فإن ذلك إذا كان بواسيره من الحرارة الخ[1] .

وقال الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ره) المتوفى سنة ٤١٣هـ : الطب صحيح والعلم به ثابت وطريقة الوحي ، وإنما أخذه العلماء عن الأنبياء ، وذلك لا طريق إلى علم حقيقة الداء إلاّ بالسمع ولا سبيل إلى معرفة الدواء إلاّ بالتوفيق ، فثبت أن طريق ذلك هو السمع عن العالم بالخفيات .

والأخبار عن الصادقين عليهم السلام مفسرة بقول أمير المؤمنين عليه السلام : المِعْدة بيت البداء والحمية رأس الدواء ، وعود كل بدن ما اعتاد ، وقد ينجع في بعض أهل البلاد من مرض يعرض لهم ما يهلك من استعمله لذلك المرض من غير أهل تلك البلاد ويصلح لقوم ذوي عادة ما لا يصلح لمن خالفهم في العادة الخ[2] .

---

(١) اعتقادات الصدوق.

(٢) شرح الاعتقاد.

وقال الشيخ المجلسي محمد باقر بن محمد تقي (ره) المتوفى سنة ١١١١هـ[١] .

وقد يكون بعض الأدوية التي لا مناسبة لها بالمرض على سبيل الافتتان والامتحان ، ليمتاز المؤمن المخلص القوي الإيمان من المنتحل أو ضعيف الإيقان ، فإذا استعمله الأول انتفع به لا لخاصيته وطبعه ، بل لتوسله بمن صدر عنه ويقينه وخلوص متابعته ، كالانتفاع بتربة الحسين عليه السلام وبالعوذات والأدعية .

ويؤيد ذلك أنا ألفينا جماعة من الشيعة المخلصين كان مدار عملهم ومعالجتهم على الأخبار المروية عنهم عليهم السلام ولم يكونوا يرجعون إلى طبيب وكانوا أصح أبداناً وأطول أعماراً من الذين يجرعون إلى الأطباء والمعالجين .

ونظير ذلك الذين لا يبالون بالساعات النجومية ، ولا يرجعون إلى أصحابها بل يتوكلون على ربهم ويستعيذون من الساعات المنحوسة ومن شر البلايا والأعادي بالآيات والأدعية أحسن أحوالاً ، وأثرى أموالاً ، وأبلغ آمالاً من الذين يرجعون في دقيق الأمور وجليلها إلى اختيار الساعات وبذلك يستعيذون من الشرور والآفات .

وهناك ناحية أخرى في بعض الكتب تسترعي انتباه القارىء ، وربما أثارت فضوله فيتسائل ما معنى ذكر العوذات والأدعية والرقى في تلك الكتب ؟ وأين هذا من طب الأبدان؟[٢] .

ولا بد من وقفة قصيرة مع القارىء لننظر معاً تأثير ذلك في

---

(١) بحار الأنوار ج ١٤ ص ٥٠٥ طبعة الكمباني .

(٢) وقد أشرنا إلى بعضها في تضاعيف هذا الكتاب ، وفصّلنا في « الموسوعة القرآنية الحديثة » فمن أحب فليراجع .

معالجة الأبدان فأقول : لما كان أئمة أهل البيت عليهم السلام سموا بعلمهم عن البشر ـ بما للعلم من مفهوم واسع وشامل ـ فكانوا يستندون في ذلك إلى معين ولا ينضب حيث أخذوا ذلك عن رسول الله (ص) وهو صلى الله عليه وآله عن وحي السماء عمن أوجد الداء والدواء والمرض والشفاء .

فكانوا بلا ريب يدركون داء النفوس كما يدركون أمراض البدن وأعراضه الخارجية فهم يصفون لشفاء الروح من آلامها المرهقة وأزماتها الخانقة كما يصفون الدواء لسائر أمراض البدن ، وإن خير الأطباء من قدر على تشخيص الداء وعرف سيره ومبعثه فوصف له علاجه الشافي ، ولما كان كثير من الأمراض مبعثها الآلام النفسية نتيجة القلق والحزن والاضطراب والوحشة والخوف وأمثالها وكان تأثيرها على الجسم نتيجة حتمية ، وهذا أمر محسوس ما أظن أحداً منا ينكره ، كيف وها نحن نمر كل يوم بتجارب وأزمات تبعث على القلق والاضطراب ، وإذ اشتد تأثيرها النفسي فنحس بعوارضها على البدن كالصداع والحمى وغيرهما من الأوجاع الناشئة عن التوتر العصبي أو انهيار الأعصاب فهذه الأعراض والأمراض نتائج حتمية لتلك الآلام النفسية لا انها تنحصر بها بل لها أكثر من سبب إذن لا مانع ـ بل من الخير ـ معالجتها علاجاً نفسياً وروحياً لحسم مادة الألم وتطهير مصدره حتى تخلص النفس من مشاكلها بالدعة والاطمئنان إلى تأثير مدبر في شؤونها عارف بخيرها يرجى منه الصلاح والإصلاح فتهدأ آلامها وتخلد إلى الراحة ريثما يتم لها الشفاء المتوقع وإذا هدأت النفس واطمأنت ، دبت العافية إلى أجزاء الجسم المصابة بسببها نتيجة حتمية أيضاً لها .

وما أظن القارىء ينكر الطب النفساني والروحاني ومدى تأثيرهما

في معالجة كثير من الأمراض الباطنية والعقلية بل وحتى الجلدية والمتوطنة والتناسلية .

وكم قرأنا وسمعنا شواهد على ذلك أقرها العلم الحديث بمفهومه الشامل .

وبعد هذا فماذا على الإمام وهو يحرص على صحة امرىء مسلم مبتلى بمرض مبعثه ألم نفسي ويزول مرضه بعلاج أن لا يسعفه بذلك لتعجيل شفائه .

وما عليه وهو يرى عوارض المريض مركبة من آلام نفسية وعوارض بدنية أن يعالج روحه وجسده في آن واحد فيصف له ما يشفي بدنه من مرضه بمستحضرات العقاقير مثلاً ، ويشفي روحه ببركة آي من القرآن الكريم أو اسم من أسماء الله جلَّ جلاله أو عوذة اشتملت على الاستعاذة بالله جلَّ اسمه والتوسل إليه بملائكته المقربين أو أنبيائه المرسلين أو عباده المكرمين .

وهلم فلننظر في وصفات هذا اللون من العلاج فهل هي إلاّ ما وصفناه وما الذي ننكره من الاستشفاء بها وهي عين الشفاء فالقرآن العظيم فيه من الآي الظاهرة الصريحة بأنه شفاء المؤمنين كقوله عزَّ وجلَّ في سورة يونس/٥٧ : ﴿ **يا أيُّها النَّاس قَدْ جَاءتكم موعظة من رَبّكم وشفاء لِمَا في الصُّدُور وهدىً ورحمةً للمؤمنين** ﴾. وقوله جلَّ وعلا في سورة الإسراء/ ٨٢ : ﴿ **ونُنَزل من القرآن ما هُوَ شِفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلاّ خساراً** ﴾. وقوله تبارك اسمه في سورة فُصِّلت/٤٤ : ﴿ **ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا فُصِّلَت آياته ءاعجمي وعربي قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** ﴾ وفيه من الأمر بالدعاء والاستعاذة كثيراً إلى غير ذلك من آياته الكريمة وأسراره

العظيمة التي عرفها أئمة أهل البيت عليه السلام أخذاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن أحداً أعرف بأسرار القرآن وموارد بركته منهم فعلى جدهم أنزل وفي بيوتهم نزل وهم المخاطبون به ، ولا يعرف القرآن إلاّ من خوطب به .

وقس على الاستشفاء بآي القرآن الكريم الاستعاذة بأسماء الله تعالى والتوسل بها والدعاء إليه طلباً لخلاص الروح من أدرانها وحلاً لأزماتها ومشاكلها وشفاءً لآلامها .

وإن في الدعاء نفسه بشروطه لراحة للنفس واطمئنانها بالسلامة ، ولم يكن مجرد خضوع واستكانة ، أو انهزامية من واقع مرير ـ كما يفسر خطأ ـ بل هو رجوع إلى حظيرة نفس الواقع وخلود إلى راحته ومن منا ينكر ذلك أو لم تصادفه ولو تجربة واحدة طيلة حياته ، يفزع عند كل مخوف ، ويلجأ في كل مكروه ، ويستزيد من الخير إلى من بيده التدبير والتقدير يرجو منه النجاة من أزماته ، والتخلص من آلامه ، والسلامة في راحته .

فلولا إحساسنا بالارتياح النفسي لنتائجه لما أقبلنا عليه واستعملناه دواءً فطرياً .

والذي يؤكد أن تلكم الأدعية والعوذات والاستشفاء علاجات نفسية مضافاً إلى ورودها في القرآن الكريم ، هو تعقيبها كثيراً بضمان النجاح عند الاستعمال وهذا الالتزام بالعافية وضمانها هو وحده خير علاج نفسي يجعل المريض يشعر بالراحة ويتلمس العافية بين أحرف تلك الآي والدعاء والعوذة .

محتوى الرسالة الذهبيّة[1] :

لقد أراد المأمون معرفة أصول خفظ صحة المزاج ، وتدبيره بالأغذية والأشربة والأدوية مستقاة من منبعها العذب ، فطلب من الإمام عليه السلام بيان ذلك ، وكرر الطلب ، فكتب إليه هذه الرسالة ، فلما وصلت إلى المأمون أمر بأن تكتب بماء الذهب .

ولعلَّ أهم ما يطوف في ذهن القارىء حول أهمية هذه الرسالة وما تعنيه دلالتها التاريخية أنها تمثل مرحلة تاريخية تتعلق بفن الطب وتطوره في العصر الإسلامي الأول ، فهي تكشف للمعنيين بالطب وتاريخ تطوره عبر العصور غزارة علمه عليه السلام ، وسعة اطلاعه .

ومن خلال هذا المنطلق أمكنني تقديم دراسة مسهبة للرسالة الذهبية مقسماً إيّاها إلى عدة فصول .

لقد جاءت هذه الرسالة بمجموعة من النصائح والإرشادات الطبية العامة القيّمة ، والتي كانت حصيلة تجاربه عليه السلام مضافاً إليها ما سمعه عن آبائه عليهم السلام ، من أقاويل القدماء أيضاً . كما أشار إلى ذلك بقوله عليه السلام في مستهل رسالته : « عندي من ذلك ما جربته وعرفت صحته بالاختبار ومرور الأيام ، مع ما وقفني عليه من مضى من السلف مما لا يسع الإنسان جهله ولا يعذر في تركه » .

ففي الفصل الأول : نرى الإمام عليه السلام قد سبق علماء الطب في العصر الإسلامي في العديد من الآراء والإكتشافات التي أصبحت الأساس الرئيسي في التجارب الطبية ، بل يمكن القول بأنها

---

(١) من مقدمة للفاضل الشيخ محمد مهدي نجف على كتاب « الرسالة الذهبية » .

النواة الأولى لآراء الأطباء فيما بعد .

فكان عليه السلام أول من شبه جسم الإنسان بالمملكة الصغيرة المتكاملة ، فقال : إن هذه الأجسام أسست على مثال الملك . فملك الجسد هو ما في القلب ، والعمال العروق في الأوصال والدماغ ، وبيت الملك قلبه ، وأرضه الجسد ، والأعوان : يداه ورجلاه وعيناه وشفتاه ولسانه وأذناه . وخزائنه : معدته وبطنه وحجابه وصدره .

وليس المهم في هذا الوصف الرائع التشبيه بالملك والمملكة وإنما المهم فيه دلالة هذا التشبيه على معرفته عليه السلام بتشريح أعضاء الجسم الرئيسة ، وفسلجة كل عضو منها .

فاستهل عليه السلام بتشبيه القلب وما فيه بمثابة الملك في رعيته ، فكما أن الملك هو الشخص الأول والحاكم الرئيس في تسيير أمور المملكة كذلك جعل القلب وما فيه الأساس في بقاء الحياة الإنسانية ، فمتى توقف القلب عن العمل توقفت الحياة في سائر الجسد .

كما مثل عليه السلام المجموعة المتكاملة من الشرايين والأوردة والشعيرات الدموية ، والتي أسماها بالعروق، ومن جميع الأوصال وما يصير سبباً لوصل مفاصل البدن ، وبها تتم الحركات الإرادية واللاإرادية المختلفة ، ومن الدماغ الذي يعتبر المركز الأول للإحساس في الجسم . مثل هذا وذاك بالعمال لإدارة شؤون هذه المملكة ، وهم الجنود الأمناء الأوفياء لها . فهم يحافظون على المملكة بجميع أجزائها من المؤثرات الخارجية .

كما شبه الجسد بكامل أعضائه وأجزائه بأرض هذه المملكة . ثم

أوضح عليه السلام بتمثيله الرائع فسلجة كل عضو من أعضاء الجسم ، وما يقوم به من الوظائف المهمة ، فأشار إلى اليدين ووصفهما بأعوان الملك : يقربان ما يريد ويبعدان ما يرفض . وإن الرجلين ينقلانه من مكان لآخر حسب رغبته ، وطوع إرادته . كما وصف العينين بالسراج ، حيث لا يمكن البصر بدون سراج ، فيهما ينظر القريب والبعيد . أما الأذنان فهما المصدر المهم لاستقبال المعلومات من الخارج ، كما أن اللسان بمعونة الشفتين والأسنان ، هو الأداة المعبرة عن إرادة الملك .

ثم استطرق عليه السلام في تشبيه جوف الإنسان وما يحويه من صدر ومعدة وامعاء وتوابعهما بالخزانة ، فمنها يتزود الإنسان بالغذاء ، والمواد الحيوية الأخرى فما أعظم هذه المملكة الصغيرة المحتوى ، العظيمة التكوين !! فتبارك الله أحسن الخالقين .

وفي نهاية هذا الفصل أوضح عليه السلام تأثير الفرح والحزن وغيرهما من العوارض الخارجية على الوجه ، وبيان مركز كل منهما .

وفي الفصل الثاني جاءت إرشاداته عليه السلام في كيفية تناول الغذاء والشراب من حيث الكيف والكم ، كل ذلك حفاظاً على صحة البدن ، فأبدى نصحه في تناول الغذاء : كل حسب طاقته وقدرته ومزاجه ، مع مراعاة الزمان والمكان ، لغرض استمراء الغذاء بصورة صحيحة ، والاستفادة منه على النحو الأفضل . لأن الإخلال في المأكل والمشرب سواءاً كان بزيادة أم نقصان يكون السبب في العديد من الأمراض ، كما في الحديث الشريف : « المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء » .

أما في الفصل الثالث فقد أشار عليه السلام على المأمون بصنع

نوع خاص من الشراب ، كثير الفوائد، سهل الهضم ، لاستعماله بعد طعامه ، وليس المقصود هو شخص المأمون وحده ، بل كل من أراد الحفاظ على صحته .

وقد احتوى هذا الشراب على القيمة الغذائية العالية ، لما فيه من العناصر المهمة : من سكريات ونشويات وفيتامينات وغيرها من المواد الرئيسة المولدة للطاقة ، مع مراعاة الشروط الصحيحة والأساسية في تحضيره .

ويمكن القول بأن إمامنا الرضا عليه السلام قد سبق العلماء في تعريف الماء العذب ، فعرفه بأجمل تعريف ، وأوجز وصف بقوله : « ماء أبيضاً براقاً خفيفاً وهو القابل لما يتعرضه على سرعة من السخونة والبرودة ، وتلك الدلالة على صفاء الماء » .

كما سبقهم أيضاً في معرفة أضرار الغليان على العديد من العناصر الغذائية كاتلاف بعض الفيتامينات ، وطيران بعض العناصر السريعة التبخير في الغذاء والشراب .

وجاء تأكيد الإمام عليه السلام في الفصل الرابع على عدم الافراط في استعمال الشراب بعد الطعام مبيناً ما يترتب عليه من أضرار على المعدة ، وبالتالي على سائر الجسد .

ولم يكتف (ع) بذلك بل أكّد على تأثير الافراط في تناول بعض المواد الغذائية وأضرارها أيضاً ، فقال : « وكثرة أكل البيض وادمانه يورث الطحال ورياحاً في رأس المعدة ، والامتلاء من البيض المسلوق يورث الربو والابتهار وأكل اللحم النيء يورث الدود في البطن ، وأكل التين يقمل الجسد إذا أدمن عليه » ثم قال : « والإكثار من أكل لحوم الوحش والبقر يورث تيبس العقل ، وتحيير الفهم ،

وتلبد الذهن ، وكثرة النسيان » .

وقد استهل الإمام (ع) الفصل الخامس في بيان الوقاية من الأمراض التي قد تحدث من تغيير الهواء المفاجىء ـ كما يحدث ذلك في الحمام ـ فقال عليه السلام : « وإذا أردت دخول الحمام ، وأن لا تجد في رأسك ما يؤذيك فابدأ عند دخول الحمام بخمس حسوات ماء حار ، فإنك تسلم بإذن الله تعالى من وجع الرأس والشقيقة » .

وجاء تقسيمه لبيوت الحمام بأوجز تقسيم ووصفه بأحسن وصف ، بقوله : « البيت الأول بارد يابس ، والثاني بارد رطب ، والثالث حار رطب ، والرابع حار يابس » .

ثم أشار عليه السلام إلى منفعة الحمام للجسد من الناحيتين التشريحية والفسلجية ، فأبدى نصحه في استعمال الأدهان والعقاقير قبل وبعد دخول الحمام لترطيب وتلطيف الجلد والأعضاء ، لأن للجلد أهمية عظمى في التخلص من عدد لا يستهان به من المواد السامة ، فتنقية الجلد وفتح مسامه وتلطيفه من الأمور المهمة للإنسان .

وقد جاءت تعليماته ونصائحه الطبية القيمة العامة في الفصل السادس حفاظاً على صحة وسلامة الأجهزة الداخلية بصورة عامة ، فنصح بعدم حبس البول والمني ، وعدم إطالة المكث على النساء وقاية للجهاز التناسلي مما قد يعرض عليه بسبب ذلك من أخطار . ثم كرر النصح بالعناية التامة بالفم وملحقاته ، لأهمية موقعه الحساس .

كما نصح بعدم استعمال الماء بين الطعام ، لتأثيره ضعف المعدة بقوله : « ومن أراد أن لا تؤذيه معدته فلا يشرب بين طعامه ماء حتى يفرغ ، ومن فعل ذلك رطب بدنه ، وضعفت معدته ، ولم تأخذ

العـروق قوة الـطعام ، فـإنه يصيـر في المعدة فجـأ إذا صب الماء على الطعام » .

وأوضح كيفية الاستلقاء عند النوم رعاية للجهاز الهضمي .

كمـا اهتم عليه السـلام أيضاً بـالجهـاز العصبي ، لأهميـة ذلـك ، فأبدى النصح لمن أراد الزيادة في قوة الحافظة بـأن يأكـل الزبيب وغيـر ذلك ، كما يأتي في محله .

ثم جـاءت إرشـاداتـه عليـه السـلام في الفصـل السـابـع من هـذه الرسالة الذهبية للمسافر خاصة ، فأوصى باحتراز من بعض الأمـور التي تضطره طبيعة السفر إليها ، كاختلاف المأكل والمشرب وغيرها .

فنصح بالاحتـراز من السير في الحر الشديـد وهو ممتلىء الجـوف مؤكداً أضراره على الجسم . كمـا نصح بمـزج ماء كـل بلد يسافـر إليه بماء أو طين بلده الذي ولد فيه موضحاً فـوائد ذلـك . ثم كرر نصـائحه بـاستعمـال الميـاه العـذبـة ، وفـرق بين الميـاه العسـرة والثقيلة في الاستعمال .

ثم اختص الفصـل الثامن بقـوى النفس ، وانهـا تـابعـة لمـزاجـات الأبـدان ، ومزاجـات الأبدان تـابعة لتصـرف الهـواء ، فـإذا بـرد مـرة ، وسخن أخرى تغيّرت بسببه الأبدان .

فالإمام عليه السلام قسّم جسم الإنسـان إلى طبائـع أربع : « الـدم والبلغم والمـرة الصفراء والمـرة السوداء » . ثم خص الأعضـاء الرئيسـة بالجسد كل عضو بواحد من هذه الطبائع الأربـع ، فقال عليـه السلام : « إن الـرأس والأذنين والعينين والمنخـرين والأنف والفم مـن الـدم » مشيراً إلى أن الرأس هو محل الإحساس والإدراك ، وأنه مـركز العـروق

والشـرايين المؤديـة إلى أجهـزة الجسم ولغـزارة الـدم في دورتهـا فقـد وصفها بأنها من الدم .

كمـا خص البلغم والـريح بـالصـدر ، لاجتمـاع البـلاغم فيـه من الدماغ وسائر الأعضاء ، ويكثر الريح فيه بالاستنشاق المستمر .

وخص الشراسيف ـ وهو الجهاز الهضمي وتوابعـه ـ بالمـرة الصفراء لقربها من الصفراء أو لأنها داخلة في تكوينه .

وأخيـراً خصَّ أسفـل البـطن بـالمـرة السـوداء إشـارة إلى سـواد الـطحـال . وهـو يشمـل أيضـاً الكلى والمجـاري البـوليـة والتنـاسليـة وغيرها .

واهتم عليه السلام في الفصـل التاسـع بـراحـة الإنسـان مستضيئـاً بقوله تعـالى : ﴿ **قل أرأيتم ان جعـل الله عليكم النهار سـرمداً إلى يـوم القيـامة من إلـه غير الله يـأتيكم بليل تسكنـون فيـه أفـلا تبصـرون** ﴾[1] ليـأخذ المخلوق فيـه قسطاً من الـراحة في جـو هادىء ، وليعـوض قواه المفقودة في عمله .

فجـاءت نصـائحـه في كيفيـة النـوم ، حين يستلقي الإنسـان على فـراشه . وبـه يكون سكـون الحـواس الـظاهـرة ، وبـه يستكمـل هضم الطعام ، والأفعال الطبيعية للبدن .

وكـرر عليه السـلام في الفصل العـاشر اهتمـامه بصحـة الأسنان ، وأوضـح بعض التعليمات الضـروريـة في الحفـاظ عليهـا من المؤثـرات الخـارجية ، والنصـح بعنايتهـا والاهتمام بـرعايتهـا ، فأوصى بـاستعمال بعض المواد النافعة للأسنان والمجلية لها .

---

(١) سورة القصص : ٧١ .

وقد قسَّم إمامنا عليه السلام في الفصل الحادي عشر أحوال الإنسان وقواه الجسمانية حسب الفترات الزمنية إلى أربعة أقسام : ـ الأولى فترة الصبا ، وتكون في الأعوام الخمسة عشر الأول ، تليها فترة الشباب حتى يبلغ السن الخامسة والثلاثين ، فيكون بعدها سن الشيخوخة حتى يتم الستين من العمر ، تليها فترة الهرم والدبول ويكون الجسم فيها في إدبار وانعكاس ما عاش .

ثم أوضح فوائد الحجامة ، وأوقاتها ، وشروطها الصحية في الفصل الثاني عشر مشيراً إلى مواضع الفصد ، والحجامة في البدن ، مبيناً العوامل المساعدة في تخفيف آلامها ، وطرق عملها ، كما أكد في ختام بيانه في هذا الفصل على بعض الأضرار والأغراض التي قد تحدث من استعمال بعض المضادات أثناء الحجامة أو الفصد ، وكيفية الوقاية منها .

وقد أشار إمامنا عليه السلام في الفصل الثالث عشر إلى عدم توافق تراكيب بعض المواد كيمياوياً ، مما يعرض البدن لاجتماعها ، في بعض الأحيان إلى مخاطر وأضرار قد تؤدي نتائجها إلى الهلاك .

فقد أشار في بعض فقرات هذا الفصل إلى أسباب بعض الأمراض التي قد يكون أحد أسبابها التضاد في اختلاطات الامعاء وتعفناتها .

واختتم عليه السلام هذه الرسالة الذهبية بآداب الجماع ، مشيراً إلى الشروط الصحية الواجب اتباعها ، والتي قد يؤدي إهمالها إلى أمراض أو علل غير محمودة ، موضحاً أهمية التوافق والانسجام بين الجنسين ، وضرورة الملاعبة والملاطفة قبل الجماع ، مشيراً إلى إحدى المراكز الحساسة والمؤثرة في إثارة الغريزة الجنسية عند

المرأة ، لكي يحرز كل منهما نصيبه من هذه العملية الحساسة .

كما حذّر من مجامعة النساء في فترة الحيض ، مستضيئاً بقوله تعالى : ﴿ ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن. . . ﴾[1] .

وكانت لمساته الأخيرة في إبداء نصحه بالالتزام بهذه الإرشادات والتعليمات والتحذير من إهمالها .

التعريف بالرسالة :

هذه[2] الرسالة الذهبيّة (المذهبيّة) في الطب الذي بعث به الإمام الهمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون العبّاسي في صحّة المزاج وتدبيره بالأغذية والأشربة والأدوية ، قال إمام الأنام غرّة وجه الإسلام ، مظهر الغموض بالرويّة اللأمعة كاشف الرموز في الجفر الجامعة ، أقضى من قضى بعد جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله ، وأغزى من غزى بعد أبيه المرتضى صلوات الله وسلامه عليه وآله لأنس والجنّ علي بن موسى الرضا صلوات الله وسلامه عليه وعلى آبائه وأولاده النجباء الكرام النقباء :

---

(١) سورة البقرة : ٢٢٢ .

(٢) قال العلاّمة العسكري في آخر كتاب : (اسناد الرسالة الذهبية) : قد تواتر نقل هذه الرسالة عن الإمام الرضا عليه السلام بالتفصيل المذكور ، وانتهت إلينا بواسطة حسن بن محمد بن جمهور عن أبيه محمد بن جمهور العمي . ومحمد هذا ابن الحسن بن جمهور العمي نسب إلى جدّه تارة فيذكر في كتب الرجال باسم محمد ابن جمهور ، وتارة ينسب إلى أبيه فيذكر محمد بن الحسن جمهور ، تميمي بصري من بني العم . قد عاصر الإمام الرضا عليه السلام وروى عنه كتاب أدب العلم ، وكتاب صاحب الزمان ، وكتاب وقت خروجه ، ◀

• مضافاً إلى روايته عن الرضا عليه السلام الرسالة الذهبيّة وقد عمر أكثر من ١٠٠ سنين .

وفي خزانة كتب آية الله العسكري بسامراء نسخة مخطوطة مرويّة عن أبي محمد الحسن بن محمد النوفلي ، وهو الحسن بن الفضل بن يعقوب بن سعيد بن نوفل بن الحرث بن عبدالمطلب الذي قال النجاشي في حقّه : « ثقة جليل القدر روى عن الرضا عليه السلام نسخة وعن أبيه عن أبي عبدالله وأبي الحسن موسى الخ» فلعلّ النجاشي يقصد الذهبيّة بقوله : روى عن الرضا عليه السلام نسخة .

وقد ذكر المجلسي في البحار ج ٦٢ ص ٣٥٦ بعد انتهائه من شرح الرسالة الذهبيّة : (قال أبو محمد الحسن القمي : فلمّا وصلت هذه الرسالة من أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون قرأها وفرح بها وأمر أن تكتب بالذهب وأن تترجم بالرسالة المذهبيّة وفي بعض النسخ بالرسالة الذهبيّة في العلوم الطبيّة) الخ ، فهذا طريق آخر للرسالة غير رواية أبي جمهور والنوفلي وان لم يرو عنه المجلسي جميع الرسالة .

وقد أوردها المجلسي بتمامها في البحار ج ٦٢ ، وذكر سندها إلى ابن جمهور واستنسخها عن خط المحقق الكركي والمحقق لم يروها عن أحد وإنّما قال : (الرسالة الذهبيّة في الطب التي بعث بها الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى المأمون العبّاسي في حفظ صحّة المزاج وتدبيره بالأغذية والأشربة والأدوية قال الإمام عليه السلام : الخ) وقد ذكر في ص ٣٠٩ قبل إيراد الرسالة : « إنّ هذه الرسالة كانت من المشهورات بين علمائنا ولهم إليها طرق وأسانيد ، ولكن كان في نسخها التي وصلت إلينا اختلاف فاحش أشرنا إلى بعضها » الخ فما هي طرقها وأسانيدها الأخرى التي يشير إليها المجلسي مع وجود الاختلاف الفاحش بين نسخها المرويّة وأين هي؟ الخ انظر ص ١٣٠ - ١٣٢ .

مراده - دام بقائه - من آية الله العسكري هو شيخنا الجليل شيخ الفقهاء والمجتهدين الشيخ ميرزا محمد الطهراني العسكري - نزيل سامراء - قدّس سره وهو شيخ أجازه كافة مشايخنا وأساتذتنا في الرواية وأنا أروي عنه بواسطة جمع من مشايخي الأعلام كما أروي عنه بلا واسطة أيضاً وقد كتب لي إجازة رواية مفصّلة وأدرج فيها صورة إجازة الشيخ الفقيه الحاج ميرزا حسين الطهراني (ره) التي كتبها في حقّه رحمه الله .

إن الأجسام الإنسانية خلقت على مثال المُلك...

اعلم . . أنّ الله تعالى لم يبتل العبد المؤمن ببلاء حتّىٰ جعل له دواء يعالج به ، ولكلّ صنف من الداء صنف من الدواء وتدبير ونعت ، وذلك انّ الأجسام الإنسانيّة جعلت على مثال الملك[1] ،

---

(١) قوله عليه السلام « على مثال الملك » بالضمّ أي المملكة التي يتصرّف فيها الملك ، فملك الجسد ـ بفتح الميم وكسر اللاّم ـ أي سلطانه هو القلب . كذا في أكثر النسخ ، وربما يتوهّم التنافي بينه وبين ما سيأتي من أنّ بيت الملك قلبه .

ويمكن رفع التنافي بأنّ للقلب معاني : أحدها اللحم الصنوبري المعلّق في الجوف ، الثاني الروح الحيواني الذي ينبعث من القلب ويسري في جميع البدن ، الثالث النفس الناطقة الإنسانيّة التي زعمت الحكماء وبعض المتكلّمين أنّها مجرّدة متعلّقة بالبدن إذ زعموا أنّ تعلّقها أولاً بالبخار اللطيف المنبعث من القلب المسمّى بالروح الحيواني ، وبتوسّطه تتعلّق بسائر الجسد ، فاطلاقه على الثاني لكون القلب منشأه ومحلّه ، وعلى الثالث لكون تعلّقها أوّلاً بما في القلب . فيحتمل أن يكون مراده عليه السلام بالقلب ثانياً المعنى الأوّل ، وبه أوّلاً أحد المعنيين الآخرين .

وفي بعض النسخ « هو ما في القلب » فلا يحتاج إلى تكلّف ، لكن يحتمل المعنى الثاني على الظرفيّة الحقيقيّة ، والثالث على الظرفيّة المجازيّة ، بناء على القول بتجرّد الروح ، وقد مرّ الكلام فيه وعلى التقديرين كونه ملك البدن ظاهر ، إذ كما أنّ الملك يكون سبباً لنظام أمور الرعيّة ومنه يصل الأرزاق إليهم ، فمنه يصل الروح الذي به الحياة إلى سائر البدن .

فملك الجسد هو في القلب[1] ، والعمّال العروق والأوصال[2] والدماغ ، وبيت الملك قلبه وأرضه الجسد والأعوان يداه ورجلاه وعيناه وشفتاه ولسانه وأذناه ، وخزانته معدته[3] وبطنه ، وحجّابه صدره[4] .

فاليدان عونان يقرّبان ويبعّدان ويعملان على ما يوحى إليهما الملك ، والرجلان ينقلان الملك حيث يشاء .

والعينان تدلّانه على ما يغيب عنه ، لأنّ الملك من وراء

وعلى رأي أكثر الحكماء إذا وصل الروح الحيواني إلى الدماغ صار روحاً نفسانيّاً يسري بتوسّط الأعصاب إلى سائر البدن ، فمنه يحصل الحسّ والحركة فيها وإذا نفذ إلى الكبد صار روحاً طبيعياً فيسري بتوسّط العروق النابتة من الكبد إلى جميع الأعضاء ، وبه يحصل التغذية والتنمية . وكما أنّ السلطان قد يأخذ من الرعايا ما يقوم به أمره ، كذلك يسري من الدماغ والكبد إليه القوّة النفسانيّة والقوّة الطبيعيّة . فيمكن تعميم العروق بحيث تشمل العروق المتحرّكة النابتة من القلب والساكنة النابتة من الكبد والأعصاب النابتة من الدماغ .

(١) هو ما في القلب (خ) .

(٢) المراد بالأوصال مفاصل البدن وما يصير سبباً لوصالها فإنّ بها تتمّ الحركات المختلفة من القيام والقعود وتحريك الأعضاء .

(٣) لما عرفت أنّ الغذاء يرد أوّلاً المعدة ، فإذا صار كيلوساً نفذ صفوه في العروق الماساريقيّة إلى الكبد ، وبعد تولّد الأخلاط فيه إلى سائر البدن لبدل ما يتحلّل ، فالمعدة والبطن وما احتوى عليه البطن من الامعاء والكبد (والأخلاط) بمنزلة خزانة الملك ، يجمع فيهما ثم يفرّق إلى سائر البدن .

(٤) لما عرفت أنّ الله تعالى جعله في الصدر ، لأنّه أحفظ أجزاء البدن ، لأنّه فيه محاط بعظام الصدر ، وبفقرات الظهر وبالأضلاع ، وحجاب القلب بمنزلة غلاف محيط به .

والحجابان اللّذان يقسمان الصدر محيطان به أيضاً ، فهو محجوب بحجب كثيرة كما أنّ الملك يحتجب بحجب وحجّاب كثيرة .

حجاب[1] لا يوصل إليه إلّا بهما[2] وهما سراجان أيضاً ، وحصنه الجسد وحرزه الأذنان لا يدخلان على الملك إلّا ما يوافقه ، لأنّهما لا يقدران أن يدخلا شيئاً حتّىٰ يوحي الملك إليهما[3] ، فإذا أوحى إليهما أطرق الملك منصتاً لهما حتّىٰ يسمع منهما ثمّ يجيب ما يريد فيترجم

---

(١) إذ هو بالمعنى الثاني في القلب ، وهو مستور بالحجب كما عفرت ، فلا بدّ له من آلة ظاهرة توصل إليه أحوال الأشياء النافعة والضارّة .

وبالمعنى الثالث لمّا كان إدراكه موقوفاً على الأعضاء والآلات ولا يكفي في ذلك الروح الذي في القلب حتّى يسري إلى الأعضاء الّتي هي محلّ الادراك فيصدق أنه محجوب بالحجب بهذا المعنى .

ثم إنّ سائر الحواسّ الخمس من السامعة والشامّة والذائقة واللاّمسة وإن كانت أسوة للباصرة في ذلك ، فإنّ بالسامعة يطّلع على الأصوات الهائلة ، والأشياء النافعة الّتي لها صوت فيجلبها ، والضارّة فيجتنبها ، وكذا الشامّة تدلّه على المشمومات الضارّة والنافعة ، والذائقة على الأشياء النافعة والسموم المهلكة ، واللامسة على الحرّ والبرد وغيرهما .

لكن فائدة الباصرة أكثر ، إذ أكثر تلك القوى إنّما تدرك ما يجاورها وما يقرب منها ، والباصرة تدرك القريب والبعيد ، والضعيف والشديد ، فلذا خصّه عليه السلام بالذكر ولذلك جعلها الله في أرفع المواضع في البدن وأحصنها وأكشفها .

(٢) بإذن (خ) .

(٣) وحي الملك كناية عن إرادة السماع وتوجّه النفس إليه ، وانصاته عبارة عن توجّه النفس إلى إدراكه وعدم اشتغاله بشيء آخر ليدرك المعاني بالألفاظ التي تؤدّيها السامعة .

وريح الفؤاد هي الهواء التي يخرج من القلب إلى الرئة والقصبة . وبخار المعدة تصل إلى تجاويف الرئة أو إلى الفم فيعين الكلام ، أو المراد ببخار المعدة الروح الذي يجري من الكبد بعد وصول الغذاء من المعدة إليه إلى آلات النفس .

عنه اللّسان بأدوات كثيرة ، منها ريح الفؤاد ، وبخار المعدة ، ومعونة الشفتين ، وليس للشفتين قوّة إلاّ بالأسنان[1] ، وليس يستغني بعضها[2] عن بعض ، والكلام لا يحسن إلاّ بترجيعه بالأنف ، لأنّ الأنف يزيّن الكلام كما يزيّن النافخ[3] في المزمار[4] .

وكذلك المنخران[5] وهما ثقبتا الأنف ، يدخلان على الملك ما يحبّ من الرياح الطيّبة ، فإذا جاءت ريح تسوء على الملك أوحى إلى اليدين فحجبا بين الملك وتلك الريح .

وللملك مع هذا ثواب وعقاب ، فعذابه أشدّ من عذاب الملوك الظاهرة القاهرة في الدنيا وثوابه أفضل من ثوابهم .

---

(١) كذا في أكثر النسخ ، وتقوّي الشفة بالأسنان ظاهر ، لأنّها كالعماد له ، وفي بعض النسخ « إلاّ باللسان » وهو أيضاً صحيح .

(٢) أي بعض أدوات الصوت عن بعض ، لمدخليّة الجميع في خروج الصوت وتقطيع الحرف وإرجاع الضمير إلى الأسنان بعيد .

(٣) النفخ (خ) .

(٤) أي كما يزيّن النافخ في المزمار صوته بترديد صوته في الأنف ، وقيل : أي كما يزيّن النافخ في المزمار صوت المزمار بثقبة تكون خلف المزمار تكون مفتوحة دائماً .

وذلك لأنّ الهواء يخرج بالعنف من قصبة الرئة في حال التنفّس ، فإذا وصل إلى الحنجرة حدثت فيه تقطيعات مختلفة لإصاغة الحروف فإذا كثرت الأهوية وازدحمت ولم يخرج بعضها من المنخرين أشكل تقطيع الحروف ولم يتزيّن الصوت ، كما أنّ الثقبة التي خلف المزمار منفتحة دائماً لئلاّ تزد الأهوية المتموّجة فيها ، فلا يحسن صوته .

(٥) وأيضاً يعين الهواء الخارج من المنخرين على بعض الحروف وصفات بعضها كالنون وأشباهه ، وكلّ ذلك يشاهد فيمن سدّ الزكام أنفه .

فأمّا عذابه فالحزن .

وأمّا ثوابه فالفرح .

وأصل الحزن في الطحال[١] وأصل الفرح في الثَّرْب[٢] ، والكليتين ولهما عرقان موصلان إلى الوجه .

فمن هناك يظهر الحُزن والفرح فترى علامتيهما في الوجه ، وهذه العروق كلّها طرق من العمّال[٣] إلى الملك[٤] ومن الملك إلى العمّال ومصداق ذلك أنّه إذا تناولت الدواء أدّته العروق إلى موضع الداء بإعانتها .

---

(١) وأمّا أنّ أصل الحزن في الطحال فلما عرفت أنّه مفرغة للسوداء البارد اليابس الغليظ ، وهي مضادّة للروح في صفاتها ، وفرح الروح وانبساطه إنّما هو من صفاء الدم وخلوصه من الكدورات فإذا امتزج الدم بالسوداء غلظ وكثف وفسد ، ويفسد به الروح ، ولذا ترى أصحابه الأمراض السوداوية دائماً في الحزن والكدورة والخيالات الباطلة ، وعلاجهم تصفية الدم من السوداء .

(٢) غشاء على المعدة والامعاء ذو طبقتين ، بينهما عروق وشرايين وشحم كثير ، ومنشؤه من فم المعدة ، ومنتهاه عند المعاء الخامس المسمّى بقولون كما مرّ وسبب كون الفرح منه أنّه بسبب كثرة عروقه وشرايينه يجذب الدم ورطوبته إلى الكلية ، فيصير سبباً لصفاء الدم ورقّته ولطافته ، فينبسط به الروح .

(٣) أي الأعضاء والجوارح .

(٤) أي القلب ، لما عرفت أنّ الروح بعد سريانه إلى الدماغ وإلى الكبد يرجع إلى القلب ، وسريانه من القلب إلى الأعضاء والجوارح ظاهر .

ومثّل عليه السلام لذلك مثالاً ومصدّقاً ، وهو أنّه إذا تناول الإنسان الدواء وورد المعدة تصرّفت فيه الحرارة الغريزية ، ثم تتأدى آثاره وخواصه من طرق العروق إلى موضع الداء بإعانة الجوارح والأعضاء ، فهي طرق للقلب إلى الأعضاء .

قال المجلسي (ره) : يحتمل أن يراد بالعمّال هنا وفي أوّل الخبر القوي ◄

الجسد بمنزلة الأرض الطيبة :

واعلم يا أمير... أنّ الجسد بمنزلة الأرض الطيّبة متى تعوهدت(١) بالعمارة والسقي من حيث لا يزاد في الماء فتغرق ولا ينقص منه فتعطش دامت عمارتها وكثر ريعها وزكى زرعها(٢) وإن تغوفل منه فسدت ولم ينبت فيها العشب(٣) فالجسد بهذه المنزلة .

وبالتدبير بالأغذية والأشربة يصلح ويصحّ وتزكو العافية فانظر يا أمير... ما يوافقك ويوافق معدتك ويقوي عليه بدنك ويستمرئه من الطعام(٤) فقدّره لنفسك واجعله غذاءك .

التعادل في الأكل والشرب :

واعلم يا أمير... أنّ كلّ واحدة من هذه الطبائع(٥) تحبّ ما

﴿ المودعة في كل عضو بتوسّط الروح الساري فيه ، وهي بكونها عمّالاً ونوّاباً للروح الذي (هي) في القلب أنسب ، والتمثيل حينئذٍ أظهر ، لأنّه يسري أثر الدواء في العروق إلى كلّ عضو ، ثم تتصرّف فيه القوى المودّعة فيه (من) الغاذية والنامية والدافعة والماسكة وغيرها ، حتى يتمّ تأثيرها فيه . كما أنّ الملك إذا بعث شيئاً إلى عامل من عمّاله فهو يأخذه ويصرفه فيما يناسبه من المصالح فالمراد بالعروق في صدر الخبر القوي المودّعة فيها ، وههنا نفس العروق .

(١) تعاهد الشيء رعايته ومحافظته والسؤال عنه ومعرفته وملاقاته والوصيّة به .

(٢) أي نما .

(٣) العشب، بالضم ـ الكلاء الرطب ـ .

(٤) مراءة الطعام ، حسن عاقبته وعدم ترتّب الضرر عليه .

(٥) أي الأخلاط الأربعة ، أو الأمزجة الأربعة من الحار ، والبارد ، والرطب ، واليابس ، أو الأربعة المركّبة من الحار اليابس ، والحار الرطب ، والبارد اليابس والبارد الرطب .

يشاكلها[1] فاغتذ[2] ما يشاكل جسدك ، ومن أخذ الطعام زيادة لم[3] يغذه ومن أخذه بقدر لا زيادة ولا نقص عليه نفعه وكذلك الماء[4] فسبيله[5] أن تأخذ من الطعام كفايتك في أيّامه[6] ووقته وارفع يديك منه وبك إليه بعض القرم[7] ، وعندك إليه ميل فإنّه أصلح لمعدتك[8] ولبدنك[9] وأزكىٰ لعقلك[10] وأخفّ على جسمك[11].

---

(١) أي تطلب ما يوافقها ، فصاحب المزاج الحار يطلب البارد ، والرطب يطلب اليابس ، وهكذا .

(٢) « فاغتذ » في بعض النسخ بالغين والذال المعجمتين ، أي اجعل غذاءك ، وفي بعضها بالمهملتين من الاعتياد .

(٣) « لم يغذه » يقال : غذوت الصبي اللبن ، فضمير « لم يغذه » امّا راجع إلى الطعام أي لم يجعل الطعام غذاء لجسده ، أو إلى الجسد ، وعلى التقديرين أحد المفعولين مقدّر ، والحاصل أنّك إذا تناولت من الغذاء أكثر من قدر الحاجة يصير ثقلاً على المعدة ، وتعجز الطبيعة عن التصرّف فيه ، ولا ينضج ، ولا يصير جزء البدن ويتولّد منه الأمراض ، ويصير سبباً للضعف .

(٤) أي ينبغي أن تشرب من الماء أيضاً قدر الحاجة .

(٥) أي طريقه وأكله وادامه ، وفي بعض النسخ « وكذلك سبيلك » أي طريقتك التي ينبغي أن تسلكها وتعمل بها .

(٦) أي في كل يوم تأكل الطعام فيه ، أو في أوقاته ، فإنّ اليوم يطلق على مقدار من الزمان مطلقاً . وفي بعض النسخ « ابّانه » بكسر الهمزة وتشديد الباء ، أي حينه .

(٧) القرم ـ محرّكة ـ : شدّة شهوة اللحم ، ثم اتّسع حتّى استعمل في الشوق إلى الحبيب وكل شيء .

(٨) فإنّه يسهل عليها الهضم .

(٩) فإنّه يصير جزءً له .

(١٠) أي أنمى . وفي بعض النسخ بالذال ، وهو أنسب ، لأنّ الذكاء سرعة الفهم وشدّة لهب النار، وذلك لأنّ مع امتلاء المعدة تصعد إلى الدماغ الأبخرة ◄

منهاج تناول الطعام :

يـا أمير . . . كُـلِ البـارد في الصيف[1] والحـارّ في الشتـاء ، والمعتـدل في الفصلين على قدر قوّتك وشهـوتـك[2] ، وابـدء في أوّل الطعام[3] بأخفّ الأغذية التي يغتذي بها بدنـك بقدر عـادتك وبحسب

الرديّة ، فتصير سبباً لغلظة الروح النفساني وقلّة الفهم وتكدّر الحواسّ .

(١١) فإنّ البدن يثقل بكثرة الأكل .

(١) يحتمل أن يكون المراد بالبارد البارد بالفعل كالماء الذي فيه الجمد والثلج ، أو البارد بالقوّة بحسب المزاج كالخيار والخس ، وكذا الحار يحتملهما .

وذلك لأنّه لمّا كان في الصيف ظاهر البدن حارّاً بسبب حرارة الهواء ، فإذا أكل أو شرب الحارّ بأحد المعنيين اجتمعت الحرارتان ، فصار سبباً لفساد الهضم وكثرة تحليل الرطوبات ، وكذا أكل البارد وشربه في الشتاء يصير سبباً لاجتماع البرودتين الموجب لقلّة الحرارة الغريزية . ومنه يظهر علّة رعاية الاعتدال في الفصلين المعتدلين .

(٢) اعادة لما مرّ تأكيداً ، وإشارة إلى أنّ كثرة الأكل وقلّته تختلفان بحسب الأمزجة ، فالمزاج القويّ والمعدة القوية يقدران على هضم كثير من الغذاء ، وصاحب المزاج الضعيف والمعدة الضعيفة ، قليل من الغذاء بالنسبة إليه كثير .

(٣) هذا إشارة إلى الترتيب بين الأغذية ، بأنّه إذا أراد أكل غذاء لطيف مع غذاء غليظ بأيّهما يبدأ ، فحكم عليه السلام بالابتداء باللطيف من الغذاء وكذا ذكره بعض الأطبّاء ، فإنّه إذا عكس فيسرع إليه هضم اللطيف ، والغذاء الغليظ لم يهضم بعد ، وهو في قعر المعدة قد سدّ طريق نفوذ المهضوم إلى الامعاء ، فيفسد المنهضم ويختلط بالغليظ فيفسده أيضاً ، ويصير سبباً للتخمة .

وجوّزوا ذلك فيما إذا كانت المعدة خالية من الغذاء والصفراء ، وكان في غاية الاشتهاء وأكل قليل من الغذاء الغليظ ومرّ عليه زمان حصل فيه بعض الهضم ثم أكل اللطيف ليتمّ هضمها معاً في زمان واحد . وإذا ابتدأ في تلك

طاقتك ونشاطك ، وزمانك الذي[1] يجب أن يكون أكلك في كلّ يوم عند ما يمضي من النهار ثمان ساعات أكلة واحدة ، أو ثلاث أكلات في يومين تتغذّى باكراً في أوّل يوم ، ثم تتعشّىٰ ، فإذا كان اليوم

الحالة بأكل اللطيف اشتملت عليه المعدة وأسرع في هضمه ، فإذا أكل الغليظ بعده لم تقبله المعدة ، فتنفّرت منه فيفسد .

ومنهم من منع من الابتداء باللطيف مطلقاً ، معلّلين بأنّه إذا ورد المعدة وأخذت في هضمه كان هضمه قبل الغليظ ، فينفذ في الامعاء ويختلط به بعض غير المنهضم من الغليظ ، ويصل إلى الأمعاء ، ويصير سبباً للسدّة .

ومنهم من منع من الجمع بينهما مطلقاً ، وما ورد في الخبر على تقدير صحّته هو المتّبع .

(١) ثم شرع عليه السلام في بيان زمان الأكل ومقدار الأزمنة بين الأكلات ، فجعل له طريقين : أحدهما أن يأكل في كلّ يوم أكلة واحدة عند مضيّ ثمان ساعات من النهار والثاني أن يأكل في كل يومين ثلاث أكلات ، والاعتياد بهما لا سيّما بالأوّل أعون على الصوم وعلى قلّة النوم ، لكنّهما مخالفان لما ورد من الأخبار في فضل التغذي والتعشّي ، وفضل مباركة الغذاء ، وفضل السحور في الصوم وغير ذلك من الأخبار .

ويمكن حمله على أنّه عليه السلام علم بحسب حال المخاطب أنّ ذلك أصلح له فأمره بذلك ، فيكون ذلك لمن كانت معدته ضعيفة لا تقدر على الهضم مرّتين في كل يوم ، وقد جرّب أنّ ذلك أصلح التدابير لأصحاب تلك الحالة .

أو يكون المراد بالغذاء ما يأكله بقدر شهوته من الأغذية الغليظة المعتادة ، فلا ينافي مباكرة الغذاء بشيء قليل خفيف ينهضم في ثمان ساعات ، ويمنع من انصباب الصفراء في المعدة .

بل يمكن أن يكون ما ذكره عليه السلام من الابتداء بأخفّ الأغذية اشارة الى ذلك ، فيحصل عند ذلك المباكرة في الغذاء كل يوم والتعشّي أيضاً ، لأنّ بعد ثمان ساعات يحصل التعشّي بأكثر معانيه .

الثاني ، فعند مضيّ ثمان ساعات من النهار أكلت أكلة واحدة ولم تحتج إلى العشاء ، كذا أمر جدّي محمد المصطفى صلّى الله عليه وآله عليّاً صلوات الله عليه في كلّ يوم وجبة[1] ، وفي غده وجبتين . وليكن ذلك بقدر لا يزيد ولا ينقص .

وارفع يدك من الطعام وأنت تشتهيه ، وليكن شرابك على اثر طعامك من هذا الشراب الصافي العتيق ممّا يحلّ شربه ، وأنا أصفه فيما بعد .

ونذكر الآن ما ينبغي ذكره من تدبير فصول السنة وشهورها الرومية الواقعة فيها في كلّ فصل على حدّة ، وما يستعمل من الأطعمة والأشربة وما يتجنّب منه وكيفيّة حفظ الصحّة من أقاويل القدماء ونعود إلى قول الأئمّة عليهم السلام في صفة شراب يحلّ شربه ويستعمل بعد الطعام .

تفاصيل فصول السنة :

ذكر فصول السنة : أمّا فصل الربيع فإنّه روح الزمان[2] وأوّله آذار وعدّة أيّامه ثلاثون يوماً وفيه يطيب الليل والنهار[3] وتلين الأرض[4]

---

(١) الوجبة ـ بالفتح ـ الأكلة الواحدة في اليوم ، وفي القاموس : الوجبة الوظيفة ، ووجب يجب وجباً أكل أكلة واحدة في النهار كأوجب ووجّب . ووجّب عياله وفرسه عوّدهم أكلة واحدة . والوجبة الأكلة في اليوم واللّيلة ، وأكلة في اليوم إلى مثلها من الغد ـ انتهى ـ .

(٢) لأنّه لاعتداله ونموّ الأشياء فيه بالنسبة إلى سائر أجزاء الزمان كالروح بالنسبة إلى سائر الجسد . أو لميله إلى الحرارة والرطوبة طبعه طبع الروح .

(٣) لاعتدال الهواء فيه وعدم الاختلاف الكثير فيه بين الليل والنهار .

(٤) إذ بحرارة الهواء ورطوبته تذهب الصلابة الحاصلة في الأرض من يبس الشتاء ، فتنبت فيها الأعشاب ، وتذهب سلطنة البلغم المتولّد في الشتاء .

ويــذهب سلطان البلغم ، ويهيج الــدم ، ويستعمـل فيــه من الغـذاء اللطيف واللحـوم والبيض الـ(نيم بـرشت) ويشـرب الشـراب[١] بعــد تعديله بالمـاء[٢] ، ويتّقى فيه أكـل البصل والثـوم والحامض ، ويحمـد فيه شرب المسهل[٣] ويستعمل فيه الفصد والحجامة[٤] .

نيسان : ثلاثـون يومـاً فيـه يـطول النهـار ويقـوى مـزاج الفصـل ، ويتحـرّك الـدم وتهبّ فيـه الـريـاح الشـرقيّـة ، ويستعمـل فيـه المـآكـل المشـويّـة ، ومـا يعمـل بـالخـلّ ولحـوم الصيد ويعـالـج الجمـاع[٥] والتمـريـخ[٦] بـالـدهن في الحـمّـام ، ولا يشـرب المـاء[٧] على الـريق ويشمّ الرياحين والطّيب .

أيـار : أحد وثـلاثون يـومـاً ، تصفـو فيه الـريـاح[٨] وهـو آخر فصـل

---

(١) أي الشراب الحلال الذي سيأتي ذكره .

(٢) بأن يمزج بمقدار من الماء لتقلّ حرارته .

(٣) لتنقيـة البدن من الفضـلات والمواد المحتبسـة في الشتاء المتـولّـدة من الأغـذية الغليـظة وهي لانسداد المسـامات محتبسـة في البدن ، فـإذا أثرت حـرارة الربيع في البدن حدثت فيهـا رقّة وسيلان فإذا لم يـدفع بـالمسهل يمكن أن تتـولّد منها الأمراض والدماميل والأورام وأشباهها .

(٤) لما مرّ من تولّد الـدم في هذا الفصـل وهيجانه ، ويقوي مـزاج الفصل لظهور الحرارة (فيه) فـإنّ الشهر الأوّل شبيـه بالشتـاء بارد في أكثـر البلاد، وحـركة الدم وتولّده في هذا الشهر أكبر.

(٥) أي يـزاول ويرتكب ، لمنـاسبته لكثـرة الدم وسيـلانه وكثـرة تولّـد المنيّ فيه . وفي القاموس : مرخ جسـده ـ كمنع ـ : دهنـه بالمـروخ ، وهو مـا يمرخ بـه البدن من دهن وغيره كمرّخه ـ انتهى ـ .

(٦) التمريخ : التدهين .

(٧) وفي بعض النسخ «ويشرب» والأوّل أوفق بقول الأطباء .

(٨) أي من الغبار لعدم شدّتها أو لحدوث الرطـوبات في الأرض ، أو كنـاية ◄

الربيع وقد نهى عن الملوحات واللحوم الغليظة كالرؤوس ولحوم البقر[1] واللّبن ، وينفع فيه دخول الحمّام أوّل النهار وتكره فيه الرياضة[2] قبل الغذاء .

حزيران : ثلاثون يوماً ، يذهب فيه سلطان البلغم والدم ، ويقبل زمان المرّة الصفراء[3] ، وينهى فيه عن التعب[4] وأكل اللحم دائماً والاكثار منه ، وشمّ المسك والعنبر[5] وينفع فيه أكل البقول الباردة كالهندباء والبقلة الحمقاء[6] ، وأكل الخضر كالخيار والقثّاء والشيرخشت والفاكهة الرطبة ، واستعمال المحمّضات ، ومن اللّحوم لحم المعز الثنيّ والجدي[7] ، ومن الطيور الدجاج والطيهوج والدرّاج والألبان[8] والسمك الطريّ .

عن عدم تضرّر الناس بها .

(١) في القاموس : البقرة للمذكّر والمؤنّث . والجمع بقر وبقرات وبقر ـ بضمّتين ـ وبقار وابقور وبواقر . وأمّا باقر وبقير وبيقورة وباقور وباقورة فأسماء للجمع ـ انتهى ـ .

(٢) الرياضة : التعب والمشقّة في الأعمال .

(٣) لأنّ الفصل حارّ يابس ، وموافق لطبع الصفراء ، فهو يولّدها ويقوّيها .

(٤) لأنه بسبب شدّة حرارة الهواء وتخلخل مسام البدن يتحلّل كثير من المواد البدنيّة ، والتعب والرياضة موجبة لزيادة التحليل وضعف البدن .

(٥) أكل اللحم الدسم يوجب تهيّج الصفراء ، وشمّ المسك والعنبر ليبسهما لا يناسبان الفصل ، ويوجبان وجع العين والصداع والزكام .

(٦) والبقلة الحمقاء هي التي يسمّونها بالفارسيّة «خرفة» .

(٧) الجداء ـ بالكسر ـ جمع الجدي من أولاد المعز. وإنّما يناسب أكل هذه اللّحوم في هذا الفصل للطافتها وسرعة هضمها ، وضعف الهاضمة في هذا الفصل لتفرّق الحرارة الغريزيّة وضعف القوى .

(٨) ويحتمل أن يكون المراد باللّبن الماست ، لشيوع استعماله فيه ، وهو

تمّوز : أحد وثلاثون يوماً ، فيه شدّة الحرارة وتفور المياه ، ويستعمل فيه شرب الماء البارد على الريق ، وتؤكل فيه الأشياء الباردة الرطبة ، ويكثر فيه مزاج الشراب[1] وتؤكل فيه الأغذية اللطيفة السريعة الهضم ، كما ذكر في حزيران .

آب : أحد وثلاثون يوماً ، فيه تشتدّ السموم ويهيج الزكام بالليل ، وتهبّ الشمال ، ويصلح المزاج بالتبريد والترطيب وينفع فيه شرب اللبن الرائب[2] ، ويجتنب فيه الجماع والمسهل ، ويقلّ من الرياضة وتشمّ من الرياحين الباردة .

أيلول : ثلاثون يوماً ، فيه يطيب الهوى ويقوى سلطان المرّة السوداء[3] ويصلح شرب المسهل ، وينفع فيه أكل الحلاوات وأصناف اللحوم المعتدلة كالجدي والحوليّ من الضأن[4] ويجتنب فيه لحم البقر ، والاكثار من الشواء ودخول الحمّام ، ويستعمل فيه الطّيب المعتدل المزاج ، ويجتنب فيه أكل البطّيخ والقثّاء .

تشرين الأوّل : أحد وثلاثون يوماً ، فيه تهبّ الرياح المختلفة

يناسب الفصل ، ويحتمل اللبن الحليب لأنّه يدفع اليبوسة ، ويوجب تليين الصفراء في بعض الأمزجة .

(١) أي : الشراب الحلال بتبريده بالماء البارد .

(٢) اللبن الرائب : الماست ، أو الذي أخرج زبده ، وفي القاموس : راب اللبن روباً ورؤوباً ـ خثر أي غلظ ـ ولبن رؤب ورائب أو هو ما يمخض ويخرج زبده ـ انتهى ـ .

(٣) أي سلطنتها واستيلاؤها ، لكونها باردة يابسة ، والفصل أيضاً كذلك ، ولذا يكثر فيه حدوث الأمراض السوداويّة .

(٤) ما أتى عليه حول من ذي حافر وغيره .

ويتنفّس[1] فيه ريح الصبا ، ويجتنب فيه الفصد وشرب الدواء ، ويحمد فيه الجماع ، وينفع أكل اللحم السمين والرمّان المزّ[2] والفاكهة بعد الطعام ، ويستعمل فيه أكل اللحوم بالتوابل[3] ، ويقلّل فيه من شرب الماء ويحمد فيه الرياضة .

تشرين الثاني : ثلاثون يوماً ، فيه يقطع المطر[4] الوسميّ ، وينهى فيه عن شرب الماء بالليل ، ويقلّل فيه من دخول الحمّام والجماع ، ويشرب كلّ يوم بكرة جرعة ماء حار ، ويجتنب فيه أكل البقول الحارّة كالكرفس والنعناع والجرجير .

كانون الأوّل : أحد وثلاثون يوماً ، تقوى فيه العواصف[5] وتشتدّ فيه البرد ، وينفع فيه كلّ ما ذكر في تشرين الثاني ، ويحذّر فيه من أكل الطعام البارد ، ويتّقي فيه الحجامة والفصد ، وتستعمل فيه الأغذية الحارّة بالقوّة والفعل[6] .

---

(١) و « تتنفّس » أي تشرع في الهبوب .

(٢) والمزّ ـ بالضمّ ـ بين الحامض والحلو .

(٣) وهو ما يطيب به الطعام كالفلفل والكمون ، ولعلّ المراد بالتوابل هنا الأدوية الحارّة ، ويحتمل شمولها لغيرها ممّا يمزج باللحم من الحمّص والماش والعدس وأشباهها ، وفي القاموس : التابل ـ كصاحب وهاجر وجوهر ـ أبزار الطعام والجمع توابل ـ انتهى ـ .

(٤) امّا مطلقاً ، أو ينقلب بالثلج ، ويؤيّد الأخير أنّ في أكثر النسخ «المطر الوسميّ» وفي القاموس : الوسميّ مطر الربيع الأوّل ـ انتهى ـ ويحتمل أن يكون المعنى الأمطار الدفعيّة الكبيرة القطر .

(٥) العواصف : الرياح القويّة الشديدة .

(٦) الحارة بالقوة هي التي حرارتها بحسب المزاج كالعسل ، والظاهر أنّ المراد بالبارد أيضاً أعمّ من البارد بالقوّة وبالفعل بقرينة المقابلة .

كانون الثاني : أحد وثلاثون يوماً ، يقوي فيه غلبة البلغم[1] وينبغي أن يتجرّع[2] فيه الماء الحارّ على الريق ، ويحمد فيه الجماع ، وينفع الأحشاء مثل البقول الحارّة كالكرفس والجرجير والكرّاث ، وينفع فيه دخول الحمّام أوّل النهار ، والتمريخ بدهن الخيرى[3] وما ناسبه ، ويحذر فيه الحلق[4] وأكل السمك الطري . واللّبن .

شباط : ثمانية وعشرون يوماً ، تختلف فيه الرياح ، وتكثر الأمطار ، ويظهر فيه العشب ، ويجري فيه الماء في العود ، وينفع فيه أكل الثوم ولحم الطير والصيود والفاكهة اليابسة ، ويقلّل من أكل الحلاوات ، وتحمد فيه كثرة الجماع والحركة والرياضة .

صفة الشراب الذي يحلّ شربه واستعماله بعد الطعام ، وقد تقدّم ذكر نفعه عند ابتداءنا بالقول على فصول السنة وما يعتمد فيها من حفظ الصحّة .

وصفته أن يؤخذ من الزبيب المنقّى[5] عشرة أرطال[6] فيغسل

---

(١) لأنّه بارد رطب ، والفصل أيضاً كذلك .

(٢) التجرّع : شرب الشيء جرعة جرعة بالتدريج ، وتجرّع الماء الحارّ يرقّق البلغم ويذيبه ، وكذا دخول الحمّام يلطف البلغم ويحلّله .

(٣) والخيري هو الذي يقال له بالفارسيّة « شبّو » وله أنواع من ألوان مختلفة .

(٤) وفي بعض النسخ «الحلو» وهو مخالف لقول الأطباء بل الأول أيضاً ، ولذا حمله بعضهم على الحلق في موضع تؤثّر برودة الهواء في الرأس ويصير سبباً للزكام ، وهو خطأ ، لأنّه قد جرّب أصحاب الزكام أنّ ترك حلق (كلّ) الرأس أو وسطه في الشتاء ينفعهم لعدم انصبابه على العين والأسنان والصدر .

(٥) أي الذي أخرج حبّه .

(٦) الرطل : مائة وثلاثون درهماً والدرهم نصف المثقال الصيرفيّ وربع عشره .

وينقع بماء صاف في غمرة[1] وزيادة عليه أربع أصابع ، ويترك في إنائه ذلك ثلاثة أيّام في الشتاء وفي الصيف يوماً وليلة ، ثم يجعل في قِدْر نظيف ، وليكن الماء ماء السماء ، إن قدرت عليه وإلاّ فمن الماء العذب الذي ينبوعه من ناحية المشرق ماء برّاقاً أبيض خفيفاً ، وهو القابل[2] لما يعترضه[3] على سرعة من السخونة والبرودة ، وتلك دلالة على خفّة الماء ، ويطبخ حتّىٰ ينتفخ الزبيب وينضج ، ثُمّ يعصر ويصفّى ماؤه ويبرد ، ثمّ يردّ إلى القِدر ثانياً ويؤخذ مقداره بعود ويغلى بنار ليّنة غلياناً رقيقاً حتّىٰ يمضي ثلثاه ويبقى ثلثه .

ثمّ يؤخذ من عسل النحل المصفّى رطل ، فيلقى عليه ويؤخذ مقداره ومقدار الماء إلى أين كان من القدر ، ويغلى حتّىٰ يذهب قدر العسل ويعود إلى حدّه ، ويؤخذ خرقة ضعيفة فيجعل فيها زنجبيل وزن درهم ، ومن القرنفل نصف درهم ، ومن الدارچيني مثله ، ومن الزعفران درهم ، ومن سنبل الطيب نصف درهم ، ومن الهندباء مثله ، ومن المصطكى نصف درهم بعد أن يسحق كلّ واحدة على حدة ، وينخل ويجعل في خرقة ويشدّ بخيط شدّاً جيّداً ، ويلقى فيه وتمرّس الخرقة في الشراب بحيث تنزل قوى العقاقير التي فيها ، ولا يزال يعاهد بالتحريك على نار ليّنة برفق حتّىٰ يذهب منه مقدار العسل ويرفع القدر ويبرد ويؤخّر مدّة حتّىٰ يذهب منه مقدار العسل ويرفع القدر ويبرد ويؤخّر مدّة ثلاثة أشهر حتّىٰ يتداخل مزاجه بعضه في بعض وحينئذٍ يستعمل .

---

(١) أي في مقدار من الماء يغمره ويستره ، ويرتفع عنه مقدار أربعة أصابع .

(٢) أي الماء الخفيف ماء يقبل .

(٣) أي يعرضه من الحرارة والبرودة «بسرعة».

ومقدار ما يشرب منه أوقية[1] إلى أوقيتين من الماء القراح .

فإذا أكلت يا أمير . . . مقدار ما وصفت لك من الطعام فاشرب من هذا الشراب مقدار ثلاثة أقداح بعد طعامك ، فإذا فعلت ذلك فقد أمنت بإذن الله تعالى يومك وليلتك من الأوجاع الباردة المزمنة كالنّقرس[2] والرّياح ، ومثل ذلك من أوجاع الكبد والطحال والامعاء والاحشاء والعصب والدماغ والمعدة .

فإن صادفت بعد ذلك شهوة الماء فليشرب نصف ما كان يشرب قبل فإنّه أصلح للبدن وأكثر لجماعه وأشدّ لضبطه وحفظه ، وإنّ صلاح البدن وقوامه يكون بالطعام والشراب ، وفساده بهما ، فإن أصلحتهما صلح البدن ، وإن أفسدتهما فسد البدن .

الأمزجة متغيرة ومختلفة :

واعلم يا أمير . . . إنّ قوّة النفوس تابعة لأمزجة الأبدان ، وإنّ الأمزجة تابعة للهواء ، وتتغيّر بحسب تغيّر الهواء في الأمكنة ، فإذا برد الهواء مرّة وسخن أُخرىٰ تغيّرت بسببه أمزجة الأبدان ، وأثر ذلك التغيّر في الصور[3] فإذا كان الهواء معتدلاً اعتدلت أمزجة الأبدان ،

---

(١) الأوقية : تطلق على أربعين درهماً ، وعلى سبعة مثاقيل وفي عرف الأطباء عشرة دراهم وخمسة أسباع درهم ، والظاهر أنّ المراد هنا الثاني أو الثالث ، والثالث يقرب من ستّة مثاقيل .

(٢) النقرس من أوجاع مفاصل الرجلين ، ولعلّ المراد بالأوجاع المذكورة ما كانت مادّتها البلغم .

(٣) أي في صورة الانسان وبشرته ، أو في الصور الفائضة على الأخلاط المتولّدة من الأغذية بعد نفوذها بتوسّط العروق الكبار والصغار إلى الأعضاء ، ليصير شبيهاً بالعضو المغتذي ، ويصير جزء منه ، بدلاً لما يتحلّل ، كما مرّت الاشارة إليه .

وصلحت تصرّفات الأمزجة في الحركات الطبيعيّة كالهضم والجماع والنوم والحركة وسائر الحركات .

الطبائع الأربع :

لأنّ الله تعالى بنى الأجسام على أربع طبائع ، وهي : المرّتان[١] ، والدم والبلغم ، وبالجملة حارّان وباردان قد خولف ما بينهما[٢] فجعل الحارّين ليّنا[٣] ويابسا[٤] ، وكذلك الباردين رطبا ويابسا ، ثم فرّق ذلك على أربعة أجزاء[٥] من الجسد على الرأس والصدر والشراسيف[٦] وأسفل البطن .

واعلم يا أمير . . . أنّ الرأس والأذنين[٧] والعينين والمنخرين

---

(١) المرّتان : الصفراء والسوداء .

(٢) أي بين كل من الحارين وكل من الباردين .

(٣) أي رطباً ، وهو الدم .

(٤) وهو الصفراء ، وأحد الباردين رطباً وهو البلغم ، والآخر يابساً وهو السوداء .

وفي بعض النسخ : « واعلم أنّ قوى النفس تابعة لمزاجات الأبدان ، ومزاجات الأبدان تابعة لتصرّف الهواء ، فإذا برد مرّة وسخن مرة تغيّرت لذلك الأبدان والصور ، فإذا استوى الهواء واعتدل صار الجسم معتدلاً ، لأن الله تعالى عزّ وجلّ بنى الأبدان على أربع طبائع : المرّة الصفراء ، والدم ، والبلغم ، والمرّة السوداء فاثنتان حارّتان ، واثنتان باردتان ، وخولف بينهما فجعل حار يابس ، وحارّ ليّن وبارد يابس وبارد ليّن» .

(٥) إنّما خصّ عليه السلام تلك الأعضاء لأنّها العمدة في قوام البدن ، والمنبع لسائر الأعضاء .

(٦) في القاموس : الشرسوف ـ كعصفور ـ غضروف معلّق بكلّ ضلع ، أو مقط الضلع ، وهو الطرف المشرف على البطن .

(٧) كأنّه عليه السلام خصّ الدم بهذه الأعضاء لأنّه لكثرة العروق ◀

والفم والأنف من الـدم ، وأنّ الصـدر من البلغـم والـريـح ، وأنّ الشراسيف من المرّة الصفراء ، وأنّ أسفل البطن من المرّة السوداء .

النوم قوام الجسد :

واعلم يـا أمير . . . أنّ النـوم سلطان الدمـاغ[1] وهـو قـوام الجسـد وقـوّته ، فـإذا أردت النوم فليكن اضـطجاعـك على شقّك الأيمن[2] ثمّ انقلب على الأيسـر[3] ، وكـذلـك فقم[4] من مضجعـك على شقّـك الأيمن كما بدأت به عند نومك .

♦ والشرايين فيها يجتمع الدم فيهـا أكثر من غيـرهـا ، ولأنّهـا محـلّ الاحسـاسـات والادراكات ، وهي إنّما تحصل بالروح الذي حـامله الدم . وخصّ البلغم بـالصدر لاجتمـاع البلاغم فيهـا من الدمـاغ وسائر الأعضاء ، وتكثـر الريـح فيها بـاستنشاق الهواء وخصّ الشراسيف بالصفراء لقرب الحرارة التي هي مجتمـع الصفراء منهـا ، أو لكـون تلك المرة أدخـل في خلقها وخصّ أسفـل البطن بـالسوداء لأن الـطحـال الذي هو محلّها فيه .

(١) إذ هـو مسلّط عليـه ، إذ بـوصـول البخـارات الـرطبـة إليـه واسـتـرخـاء الأعصـاب وتغليظ الروح الـدماغيّ يستـولي النـوم الـذي يـوجب سكـون الحـواسّ الظاهرة وبه قوام البـدن وقوّتـه لاستراحـة القوى عن حـركاتهـا واحساسـاتها ، وبـه يستكمل هضم الطعام والأفعال الطبيعية للبدن ، لاجتماع الحرارة في الباطن .

(٢) كما قاله الأطباء ، لنزول الغذاء إلى قعر المعدة .

(٣) قال الأطباء : ليقع الكبد على المعدة ويسير سبباً لكثرة حـرارتها فيقـوى الهضـم .

(٤) لعـلّ المعنى : ثمّ انتقل إلى شقّـك الأيمن ، ليكون قيـامـك من النـوم عن الجانب الذي بدأت بالنوم عليه أولاً ، وهو اليمين .

وهـذا أيضاً مـوافق لقول الأطبـاء ، وعلّلوه بـانحـدار الكيلوس إلى الكبـد ، وهـذا التفصيل مخـالف لظواهـر كثير من الأخبـار الدالّـة على أنّ النوم على اليمين أفضل مطلقاً ، ولو كان هذا الخبر معادلاً في السند لها لأمكن حملها عليه .

وعوّد نفسك القعود من اللّيل[١] ساعتين ، وادخل الخلاء لحاجة الإنسان وألبث فيه بقدر ما تقضي حاجتك ولا تُطل فيه ، فإنّ ذلك يورث الداء الدفين[٢] .

طريقة حفظ الأسنان :

واعلم يا أمير . . . أنّ أجود ما استكت به ليف الأراك[٣] ، فإنّه يجلي الأسنان ويطيّب النكهة ، ويشدّ اللثّة ويسمنها ، وهو نافع من الحفر[٤] إذا كان معتدلاً ، والإكثار منه يرقّق الأسنان ويزعزعها[٥] ويضعف أصولها ، فمن أراد حفظ الأسنان فليأخذ قرن الأيّل[٦] محرقاً

---

(١) أي من أوّله .

(٢) أي الداء المستتر في الجوف .

(٣) ليف النخل معروف ، ولعلّ المراد هنا ما يعمل من ورق الأراك ، وهو غير معروف .

وفسّره بعضهم بعرقه ، ولم أجده في اللغة .

ويحتمل أن يكون المراد به غصن الأراك الّذي عمل للاستياك بمضغ طرفه ، فإنّه حينئذ شبيه اللّيف .

وفي بعض النسخ : « إنّ خير ما استكت به الأشياء المقبضة التي يكون لها ماء» ولعلّه من اصطلاح الأطباء.

(٤) في القاموس : الحفر ـ بالتحريك ـ : سلاق في أصول الأسنان ، أو صفرة تعلوها ، ويسكن والسلاق تقشّر في أصول الأسنان .

وقال الأطباء : هي تشبه الخزف ، تركب على أصول الأسنان ، وتتحجّر عليها .

(٥) أي : يحرّكها .

(٦) الأيّل ـ كقنّب وخلّب وسيّد ـ : تيس الجبل ، ويقال له بالفارسية « كَوزن » . وطريق احراقه كما ذكره الأطبّاء أن يجعل في جرّة ويطيّن راسه ويجعل في التّنور حتّى يحرق .

وكز مازجاً[1] وسعداً ووردا وسنبل الطيّب وحبّ الأثل أجزاء سواء وملحاً اندرانياً ربع جزء فيدقّ الجميع ناعماً ويستنّ به فإنّه ينفع الأسنان ويمسكها ويحفظ أصولها من الآفات والعاهات العارضة .

ومن أراد أن يبيّض أسنانه فليأخذ جزء من ملح اندرانيّ[2] ومثله زبد البحر فيسحقهما ناعماً ويستنّ به[3] .

أربعة أحوال للإنسان :

واعلم يا أمير . . . أنّ أحوال الإنسان الّتي بناه الله تعالى عليها وجعله متصرّفاً بها أربعة أحوال :

الحالة الأولى خمسة عشر سنة : وفيها شبابه وحسنه وبهاؤه وسلطان الدم في جسمه .

ثمّ الحالة الثانية : من خمسة عشر سنة إلى خمسة وثلاثين سنة ، وفيها المرّة الصّفراء[4] وقوّة غلبتها وهي أقوى ما يكون ، ولا يزال كذلك حتّىٰ يستوفي المدّة المذكورة .

ثمّ يدخل في الحالة الثالثة إلى أن تتكامل مدّة العمر ستّين سنة ،

---

(١) كزمازج معرّب كزمازك وهو ثمرة الطرفاء ، والورد هو الأحمر ، والأثل هو الطرفاء ، وقيل : هو السمر ، ولعلّه هنا أنسب وقال بعض الأطباء : كزمازج هو ثمرة الأشجار الصغار من الطرفاء ، وحبّ الأثل هو ثمرة كبارها ـ والسمر ـ بفتح السين وضمّ الميم شجر من العضاه ، وهو كلّ شجر يعظم وله شوك ، وليس في العضاه أجود خشباً من السّمر .

(٢) الملح الأندرانيّ (والدرانيّ) هو الذي يشبه البلّور كما في القانون ، ويسمّونه بالفارسية « التركي » .

(٣) أي يستاك به .

(٤) إذ تقلّ الرطوبات فيها فتحتدّ فيها الصفراء .

فيكون في سلطان المرّة السوداء[1] وهو سنّ الحكمة والمعرفة والدراية وانتظام الأمور وصحّة النظر في العواقب وصدق الرأي وثبات الجأش[2] في التصرّفات .

ثم يدخل في الحالة الرابعة وهو سلطان البلغم ، وهي الحالة التي لا يتحوّل عنها ما بقي إلاّ إلى الهرم ونكد العيش[3] ، ونقص في القوّة وفساد في كونه[4] ونكتته أنّ كلّ شيء كان لا يعرفه حتّىٰ ينام

---

(١) لأنّه تضعف وتقلّ الحرارة الغريزيّة والرطوبات البدنيّة يوماً فيوماً ، فتغلب السوداء لكونها باردة يابسة .

(٢) في القاموس : الجاش رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، ونفس الانسان ، وقد يهمز .

(٣) نكد عيشهم ـ كفرح ـ : اشتدّ .

(٤) « في كونه » أي في حياته ووجوده و« تكوّنه » أي تكوّن الأخلاط الصالحة فيه . وفي أكثر النسخ و« نكتته » أي دليله وعلامته .

وفي بعض النسخ ، من أوّله هكذا : « وفيها سلطان المرّة الصفراء وغلبتها عليه وهو أقوم ما يكون وأثقفه وألعبه ، فلا يزال كذلك حتّى يستوفي خمساً وثلاثين سنة .

ثمّ يدخل في الحالة الثالثة ، وهي من خمس وثلاثين سنة إلى أن يستوفي ستّين سنة ، فيكون في سلطان السوداء ، ويكون أحلم ما يكون وأدربه وأكتمه سرّاً وأحسنه نظراً في (عواقب الأمور وفكراً في) عواقبها ومداراة لها وتصرّفاً فيها .

ثمّ يدخل في الحالة الرابعة ، وهي سلطان البلغم ، وهي الحالة التي لا يتحوّل عنها ما بقي ، وقد دخل في الهرم حينئذٍ وفاته الشباب واستنكر كلّ شيء كان يعرف من نفسه ، حتّى صار ينام عند القوم ، ويسهر عند النوم ، ويذكّر ما تقدّم ، وينسى ما يحدث به ، ويكثر من حديث النفس ، ويذهب ماء الجسم وبهاؤه ـ إلى قوله ـ فلجمود رطوبته في طباعه يكون فناء جسمه » .

وفي القاموس : ثقف ـ ككرم وفرح ـ : صار حاذقاً خفيفاً فطناً . و« ألعبه » ◀

عند القوّة ويسهر عند النوم ولا يتذكّر ما يتقدّم، وينسى ما يحدث من (في) الأوقات ، ويذبل عوده[1] ، ويتغيّر معهوده[2] ويجفّ ماء رونقه[3] وبهائه ويقلّ نبت شعره وأظفاره ، ولا يزال جسمه في انعكاس وادبار ما عاش ، لأنّه في سلطان المرّة البلغم وهو بارد جامد[4] ، فبروده وجموده يكون فناء كلّ جسم يستولي عليه في آخر القوّة البلغميّة .

♦ أي أشدّ ميلاً إلى اللّعب من سائر أيّام عمره . والدربة : العادة والجرأة على الأمر والتجربة والعقل ، ويمكن أن يقرأ « يذكّر » على بناء المفعول من التفعيل أي لا يذكر ما تقدّم حتّى يذكّر .

(١) و«يذبل» بالذال المعجمة والباء الموحّدة ، يقال : ذبل النبات ـ كنصر وكرم ـ ذبلاً وذبولاً : ذوي ، وذبل الفرس : ضمر .

وفي بعض النسخ بالياء المثناة التحتانيّة من قولهم ذايت المرأة أي هزلت ، والشيء : هان ، وحاله تواضعت ، فيحتمل أن يكون كناية عن انحنائه . وفي بعضها بالزاي والياء على بناء المفعول من التفعيل ، أي يتفرّق جميع أجزاء بدنه ، كناية عن عدم استحكام الأوصال ، والأوّل أظهر .

وعلى التقادير «عوده » بضمّ العين تشبيهاً لقامة الإنسان بعود الشجر ، وربما يقرأ بالفتح ويفسّر بأنّ المعنى : يقلّ عوده في الأمور ، ولا يخفى ضعفه .

(٢) أي ما عهده سابقاً من أحوال بدنه وروحه .

(٣) الرونق : الحسن والبهاء .

(٤) ليس المراد بجموده يبوسته ، لأنّه بارد رطب ، بل غلظته وعدم سيلانه كالماء المنجمد ، وعدم قابليّته للانقلاب إلى الدم .

والأطباء حدّوا سنّ النموّ إلى ثلاثين سنة أو إلى ثمان وعشرين ـ بحسب اختلاف الأمزجة ـ ويسمّونها سنّ الحداثة أيضاً وبعده سنّ الوقوف ، ومنتهاه خمس وثلاثون إلى الأربعين ، ثمّ سنّ الانحطاط ، وهو من آخر سنّ الوقوف إلى قريب من الستّين ، ويسمّونه سنّ الكهولة أيضاً ، ثمّ سنّ الشيخوخة ، وهو من الستّين إلى آخر العمر .

وقد ذكرت للأمير ما يحتاج إليه في سياسة المزاج وأحوال جسمه وعلاجه .

وقت الحجامة :

وأنا أذكر ما يحتاج إلى تناوله من الأغذية والأدوية وما يجب أن يفعله في أوقاته ، فإذا أردت الحجامة فليكن في اثنتي عشرة ليلة[1] من الهلال إلى خمسة عشرة ، فإنّه أصحّ لبدنك ، فإذا نقص الشهر فلا تحتجم إلاّ أن تكون مضطرّاً إلى ذلك وهو لأنّ الدم ينقص في نقصان الهلال ويزيد في زيادته .

ولتكن الحجامة بقدر ما يمضي من السنين ابن عشرين سنة يحتجم في كلّ عشرين يوماً ، وابن ثلاثين سنة يحتجم في كلّ ثلاثين يوماً مرّة واحدة ، وكذلك ابن الأربعين سنة يحتجم في كلّ أربعين يوماً فما زاد بحسب ذلك .

فوائد الحجامة :

واعلم يا أمير . . . أنّ الحجامة إنّما يؤخذ دمها من صغار العروق المبثوثة في اللحم ومصداق ذلك أنّها لا تضعف القوّة كما يوجد من الضعف عند الفصد .

وحجامة النقرة[2] تنفع من ثقل الرأس ، وحجامة الأخدعين[3]

---

(١) قال الشيخ في القانون : يؤمر باستعمال الحجامة لا في أوّل الشهر ، لأنّ الأخلاط لا تكون قد تحرّكت وهاجت ، ولا في آخره لأنّها قد نقصت ، بل في وسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة تابعة في تزيّدها لتزيّد النور في جرم القمر ، يزيد الدماغ في الأقحاف ، والمياه في الأنهار ذوات المدّ والجزر ، وأفضل أوقاتها في النهار هي الساعة الثانية والثالثة ـ انتهى ـ .

(٢) النقرة ـ بالضمّ ـ : حفرة في القفا فوق فقرات العنق بأربع أصابع ◄

تخفّف عن الرأس والوجه والعينين وهي نافعة لوجع الأضراس .

وربّما ناب الفصد عن جميع ذلك ، وقد يحتجم تحت الذقنين لعلاج القلاع[1] في الفم ومن فساد اللثّة وغير ذلك من أوجاع الفم ، وكذلك الحجامة بين الكتفين ينفع من الخفقان الّذي يكون من الامتلاء والحرارة ، والّذي على الساقين قد ينقص من الامتلاء نقصاناً بيّناً وينفع من الأوجاع المزمنة في الكلا والمثانة والأرحام ، ويدرّ الطمث[2] غير أنّها تنهك الجسد[3] .

وقد يعرض منها الغشي الشديد إلّا أنّها تنفع ذوي البثور[4] والدماميل[5] ، والّذي يخفّف من ألم الحجامة تخفيف المصّ[6] أول

وتحت القمحدوة ، وهي الموضع المرتفع خلف الرأس يقع على الأرض عند النوم على القفا .

(٣) الأخدعان : عرقان خلف العنق من يمينه وشماله .

(١) في القاموس : القلاع ـ كغراب ـ : الطين يتشقّق إذا نضب عنه الماء ، وقشر الأرض يرتفع عن الكمأة ، وداء في الفم ـ انتهى ـ . وفي كتب الطبّ أنّه قرحة تكون في جلد الفم واللسان مع انتشار واتّساع ، ويعرض للصبيان كثيراً ، ويعرض من كلّ خلط ويعرف بلونه من الامتلاء ، أي امتلاء الدم وكثرته .

(٢) الطمث : دم الحيض .

(٣) يقال : نهكه الحمّى ـ كمنع وفرح ـ أضنته وهزلته وجهدته .

(٤) البثور : الصغار من الخُرّاج .

(٥) قال في القانون : الحجامة على النقرة خليفة الأكحل ، وينفع من ثقل الحاجبين و(العينين) ويجفّف الجفن ، وينفع من جرب العين والبخر في الفم . وعلى الكاهل خليفة الباسليق ، وينفع من وجع المنكب والحلق . وعلى أحد الأخدعين خليفة القيفال وينفع من ارتعاش الرأس ، وينفع الأعضاء التي في الرأس مثل الوجه والأسنان والضرس والأذنين و(العينين) والحلق والأنف .

لكنّ الحجامة على النقرة تورث النسيان حقّاً كما قال سيّدنا ومولانا صاحب شريعتنا محمد صلى الله عليه وآله ، فإنّ مؤخّر الدماغ موضع الحفظ ، وتضعفه الحجامة . وعلى الكاهل يضعّف فم المعدة ، والأخدعيّة ربما أحدثت رعشة الرأس ، فلتسفل النقريّة ولتصعد الكاهليّة قليلاً إلاّ أن يتوخّى بها معالجة نزف الدم والسعال ، فيجب أن تنزل ولا تصعد .

وهذه الحجامة التي تكون على الكاهل وبين الكتفين نافعة من أمراض الصدر الدمويّة ، والربو الدموي ، لكن تضعّف المعدة ، وتحدث الخفقان ، والحجامة على الساق يقارب الفصد ، وينقّي الدم ، ويدرّ الطمث ، ومن كانت من النساء بيضاء متخلخلة رقيقة الدم فحجامة الساقين أوفق لها من فصد الصافن .

والحجامة على القمحدوة وعلى الهامة ينفع ـ فيما ادّعاه بعضهم ـ من اختلاط العقل والدوار ، ويبطىء ـ فيما قالوا ـ بالشيب . وفيه نظر ، فإنّها قد تفعل ذلك في أبدان دون أبدان وفي أكثر الأبدان تسرع بالشيب ، وتضرّ بالذهن ، وتنفع من أمراض العين ، وذلك أكثر منفعتها ، فإنّها تنفع من جربها وبثورها من المورسرج ، ولكنّها تضرّ بالذهن ، وتورث بلهاً ونسياناً ورداءة فكر ، وأمراضاً مزمنة ، وتضرّ بأصحاب الماء في العين ، إلاّ أن تصادف الوقت والحال التي يجب فيها استعمالها ، فربما لم تضرّ .

والحجامة تحت الذقن ينفع الأسنان والوجه والحلقوم ، وينقّي الرأس والفكّين .

والحجامة على القطن نافعة من دماميل الفخذ وجربه وبثوره ، ومن النقرس والبواسير وداء الفيل ورياح المثانة والرحم ومن حكّة الظهر . فإذا كانت هذه الحجامة بالنار شرط أو غير شرط نفعت من ذلك أيضاً . والتي بشرط أقوى في غير الريح ، والتي بغير شرط أقوى في تحليل الريح البارد واستئصالها ههنا ، وفي كل موضع .

والحجامة على الفخذين من قدّام ينفع من ورم الخصيتين وخراجات الفخذين والساقين ، وعلى أسفل الركبتين ، فالتي على الفخذين ينفع من الأورام والخراجات الحادثة في الأليتين ، وعلى أسفل الركبة تنفع من ضربان

ما تضع المحاجم ، ثم يدر المص قليلاً والثواني أزيد من المص في الأوائل وكذا الثوالث فصاعداً ، ويتوقّف عند الشرط حتّى يحمّر الموضع جيّداً بتكرير المحاجم ويلين المشرط على جلود ليّنة[1] ويمسح الموضع قبل شرطه بالدهن .

وكذا الفصد ، ويمسح الموضع[2] الذي يفصد فيه بدهن فإنّه

الركبة الكائن من أخلاط حارة ، ومن الخراجات الرديئة والقروح العتيقة في الساق والرجل ، والتي على الكعبين تنفع من احتباس الطمث ، ومن عرق النساء والنقرس ـ انتهى ـ .

(٦) هذا ممّا ذكره الأطبّاء أيضاً .

قال في القانون : تكون الوضعة الأولى خفيفة سريعة القلع ، ثم يتدرّج إلى إبطاء القلع والامهال انتهى .

وعلّلوا ذلك بوجهين :

الأول : اعتياد الطبيعة لئلّا تتألّم كثيراً .

والثاني : أنّ في المرّة الأولى تسرع الدماء القريبة من المحجمة فتجتمع سريعاً ، وفي المرة الثانية أبطأ لبعد المسافة ، فيكون زمان الاجتماع أبطأ ، وهكذا .

والظاهر أنّه لو كان المراد بالمرّات ، المرات بعد الشرط ، فالوجه الثاني أظهر ولو كان المراد المرّات قبله فالأوّل ، وكأنّ الثاني أظهر من الخبر .

وشرط الحاجم : قطع اللحم بآلته ، وهي المشرط والمشراط بالكسر فيهما .

(١) أي بمسحه عليها .

(٢) لأنّه يصير الموضع ليّناً ، فلا يتألّم كثيراً من الشرط ، وقال بعض الأطبّاء : تدهين موضع الحجامة والفصد يصير سبباً لبطء برئهما وقال الشيخ في القانون : إذا دهّن موضع الحجامة فليبادر إلى إعلاقها ولا يدافع بل يستعجل في الشرط ـ انتهى ـ .

يقلّل الألَمْ ، وكـذلك يلين المشـرط والمبضع بـالدهن عنـد الحجـامـة وعنـد الفراغ منهـا يلين المـوضـع بـالـدهن ولينقّط[1] على العـروق إذا فصد شيئاً من الدهن كيلا يحتجب فيضرّ ذلك المفصود .

ويتعمّـد الفاصـد أن يفصد من العـروق ما كـان في مـواضـع قليلة اللّحم لأنّ في قلّة اللحم من فوق العروق قلّة الألم .

وأكثر العروق ألماً إذا فصد حبـل الذراع[2] والقيفـال[3] لاتّصالهمـا بالعضل (بالعضد) وصلابة الجلد .

وأمّـا الباسليق[4] والأكحـل[5] فإنّهمـا في الفصد أقـلّ ألمـاً لمـا لم يكن فوقهما لحم .

والواجب تكميد موضع الفصد[6] بالماء الحارّ ليظهر الـدم وخاصّـة في الشتـاء فـإنّـه يليّن الجلد ويقلّل الألم ، ويسهّـل الفصـد ويجب في كلّ ما ذكرناه من إخراج الدم اجتناب النساء قبل ذلك[7] باثني عشر ساعـة .

---

(١) أي وليضـع على الموضـع الذي يـريد أن يفصـده من العـروق نقـطة ، لئلّا يشتبه عند البضع . وفي بعض النسخ «وليقطر» والمآل واحد .

(٢) حبـل الذراع : هـو الـوريـد الـذي يظهـر ممتـدّاً من انسيّ السـاعد إلى أعلاه ، ثم على وحشيّه .

(٣) القيفال: هو الوريد الذي يظهر عن المرفق على الجانب الوحشي .

(٤) وريد يظهـر عند مـأبض المرفق ـ المـأبض (بكسر البـاء): باطن الـركبة والمرفق ـ مائل إلى الساعد من وسط أنسيّه ، وقـد يطلق البـاسليق على عرق آخـر تحته فيسمّى الأوّل الباسليق الأعلى ، وهذا الباسليق «الابطيّ» لقربه من الابط .

(٥) هو المعروف بالبدن بين الباسليق والقيفال .

(٦) هو أن يبلّ خرقة بالماء الحارّ ويضعه عليه .

وقيل : أو يبخّر الموضع ببخار الماء الحارّ .

(٧) قـال الأطباء : بعـده أيضاً كـذلك ، بـل هـو أضـرّ ، ويمكن أن يكـون

آداب الحجامة :

ويحتجم في يوم صاح[1] صاف لا غيم فيه ولا ريح شديدة ، ويخرج من الدم بقدر ما يرى تغييره ، ولا تدخل يومك[2] ذاك الحمّام فإنّه يورث الداء واصبب على رأسك وجسدك الماء الحارّ ولا تفعل ذلك من ساعتك .

وإيّاك والحمّام إذا احتجمت فإنّ الحمّى الدائمة تكون فيه ، فإذا اغتسلت من الحجامة فخذ خرقة مرغري[3] فألقها على محاجمك[4] أو ثوباً ليّناً من قزّ[5] أو غيره وخذ قدر حمّصة من الترياق الأكبر[6]

التخصيص لظهور الضرر بعده ، أو لعدم وقوعه غالباً بعده لطرو الضعف المانع منه .

(١) اليوم الصاحي هو الذي لا غيم فيه ، وما سيأتي تفسيره .

(٢) أي قبل الحجامة ، أو الأعمّ ، فيكون ما سيأتي تأكيداً .

(٣) في القاموس : المرغز والمرغري ، ويمدّ إذا خفّف ، وقد تفتح الميم في الكلّ : الزغب الّذي تحت شعر العنز ، وفي بعض النسخ « غزعوني » ولم نجد له معنى . وفي بعضها « فرعونيّ » وهو أيضاً كذلك ، وقد يقرأ « قزّعونيّ » نسبة إلى « عون » قرية على الفرات وكلّ ذلك تصحيف ، والأوّل أصوب .

(٤) المحاجم مواضع الحجامة .

(٥) القزّ : نوع من الابريسم، وقد يقال : لا يطلق عليه الابريسم وفي المصباح المنير : القزّ معرّب ، قال الليث : هو ما يعمل منه الابريسم ، ولهذا قال بعضهم : القزّ والابريسم مثل الحنطة والدقيق ـ انتهى ـ .

قال المجلسي (ره) :

يستنبط منه أحد أمرين :

امّا كون حكم القزّ مخالفاً لحكم الابريسم في عدم جواز اللبس ، أو يكون استعمال ما لا يتمّ الصلاة من الحرير مجوّز للرجال، ويمكن حمله على ما إذا لم يكن قزّاً محضاً .

(٦) الظاهر أنّ الترياق الأكبر هو الفاروق ، ولا بدّ من حمله على ما إذا

فاشربه به إن كان شتاء ، وإن كان صيفاً فاشرب السكنجبين من العنصلي فإنّه الترياق الأكبر ، وامزجه بالشراب المفرّح المعتدل[1] وتناوله ، أو بشراب الفاكهة[2] .

فإن تعذّر ذلك فشراب الأُترج ، فإن لم تجد شيئاً من ذلك فتناوله بعد علكه[3] ناعماً تحت الأسنان واشرب عليه جرع ماء فاتر ، وإن كان في زمان الشتاء والبرد فاشرب عليه سكنجبيناً عسلياً فإنّك متى فعلت ذلك أمنت من اللّقوة والبرص والبهق والجذام بإذن الله تعالى ، وامتصّ من الرمّان المزّ فإنّه يقوّي القلب ويحيي الدم ، ولا تأكل طعامك مالحاً بعد ذلك بثلاث ساعات[4] ، فإنّه يخاف أن يعرض من ذلك الجرب .

وإن كان شتاء فكل من الطياهيج[5] إذا احتجمت واشرب عليه

لم يكن مشتملاً على الحرام كالخمر ولحم الأفاعي والجند وأشباهها ، وقد مرّ القول فيه .

(١) كشربة التفّاح والسّفرجل .

(٢) شراب الفاكهة : شربة الفواكه .

(٣) العلك : المضغ ، وفي بعض النسخ : « وخذ قدر حمّصة من الترياق الأبر فاشربه أو كله من غير شراب إن كان شتاء ، وإن كان صيفاً فاشرب السكنجبين الخلّي » وفي أكثر النسخ «سكنجبين عسل» وفي بعضها «السكنجبين العنصلي العسلي» أي بالخلّ المعمول المتّخذ من بصل العنصل ، وفي القاموس : العنصل ـ كقنفذ وجندب ، ويمدّان ـ : البصل البرّي ، ويعرف بالاسقال ، وببصل الفار ، نافع لداء الثعلب والفالج والنساء وخلّه للسعال المزمن والربو والحشرجة ، ويقوّي البدن الضعيف ـ انتهى ـ . وذكر الأطبّاء لأصله وخلّه فوائد جمّة لأنواع الأمراض .

(٤) في بعض النسخ «بثلثي ساعة» .

(٥) الطياهيج : جمع «طيهوج» ، معرّب «تيهو» .

من الشراب الزكيّ[1] الّـذي ذكرتـه لك أوّلاً ، وادهن بـدهن الخيري أو شيء من المسـك وماء بـارد وصبّ منه على هـامّتك سـاعة فـراغك من الحجامة .

وأمّـا بـالصيف فـإذا احتـجمـت فكـل الـسكبـاج[2] والهـلام والمصـوص[3] أيضـاً والحـامض ، وصبّ على هـامّتـك دهن البنفسـج بماء الورد وشيء من الكـافور واشـرب من ذلك الشـراب الذي وصفتـه لـك بعد طعـامك ، وإيّـاك وكثـرة الحـركـة والغضب ومجـامعـة النسـاء يومك[4] .

الحذر عن بعض الأطعمة :

واحـذر يا أميـر أن تجمع بين البيض والسمـك في المعدة في وقت واحد ، فإنّهما متى اجتمعا في جوف إنسان ولد عليه النقـرس والقولنـج والبواسير والأضراس .

---

(١) أي الشراب الحلال الزبيبي .

(٢) السكبـاج معرّب ، وكـأنّه «شـورباج الخـلّ» وفي القـامـوس : الهـلام ـ كغـراب ـ : طعام من لحم عجـل بجلده ، أو مـرق السكبـاج المبـرّد المصفّى من الدهن .

(٣) قال في القـامـوس : المصوص ـ كصبور ـ طعام من لحم يـطبخ وينقـع في الخلّ ، أو يكون من لحم الطير خاصّة ـ انتهى ـ .
وقيـل : الهلام لحم البقـر أو العجل أو المعـز يطبـخ بمـاء وملح ثم يخـرج ويـوضـع حتى يـذهـب ماؤه ، ثم يـطبخ البقـول الباردة مـع الخل ويـطرح فيه ذلـك اللحم ، ثم يؤكـل ، والمصوص : مـطبوخ من لحم الـدرّاج أو الديـك ، ويـطبـخ في الخلّ والبقول الباردة .

(٤) أي يوم حجامتك .

واللّبن والنبيذ الّذي يشربه أهله[١] إذا اجتمعا ولد النقرس[٢] والبرص ، ومداومة أكل البيض يعرض منه الكلف[٣] في الوجه ، وأكل الملوحة واللحمان المملوحة وأكل السمك المملوح بعد الفصد والحجامة يعرض منه البهق والجرب ، وأكل كلية الغنم وأجواف الغنم يغيّر المثانة[٤] .

ودخول الحمّام على البطنة[٥] يوجب القولنج ، والاغتسال بالماء البارد بعد أكل السمك يورث الفالج[٦] ، وأكل الأترج في اللّيل يقلب العين ويوجب الحول واتيان المرأة الحائض يورث الجذام[٧] في الولد ، والجماع من غير إهراق الماء[٨] على أثره يوجب الحصاة .

---

(١) أي الفسّاق والمخالفون المحلّلون له .

(٢) في القاموس : النقرس ـ بالكسر ـ ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين .

(٣) قال في القاموس : الكلف محرّكة ـ : شيء يعلو الوجه كالسمسم ، ولون بين السواد والحمرة ، وحمرة كدرة تعلو الوجه .

(٤) قوله « يغيّر المثانة » وفي بعض النسخ «يعكّر» أي يصير سبباً لحجر المثانة وما هو مبدأ تولّده . في القاموس : العكر ـ محرّكة ـ درديّ كلّ شيء . عكر الماء والنبيذ ـ كفرح ـ وعكّره تعكيراً وأعكره : جعله عكراً ، وجعل فيه العكر .

(٥) البطنة ـ بالكسر ـ امتلاء المعدة من الطعام . وعلّل ذلك بأنّه بسبب حرارة الحمّام ينجذب الغذاء المنهضم إلى الأمعاء ، فيصير سبباً للسدّة والقولنج .

(٦) إذ يتولّد من السمك الطري بلغم لزج هو مادّة الفالج والماء البارد يضعّف الأعصاب ويقوّي المادّة .

(٧) قيل : لأنّ النطفة حينئذٍ تستمدّ من الدم الكثيف الغليظ السوداويّ .

(٨) أي البول بعده ، وما قيل : إنّ المراد به الجماع بغير إنزال ، فهو

والجماع بعد الجماع من غير فصل بينهما بغسل يورث للولد الجنون ، وكثرة أكل البيض وإدمانه يولد الطحال ورياحاً في رأس المعدة والامتلاء من البيض المسلوق[1] يورث الربو والانبهار[2] ، وأكل اللّحم النيّ[3] يورث الدود في البطن .

وأكل التين يقمل منه الجسد[4] إذا أدمن عليه ، وشرب الماء البارد عقيب الشيء الحارّ أو الحلاوة يذهب بالأسنان[5] ، والإكثار من أكل لحوم الوحش والبقر يورث تغيّر العقل وتحيّر الفهم وتبلّد الذهن وكثرة النسيان[6] .

﴿ بعيد يأبى عنه قوله «على أثره» مع أنّ ما ذكرنا مصرّح به في أخبار أخرى .

وإهراق الماء كناية شائعة عن البول في عرف العرب والعجم .

وقيل : المراد الجماع بعد الجنابة من غير غسل بينهما ، وهو يوجب التكرار ، إلاّ أن يخصّ هذا بالجنابة بغير الجماع فيصير أبعد .

(١) في القاموس : سلق الشيء أغلاه بالنار ـ انتهى ـ .

(٢) الربو بالفتح ـ : ضيق النفس . والبهر بالضمّ ـ : نوع منه . وفي القاموس : هو انقطاع النفس من الاعياء ، وقد انبهر ـ انتهى ـ .

وربما يفرق بين الربو والانبهار بأنّ الأوّل يحدث من امتلاء عروق الرئة والثاني من امتلاء الشرايين .

(٣) النيّ ـ بكسر النون وتشديد الياء ـ الّذي لم ينضج ، وأصله الهمزة فقلبت ياء ، ولعلّه أعمّ من أن لم يطبخ أصلاً أو طبخ ولم ينضج .

(٤) قيل : لأنّ تولّد القمل من الرطوبات المعفّنة التي تدفعها الطبيعة إلى ظاهر الجلد ، ومن خواصّ التين دفع الفضلات إلى مسامّ البدن ، فيصير سبباً لمزيد تولّد القمّل .

(٥) لأنّ أكل الحارّ وشربه يوجبان تخلخل المسامّ فينفذ فيها البارد إلى أصول الأسنان فيضرّ بها ، وكذا بعد الحلو أيضاً يضرّ لهذه العلّة .

(٦) إذ حدّة الذهن وذكاء الفهم إنّما يكون من صفاء الروح ولطافته ، ﴾

وإذا أردت دخول الحمّام وان لا تجد في رأسك ما يؤذيك فابدأ عند دخول الحمّام بخمس جرع من الماء الفاتر(١) فإنّك تسلم بإذن الله تعالى من وجع الرأس والشقيقة ، وقدر خمس أكفّ من ماء حارّ تصبّها على رأسك عند دخول الحمّام .

فوائد الحمام وآداب دخوله :

واعلم يا أمير . . . أنّ الحمّام ركّب على تركيب الجسد على أربع بيوت مثل أربع طبائع الجسد : البيت الأوّل(٢) بارد يابس(٣) ، البيت الثاني بارد رطب(٤) ، الثالث حارّ رطب(٥) ، الرابع حارّ يابس(٦) ومنفعة الحمّام عظيمة تؤدّي إلى الاعتدال(٧) وتنقّي الدّرن ،

♦ وادمان أكل هذه اللّحوم يوجب تولّد الأخلاط السوداويّة والدم الغليظ الكثيف في البدن ، فيغلظ ويكثف الروح بسببه ، فيعجز عن الحركات الفكريّة .

وأمّا النسيان فلاستيلاء البرودة والرطوبة على الدماغ ، لكن هذا في لحوم الوحش بعيد ، لأنّ أكثرها حارّة ولذا قيل : لعلّ كثرة يبسها تصير سبباً لكثرة يبس الدماغ ، فلا يقبل الصور بسرعة ، فلذا يصير سبباً للنّسيان .

(١) في القاموس : فتر الماء : سكن حرّه وهو فاتر وفاتور ـ انتهى ـ وفي بعض النسخ «فابدأ عند دخول الحمّام بخمس حسوات ماء حارّاً وقيل : خمس مرّات يصبّ الماء الحارّ» وفي بعض النسخ «خمس أكفّ ماء حارّ تصبّها على رأسك» .

(٢) أي : المسلخ .

(٣) لتأثير حرارة الحمّام فيه ، وقلّة الرطوبة .

(٤) لكثرة الماء وقلّة الحرارة المجفّفة .

(٥) لكثرة الحرارة والرطوبة ، وتعادلهما وتقاومهما .

(٦) لغلبة الحرارة على الرطوبة ، ولعلّ المراد بها إحداث تلك الآثار في البدن ، لا أنّها في نفسها طبعها كذلك .

(٧) أي اعتدال مزاج الانسان .

وتليّن العصب والعروق وتقوي الأعضاء الكبار[1] وتذيب الفصول وتذهب العفن[2] ، فإذا أردت أن لا يظهر في بدنك بثرة ولا بخر فابدأ عند دخول الحمّام بدهن بدنك بدهن البنفسج .

وإذا أردت استعمال النورة ولا يصيبك قروح ولا شقاق ولا سواد فاغتسل بالماء البارد قبل التنوير .

ومن أراد دخول الحمّام للنورة فليجتنب الجماع قبل ذلك باثني عشر ساعة وهو يوم تامّ ، وليطرح في النورة شيئاً من الصبر والأقاقيا والخضض[3] أو يجمع ذلك ويأخذ منه اليسير إذا كان مجتمعاً ومتفرقاً ، ولا يلقى في النورة شيء من ذلك حتّىٰ تماس النورة بالماء الحارّ الّذي طبخ فيه بابونج ومرزنجوش وورد بنفسج يابس ، أو يجمع ذلك أجزاء يسيرة مجموعة أو متفرّقة بقدر ما يشرب الماء[4] رائحته ، وليكن الزرنيخ مثل سدس النورة[5] .

ويدلك الجسد بعد الخروج منها بشيء يقلع رائحتها كورق الخوخ، وثجير العصفر[6] أو السعد الحنا والورد والسنبل[7] مفردة ومجتمعة .

---

(1) كالرأس واليد والرجل والفخذ .

(2) العفن - بالتحريك - أي العفونة ، أو بكسر الفاء ، أي الخلط العفن ، وهذا أظهر . وفي بعض النسخ و«العفونات» وفي بعضها «العقق» بالتحريك وهو الشقاق في البدن .

(3) عصارة شجرة لها زهر أصفر وفروع كثيرة تثمر حبّاً أسود كالفلفل ، ويقال له بمصر «الخولان» وبالهنديّة «فليزهرج» .

(4) إمّا بيان لقدر الأجزاء وقلّتها أو لمقدار الطبخ .

(5) وفي بعض النسخ «ثلث النورة» وفي بعضها : «ولتكن النورة والزرنيخ مثل ثلثها» وفي بعضها «وليكن زرنيخ النورة مثل ثلثها» .

(6) العصفر - كبرثن - زهر القرطم ويسمّى البهرمان ، ينفع لآثار الجلد ←

ومن أراد أن يأمن إحراق النّورة فليقلّل من تقليبها[1] وليبادر إذا عمل[2] في غسلها وأن يمسح البدن بشيء من دهن الورد ، فإن أحرقت والعياذ بالله يؤخذ عدس مقشّر يسحق ناعماً ويداف بماء ورد وخلّ ويطلى به الموضع الّذي أثّرت به النورة فإنّه يبرأ بإذن الله والّذي يمنع من آثار النورة[3] في الجسد هو أن يدلك الموضع بخلّ العنب الثقيف[4] ودهن الورد دلكاً جيّداً .

التوقي عن وجع المثانة والمعدة :

ومن أراد أن لا يشتكي مثانته[5] فلا يحبس البول ولو على ظهر

كالبهق والكلف والحكة ، وتجير العصفر ، أي : ثفله .

قال في القاموس : ثجر التّمر خلطه بثجير البسر أي ثفله .

(٧) « والسنبل » في بعض النسخ و« النيل » وفي بعضها و« السكّ » . وفي القاموس السكّ ـ بالضمّ ـ طيب يتّخذ من الرامك مدقوقاً منخولاً معجون في الماء، ويعرك شديداً، ويمسح بدهن الخيريّ لئلاّ يلصق بالاناء، ويترك ليلته، ثمّ يسحق السك ويلقّمه ويعرك شديداً ويقرّص ويترك يومين ، ثمّ يثقب بمسلّة وينظم في خيط قنّب ويترك سنة ، وكلّما عتق طابت رائحته ـ انتهى ـ .

(١) أي عند عملها ، لأنّه تشتدّ حرارته بكثرة التقليب ، أو عند طليها على البدن لأنّه يشتدّ اختلاطه بالجلد ، وينفذ في مسامّه فيحرق ، ولعلّه أظهر .

(٢) أي طلى بها ، ويحمل على ما إذا أزال الشعر ، والضمير راجع إلى النورة بتأويل الدواء .

وقيل : المراد أنّه إذا أراد عمل النورة فليغسل النورة أوّلاً ، كما هو المقرّر عند الأطباء في عمل مرهم النورة ، ثمّ يدخل فيها الزرنيخ ، فتقلّ حدّتها . وفي بعض النسخ «عملت» أي النورة في إزالة الشعر ، وهو أظهر .

(٣) أي ممّا يحدث أحياناً بعد النورة من سواد البدن أو جراحة أو غير ذلك . وفي بعض النسخ «من تبثير النورة» أي إحداث البثور في الجسد .

(٤) الثقيف : الحامض جدّاً .

(٥) المثانة : محلّ اجتماع البول.

دابّـة[1] وأن لا تؤذيه معـدته فـلا يشرب على طعـامه حتّىٰ يفـرغ منـه ، ومن فعل ذلك[2] رطب بـدنه وضعفت معـدته ، ولـم تـأخذ العـروق قوّة الطعام[3] فإنّه يصير في المعدة فجّـا[4] إذا صبّ الماء على الـطعام أوّلاً فأوّلاً .

تحذيرات كثيرة :

ومن أراد أن لا يجـد الحصـاة[5] وعسـر البـول فـلا يحبس المنيّ عند نزول الشهوة ولا يطل المكث[6] على النساء .

ومن أراد أن يـأمن وجع السفـل[7] ولا يظهـر به ريـاح البـواسيـر[8] فليـأكل كـلّ ليلة سبع تمـرات برنيّ[9] بسمن البقـر ، ويدهن بين أنثييـه بدهن زيبق خالص .

---

(١) أي ينزل ويبول ، ولا يؤخّره إلى وقت النزول ولو كان قريباً .

(٢) أي الشرب في أثناء الطعام .

(٣) أي الّـذي يصير سبباً لقوّة الأعضـاء من الطعـام ، لأنّ الغذاء الـذي لم ينضـج لا تجذبهـا العروق ، وإن جـذبتها لا تصيـر غذاء لـلأعضاء وجـزء لهـا بـل توجب فسادها .

(٤) الفج ـ بالكسر ـ : الذي لم ينضج .

(٥) أي حجر المثانة .

(٦) أي لا يطيل المجامعة اختياراً بالتمكث وحبس المنيّ .

(٧) أي أسافل البدن أو خصوص المقعدة .

(٨) المـراد بريـاح البواسيـر عللها وأنـواعهـا ، أو الـريـاح التي تحـدث من البواسير .

(٩) « بـرني » بالبـاء الموحّـدة والنـون ، وهـو نـوع من التمـر ، لكنّـه كـان الأصوب حينئذٍ « برنيّات » . في القـاموس : البـرنيّ تمر معـروف أصله « برنيـك » أي الحمل الجيّد .

ومن أراد أن يزيد حفظه فليأكل سبع مثاقيل زبيباً بالغداة . على الريق[1] .

ومن أراد أن يقلّ نسيانه ويكون حافظاً فليأكل كلّ يوم ثلاث قطع زنجبيل مربّى بعسل ويصطبغ[2] بالخردل مع طعامه في كلّ يوم .

ومن أراد أن يزيد في عقله فليتناول كلّ يوم ثلاث هليلجات بسكّر ابلوج[3] .

ومن أراد أن لا ينشقّ ظفره ولا يميل إلى الصفرة ولا يفسد حول ظفره فلا يقلم أظفاره إلّا يوم الخميس .

ومن أراد أن لا تؤلمه أُذنه فليجعل فيها عند النوم قطنة .

ومن أراد ردع الزكام مدّة أيّام الشتاء فليأكل كلّ يوم ثلاث لقم من الشّهد .

علائم العسل النافع :

واعلم يا أمير. . . أنّ للعسل دلائل يعرف بها نافعه من ضارّه ، وذلك ان منه شيئاً إذا أدركه الشمّ عطس[4] . ومنه شيء يسكر ، وله

(١) أي قبل أن يأكل شيئاً .

(٢) أن يجعله صبغاً واداماً .

وفي بعض النسخ بالحاء من الاصطباح، وهو الأكل أو الشرب في الصباح والغداة .

(٣) في القاموس : ابلوج السكّر معرّب ، ولعلّ المراد هنا ما يسمّى بالفارسيّة «النبات»، والمراد سحق الهليلج معه أو ما ربّى به .

وفي بعض النسخ : « ومن أراد أن يزيد في عقله فلا يخرج كلّ يوم بالغداة حتّى يلوك ثلاث اهليلجات سود مع سكّر طبرزد».

(٤) في بعض النسخ «وذلك أنّ منه ما أدركه عطش، ومنه ما يسكر، وله ◆

عند الذوق حراقة شديدة فهذه الأنواع من العسل قاتلة .

ولا تؤخّر شمّ النرجس فإنّه يمنع الزكام في مدّة أيّام الشتاء وكذلك الحبّة السوداء[1] ، وإذا خاف الإنسان الزكام في زمان الصيف فليأكل كلّ يوم خيارة وليحذر الجلوس في الشمس .

تحذيرات أُخرىٰ :

ومن خشى من الشقيقة والشوصة[2] فلا بدّ من أكل السمك الطريّ صيفاً كان أو شتاء ، ومن أراد أن يكون صالحاً خفيف اللّحم والجسم فليقلّل من عشائه باللّيل ، ومن أراد أن لا يشتكي سرّته فليدهنها متى دهن رأسه .

عند الذوق حرقة شديدة».

وقال في القانون عند ذكر أنواع العسل وخواصّه : ومن العسل جنس حرّيف ـ الحريف : ذو الحرافة ، وهي طعم يلدغ اللسان ـ سمّيّ ، ثم قال : الحرّيف من العسل الّذي يعطش شمّه ، وأكله يورث ذهاب العقل بغتة والعرق البارد ـ انتهى ـ . فيمكن أن يكون في النسخة الأولى أيضاً «عطش» بالشين المعجمة.

(١) أي شمّها ، قال في القانون : الشونيز ينفع من الزكام ، خصوصاً مقلوّاً مجعولاً في خرقة كتان ، ويطلى على جبهة من به صداع بارد ، وإذا نقع في الخلّ ليلة ثمّ سحق ناعماً في الغد واستعط به وتقدّم إلى المريض حتّى يستنشقه ، نفع من الأورام المزمنة في الرأس ، ومن اللّقوة ـ انتهى ـ .

(٢) في القاموس: الشقيقة ـ كسفينة ـ وجع يأخذ نصف الرأس والوجه ، وقال : الشوصة وجع في البطن ، أو ريح تعقّب في الأضلاع ، أو ورم في حجابها من داخل ، واختلاج العرق ـ انتهى ـ .

فسّرت الشوصة في القانون وغيره بذات الجنب ، وفي بعض النسخ «ومن خشى الشقيقة والشوصة فلا ينام حتّى يأكل السمك الخ».

ومن أراد أن لا تنشقّ شفتاه ولا يخرج منهما باسور فليدهن حاجبيه متى دهن رأسه .

ومن أراد أن لا تسقط أذناه ولهاته[1] فلا يأكل حلواً حتّىٰ يتغرغر بعده بخلّ .

ومن أراد أن لا تفسد أسنانه فلا يأكل حلواً إلّا بعد كسرة خبز .

ومن أراد أن لا يصيبه اليرقان ، فلا يدخل بيتاً في الصيف حين أوّل ما يفتح بابه ، ولا يخرج منه أوّل ما يفتح بابه في الشتاء غدوة .

ومن أراد أن لا يصيبه ريح في بدنه فليأكل الثّوم كلّ سبعة أيّام مرّة .

ومن أراد أن يستمرىء طعامه فليتّك بعد الأكل على شقّه الأيمن ثمّ ينقلب على شقّه الأيسر حين ينام .

مكافحة البلغم والصفراء والسوداء و. .

ومن أراد أن يذهب البلغم من بدنه وينقصه فليأكل كلّ يوم بكرة شيئاً من الجوارش الحريف[2] ، ويكثر دخول الحمّام ومضاجعة النساء ، والجلوس في الشمس ، ويجتنب كلّ بارد من الأغذية فإنّه يذيب البلغم ويحرقه .

---

(١) في القاموس : اللّهاة اللحمة المشرفة على الحلق ـ انتهى ـ . وهي الّتي تسمّى بالملاذة ، وسقوطها استرخاؤها وتدلّيها للورم العارض لها ، وقيل : المراد بالاذنين (هنا) اللّوزتان الشبيهتان باللّوز (في طرفي الحلق) ويسمّيها الأطباء أصول الأذنين ، لقربهما منهما .

(٢) كالكمونيّ والفلافليّ وأشباههما .

ومن أراد أن يطفىء لهب الصفراء[1] فليأكل كلّ يوم شيئاً رطباً وبارداً وليّناً ويروح بدنه ، ويقلّل الحركة ، ويكثر النظر إلى من يحبّ .

ومن أراد أن يحرق السوداء فعليه بكثرة القيء ، وفصد العروق ، ومداومة النورة[2] .

ومن أراد أن يذهب بالريح الباردة فعليه بالحقنة والأدهان الليّنة على الجسد ، وعليه بالتكميد بالماء الحارّ في الابزن[3] .

ومن أراد أن يذيب البلغم فليتناول بكرة كلّ يوم من الأطريفل الصغير مثقالاً واحداً .

بعض ما ينبغي للمسافر :

واعلم يا أمير . . . انّ المسافر ينبغي له أن يحترز في الحرّ إذا

---

(١) بسكون الهاء والتحريك ، وفي بعض النسخ «لهيب» .

وفي القاموس: اللهب واللهيب اشتعال النار ، وفي بعض النسخ : « ومن أراد أن يطفىء المرّة الصفراء فليأكل كلّ بارد ليّن ويريح بدنه ، ويقلّ الانتصاب ، ويكثر النظر » ، والظاهر أنّ المراد بالترويح تحريك الهواء بالمروحة ، وقيل : المراد إراحة البدن بقلّة الحركة ، وهو بعيد ، وأبعد منه ما قيل انّه استعمال الرّوائح الطيّبة ، نعم على نسخة «يريح » المعنى الوسط أنسب .

(٢) في بعض النسخ «والاطلاء بالنورة بالتكميد» لعلّ المراد به صبّ الماء الحارّ مجازاً أو بلّ خرقة به ووضعه على الجسد .

(٣) الأبزن : ظرف فيه ماء حارّ بأدوية يجلس المريض فيه قال في القاموس : الكماد ككتاب ـ : خرقة وسخة تسخّن وتوضع على الموجوع ، يستشفى بها من الريح ووجع البطن ، كالكمادة وتكميد العضو تسكينه بها . وقال : الأبزن ـ مثلثة الأوّل ـ : حوض يغتسل فيه ، وقد يتّخذ من نحاس ، معرّب « آب زن » .

سافر وهو ممتلى من الطعام ولا خالي الجوف وليكن على حدّ الاعتدال ، وليتناول من الأغذية الباردة مثل القريض[١] والهلام والخلّ والزيت وماء الحصرم ونحو ذلك من الأطعمة الباردة .

واعلم يا أمير . . . انّ السير الشديد في الحرّ الشديد ضارّ بالأبدان الملهوسة[٢] إذا كانت خالية من الطعام ، وهو نافع في الأبدان الخصبة[٣] .

فأمّا صلاح المياه للمسافر مع دفع الأذى عنه فهو أن لا يشرب الماء من ماء كلّ منزل يرده إلّا بعد أن يمزجه من ماء المنزل الّذي قبله ، أو بشراب واحد[٤] غير مختلف يشوبه بالمياه على اختلافها[٥] والواجب أن يتزوّد المسافر من تربة بلده وطينته الّتي ربّى (يربي) عليها وكلّما ورد إلى منزل طرح في إنائه الّذي يشرب منه الماء شيئاً من الطين الّذي تزوّده من بلده ، ويتعاهد الماء والطين في الآنية

---

(١) قال في القاموس : القريض ضرب من الأدم . وفي بعض النسخ بالغين والضاد المعجمتين ، وهو اللّحم الطريّ .

(٢) وفي القاموس : الهلس الدقّة والضمور ، مرض السلّ ، كالهلاس بالضمّ هلس كعني فهو مهلوس ، وهلسه المرض يهلسه : هزله ، والهوالس الخفاف الأجسام ـ انتهى ـ .

(٣) استعير الخصب هنا للسمن .

(٤) أي يأخذ ماء جيّداً من أوّل المنازل أو عرضها ، ثمّ يمزجه بالماء في كلّ منزل .

وفي بعض النسخ «أو بتراب» أي بتراب عذب أخذه معه ، يمزجه كلّ منزل بالماء .

(٥) في بعض النسخ «يسوّي به فإنه يصلح الأهواء على اختلافها» يسوّي به أي يصلح به الماء .

بالتحريك ويؤخر قبل شربه حتّىٰ يصفو صفاء جيّداً[1] .

أفضل المياه :

وخير المياه شرباً لمن هو مقيم أو مسافر ما كان ينبوعه من الجهة المشرقيّة الخفيف الأبيض ، وأفضل المياه ما كان مخرجها من مشرق الشمس الصيفي[2] ، وأصحّها وأفضلها ما كان بهذا الوصف الَّذِي

---

(١) ذكر محمد بن زكريّا وغيره من الأطبّاء ضمّ الماء المنزل السابق بماء المنزل اللاحق ، أو إدخال قليل من الخلّ فيه ، وكذا ذكروا خلط تراب بلده ووطنه في الماء عند النزول ، والصبر إلى أن يصفو الماء .

(٢) أمّا كون أفضل المياه ما كان مخرجها من مشرق الشمس فهو خلاف المشهور بين أكثر الأطبّاء ، وجريانه على الطين موافق لهم . قال الشيخ في القانون : المياه مختلفة ، لا في جوهر المائيّة ولكن بحسب ما يخالطها ، وبحسب الكيفيّات التي تغلب عليها . فأفضل المياه مياه العيون ، ولا كلّ العيون ولكن ماء العيون الحرة الأرض التي لا يغلب على تربتها شيء من الأحوال والكيفيّات الغريبة ، أو تكون حجريّة فيكون أولى بأن لا يعفن عفونة الأرضية ، لكن التي من طينة حرّة خير من الحجريّة ، ولا كلّ عين حرّة بل التي هي مع ذلك جارية ، ولا كلّ جارية بل الجارية المكشوفة للشمس والرياح ، فإنّ هذا ممّا يكتسب به الجارية فضيلة . وأمّا الراكدة فربما اكتسب بالكشف رداءة لا يكسبها بالغور والستر .

واعلم أنّ المياه التي تكون طيّنة المسيل خير من التي تجري على الأحجار فإنّ الطين ينقّي الماء ، ويأخذ منه الممتزجات الغريبة ويروّقه ، والحجارة لا تفعل ذلك ، لكنّه يجب أن يكون طين مسيلها حرّاً لا حمئة ولا سبخة ولا غير ذلك ، فإن اتّفق أن كان هذا الماء غمراً شديد الجرية ، يحيل بكثرته ما يخالطه إلى طبيعته ، يأخذ إلى الشمس في جريانه ، فيجري إلى المشرق وخصوصاً إلى الصيفي أعني المطلع الصيفيّ منه ، فهو أفضل ، لا سيّما إذا بعد جدّاً من مبدئه ، ثمّ ما يتوجّه إلى الشمال والمتوجّه إلى المغرب بالجنوب ◄

ينبع منه وكان مجراه في جبال الطين وذلك انّها تكون في الشتاء باردة وفي الصيف مليّنة البطن نافعة لأصحاب الحرارة .

أنواع أخرىٰ للمياه :

وأمّا الماء المالح والمياه الثقيلة فإنّها تيبس البطن ، ومياه الثلوج والجليد(1) ردئية لسائر الأجساد كثيرة الضرر جداً ، وأمّا مياه السحب

﴿ ردي وخصوصاً عند هبوب الجنوب ، والذي ينحدر من مواضع عالية مع سائر الفضائل أفضل - انتهى - .

وفي بعض النسخ «وأفضل المياه الّتي تجري بين مشرق الشمس الصيفيّ ومغرب الشمس الصيفيّ - إلى قوله - في جبال الطين ، لأنّها تكون حارّة - إلى قوله - وأمّا المياه المالحة الثقيلة فإنّها تيّبس البطن» على بناء التفعيل .

(1) الجليد : ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد ، فيحتمل شموله لماء الجمد أيضاً ، ولا ينافي كون الماء المبرد بالجمد نافعاً كما ذكره الأطباء . وبعضهم فسّره عنا بماء البرد ، وهو بعيد ، نعم يمكن شمول الثلج له مجازاً . قال في القانون : وأمّا مياه الآبار والقنى - القنى ، بكسر الأوّل وفتح الثاني ، جمع القناة وهي ما يحفر في الأرض ليجري فيه الماء - بالقياس إلى ماء العيون فرديّة . ثمّ قال : وأمّا المياه الجليديّة والثلجيّة فغليظة .

والمياه الراكدة خصوصاً المكشوفة الأجاميّة رديّة ثقيلة ، إنّما تبرد في الشتاء بسبب الثلوج ، ويولّد البلغم ، وتسخّن في الصيف بسبب الشمس والعفونة فيولّد المرار ولكثافتها واختلاط الأرضية بها وتحلّل اللّطيف منها تولّد في شاربيها أطحلة ، وترقّ مراقّهم - مراقّ البطن «بتشديد القاف» : ما رقّ منه ولان - وتجسأ أحشاء- جسأ اليد من العمل : صلب - وتقضف - قضف : نحف ودقّ - منهم الأطراف والمناكب والرقاب ، ويغلو عليهم شهوة الأكل والعطش ، وتحبس بطونهم ، ويعسر قيئهم . وربما وقعوا في الاستسقاء لاحتباس المائيّة فيهم ، وربما وقعوا في زلق الأمعاء وذات الرئة والطحال ، ويضمر أرجلهم ، وتضعف أكبادهم ، وتقلّ من غذائهم بسبب الطحال ، ويتولّد فيهم الجنون ﴾

فإنّها خفيفة عذبة صافية نافعة للأجسام إذا لم يطل خزنها وحبسها في الأرض ، وأمّا مياه الجبّ فإنّها عذبة صافية نافعة إن دام جريها[1] ولم يدم حبسها في الأرض .

وأمّا البطائح[2] والسبّاخ فإنّها حارّة غليظة في الصيف لركودها ودوام طلوع الشمس عليها ، وقد يتولّد من دوام شربها المرّة الصفراوية وتعظم به أطلحتهم (أطحلتهم) ، وقد وصفت لك يا أمير . . . فيما تقدّم من كتابي هذا ما فيه كفاية لمن أخذ به .

آداب الجماع :

وأنا أذكر من الجماع فلا تقرب النساء من أوّل اللّيل صيفاً ولا شتاء وذلك لأنّ المعدة والعروق تكون ممتلئة وهو غير محمود ، ويتولّد

♦ والبواسير والدوالي وذات الرئة والأورام الرخوة في الشتاء ، ويعسر على نسائهم الحمل والولادة ـ إلى آخر ما ذكره من المفاسد والأمراض ـ .

وقال : الجمد والثلج إذا كان نقيّاً غير مخالط لقوّة رديّة فسواء حلّل ماء أو برّد به الماء من خارج أو ألقى في الماء فهو صالح ، وليس يختلف حال أقسامه اختلافاً (كثيراً) فاحشاً ، إلّا أنّه أكثف من سائر المياه ، ويتضرّر به صاحب وجع العصب ، وإذا طبخ عاد إلى الصلاح .

وأمّا إذا كان الجمد من مياه رديّة ، أو الثلج مكتسب ماؤه غريبة من مساقطه فالأولى أن يبرّد به الماء محجوباً عن مخالطته .

وقال في موضع آخر : المياه الرديّة هي الراكدة البطائحيّة ، والغالب عليها طعم غريب ورائحة غريبة ، والكدرة الغليظة الثقيلة الوزن ، والمبادرة إلى التحجّر ، والتي يطفو عليها غشاء رديّ ، ويحمل فوقها شيئاً غريباً ـ انتهى ـ .

(١) أي كثر النزح منها ، أو المراد بها القنوات .

(٢) أي المياه الراكدة فيها . وفي القاموس : البطيحة والبطحاء والأبطح : ميل واسع فيه دقاق الحصا ، والجمع أباطح وبطاح وبطائح .

منه القولنج والفالج واللّقوة والنّقرس والحصاة والتقطير[1] والفتق وضعف البصر ورقّته ، فإذا أردت ذلك فليكن في آخر اللّيل فإنّه أصلح للبدن وأرجى للولد ، وأزكىٰ للعقل في الولد الّذي يقضي الله بينهما .

ولا تجامع امرأة حتّىٰ تلاعبها وتكثر ملاعبتها وتغمز ثدييها فإنّك إذا (إن) فعلت ذلك غلبت شهوتها واجتمع ماؤها ، لأنّ ماءها يخرج من ثدييها[2] ، والشهوة تخرج من وجهها وعينيها ، واشتهت منك مثل الذي اشتهيت (تشتهيه) منها ، ولا تجامع النّساء إلّا طاهرة[3] .

---

(١) أي تقطير البول من غير إرادة .

(٢) قيل : أي عمدة مائها ، فإنّ المشهور بين الأطبّاء ، أنّ المنيّ يخرج من جميع الجسد ، وفي بعض النسخ : « فإنّك إذا فعلت ذلك اجتمع ماؤها وعرفت الشهوة ، وظهرت عند ذلك في عينيها ووجهها ، واشتهت منك الّذي تشتهيه منها» .

وأقول : كلّ ذلك ذكرها الأطبّاء في كتبهم ، من الملاعبة التامّة ليتحرّك منيّ المرأة ويذوب ، ودغدغة الشدي ليهيّج شهوتها وتتحرّك منها ، لأنّ الثدي شديد المشاركة للرّحم ، قالوا : فإذا تغيّرت هيئة عينها إلى الاحمرار بسبب قوّة اللّذة فعند ذلك يتحرّك الروح إلى الظاهر ، ويصحبه الدم ، ويظهر ذلك في العين لصفاء لونه ، وقد يتغيّر شكل العين وينقلب سواده إلى الفوق ، لأنّه شديد المشاركة لآلات التناسل خصوصاً للرحم ، وتواتر نفسها ، وطلبت التزام الرجل ، أولج الذكر وصبّ المنيّ ليتعاضد المنيّان .

(٣) أي من الحيض والنفاس . وفي بعض النسخ « ولا تجامعها إلّا وهي طاهرة ، فإذا فعلت ذلك كان أروح لبدنك ، وأصحّ لك إذا اتّفق الماء ان عند التمازج نتاج الولد بإذن الله عزّ وجلّ ـ إلى قوله ـ مثل الّذي خرج منك ، ولا تكثر اتيانهنّ تباعاً فإنّ المرأة تحمل من القليل وتقذف الكثير» وليس فيها «واعلم ـ إلى قوله ـ شرف القمر» وهو أظهر .

فإذا فعلت ذلك فلا تقم قائماً ولا تجلس جالساً ولكن تميل[1] على يمينك .

ثمّ انهض مسرعاً إلى البول من ساعتك فإنّك تأمن الحصاة بإذن الله تعالى ، ثم اغتسل واشرب من ساعتك شيئاً من الموميائي بشراب العسل ، أو بعسل منزوع الرغوة، فإنّه يردّ من الماء مثل الّذي خرج منك .

واعلم يا أمير . . . أنّ جماعهنّ والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل ، وخير من ذلك أن يكون في برج الثور ، لكونه شرف القمر[2] ، ومن عمل بما وصفت في كتابي هذا ودبّر به جسده

---

(١) أي تتّكىء على يمينك .

(٢) شرف القمر في الدرجة الثالثة من الدلو ، وقيل : علّة مناسبة الحمل للجماع لكونه من البروج الناريّة المذكّرة المناسبة للشهوة ، وفيه شرف الشمس ، ومناسبة الدلو لكونه من البروج الهوائية الحارة الرطبة ، وموجبة لزيادة الدم والروح . والثور لأنّه بيت الزهرة المتعلّقة بالنساء والشهوات ، ولعلّ ذكر هذه الأمور (و) إن كان منه عليه السلام لبعضْ المصالح موافقة لما اشتهر في ذلك الزمان عند المأمون وأصحابه من العمل بآراء الحكماء والتفوّه بمصطلحاتهم .

وكأنّ أكثر ما ورد في هذه الرواية من هذا القبيل ، كما أومأ عليه السلام إليه في أوّل الرسالة حيث قال « من أقاويل القدماء ، ونعود إلى قول الأئمّة عليهم السلام» وفي بعض النسخ آخر الرسالة هكذا :

«واعلم أنّ من عمل بما وصفت في كتابي هذا ودبّر جسده ولم يخالفه سلم بإذن الله تعالى من كلّ داء ، وصحّ جسمه بحول الله وقوّته ، والله يرزق العافية من يشاء ، ويمنح الصحّة بلا دواء ، فلا يجب أن يلتفت إلى قول من يقول ممّن لا يعلم ولا ارتاض بالعلوم والآداب ولا يعرف ما يأتي وما يذر : طال ما أكلت كذا فلم يضرّني وفعلت كذا ولم أر مكروهاً ! وإنّما هذا القائل في الناس كالبهيمة البهماء ، والصورة الممثّلة ، لا يعرف ما يضرّه ممّا ينفعه! ولو

أمن بإذن الله تعالى من كلّ داء وصحّ جسمه بحول الله تعالى وقوّته ، فإنّ الله يعطي العافية ويمنحها إيّاه ، والحمد لله ربّ العالمين والعاقبة للمتّقين ، وصلّىٰ الله على سيّدنا محمّد وآله الطيّبين الطّاهرين[1] .

أصيب اللّص أوّل ما يسرق فعوقب لم يعد ، ولكانت عقوبته أسهل ، ولكنّه يرزق الامهال والعافية ، فيعاود ثمّ يعاود حتّى يؤخذ على أعظم السرقات فيقطع ، ويعظم التنكيل به ، وما أورده عاقبة طمعه والأمور كلّها بيد الله سيّدنا ومولانا جلّ وعلا وإليه نرجع ونصير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم » .

قال المجلسي (ره) : لعلّ المشبّه به سارق أخذه الملوك وحكام العرف ، وإلّا فحاكم الشرع يقطع يده في أوّل مرّة أو المراد به من أخذ أقلّ من النصاب ، فإنّه يعزّر لو ثبتت سرقته ، ولو لم تثبت واجترأ وتعدّى إلى أن بلغ النصاب تقطع يده . و« ما أورده » على المعلوم ، عطفاً على التنكيل ، أي يعظم ما أورده عليه عاقبة طمعه ، أو « ما أورده » مبتدأ و« عاقبة » خبره . وعلى الأخير يمكن أن يقرأ على بناء المجهول على الحذف والايصال .

(١) اشتهر نقل هذه الرسالة عن الإمام الرضا سلام الله عليه وشرحها جمع من علمائنا كالسيّد فضل الله الراوندي المتوفّى بعد سنة (٥٤٨) هـ ،

وشرحها الدكتور صاحب زيني شرحاً لطيفاً على وفق الطبّ الحديث وعليه مقدّمة وتعليقات بقلم العلّامة السيّد مرتضى العسكري وتكلّم أيضاً في آخر الكتاب في إسناد الرسالة وتراجم رواتها والشارحين لها وهذا الشرح مطبوع بمطبعة المعارف (بغداد) .

قال الدكتور صاحب زيني : « وقد جاءت الرسالة بسيطة بظاهرها لمماشاة عقليّة ذلك الزمان ، إلّا أنها عميقة ومعقّدة ببواطنها تحتاج إلى دراسات علميّة وبحوث طويلة لتفسير أسرارها وكشف بواطنها ومقارنتها بالحقائق العلميّة الحديثة» (انتهى) .

الفصل الثالث

في خواص بعض الفواكه والخضار[1]

(١) نقلنا هذا العرض عن كتاب «لئالىء الأخبار» للمرحوم التويسركاني (قدّه) ج٢ ، ص ٣٤٢ فصاعداً.

فضل أكل الرمان
وكيفية أكله وخواصه

قال الرضا عليه السلام ناقلاً عن آبائه عليهم السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كلوا الرمّان فليست منه حبّة تقع في المعدة إلاّ أنارت القلب وأخرست الشّيطان أربعين يوماً .

وفي خبر آخر قال أمير المؤمنين عليه السلام : كلوا الرمّان بشحمه فإنّه دباغ للمعدة ، وفي كلّ حبّة تقع في المعدة حياة للقلب ، وإنارة للنفس ، وتمرض وسواس الشيطان أربعين ليلة .

وفي ثالث قال الصادق عليه السلام : من أكل حبّة رمّانة أمرضت شيطان الوسوسة أربعين صباحاً .

وقال الكاظم عليه السلام: عليكم بالرمّانة فإنّه ليست من حبّة تقع في المعدة إلاّ أنارتها وأطفأت شيطان الوسوسة .

وقال عبدالله بن سنان : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : عليكم بالرمّان الحلو فكلوه فإنّه ليست من حبّة تقع في معدة المؤمن إلاّ أنارتها وأطفأت شيطان الوسوسة .

وقال عبدالله بن سنان : ما من رمّانة إلاّ وفيها حبّة من الجنّة فإذا شذّ منها شيء فخذوه .

وفي خبر : فإذا تبدّد منها شيء ، وما وقعت تلك الحبّة معدة امرىء قط إلاّ أنارتها أربعين ليلة ونفت عنه شيطان الوسوسة .

وفي المكارم : ونفت الشيطان والوسوسة أربعين صباحاً .

وقال زياد : قال أبو عبدالله عليه السلام : من أكل رمّانة على الريق أنارت قلبه فطردت شيطان الوسوسة أربعين صباحاً .

وقال أبو عبدالله : ما من شيء أُشارَك فيه أبغض إليّ من الرمّان ، وما من رمّانة إلاّ وفيها حبّة من الجنّة .

وقال يزيد : سمعت أبا عبدالله يقول : من أكل رمّانة أنارت قلبه ، ومن أنارت قلبه فالشيطان بعيد منه ، فقلت : أيّ رمّان؟ قال : سورانيكم هذا .

وقال سعيد : قال أبو عبدالله : من أكل رمّانة نوّر الله قلبه وطرد عنه شيطان الوسوسة أربعين صباحاً .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أكل رمّانة أنارت قلبه ورفعت عنه الوسوسة أربعين صباحاً .

وعنه عليه السلام قال : الرمّان سيّد الفاكهة ، ومن أكل رمّانة غضب شيطانه أربعين صباحاً، وكان إذا أكله لا يشركه فيه أحد .

وعنه أيضاً : من أكل رمّانة حتّى يتمها نوّر الله قلبه أربعين يوماً .

وقال يزيد : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وفي يده رمّانة فقال : يا معتب اعطه رمّاناً فإنّي لم أُشْرَك في شيء أبغضُ إليّ من أن أُشْرَكَ في رمّانة ، ثم احتجم وأمرني أن أحتجم فاحتجمت ثم دعا لي رمّانة وأخذ رمّانة أخرى ثم قال لي : يا يزيد أيّما مؤمن أكل رمّانة حتّى يستوفيها أذهب الله الشيطان عن انارة قلبه أربعين يوماً ومن أكل اثنين أذهب الله الشيطان عن انارة قلبه مائة يوم ، ومن أكل ثلاثاً حتّى يستوفيها أذهب الله الشيطان عن انارة قلبه سنة ومن أذهب الله

الشيطان عن انارة قلبه سنة لم يذنب ، ومن لم يذنب دخل الجنّة .

وقال زياد : سمعت أبا الحسن الأوّل عليه السلام يقول : من أكل رمّانة يوم الجمعة على الرّيق نوّرت قلبه أربعين صباحاً ، فإن أكل رمّانتين فثمانين يوماً ، فإن أكل ثلاثاً فمائة وعشرين يوماً وطردت عنه وسوسة الشيطان ، ومن طردت عنه وسوسة الشيطان لم يعص الله ، ومن لم يعص الله أدخله الجنّة .

وفي المكارم عنه عليه السلام : أنّه كان يأكل الرمّان ليلة الجمعة .

ولبحر العلوم أعلى الله مقامه :

وأفضل الأزمان للرمّان الجمعات أفضل الأزمان
كُلْهُ علىٰ الرّيق ومن بعد الغذاء ولا تخف منه أذىً ولا قذى

الجمع بين الأخبار في أكل الرمان :

أقول : لا يبقى ريب لمن تأمّل في هذه الأخبار ، وكان له معرفة الآثار في أنّ رمّانة واحدة صغيرة كانت أم كبيرة حلوة كانت أم حامضة سورانيّة كانت أم غيرها أكلها مع شحمها أم لا أكلها على الرّيق أم غيره في الجمعات كان أم في غيرها يكفي لإنارة القلب وطرد وسوسة الشيطان في أربعين يوماً لتظافر الأخبار عليه بحيث يحصل اليقين منها به بل ظاهر جملة منها كفاية حبّة واحدة منه لهما حيث أنهما علقا فيها عليها وليس المراد بها الحبّة الجنتية حتّى يستلزم أكل رمّانة تامّة لتحصيلهما كما وقع في حديث مرّ عن أبي عبدالله عليه السلام لظهور إرادة الجنس من الحبّة في غيرها كما لا يخفى .

هذا مضافاً إلى أنّ في أمثال ذلك من المستحبّات لا يحمل

مطلقها على مقيّدها ومضافاً إلى قاعدة التسامح في أدلّة السنن ومع ذلك كلّه فالأولى أن يجمع بين كلّ هذه الأخبار لهما بأن يأكل وحده رمّانة تامّة سورانيّة حلواً مع شحمها على الريق يوم الجمعة وأولى من هذه أن يأكل ثلاث رمّانات كذلك.

ثم أقول : والأولى لكلّ من يريد أكلها أن يأكل الصغيرات منها لتكثر فوائده بكثرة عددها لوضوح حصولها بكلّ واحدة كبيرة كانت أو صغيرة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الرمّان سيّد الفاكهة ، وقال : الفاكهة عشرون ومائة لون سيّدها الرمّان .

وفي الحديث : لمّا أهبط الله آدم من الجنّة أهبط معه عشرين ومائة قضيب منها أربعون ما يؤكل داخلها وخارجها ، وأربعون منها ما يؤكل داخلها ويرمى بخارجها ، وأربعون منها ما يؤكل خارجها ويرمى بداخلها ، وغرارة فيها بذر كل شيء .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : خمسة من فاكهة الجنّة في الدنيا : الرمّان الأمليسي ، والتفاح ، والسفرجل ، والعنب ، والرطب المشان .

وعن الرضا عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : أربعة نزلت من الجنّة : العنب الرازقي ، والرطب المشان ، والرمّان الأمليسي ، والتفّاح الشعشعاني ، يعني : الشامي .

وفي خبر آخر : والسفرجل .

وفي خبر قال : النخلة والرمّان والعنب من فضل طينة آدم .

وقد ورد أنّه كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أتى بفاكهة حديثة قبّلها ووضعها على عينيه ويقول : اللّهمّ أريتنا أوّلَها فأرِنا آخرَها .

وفي الكافي قال مفضّل : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : ما مِنْ طعام آكلُه إلاّ وأنا أشتهي أنْ أُشارَكَ فيه ، أو قال : يُشركني فيه إنسانٌ إلاّ الرمّان ، فإنّه ليس من رمّانة إلاّ وفيها حبّةٌ من الجنّة .

وقال يحيى بن الحنظلي : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وبين يديه طبق فيه رمّان فقال لي : يا زياد أدن وكل من هذا الرمّان أما أنه ليس شيء أبغض إليّ مِن أن يشركني فيه أحد من الرمّان أما إنّه ليس من رمّانة إلاّ وفيها حبّة من حبّ الجنّة ، ورواه عن هشام أيضاً ، إلاّ أنّه قال : كان أبي ليأخذ الرمّانة فيصعد بها إلى فوق فيأكلها وحده خشية أن يسقط منها شيء ، وما من شيءٍ أُشارَكُ فيه أبغضُ إليّ من الرمّانِ إنّه ليس من رمّانة إلاّ وفيها حبّة من الجنّة .

وقال عمرو : سمعت أبا جعفر وأبا عبدالله عليهما السلام يقولان : ما على وجه الأرض ثمرة كانت أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من الرمّان وقد كان والله إذا أكلها أحبّ أن لا يُشركه فيها أحد .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أكل الرمّان بسط تحته منديلاً فَسُئِلَ عن ذلك ؟ فقال : لأنّ فيه حبّات من الجنّة فيقال له فإنّ اليهودي والنصراني ومن سواهم يأكلونها؟ قال : إذا كان ذلك بعث اللّه إليه ملكاً فانتزعها منه لئلاّ يأكلها .

وفي زهر الربيع : ومن عجيب الاتّفاق أنّ رجلاً كافراً في هذا الزمان أتىٰ برمّانة إلى جماعة من المسلمين وقال : آكلها كلّها وحدي حتّى تلك الحبّة وأنتم تقولون أنّ طعام الجنّة حرام على الكافر ، فأكل تلك الرمّانة إلى آخرها ، فقال : أين ما قلتم؟ وكان له لحية طويلة كثيفة فلمّا نفض لحيته كان قد تعلّقت بها حبّة من الرمّانة

فسقطت إلى الأرض فالتقطها ديك كان هناك فأخزاه الله تعالى .

وعن الحسن بن علي بن يقطين ، عمّن حدّثه قال : رأيت أُمّ سعيد الأحمية وهي تأكل رمّاناً وقد بسطت ثوباً قدّامها تجمع كلّما سقط منها عليه ، فقلت : ما هذا الذي تصنعين؟ فقالت : قال مولاي جعفر بن محمد عليهما السلام : ما من رمّانة إلاّ وفيها حبّة من الجنّة فأنا أحبّ أن لا يسبقني أحد إلى تلك الحبّة .

وقال المجلسي قدّس سرّه : ولا استبعاد في أن يوكّل الله تعالى ملائكة يدخلون في كلّ رمّانة حبّة من رمّان الجنّة ويحتمل أن يكون المعنى أن الله يخلق في كلّ رمّانة حبّة كاملة النّفع والبركة على خِلْقَة رُمّان الجنّة .

وقال أيضاً : لا استبعاد في تأثير بعض الأغذية الجسمانيّة في الصفات ، وملكات الروحانيّة ، ويمكن أن يكون أمثال هذه مشروطة بشرائط من الاخلاص والتقوى ، وقوّة الاعتقاد بالمخبر وغيرها فإذا تخلّفت في بعض الأحيان كان للإخلال ببعضها .

في خواص الرمان والزبيب والتمر :

فصل آخر في خواص الرمّان مضافاً إلى ما مرّ في الفصل السابق ، وفي كيفيّة أكله ، وفي فضل الزبيب وخواصّه ، وفي فضل التمر وثواب أكله وخواصّه .

قال أبو عبدالله عليه السلام : كلوا الرمّان بشحمه فإنّه يدبغ المعدة ويزيد في الذهن .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : كلوا الرمّان بقشره فإنّه دباغ البطن ، وعن صعصعة انّه دخل على أمير المؤمنين عليه السلام وهو

على العشاء فقال : يا صعصعة أدن فكل ، قال قلت : قد تعشّيت وبين يديه نصف رمّانة فكسر لي ، وناولني بعضه وقال : كله مع قشره يريد مع شحمه فإنّه يذهب بالحفر والبخر ويطيب النفس ، وفي النهاية : شحم الرمّان ما في جوفه سوى الحبّ .

وفي القاموس : شحمة الحنظل ما في جوفه سوى حبّة ومن الرمّان الرقيق الأصفر الذي بين ظهرانيّ الحبّ .

وفيه : الحفر بالتحريك سلاق في أصول الأسنان أوصفرة تعلوها ، ويسكن والبخر بالتحريك النتن في الفم وغيره ، وتطيب النفس كناية عن اذهاب الهمّ والحزن .

وقال السجّاد عليه السلام : شيئان ما دخلا جوفاً قطّ إلاّ أفسداه ، وشيئان ما دخلا جوفاً إلاّ أصلحاه فأمّا اللّذان يصلحان جوف ابن آدم فالرمّان والماء الفاتر ، وأمّا اللّذان يفسدان فالجبن والقديد .

وقال الصادق عليه السلام : اثنان ينفعان من كلّ شيء ولا يضرّان من شيء : السكّر والرمّان .

وقال أبو الحسن عليه السلام : لم يأكل الرمّان جائع إلاّ أجزئه ولم يأكله شبعان إلاّ أمرأه ، وقال : ممّا أوصى به آدم هبة الله أن قال له عليك بالرمّان فإنّك إن أكلته وأنت جائع أجزاك وإن أكلته وأنت شبعان أمراك .

يؤكل في الجوع وفي حال الشّبع   وفي الظّما والريّ فيه ينتفع

وعن وليد ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ذكر الرمّان فقال : المُز أصلح في البطن .

وفي خبر آخر قال : كلوا الرمّان المز بشحمه فإنّه دباغ للمعدة .

وقال الرضا عليه السلام : حطب الرمّان ينفي الهوام .

وفي الكافي عن أبي الحسن قال : دخان شجر الرمّان ينفي الهوام .

وقال عليه السلام : كلوا الرمّان ينقّى أفواهكم .

وقال عليه السلام : أكل الرمّان يزيد في ماء الرجل ويحسن الولد .

وفي رواية قال : أكل الرمّان الحلو يزيد في ماء الرجل ويحسن الولد .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : من أكل رمّاناً عند منامه فهو آمن في نفسه إلى أن يصبح .

وعن الحارث بن المغيرة قال : شكوت إلى أبي عبدالله عليه السلام ثقلاً أجده في فؤادي وكثرة التخمة من طعامي ، فقال عليه السلام : تناول من هذا الرمّان الحلو وكله بشحمه فإنّه يدبغ المعدة دبغاً، ويشفي التخمة ويهضم الطعام ، ويسبّح في الجوف .

مسبّح مهلّل في الجوف　　ليس على آكله من خوف

وقال المجلسي رحمه الله : يحتمل أن يكون التسبيح في الجوف كناية عن كثرة نفعه فيه فهو لدلالته بهذه الجهة على قدرة الصانع وحكمته كأنّه يسبّح الله تعالى .

أقول : إبقائه على ظاهره عملاً بظاهر قوله : ﴿ وان من شيء الاّ يسبّح بحمده ﴾ الآية ، وحمله على كون ثواب التسبيح للآكِل لا مانع منه ، ولا يحتاج إلى هذا التأويل .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : أطعموا صبيانكم الرمّان فإنّه أسرع لألسنتهم .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : أطعموا صبيانكم الرمّان فإنّه أسرع لشبابهم أي : لنموّهم ووصولهم إلى حدّ الشباب .

وفي تحفة الحكيم : الحلو الأملس الخالي من النّوى من الرمّان الطف أقسامه وهو أي مطلقه قليل الغذاء قابض مولد للخلط الصالح ، مدر للبول ، مليّن للطبع مفتح للسدّد جال للبشرة مقوّي للقلب، مصفّى للروح الكبدي مسمّن للبدن ، دافع للجرب والحكمة ، وأكله بعد الطعام باعث على انحداره ، ومورث للعطش واكثاره ، مفسد للغذاء ومرخي للمعدة ، ومصلحه الرمّان الحامض ، وزاد في مخزن الأدوية أنّه منضج للغذاء ، ونافع للخفقان ، ووجع الصدر والسعال الحار ، وتصفية الصوت .

وأما فضل الزبيب :

ففي خبر عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله : عليكم بالزبيب فإنّه يكشف المرة ويذهب بالبلغم ، ويشدّ العصب ويذهب بالإعياء ، وفي رواية : بالضّنا ، ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب بالغم .

وفي خبر آخر : قال أمير المؤمنين عليه السلام : الزبيب يشدّ القلب ويذهب بالمرض ، ويطفي الحرارة ويطيب النفس ، وقال أبو عبدالله عليه السلام : الزبيب يشدّ العصب ، ويذهب بالنّصب ، ويطيب النّفس .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : عليكم بالزبيب ، فإنّه يطفىء

المرة ويأكل البلغم ويصحّح الجسم ، ويحسن الخلق ويشدّ العصب ويذهب بالوصب .

وفي آخر عنه في العيون قال : عليكم بالزبيب فإنّه يكشف المعدة ، ويذهب بالبلغم .

وقال أبو هند : أُهدي إلى رسول الله طبق مغطّىً فكشف الغطاء عنه ، ثم قال : كلوا بسم الله نعم الطعام الزبيب يشدّ العصب ، ويذهب بالوصب ، ويطفىء الغضب ويرضي الربّ ، ويذهب بالبلغم ، ويطيب النكهة ، ويصفّي اللّون .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : عشرون زبيبة حمراء في كلّ يوم على الرّيق تدفع جميع الأمراض إلاّ مرض الموت .

وفي خبر آخر عنه عليه السلام قال : من أكل كلّ يوم على الريق أحد وعشرين زبيبة حمراء لم يعتلّ إلاّ علّة الموت.

وقال حريز : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : يابن رسول الله إنّ الناس يقولون في هذا الزبيب قولاً منكم فما هو؟ قال : نعم من أكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء من أوّل النهار رفع الله عنه كُلّ مرض وسُقم .

وقال أمير المؤمنين : من أدام أكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء على الرّيق لا يمرض إلاّ مرض الموت . . .

وقال عليه السلام : من أكل إحدى وعشرين زبيبة حمراء على الريق لم يجد في جسده شيئاً يكرهه .

وفي خبر آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : من أكل أحد وعشرين زبيبة حمراء لم ير في جسده شيئاً يكرهه .

وأما فضل التمر :

ففي الكافي عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله : ﴿ **فلينظر أيّها أزكىٰ طعاماً فليأتكم برزق منه** ﴾[1] قال : أزكىٰ طعاماً التمر .

وعنه قال : ما قُدِّمَ إلىٰ رسول الله طعام فيه تمر إلّا بدء بالتمر .

وعنه أيضاً قال : خَيْرُ تُمورِكم البرني يذهب بالداء ، ولا داء فيه ، ويذهب بالاعياء ولا ضرر له ، ويذهب بالبلغم ومع كلّ تمر حسنة .

وفي رواية أخرى قال : ويرضى الربّ ويسخط الشيطان ويزيد في ماء الظهر .

وفي أُخرىٰ قال : يهني ويمري ويذهب بالاعياء ويشبع .

وقال سليمان : دخلت على الرضا وبين يديه تمر برنيّ وهو مُجِدٌّ في أكله يأكل بشهوة إلى أن قال : وأنا تمري وشيعتنا يحبّون التمر لأنّهم خُلقوا من طينتنا وأعداؤنا يا سليمان يحبّون المكر لأنّهم خلقوا من مارجٍ من نار .

وعن علاء قال: قال لي أبو عبدالله : يا علاء هل تدري ما أوّل شجرة نبتت على وجه الأرض؟ قلت : الله ورسوله وابن رسوله أعلم ، قال: إنّها العجوة فما خلص فهو العجوة وما كان غير ذلك فإنّها من الأشباه .

وفي رواية قال : العجوة أُمُّ التمر وهي التي أنزلها الله من الجنّة لآدم وهو قول الله : ﴿ **ما قطعتُم مِنْ لِيْنَةٍ أو تركتموها قائِمةً علىٰ**

---

(١) الكهف : ١٩ .

أُصولِهَا ﴾[1] قال : يعني العجوة .

وعن الرضا عليه السلام قال : كانت نخلة مريم العجوة ، ونزلت في كانون ونزل مع آدم العتيق ، والعجوة، ومنها تفرق أنواع النّخل ، وقال : الصرفان سيّد تمورهم .

وفي رواية : ونظر إلى الصرفان فقال : ما هذا الرجل؟ فقال : الصرفان وهو عندنا العجوة وفيه شفاء .

وقال أبو عبدالله من أكل في كلّ يوم سبع تمرات عجوة على الرّيق من تمر العالية لم يضرّه سمّ ولا سحر ولا شيطان .

وفي خبر آخر عنه قال : من أكل سبع تمرات عجوة عند منامه قتلن الديدان من بطنه .

وفي آخر قال : كلوا التمر على الريق فإنّه تقتل الدود .

وفي طبّ النبي: كلّ بيت لا تمر فيها كان ليس فيها طعام وفيه : إذا جاء الرّطب فهنّئوني فإذا ذهب فعزّوني .

وفي التحفة : التمر حار يابس مبهيّ للمبرورين موافق للصدر ومولد للدم المتين ، مقوى للكليتين كثير الغذاء ، ومن خواصّه أنّه إذا وضع في اللّبن الجديد ، وبقي حتّى بلّ إلى جوفه ثم أكله وشرب على أثره اللبن صار بلا عديل في تقوية الباه .

في خواص العنب والبطيخ والتفاح والكمّثرى:

فصل في فضل العنب والبطّيخ وعظم ثواب أكل لقمة منه ، وفي فضل التفّاح والكمّثرى وخواصّها وفوائدها .

---

(١) الحشر : ٥ .

أما خواص العنب :

فقال أبو عبدالله عليه السلام : شكىٰ نبيٌّ من الأنبياء إلى الله الغم فأمره بأكل العنب .

وفي خبر آخر قال : إنّ نوحاً شكىٰ إلى الله الغم فأوحى الله إليه أن كُلِ العنب فإنّه يذهب بالغمّ .

وقد مرّ : أنّ أبا عبدالله عليه السلام قال : لمّا حسر الماء عن عظام الموتى فرآى ذلك نوح فجزع جزعاً شديداً واغتمّ لذلك فأوحى الله إليه أن كُلِ العنبَ الأسود ليذهب غمّك .

وقالت عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : خَيْرُ طعامكم الخبز ، وخير فاكهتكم العنب ، وقال : ربيع امّتي العنب والبطّيخ .

وفي خبر قال : كان النبيّ يحبّ من الفواكه العنب .

وفي آخر : كان السجّاد يعجبه العنب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : كلوا العنب حبّة حبّة فإنها أهنأ وأمرء .

وفي خبر آخر قال لرجل : حبّة حبّة يأكله الشيخ الكبير ، والطفل الصغير ، وثلاثة وأربعة يأكله من يظنّ أن لا يشبع ، وكُلْهُ حبّتين حبّتين فإنّه يستحبّ ، وكان النبي يأكل العنب حبّة حبّة ، وكان ربما يأكله خرطاً حتّى ترى روال على لحيته كتحدر اللؤلؤ ، والرّوال الماء الذي يخرج من تحت القشر .

وفي خبر قال : شيئان يؤكلان باليدين العنب والرمّان .

وفي الكافي كان أمير المؤمنين يأكل الخبز بالعنب ، وعنه قال :

العنب ادام وفاكهة وطعام ومملو وقد مرّ فضل الزبيب وخواصّه في الفصل السابق .

وفي تحفة الحكيم : أنّ أفضل أفراد العنب الحلو دقيق الجلد الكبير الحبّة ، قليل النّوى وهو بجميع أنواعه أكثر غذاء من جميع الفواكه ، ومسمّن للبدن جدّاً ومعدل للأمزجة الغليظة ، ومصفّى للدم ، ودافع للموادّ السوداوية ، ومصلح للصدر والرية ، وملّين للطبع ، ومورث للعطش ومصلحه السكنجبين ، وأغذية الحامضة ، ومضرّ للمعدة الرطوبيّة والريحيّة ومصلحه الكمون والرّازيانج ، وزاد في مخزن الأدوية أنه جالي ومنضج وسريع الانحدار ، ومولد للدم الصّالح ، وطريق أكله أن تمسّ فيشرب مائه ويلقى جلده ونواه ، ونواه مولدة للرياح ومضرّة بالمعدة والامعاء ، وزاد في مخزن الأدوية : وحابسة للبطن ، وممسكة للبول والمني وجلده مولد للرياح وبطيء الانحدار جدّاً ، وشرب الماء البارد بعد العنب يفسده غاية الفساد ، ويورث الاستسقاء والحمّى العفن ، والأفضل أن يؤكل بعد مستغنى يومين من قطفه وأن يأكل فيما بين الغذائين .

وأما خواص البطيخ :

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : تفكّهوا بالبطّيخ فإنّ ماؤه رحمة ، وحلاوته من حلاوة الجنّة .

وفي رواية : أنّه أُخْرِجَ من الجنّة فمن أكل لقمة من البطّيخ كتب الله له سبعين ألف حسنة ومحى عنه سبعين ألف سيّئة ورد له سبعين ألف درجة .

وفي طبّ النبي قال: تفكّهوا بالبطّيخ فإنّها فاكهة الحبّ ، فيها ألف بركة وألف رحمة وأكْلُها شفاء من كلّ داء ، وقال : أعضن

البطّيخ ولا يقطعها قطعاً فإنّها فاكهة مباركة طيبة مطهرة الفم مقدسة القلب تستضيء الأسنان وترضي الرحمان ريحها من التسنيم وماؤها من الكوثر ولحمها من الفردوس ولذّتها من الجنّة وأكلها من العبادة .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : البطّيخ شحمة الأرض لا داء ولا غائلة فيه .

وقال ابن عبّاس : قال رسول الله صلى الله عليه وآله في البطّيخ عشر خصال : هو طعام وشراب ويغسّل المثانة ، ويقطع الأبردة ، وهو ريحان وأشنان، ويغسل البطن ، ويكثر الجماع ويُنَقّي البشرة ، ويذيب الحصى في المثانة .

وفي خبر قال أبو عبدالله عليه السلام : كلوا البطّيخ فإنّ فيه عشر خصال مجتمعة هو شحمة الأرض لا داء فيه ولا غائلة ، وهو طعام ، وهو شراب ، وهو فاكهة ، وهو ريحان وهو أشنان ، وهو ادام ويزيد في الباه ويغسل المثانة ويدرّ البول ، وقال : البطّيخ قبل الطعام يغسل البطن غسلاً يذهب بالداء أصلاً .

وقال : ما من امرأة حاملة أكلت البطّيخ إلّا يكون مولدها حسن الوجه والخلق .

وقال الكاظم : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل البطّيخ بالسُكّر ويأكله بالرُّطب .

وفي المكارم كان يأكل الفاكهة الرطبة ، وكان أحبّها إليه البطّيخ والعنب وكان يأكل البطيخ بالخبز ، وربما أكل بالسكر ، وكان ربما أكل البطيخ بالرطب فيستعين باليدين جميعاً .

وفي الكافي : كان النبي يعجبه الرطب بالجزيز وكان يأكل البطّيخ

بالتمر ، وفي رواية : أكل البطّيخ بالسكّر .

وعن الرضا عن أبيه عن جدّه أنّ أمير المؤمنين أخذ بطّيخة ليأكلها فوجدها مرّة فرمى بها بعداً وسحقاً ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ما هذه البطّيخة؟ فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم : إن الله أخذ عقد مودّتنا على كلّ حيوان ونبْت فما قبل الميثاق كان عذباً طيّباً وما لم يقبل الميثاق كان ملحاً زعاقاً .

مضار أكل البطيخ على الريق :

وقال الصادق عليه السلام : أكل البطّيخ على الرّيق يورث الفالج .

وفي خبر عن الرّضا قال : البطّيخ على الرّيق يولج الفالج نعوذ بالله منه .

وفي آخر قال عليه السلام : لا تأكلوا البطّيخ على الريق فإنّه يورث الفالج .

وفي آخر عن محمد بن صالح قال : كتبت إلى أبي محمد أسْأَلُهُ عن البطيخ ، فكتب إليّ : لا تأكل على الريق فإنّه يولد الفالج .

وعن أبي الحسن الثالث أنه قال يوماً : إنّ أكل البطّيخ يورث الجذام فقيل له : أليس له قد أمن المؤمن إذا أتى عليه أربعون سنة من الجنون والجذام والبرص؟ قال : نعم ولكن إذا خالف المؤمن ما أمر به ممّن آمنه لم يؤمن أن تصيبه عقوبة الخلاف .

أفضل أنواع البطيخ :

وفي تحفة الحكيم : أنّ أفضل أفراد البطّيخ الحلو القليل الماء

والجرم وأفضلها ما يقال له بالفارسيّة خربزه كَرمك الّذي هو أقوى تفتيحاً للسدد وأشدّ ترطيباً للدماغ والبدن من سائر أقسامه وهو بجميع أصنافه مدرّ للبول والعرق واللبن ومخرج للحصاة وملطّف ومرطّب وجال للبشرة ، وسريع النفوذ ، ومسهل لما لاقاه ، ومرخي للأحشاء وسريع الاستحالة بالخلط الذي في المعدة ، ومصلحه الخل وماء الرمّان الحامض وأكله على الريق يورث الحمّى الصفراوي ، وعلى الطعام يورث التخمة ، ومع الأغذية الكثيفة كالجبن يورث السدد وأفضل أوقات أكله ما بين الغذائين كالعنب .

فوائد التفاح :

وأمّا الثالث : فقال أبو الحسن الأوّل عليه السلام : التّفاح شفاء من خصال السمّ والسحر واللّمم يعرض من أهل الأرض والبلغم الغالب وليس من شيء أسرع منفعة منه .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : التّفّاح نضوح المعدة .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : كلوا التفّاح على الرّيق فإنّه نضوح المعدة .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : لو يعلم الناس ما في التفّاح ما داووا مرضاهم إلاّ به ، ألا وإنّه أسرع شيء منفعة للفؤاد خاصّة وانّه نضوحه .

وقال أبو بصير : سمعت الباقر عليه السلام يقول : إذا أردت أكل التفّاح فشمّه ثم كله فإنّك إذا فعلت ذلك أخرج من بدنك كلُّ داء وغائلة ويسكّن ما يوجد من قبل الأرواح كلّها .

وقال القندي : أصاب النّاس وباء ونحن بمكّة فأصابني فكتبت

إلى أبي الحسن عليه السلام، فكتب إليّ : كُلِ التفّاح فأكلته فعوفيت .

وقال زياد العبدي : دخلت المدينة ومعي أخي سيف ، فأصاب الناس رعاف شديد كان الرّجل يرعف يومين ويموت فرجعت إلى منزلي فإذا سيف في الرعاف وهو يرعف رعافاً شديداً ، فدخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال : يا زياد أطعم سيفاً التفّاح فأطعمته فبرأ .

وقال سليمان : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام وبين يديه تفّاح أخضر فقلت : جعلت فداك ما هذا؟ قال : يا سليمان وعكت البارحة فبعث إليّ هذا الأكلة استطفى به الحرارة ويبرد الجوف ويذهب بالحمّى .

التفاح . . دواءُ الحُمّى

وفي خبر قال عليه السلام : كُلِ التفّاح فإنّه يُطفىء الحرارة ويبرّد الجوف ويذهب بالحمّى . وفي حديث آخر : يذهب بالوباء .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : أطعموا محموميكم التفّاح فما من شيء أنفع من التفّاح .

وفي الكافي عن درست قال : بعثني المفضّل إلى أبي عبدالله بلطف فدخلت عليه في يوم صائف ، وقُدّامُهُ طبق فيه تفّاح أخضر فوالله إن صبرت إن قلت له جعلت فداك أتأكل من هذا ، والناس يكرهونه؟ فقال لي : كأنّه لم يزل يعرفني وعكت في ليلتي هذه فبعثت فأتيت به فأكلته وهو يقلع الحمّى وليسكن الحرارة فقدمت فأصبت أهل محمومين فأطعمتهم فأقلعت الحمّى عنهم .

وفي البحار : في الحديث أنّ التفّاح يورث النّسيان[1] ، وذلك لأنّه يولد في المعدة لزوجة .

وعن أحمد بن يزيد قال : كان إذا لسع أحداً من أهل الدّار حيّة أو عقرب قال اسقوه سويق التفّاح .

وقال أبو عبدالله : ما أعرف للسموم دواء أنفع من سويق التفّاح .

وعن أبي بكر قال : رعفت فسئل أبو عبدالله عليه السلام في ذلك فقال : اسقوه سويق التفّاح فسقيناه فانقطع الرعاف .

وفي مخزن الأدوية : التفّاح مفرح ومقوّي للقلب والكبد والدماغ أكلاً وشمّاً ومقوي لفم المعدة ، ومانع من صبّ الفضولات فيها ، ومنبّه للاشتهاء ، ودافع للأخلاط الحارّة عن المعدة وإكثاره مورث للنسيان ، ومولد للرياح ، وتمدّد الأعضاء والاختلاج ومصلحه الدارصين والأغذية اللطيفة ، ومربّاه أحسن من غيره في كلّ أفعاله .

فوائد الكمثرى :

وأمّا الرابع : فقال أبو عبدالله عليه السلام : كُلِ الكُمّثرىٰ فإنّه يجلو القلب ، ويسكّن أوجاع الجوف بإذن الله تعالى .

وقال عليه السلام : الكمّثرى يدبغ المعدة ويقويها هو والسّفرجل سواء وهو على الشبع أنفع منه على الرّيق ، ومن أصابه طخاء فيأكله يعني على الطعام .

وقال الحلبي : قال أبو عبدالله عليه السلام لرجل شكىٰ إليه وجعاً

---

(١) لعلّ المقصود أنّ اكثاره يورث النسيان كما سيأتي في الحديث القادم .

يجده في قلبه وغطاء عليه : كُلِ الكمّثرىٰ .

وفي مخــزن الأدويـة : الكمّثـرى مفـرح وجــالي ومقـوّي للقلب والمعدة ، والهاضمـة ، ومرطب للدمـاغ ، ومعدل للدم ، وملّين للطبـع وقـابض بعـد التليين ، ودافـع لنـزولات الـدمـاغ، وللخفقـان ، ومضـر للمبـرور ، وضعيف المعدة وإكثاره مولـد للنفخ والقـولنج ، ومصلحـه الزنجبيل المربّى ، والرازيانج ، ومنـع من أن يؤكل في خـلاء المعدة أو يشـرب عليه المـاء خصوصـاً البرد منـه ، ومن أكله مـع الـطعـام الغليظ واللحم بـل وقت أكله بعد انحـدار الغذاء ، ومثقـالان من نــواه قـاتـل لدود المعدة ، ومخرج له .

خواص السفرجل والتين والقثاء والباذنجان والقرع والشلجم

فصل في فضل السفرجل والتين والقِثّاء والباذنجان والقرع والشلجم .

أمّا الأوّل : فقال أبو عبدالله عليه السلام : إن الزبير دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وبيده سفرجلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : يا زبير ما هذه بيدك؟ قال : يا رسول الله هذه سفرجلة ،ـ فقال : يا زبير كُلِ السفرجلَ فإنّ فيه ثلاث خصال قال : وما هي يا رسول الله؟ قال (ص) : يجمّ الفؤاد وَيُسَخّي البخيل وَيُشَجِّعُ الجبان .

وفي خبر آخر عن طلحة عن أبي عبدالله أنه قال : إنّ في السفرجل خصلة ليست في سائر الفواكه قلت : وما ذلك يابن رسول الله؟ قال : يُشَجِّعُ الجبان هذا والله من علم الأنبياء .

وفي العيون قال : دخل طلحة على رسول الله صلى الله عليه وآله وفي يد رسول الله سفرجلة قد جاء بها إليه قال : خذها يا أبا محمّد فإنها تجمّ القلب .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً وفي يده سفرجل فجعل يأكل ويُطعمني ، ويقول : كل يا علي فإنّها هدية الجبّار إليّ وإليك قال : فوجدت فيها

كـل لذّة فقـال لي : يا علي من أكـل السفرجـل ثلاثـة أيّام على الـرّيق صفى ذهنه وامتلأ جوفه حلماً وعلماً ووقى من كيد إبليس وجنوده .

وقال : أكل السفـرجل قـوّة للقلب الضعيف ويطيب المعـدة ويزكّي الفؤاد ، ويشجّع الجبان ، ويحسن الولد .

وفي خبر : السّفرجل قوّة القلب وحياة الفؤاد وَيُشَجِّعُ الجبان .

وعن الـرضا عليـه السلام قـال : أتى النبيّ سفرجـلاً فضـرب بيـده إلى سفـرجلة فقطعهـا ، وكـان يحبّـه حبّـاً شـديـداً، فـأكـل وأطعم من بحضـرته من أصحـابه ثم قـال : عليكم بالسفـرجـل فـإنّـه يجلو القلب ويذهب بطحاء الصدر أي في ظلمته .

وفي رواية أُخرىٰ قال : فإنّه يزيد في الذهن ويصفي .

قـال أبـو عبـدالله عليـه السـلام : من أكـل السفـرجلة أنـطق الله الحكمة على لسانه أربعين يوماً .

وقـال سفيان : سمعت جعفـر بن محمـد عليهمـا السـلام يقـول : السفرجل يذهب بهمّ الحزين كما تذهب اليد بعرق الجبين .

وقال : عليكم بالسفرجل فكلوه فإنّه يزيد في العقل والمروّة .

وقـال : كلوا السفرجـل وتهادوا بينكم فـإنّـه يجـلو البصـر ، وينبت المودّة في القلب وأطعموا حبالاكم فإنّه يحسّن أولادكم .

وفي خبـر قـال : يحسن أخـلاق أولادكم وفي آخـر يكـون أطيب ريحاً وأصفى لوناً .

وقـال الصادق عليـه السلام : من أكـل سفرجلة على الـريق طـاب مائه وحسن وجهه .

وعنه عليه السلام : انّه نـظر إلى غلام جميـل فقال عليـه السلام : ينبغي أن يكون أبو هذا أكل سفرجلاً .

وفي مخـزن الأدويـة : السفـرجـل مفـرّح ومقـوّي للقلب والمعـدة وفمهـا ورافع لضعفهـا ومحرّك لـلاشتهاء ، ومـانع من صعـود البخارات إلى الـدمـاغ والقلب ومن عـروض الكسـالـة والـوهن والخفقـان وصب المـواد في المعدة وفمهـا ، ورافع للوسـواس ووجع الـرأس والنـزولات وأفضله في الخواص حلوه وإكثاره مورث للقولنـج في الساعـة ومصلحه العسل ، وشمّه مفرّح ومقوّي لقوى الحيوانيّة والروحانيّة .

وفي التحفة : وإكثاره مسهّل بالعصر خصوصاً بعد الغـذاء وجرمـه مسدّد ، ومصلحه أن يـربى بالعسـل فطلي نـواه في المواضـع المحترق بالنار أو الشمس نافع غاية النفع .

خواص التين :

وأمـا الثاني : فقـال أبو ذر (ره) : أهـدي إلى النبي صلى الله عليه وآلـه طبق عليه تين ، فقـال لأصحابـه : كلوا فلو قلت فاكهـة نـزلت من الجنّـة لقلت هذه لأنهـا فاكهـة بلا عجم فكلوهـا فإنّهـا يقـطع البـواسيـر وينفع من النقرس .

وفي خبر آخر قال : أكل التين أمان من القولنج .

وعن الرضا عليـه السلام قـال : التين يذهب بـالبخر ويشـدّ العظم وينبت الشعر ويذهب بالداء حتّى لا يحتاج معه إلى دواء .

وفي البحـار قـال رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه : كلوا التين الـرطب واليابس فـإنّه يـزيـد في الجمـاع ويقـطع البـواسيـر وينتفـع من النقرس والأبردة .

وقال : أكل التين ملين السد وهو نافع لرياح القولنج فأكثروا فيه بالنهار وكلوه في الليل ولا تكثروا ، وقال : كُلِ التين فإن على كل ناحية منه بسم الله القوي .

وقال : من أحبّ أن يرق قلبه فَلْيُدْمِن أكل البلس يعني التين .

وفي طبّ الرضا عليه السلام : أكل التين يقمل منه الجسد إذا أدمن عليه .

وفي الصافي : في تفسير والتين قيل خصّها من الثمار بالقَسَم لأنّ التين فاكهة طيّبة لا فضلة له ، وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع فإنّه يليّن الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ، ويزيل رمل المثانة ويفتّح سدة الكبد والطحال، ويسمن البدن .

وفي البيان : وإنما أقسم بالتين لأنه فاكهة مخلصة من شائب التنعيض وفيه أعظم العبرة لأنه عزّ اسمه جعلها على مقدار اللقمة وهيّأها على تلك الصفة انعاماً على عباده بها .

وفي طبّ الرضا وأكْلُ التين يقمل منه الجسد إذا أدمن عليه .

وفي التحفة : التين حارّ رطب مبهى مسمن للبدن مقوّي للكبد مسكن للعطش ملين للطبع محلل مسهل بالرفق مفتح للسدد رافع للسعال والبواسير وعسر البول والهزال والخفقان ووجع الصدر والمواد العنفة إلى طرف الجاد ولهذه كان إكثاره مولد للقمل ومع الجوز مؤثر لصاحبه يبوسة الطبع وتفتيح مجاري الغذاء وتسمين البدن كثير الغذاء سريع الانحدار ، ومحروقة لبيض الأسنان بلا عديل ومقدار شرب رطبه رطل ويابسه ثلاثين مثقالاً .

خواص القِثّاء :

وأمـا الثالث : فقـال الصادق عليـه السلام : كـان رسول الله صلى الله عليـه وآله يـأكل القِثّاء بالملح ، وقـال : إذا أكلتم القِثّـاء فكلوه من أسفله . فإنّه أعظم للبركة .

خواص الباذنجان :

وأمّا الرابع : فقال أبـو عبدالله عليـه السلام : كلوا البـاذنجان فـإنّه يُذْهِبُ الداء ولا داء له .

وقـال أبـو الحسن الثـالث لبعض قهـارمتـه : استكثـروا لنـا من الباذنجان فإنّه حـار في وقت الحرارة وبـارد في وقت البرودة معتـدل في الأوقات كلّها ، جيّد على كلّ حال .

وعن عبـدالرحمـان قال : قـال لبعض مـواليـه أقلل لنـا من البصـل وأكثـر لنا من البـاذنجـان فقـال لـه مستفهماً : البـاذنجـان؟ قـال : نعم الباذنجان جـامع الـطعم منفي الداء صـالح للطبيعـة منصف في أحوالـه صـالح للشيـخ والشـابّ معتـدل في حـرارتـه وبـرودتـه حـارّ في مكـان الحرارة ، وبارد في مكان البرودة .

وفي البحـار قال : كلوا البـاذنجان فـإنّهـا شجـرة رأيتهـا في الجنّـة المـأوى شهدت لله بـالحق ولي بالنبـوّة ولعليّ بالـولاية فمن أكلهـا على انّها داء كانت داء ، ومن أكلها على انّها دواء كانت دواء .

وفي التحفة : الباذنجان حار يابس مفتح لسـدد غيره مقـوّي للمعدة مـدر للبـول مسكن للصـداع الحـارة مجفّف للرطـوبـات الغـريبـة مليّن للصـلابات ، ومـع الدهن ملين للطبـع ، ومع الخـلّ قـابض ، ومحسّن لـرائحة العـرق ، ورافع لـرائحة الإبط ، وجـوف الركبـة وهو في نفسـه

مسدّد ومورث للبواسير ومولد للسوداء ومفسد للون الوجه ومصلحه طبخه مع الدهن واللحم السمين والخلّ.

خواص القرع (اليقطين):

وأمّا الخامس: فقال الصادق عليه السلام: كان النبي صلى الله عليه وآله يعجبه الدَبّاء في القدور وهو القرع.

وفي خبر آخر قال: كان النبي يعجبه الدَبّاء ويلتقطه من الصفحة.

وفي آخر قال: كان النبي يعجبه الدَبّاء وكان يأمر نسائه إذا طبخن قدراً فأكثرن فيها من الدَبّاء.

وفي آخر: قال كان فيما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام انّه قال: يا علي عليك بالدباء فَكُلْهُ فإنّه يزيد في الدماغ والعقل.

وفي طبّ النبي قال: كُلِ اليقطين فلو علم الله شجرة أخف من هذا لأنبتها على أخي يونس.

وفي التحفة: القرع طرب بارد ملين للطبع مفتح للسدد مدر للبول، والعرق مسكن للعطش قليل الغذاء وأكله مع المزدرات مؤثّر للسعال وترطيب البدن، والدماغ مولد للنفخ ومضعف للمعدة، ومسقط للاشتهاء، وباعث للقولنج ومصلحه الكمون الذي يقال له بالفارسية زيره والأدوية الحارّة.

خواص الشلجم:

وأمّا السادس: فقال الصادق عليه السلام: عليكم بالشلجم

فكلوه واديمـوا أكله واكتموه إلاّ عن أهله فمـا من أحد إلاّ وبـه عرق من الجذام فاذيبوه بأكله .

وفي التحفـة : هو حـارّ رطب كثير الغـذاء مهيّج للبـاه مـدرّ للبـول مقوّي للباصرة مفتت للحصاة ، رافع للسعال ملين للطبـع والصدر نفـاخ بطيء للهضم مصلحه الكمون والحلويّات .

في خواص الشعير والبُرِّ والهريسة والخَلِّ والجبن والجوز والعسل

فصـل في فضل خبـز الشعير والبُـرّ والهريسـة وخواصّهـا وفي فضل الخلّ والجبن والجوز والعسل .

خبز الشعير . . غذاء الأنبياء :

أمّا الأوّل والثاني : فقال الرضا عليه السلام : فضل الخبـز الشعير على البـرّ كفضلنـا على النـاس ، ومـا من نبيّ إلاّ وقـد دعـا لأكـل الشعير ، وبارك عليه وما دخـل جوفـاً إلاّ وأخرج كـلّ داء فيه وهـو قوت الأنبيـاء ، وطعـام الأبـرار أبى الله تعـالى أن يجعـل قـوت أنبيـائـه إلاّ شعيراً .

وفي خبـر قال : لـو علم الله في شيء شفاء أكثـر من الشعير جعله الله غذاء للأنبياء .

وقال عيص : قلت للصادق عليه السلام: حـديثٌ يُرْوَىٰ عن أبيـك عليه السلام أنّه قال مـا شبع رسـول الله صلى الله عليه وآلـه من خبز بُـرّ قطّ أهو صحيح؟ فقال : لا ما أكـل رسول الله صلى الله عليـه وآله خبـز بُرّ قطّ ولا شبع من خبز شعير قطّ .

وفي تحفة الحكيم : خبز الشعير سريع الهضم قليل الغـذاء مورث للقولنج في المبرودين نفّاخ ومصلحه ماء العسل .

الجَيّدُ من خُبز البُرّ :

وأفضل أفراد خبز البرّ ما يعمل من طحن الحنطة الأبيض المغسولة بالماء المأخوذ منه النخالة حدّ الاعتدال المطبوخ كذلك وحارّه مجفّف للرطوبات ، وبارده مرطّب للبدن ، وجديده سريع الانحدار ، ويابسه بطيء الهضم ومجفّف ، ومع الرازيانج والكمون (الذي يقال له بالفارسيّة زيره) والشونيز (الذي يقال له بالفارسيّة سياه دانه) والحلبة (الذي يقال له بالفارسيّة شنبليله) مشهّي ومفتّح ، ومحلّل للرّياح ، ومجفّف ، ومع الأوّل لا يصير سدّة ومطبوخه مع السكّر من غير دهن خير أقسامه ، ويصير بذلك سريع الهضم .

وأمّا خبز الحنطة الغير المغسولة الغير المأخوذة منه النخالة فهو سريع الانحدار لا يصير سدّة لكنّه مضعّف ومورث للبواسير والجرب ومصلحه الحلويّات والدّهون .

وفي البحار سئل أمير المؤمنين عليه السلام عمّا خلق الله الشعير ، فقال : إنّ الله تبارك وتعالى أمر آدم عليه السلام أن ازرع ممّا اخترت لنفسك أو جاءه جبرئيل قبضة من الحنطة فقبض آدم على قبضة وقبضت حوّاء على أُخرىٰ فقال آدم لحوّاء : ألا تزرعي أنت فلم تقبل أمر آدم فكلّما زرع آدم جاء حنطة وكلّما زرعت حوّاء جاء شعيراً .

خواص الهريسة :

وأمّا الثالث : ففي خبر قال أبو عبدالله عليه السلام : إنّ نبيّاً شكى إلى الله الضعف وقلّة الجماع فأمره بأكل الهريسة .

وفي خبر آخر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله شكى إلى

ربّه وجع ظهره فأمره أن يأكل الحبّ باللحم يعني الهريسة .

وفي ثالث : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أتاني جبرئيل فأمرني بأكل الهريسة ليشتدّ ظهري وقوّى بها على عبادة ربّي .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : عليكم بالهريسة فإنّها تنشط للعبادة أربعين يوماً وهي المائدة الّتي أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفي خبر آخر قال صلى الله عليه وآله : عليكم بالهريسة فإنّها تنشط أربعين يوماً وهي التي نزلت علينا بدل مائدة عيسى .

وقال أبو جعفر : إنّ عمر دخل على حفصة فقال : كيف رسول الله صلى الله عليه وآله فيما فيه الرجال؟ فقالت : ما هو إلّا رجل من الرجال فانف الله لنبيّه صلى الله عليه وآله فأنزل إليه صحفة فيها هريسة من سنبل الجنّة فأكلها فزاد في بضعه بضع أربعين رجلاً .

وعن هشام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ أبا بكر وعمر أتيا أُمّ سلمة فقالا لها : يا أُمّ سلمة إنّك قد كنت عند رجل فكيف رسول الله صلى الله عليه وآله من ذاك؟ فقالت : ما هو إلّا كسائر الرّجال إلى أن قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال : فلمّا كان في السحر هبط جبرئيل بصحفة من الجنّة كان فيها هريسة فقال : يا محمّد هذه عملها لك الحور العين فكلها أنت وعلي وذريّتكما فإنّه لا يصلح أن يأكلها غيركم فجلس رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين فأكلوا منها فأُعطى رسول الله صلى الله عليه وآله في المباضعة من تلك الأكلة قوّة أربعين رجلاً .

وعن أبي الحسن عليه السلام كان رسول الله صلى الله عليه وآله

له بضع أربعين رجلاً وكان عنده تسع نسوة وكان يطوف عليهنّ في كل يوم وليلة .

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : ضعفت عن الصلاة والجماع فنزلت عليَّ قدر من السماء فأكلت منها فزاد في قوّتي قوّة أربعين رجلاً في البطش والجماع وهو الهريسة .

وعن المكارم : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأكل العصيدة من الشعير باهالة الشحم وكان صلى الله عليه وآله يأكل الهريسة أكثر ما يأكل ويتسحّر بها وكان جبرئيل قد جاء بها من الجنّة يستحر بها .

وفي التحفة : هو حارّ رطب مسمن للبدن والكلية مقوّي للعصب والباه موافق للسعال وخشونة الصدر ، كثير الغذاء ، بطيء الهضم ، مسدّد يابس المزاج ومصلحه في المحرورين السكنجبين ، وفي المبرورين العنب وأحسن أقسامه أن يعمل من لحم الدجاج والحنطة .

خواص الخل :

وأمّا الرابع : ففي خبر قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أكل الخلّ قام على رأسه ملك يستغفر له حتى يفرغ .

وفي خبر آخر قال صلى الله عليه وآله : إنّ الله وملائكته يصلّون على خوان عليه ملح وخلّ .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : أحبّ الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله الخلّ .

وقال أبو الحسن الأول عليه السلام : ملك ينادي في السماء اللّهم بارك في الخلالين والمتخلّلين والخلّ بمنزلة الرجل الصالح

يدعو لأهل البيت بالبركة فقلت : جعلت فداك وما الخلّالون والمتخلّلون؟ قال : الذين في بيوتهم الخلّ والّذين يتخلّلون .

وقال عليه السلام : نعم الادام الخلّ اللهمّ بارك في الخلّ فإنّه ادام الأنبياء .

وقال رفاعة : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول الخلّ ينير القلب .

وفي خبر آخر : قال عليه السلام : نعم الخل الادام يكسر المرة ويحيي القلب ويشدّ اللثّة وتقل دواب البيض ، وقال : الاصطباغ بالخلّ يذهب شهوة الزنا .

وفي البحار : الصبغ ما يصبغ به الخبز في الأكل ويختصّ لكلّ ادام مائع كالخلّ ونحوه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : نعم الادام الخلّ ، ولا يفتقر أهل بيت عندهم الخلّ .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا يفتقر بيت فيه خلّ وقد ورد أنّه قال أبو عبدالله عليه السلام : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على أمّ سلمة فقرّبت إليه كسراً فقال : هل عندك ادام؟ قالت : يا رسول الله ما عندي إلاّ خلّ ، فقال صلى الله عليه وآله : نعم الادام الخلّ ما أفقر بيت فيه خلّ .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : نعم الادام الخل ونعم الادام الزيت وهو طيب الأنبياء ، وأدامهم وهو مبارك وما افتقر بيت من أدام فيه خلّ .

وقال الصادق عليه السلام : الخل والزيت من طعام المرسلين .

وقال عليه السلام : خلّ الخمر يشدّ اللثّة ، ويقتل دوابّ البطن ويشدّ العقل .

وفي خبر آخر : قال عليه السلام : عليك بخلّ الخمر فإنّه لا يبقى في جوفك دابّة إلّا قتلها .

وفي الثالث قال : عليك بخلّ الخمر فاغتمس فيه فإنّه لا يبقى في جوفك دابّة إلّا قتلها .

قال المجلسي قدّس سرّه : الاغتماس الارتماس وكأنّه هنا كناية عن كثرة الشرب ، والمعنى غمس اللّقمة فيه عند الايتدام به .

وفي رابع قال : كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الديدان في البطن ، وقد ورد عن مخزن الأدوية أنّ مثقالين من نوى الكمّثرى قاتل لدود المعدة ، ومخرج له وسيأتي أنّ أكل شوي الجوز مع عنزروت لاخراج دود المعدة لا عديل له.

وفيه: الخل قابض مجفف في الغاية سريع النفوذ ، ملطف قاطع للأخلاط الغليظة مفتح للسدد مطيب للبلغم ، معين للهضم محرّك للاشتهاء ، رافع للعطش .

خواص الجبن والجوز :

وأمّا الخامس والسادس : ففي خبر قال الصادق عليه السلام : نعم اللّقمة الجبن يطيب النكهة ويهضم ما قبله ، ويمري ما بعده .

وفي خبر آخر قال : الجبن يهضم ما قبله ويشهى ما بعده .

وروى محمّد بن سماعة ، عن أبيه ، أنه قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : نعم اللقمة الجبن تفطم الفم ، وتطيب النكهة

وتهضم ما قبله ، وتشهى الطعام ومن يعتمد أكله رأس شهر أوشك أن لا تردّ له حاجة .

وفي طبّ النبي : قال كلوا جبناً فإنّه يورث النعاس وهضم الطعام .

وعن عبدالله قال : سئلت أبا جعفر عن الجبن فقال لي : لقد سئلتني عن طعام يعجبني ثم أعطى الغلام درهماً فقال : يا غلام ابتع لنا جبناً ودعا بالغذاء فتغذّينا معه وأتى بالجبن فأكل وأكلنا .

وروى أنّ رجلاً سئل أبا عبدالله عليه السلام عن الجبن فقال : داء لا دواء له فلمّا كان بالعشي دخل الرّجل على أبي عبدالله عليه السلام فنظر إلى الجبن على الخوان فقال : جعلت فداك سألتك بالغداة عن الجبن فقلت لي أنّه داء الذي لا دواء فيه ، والساعة أراه على الخوان؟ قال : فقال له هو ضارّ بالغداة ، ونافع بالعشيّ ويزيد في ماء الظهر .

وفي خبر قال : شيئان ما دخلا جوفاً إلاّ أفسداه : الجبن والقديد .

وفي المكارم : ثلاث يهزلن : اللحم اليابس ، والجبن ، والطلع .

وفي حديث آخر : الجوز ، وفي آخر قال : ثلاث يهدم البدن وربّما قتلن وعدّ منها أكل القديد الغاب .

وقال أبو عبدالله : لئن كان الجبن يضرّ من كل شيء ولا ينفع من شيء فإن السكر ينفع من كل شيء ولا يضرّ من شيء ينفع من سبعين داء يأكل البلغم أكلاً ويقلعه بأصله .

وفي الكافي : روي أنّ مضرة الجبن في قشره وفيه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : أكل الجوز في شدّة الحرّ يهيج الحرّ في الجوف ويهيج القروح على الجسد وأكله في الشتاء يسخن الكليتين ويدفع البرد .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : الجبن والجوز إذا اجتمعا في كلّ واحد منهما شفاء وإن افترقا كان في كلّ واحد منهما داء .

وفي خبر آخر قال : إنّ الجبن والجوز إذا اجتمعا كانا دواء ، وإذا افترقا كانا داء .

وفي آخر في طب النبيّ قال : الجبن والجوز داء فإذا اجتمعا صارا دواء .

وفي مخزن الأدوية : الجبن بضم الجيم والباء وتشديد النون مقوي للمعدة والامعاء والكلية وملين للطبع ، ومولّد للخلط الصالح بطيء الهضم ويعد الهضم سريع السلوك وأكله مع الجوز أو السّعتر مسمّن للبدن غاية التسمين ، وملين للجلد وأحسنه جديده الخارج ماؤه بصبّ الملح عليه . وقديمه قاطع للبلغم ومقوّي للاشتهاء والامعاء ومجفّف للرطوبات ، والجوز كثير الخواص لطيف وملين للطبع ، خصوصاً مع التين ومحلّل ومبهي ومانع من التخمة ، ومقوّي للأعضاء الرئيسة خصوصاً الدماغ ومقوّي للحواسّ الباطنة خصوصاً مع زبيب المنقى والتين الأبيض ، وموافق لمزاج الشيوخ غاية التوافق ، ومسكن للغمص ومربّاه في الخلّ ترياق لضعف المعدة وأكل مشويه مع عنزروت لإخراج دود المعدة لا عديل له ودافع لضرره ومن خواصّه ان الدهن أو اللحم أو غيرهما من الأغذية إذا تغيّر طعمه وفسد فألقى فيه جوز صحيح فغليا رفع عفونته وعاد طعمه .

وقال بعض : ومن خواصّـه أنّه إن دقّ لبّـه في وعاء من النحـاس أو مسح عليه يتـلاشى النحاس وأنّ النـوم في ظلّ شجـره يورث الهـزال ، وإذا استيقظ النائم في ظلّه استيقظ مجبولاً مختلّ الحواس .

خواص العسل :

وأما السابع : فقال عليكم بالعسل فـوالذي نفسي بيـده ما من بيت فيـه عسل إلاّ ويستغفـر الملك لذلـك البيت فإن شـربها رجـل دخل في جوفه ألف دواء وخـرج عنه ألف داء ؛ وإذا مـات وفي جوفـه العسل لم تجب النار .

وقـال : العسل شفـاء من كـلّ داء إذا أخـذتـه من شهـده ، أي إنّ خالصه من الشمع .

وقال : ما استشفى مريض بمثل العسل .

وفي خبر قال : إن يكن في شيء شفاء ففي شربة العسل .

أقـول : الأخبار في فضله كثيـرة وكفى فيـه قـولـه تعـالى : ﴿ فيـه شفـاء للنّاس ﴾[1] ولـه خواصّ كثيـرة أُخرىٰ ذكـروها في كتب الـطبّ ، منها انّه جـال مقطع للبلغم والـرطوبـات ، جاذب لهـا من أعماق البـدن مقوّي للحرارة الغـريزيّـة والاشتهاء والبـاه ومفتح للسّـدد وأفواه العـروق ومـزيل لـلاسترخـاء ، ودافع لفضـول الدمـاغ والصدر ، وقصَبة الـرئـة والمعدة وأنواع الرياح وأحبس أقسـاماً يميـل الحمرة الخـالي من الشمع ودونـه الأبيض منه ومقـدار شربـه إلى خمسـة عشـر مثقـال وأسـوده ومـا جـاوز الستّين منه مـورث للجنـون والأمـراض المهلكـة وهـو مضـرّ بالمحرورين ومصـدع لهم ومفسد لـه دماغهم واكثـار سريـع الاستحالـة

---

(١) سورة النحل، آية : ٦٩ .

بالصفراء مهيّج للأمراض الصفراوية والحارة والعطش المفرط ومصلحه الخلّ وماء الرمّان وسائر الفواكه الحامضة والمربيات الحامضة ، وبدله في الجميع ذلك الدبس والتمر الجيّد ، ومن خواصّه ان طليه على اللحوم والشحوم وغيرها مانع من تعفّنها وحافظ لجثّة الأموات من الفساد .

ومن خواصه المجرّبة أنّ المرأة المتحملة للحمل إذا مزجته بالماء وشربته على الريق فإن عرض عليها المَغَص فهي حامل وإلاّ فلا .

في فضل مخ البيض والثريد والأرز والحمص والعدس والدهن

فصـل : في فضل مـخّ البيض والثـريـد والأرز والحمص والـدهن أما الأول : ففي المكارم عن علي بن محمد قال : شكـوت إلى الرضـا عليه السلام قلّة استمرار الطعام قال: كُلْ مُخّ البيض ففعلت فـانتفعت به .

وفي الكـافي عن أبي عبدالله عليـه السلام قـال : مـخّ البيض خفيف ، والبياض ثقيل .

وعن مـرازم قـال : ذُكِـرَ عند أبي عبـدالله عليه السـلام البيض ، فقال : اما انّـه خفيف يذهب بقـرم اللحم يعني شدّة شهـوة اللّحم وزاد في رواية : وليست له غائلة اللّحم .

وعن عمـر قـال : شكـوت إلى أبي الحسن قلّة الـولـد فقـال لي : استغفر الله وكل البيض بالبصل .

فوائد جمّة في أكل البيض :

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال : من عـدم الولـد فليأكـل البيض وليكثـر منه ، وقـال : إنَّ نبيّـاً من الأنبيـاء شكىٰ إلى الله قلّة النسـل في امّته فأمره الله أن يأمرهـم أن يأكلوا الخبز بالبيض .

وفي خبـر آخـر : قـال شكـا نبيّ من الأنبيـاء إلى الله قلّة النسـل فقال : كل اللحم بالبيض .

وقال أبو الحسن : كثرة أكل البيض تزيد في الولد .

وفي طبّ الرضا : وكثرة أكل البيض وإدمانه يولد الطحال وريحاً في رأس المعدة والامتلاء من البيض المسلوق يورث الربو والابتهار .

وفي مخزن الأدوية : إذا طبخ مخّ البيض نصف الطبخ كان سريع الهضم كثير الغذاء قليل الفضول ، جيد الكيموس ، مقوّي للقلب والدّماغ والبدن والباه ، مصلح للصدر مانع من النزولات الحارّة منه وأكمل أفراد طبخه أن يوضع في وعاء فيضرب ثمّ يدخل فيه قليل من الفلفل ثم يطبخ بالماء نصف الطبخ ، وكثير طبخه بطيء الهضم وإكثار أكله ، والمداومة عليه يولد لحصاة الكلية ، وأمّا بياض البيض فبطيء الهضم ، ومورث للخلط اللزج الغير المطبوخ ومع مخه موافق لمحرور المزاج وضماد بياضه على المحترق بالنار ، والماء الحارّ نافع ، ومانع من نفاطه .

وقال جالينوس : حدّ طبخ البيض بالماء الغلط أن يعد العدد مائة مرّة وبالماء البارد ثلاث مائة مرّة ، ومقدار أكله خمسة إلى خمسة عشر عدداً وأحسنه كبيره الخارج من الدجاج في اليوم وحفظه من الفساد وضعفه في جوف الملح .

خواص الثريد :

وأمّا الثاني : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا أكلتم الثريد فكلوه من جوانبه فإنّ الزروة فيها البركة .

وفي آخر قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تأكلوا من رأس الثريد فإنّ البركة تأتي من رأس الثريد .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : عليك بالثريد فإنّي لم أجد شيئاً أقوى لي منه .

وفي خبر آخر : عليكم بالثريد فإنّي لم أجد شيئاً أرفق منه .

وقال : عليك بالثريد فإنّ فيه بركة فإن لم يكن لحم فالنخل والزيت .

وقال أيضاً : الثريد بركة وطعام الواحد يكفي الاثنين .

وقال صلى الله عليه وآله : ما أحبَّ إليّ من الثريد ، وبارك الله لأمّتي في الثرد .

وفي رواية قال : اللهمّ بارك لأمّتي في الثرد والثريد .

وقال النبي : أوّل من لوّن إبراهيم ، وأوّل من هيشم الثريد هاشم .

وقال بعض : يريد بالثرد هنا ما صغر ، وبالثريد ما كبر ، وقال حماد : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فكلّمه شيخ من أهل العراق فقال : ما لي أرى كلامك متغيّراً؟ فقال : سقطت مقاديم فمي فنقص كلامي إلى أن قال : فقال عليك بالثريد فإنّه صالح واجتنبه السمن فإنّه لا يلائم الشيخ .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : لو أغنى عن الموت شيء لأغنت المثلثة قيل : يا رسول الله وما المثلثة؟ قال : الحسو باللبن .

وقال الصادق عليه السلام : اطفؤا نائرة الضغائن باللّحم والثريد .

وقال المفضّل بن عمر كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فأتى بلون فقال : كُلْ مِنْ هٰذَا فَأَمَّا أنا فما شيء أحبَّ إليَّ من الثريد .

خواص الأرز :

وأما الثالث : ففي الكافي قال أبو عبدالله : نعم الطعام الأرز يوسّع الامعاء ، ويقطع البواسير وإنّا لنغبط أهل العراق بأكلهم الأرز والبُسر فإنّهما يوسّعان الامعاء ، ويقطعان البواسير .

وفي خبر آخر قال : نعم الطعام الأرز وإنّا لنداوي مرضانا بالأرز .

وفي آخر قال : إنّا لندّخره لمرضانا .

وعن حمران قال : كان بأبي عبدالله وجع البطن فأمر أن يطبخ له الأرز ويجعل عليه السّماق فأكله فبرىء .

وفي طبّ النبي صلى الله عليه وآله قال : الأرز في الأطعمة كالسيّد في القوم .

وفي التحفة ومخزن الأدوية : الأرز يابس في الثاني معتدل في الحرارة والبرودة ، وباعث على طول العمر ، وصحّة الجسم كما في الحديث قليل الغذاء أبيضه أكثر غذاء من سائر أقسامه ومع اللبن والسكّر يصير كثير الغذاء ومسهّل ومولد للمني ، ومسمن للبدن ، ومصلح له، ومحسن للون الوجه ، ومولد للخلط الصالح والرؤيا الحسنة ، ورافع للعطش وإكثاره مورث للقولنج والسدّة ، واعتقال الطبخ ومصلحه أكله مع الحلو ، وطريق طبخه أن يوضع في الماء زماناً ثم يدث يدلك دلكاً حسناً ثم يغسل بالماء مرّات ثمّ يطبخ .

فوائد الحمص :

وأمّا الرابع : ففي الكافي عن نادر الخادم قال : كان أبو الحسن

يأكل الحمص المطبوخ قبل الطعام وبعده قال : الحمص جيّد لوجع الظهر .

وعن معاوية قال : قلت لأبي عبدالله إنَّ الناس يرون أنّ النبي قال : إنَّ العدس بارك عليه سبعون نبيّاً فقال : هو الَّذِي يسمّونه عندكم الحمص ونحن نسمّيه العدس .

وفيه عن أبي عبدالله أنه قال : إنَّ الله لما عافا أيّوب نظر إلى بني إسرائيل قد ازدرعت فرفع طرفه إلى السماء وقال : إلٰهي وسيّدي عَبْدُكَ أيّوب المبتلى عافيته ولم يزدرع شيئاً وهذا لبني إسرائيل زرع فأوحى الله إليه : يا أيّوب خُذْ من سبحتك كفّاً فابذره، وكانت سبحته فيها ملح فأخذ أيّوب كفّاً منها فبذره فخرج هذا العدس وأنتم تسمّونه الحمّص ونحن نسمّيه العدس .

وورد أن الحمص قد اجتمعت فيه الخصال الثلاث المولد والمكثر للمني ، وقوّة الباه ، وهو كثير الغذاء .

وفي التحفة ومخزن الأدوية : الحمص أجود الحبوب، وأجوده الأبيض الكبير الحبّة منها حار يابس إلاّ جديده مليّن الطبع مدر للبول والعرق مقوّي للحرارة الغريزيّة مفتّح للسدد مولد للخلط الصالح منه للاشتهاء منه، مسمن للبدن ، مكثر للمني واللبن مبهي مقوّي للرية ، مصلح لوجع الصدر كثير الغذاء ، وأكله بين الطّعامين مُعين على هضمه ، ومولد للرّياح والنفخ ، والثقل ، ومصلحه الكمون والشبنت ، ومن خواصّه أنه إذا أخذ منه بعدد الثاليل في أوّل الهلال وذلك بكلّ واحد منها عدداً منه ثم لفّ المجموع بخرقة وألقاه من بين رجليه أو من فوق كتفه على عقبه لزالت الثواليل في آخر الشهر ، ومن خواصّه أنّه إذا وضع في الماء وبقي حتّى بلّ جوفه ثم أكله من غير أن يطبخ وشرب على أثره

ماء منقوعة مع قليل عسل لصار لاعادة شهوة جماع المايوسين بلا عديل .

خواص العدس :

وأما الخامس : فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أكل العدس يرقّ القلب ويكثر الدمعة .

وفي خبر آخر في الكافي : أن بعض بني إسرائيل شكا إلى الله قسوة القلب وقلّة الدمعة فأوحى الله إليه أن كُلِ العدسَ فَرَقّ قلبُه وجرت دمعته .

وفي آخر : قال الصادق عليه السلام : شكىٰ رجل إلى نبيّ الله صلى الله عليه وآله قساوَةَ القلب فقال له : عليك بالعدس فإنّه يرق القلب ، ويسرع الدمعة .

خواص الدهن :

وأمّا السادس : ففي التحفة : الدهن حار رطب محلّل منضج منقى للبشرة ، وفضولات الدماغ والصدر ، مليّن للجلد ، مسمن للبدن نافع للسرفة والحصاة ، مولد للصفراء في المحرورين ، مرخى للمعدة الضعيفة ، والمزاج البلغمي مضعف للهاضمة ، ومصلحه في المحرورين الحموضات ، وفي المبرودين الجوارش .

الفصل الرابع

في أقسام الطب (1)

(1) نقلنا هذا العرض عن كتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أُصَيْبِعَة ص ١٧ فصاعداً بتصرّفٍ يسيرٍ منّا .

القسم الأول

من أقسام الطب

إنَّ أحد الأقسام في ذلك أنّه قد يكون حصل لهم شيء منها عن الأنبياء والأصفياء ، عليهم السلام ، بما خصّهم اللّه تعالى به من التأييد الإلّهي .

القسم الثاني

أن يكون قد حصل لهم شيء منها بالرؤيا الصادقة ، مثل ما حَكىٰ جالينوس في كتابه في الفصد ، من فصده للعرق الضارب الذي أُمر به . وذلك أنّه قال :

« إنّي أُمِرْتُ في منامي بفصد العرق الضارب الذي بين السبّابة والإبهام من اليد اليمنى ، فلمّا أصبحت فصدت هذا العرق وتركت الدم يجري إلى أن انقطع من تلقاء نفسه ، لأنّي كذلك أُمرت في منامي ، فكان ما جرى أقلّ من رطل[1] ، فسكن عنّي بذلك على المكان وجع كنت أجده قديماً في الموضع الذي يتّصل به الكبد

---

(١) ثقل يوزن به وهو على نوعين : الرطل الشرعي وهو ١/٧ ١٢٨ الدرهم ويعادل بالغرام : ٣٠٩,٢٨١ ، والرطل العراقي وهو ١٣٠ درهماً ، يعادل : ٣١٢,٧١٨ غ. وهو غير الرطل الشامي المعروف والذي يزن اوقيتين ويعادل: ٢٥٦٥,٨٩٠ غ «ن. ر»

بالحجاب ، وكنت في وقت ما عرض لي هذا غلاماً ، قال : وأعرف إنساناً بمدينة فرغامس ، شفاه الله تعالى من وجع مزمن كان به في جنبه ، بفصد العرق الضارب من كفّه ، والّذي دعا ذلك الرجل إلى أن يفعل ذلك رؤيا رآها » .

وقال في المقالة الرابعة عشرة من كتابه « في حيلة البرء » : « قد رأيت لساناً عظم وانتفخ حتّى لم يسعه الفم ، وكان الذي أصابه ذلك رجلاً لم يعتد إخراج الدم قط ، وكان من أبناء ستّين سنة ، وكان الوقت الذي رأيته فيه أول مرّة الساعة العاشرة من النهار ، فرأيت أنّه ينبغي لي أن أسهله بهذا الحب الذي قد جرت العادة باستعماله ، وهو الحب المتّخذ بالصبر[1] ، والقمونيا[2] وشحم الحنظل[3] ، فسقيته الدواء نحو العشاء ، وأشرت عليه أن يضع على العضو العليل بعض الأشياء الّتي تبرّد ، وقلت له افعل هذا حتّى أنظر ما يحدث ،

---

(١) الصبر : عصارة شجر مرّ . وجاء في معجم الشهابي : جنس نباتات من فصيلة الزنبقيات تنبت في البلاد الحارّة ، منها أنواع تزرع في الحدائق للتزيين ، وأخرى كالصبر السقطري (نسبة إلى جزيرة سقطري) يستخرجون من أوراقها اللحمية عصارة راتنجية مرّة تستعمل في الطبّ للاسهال . « ن . ر »

(٢) Convulvulus Scammonia (المفردات) : نوع من النباتات العشبية والنصف خشبية معظمها معترش من فصيلة اللبلاب ، يستخرج منه صمغ راتينجي شديد الاسهال . (ن . ر .)

(٣) نبات معترش ثمرته بحجم البرتقالة والمختار منه أصفره ، وشحمه يسهل البلغم الغليظ المنصب في المفاصل شرباً أو إلقاء في الحقن ، نافع للمالنخوليا والصرع والوسواس وداء الثعلب والجذام ومن لسع الأفاعي والعقارب ، ولوجع السن تبخراً بحبة ، ولقتل البراغيث رشاً بطبخه ، وللنسا دلكاً بأخضره . (ن . ر)

فأقدر المداواة على حسبه . ولم يساعدني على ذلك رجل حضره من الأطباء ، فبهذا السبب أخذ الرجل ذلك الحب ، وتأخّر النظر في أمر ما يداوي به العضو نفسه إلى الغد . وكنا نطمع جميعاً أن يكون قد تبيّن فيه حسن أثر الشيء الذي يداوى به ونجرّبه عليه . إذ كان فيه يكون البدن قد استفرغ كلّه ، والشيء المنصب إلى العضو قد انحدر إلىٰ أسفل .

ففي ليلته رأى في حلمه رؤيا ظاهرة بيّنة ، فحمد مشورتي واتخذ مشورتي مادة في ذلك الدواء ، وذلك انه رأى النائم آمراً يأمره بأن يمسك في فيه عصارة الخس ، فاستعمل هذه العصارة كما أمره وبرأ برءاً تاماً ، ولم يحتج معها إلى شيء آخر يتداوى به» .

وأريباسيوس يحكى في كتابه الكبير أنَّ رجلاً عرض له في المثانة حجرٌ عظيم . قال : وداويته بكل دواء مستصلح لتفتيت الحجر ، فلم ينتفع البتة وأشرف علىٰ الهلاك . فرأىٰ في النوم كأنَّ إنساناً أقبل عليه وفي يده طائر صغير الجُثَّة ، وقال له إنَّ هذا الطائر اسمه صِفراغون[1] ، ويكون بمواضع السباحات والآجام ، فخذه واحرقه وتناول من رماده حتى تسلم مِن هذه العلَّة . فلما انتبه فَعَل ذلك ، فأخرج الحجر من مثانته متفتتاً كالرماد ، وبَرَأَ بُرءاً تامَّاً .

---

(١) بالافرنجية Trogiodyte وهو الوصع : طائر صغير جداً هو أصغر العصافير في العالم القديم واسمه في الشام زكزكه وسكسوكه . وقال الرازي في كتاب الوافي : انه عصفور صغير أصغر من جميع العصافير ، أكثر ما يظهر في الشتاء ، لونه بين الرماد والصفرة ، وفي جناحيه ريش ذهبي ، ومنقاره دقيق ، وفي ذنبه نقط بيض . له حركات دائمة ، وهو دائم الصفير قليل الطيران . وقال الحاوي انه يسمى بالافرنجية صفراعون . (ن . ر) .

قال صاحب عيون الأبناء : ونقلت مِن خَط علي بن رضوان[1] في شرحه لكتاب جالينوس في فرق الطب ما هُذا نَصُّه :

قال : « وقد كان عرض لي منذ سنين صداع مبرح عن امتلاء في عروق الرأس ، ففصدت فلم يسكن ، وأعدت الفصد مراراً وهو باق على حاله ، فرأيت جالينوس في النوم ، وقد أمرني أن أقرأ عليه حيلة البرء، فقرأت عليه منها سبع مقالات فلما بلغت إلى آخر السابعة ، قال : نسيت ما بك من الصداع؟ وأمرني أن أحجم القَمَحْدُوة[2] من الرأس . ثم استيقظت فحجمتها ، فبرأت من الصداع على المكان .

وقال عبدالله بن زهر[3] في كتاب « التيسير » : « انني كنت قد اعتل بصري من قيء بحراني[4] افرط عليَّ ، فعرض لي انتشار في الحدقتين دفعة ، فشغل بذلك بالي ، فرأيت فيما يرى النائم من كان في حياته يعني بأعمال الطب ، فأمرني في النوم بالاكتحال بشراب

---

(١) علي بن رضوان المصري ولد في الجيزة سنة ١٠٦٨ وكان مبصراً على الطرقات ثم تعلم الطب وأصبح طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر ولد في مصر بالجيزة ونشأ بمدينة مصر وكان أبوه فراناً . وأكب على النظر والاشتغال إلى أن ذاع صيته وخدم الحاكم فجعله رئيساً على سائر المتطببين . وكان يرد على معاصريه من الأطباء بسفاهة وتشنيع . وقد أصيب بعقله ، وكانت وفاته في سنة أربعمائة وثلاث وخمسين بمصر في خلافة المستنصر بالله . وله من الكتب الشيء الكثير .

(٢) مؤخر القذال ـ جماع مؤخر الراس ـ من الرأس.

(٣) هو أبو مروان بن أبي العلاء ولد في اشبيلية وقد سمّاه الافرنج Avenzoar . له اختراعات في علم الجراحة . وله كتاب « الاقتصاد » وكتاب « التيسير » البعيد التأثير في الطب الأوروبي .

(٤) دموي خالص (ن. ر).

الورد ، وكنت في ذلك الزمان طالباً قد حذقت ، ولم تكن لي حنكة في الصناعة ، فأخبرت أبي فنظر في الأمر ملياً ثم قال لي : استعمل ما أُمرت به في نومك . فانتفعت به . ثم لم أزل أستعمله إلى وقت وضعي هذا الكتاب في تقوية الأبصار .

أقول : ومثل هذا أيضاً كثير مما يحصل بالرؤيا الصادقة ، فإنه قد يعرض أحياناً لبعض الناس أن يروا في منامهم صفات أدوية ممن يوجدهم إيّاها ، فيكون بها برؤهم ، ثم تشتهر المداواة بتلك الأدوية فيما بعد .

القسم الثالث

أن يكون قد حصل لهم شيء منها أيضاً بالإتفاق والمصادفة ، مثل المعرفة التي حصلت لاندروماخس الثاني في القائه لحوم الأفاعي في الترياق . والذي نشطه لذلك وأفرد ذهنه لتأليفه ، ثلاثة أسباب جرت علىٰ غير قصد ، وهذا كلامه ، قال : « أمّا التجربة الأُولىٰ ، فإنّه كان يعمل عندي في بعض ضياعي في الموضع المعروف ببورنوس ، حراثون يحرثون الأرض للزرع ، وكان بيني وبين الموضع نحو فرسخين[1] ، وكنت أبكر إليهم لأنظر ما يعملون ، وارجع إذا فرغوا ، وكنت أحمل لهم معي على الدابة التي تحت الغلام زاداً وشراباً لتطيب أنفسهم ، ويتجلدوا على العمل . فما زلت كذلك إلى

---

(١) الفرسخ : ثلاثة أميال ، والميل يختلف ١) باعتباره ٤٠٠٠ ذراع شرعي يساوي في القياس المتري ١٩٢٠ متراً . ٢) باعتباره ٣٠٠٠ ذراع أي ١٦٨٠ متراً . وباعتباره ٣٠٠٠ ذراع أي ١٤٤٠ متراً . فيكون الفرسخ على ذلك ١) : ٥٧٦٠ متراً ـ ٢) : ٥٠٤٠ ـ و٣) : ٤٣٢٠ .

أن حملت الغداء في بعض الأيّام ، وكنت قد أخرجت إليهم بستوقة[1] خضراء ، وفيها خمر ، مطينة الرأس لم تفتح ، مع زاد . فلما أكلوا الزاد قدموا البستوقة وفتحوها فلما أدخل أحدهم يده مع كوز ليغرف منها الشراب وجد فيها أفعى قد تهرأ ، فأمسكوا عن الشراب ، وقالوا : إن هٰهنا في هذه القرية رجلاً مجذوماً[2] يتمنّى الموت من شدّة ما به ، فنسقيه من هذا الشراب ليموت ، ويكون لنا في ذلك أجر إذ نريحه من وصبه[3] .

فمضوا إليه بزاد وسقوه من ذلك الشراب ، متيقّنين أنّه لا يعيش يومه ذلك ، فلمّا كان قريب الليل ، انتفخ جسمه نفخاً عظيماً وبقي إلى الغداة ثم سقط عنه الجلد الخارج ، وظهر الجلد الداخل الأحمر ، ولم يزل حتّى صلب جلده وبرأ وعاش دهراً طويلاً من غير أن يشكو علّة ، حتى مات الموت الطبيعي الذي هو فناء الحرارة الغريزية . فهذا دليل على أن لحوم الأفاعي تنفع من الأوصاب الشديدة والأمراض العتيقة في الأبدان .

لحوم الأفاعي تنفع من نهش الأفاعي ! !

وأما التجربة الثانية فإن أخي ابولونيوس كان ماسحاً من قبل الملك على الضياع ، وكان كثيراً ما يخرج إليها في الأوقات الوعرة الرديئة في الصيف والشتاء ، فخرج ذات يوم إلى بعض القرى على سبعة فراسخ ، فنزل يستريح عند أصل شجرة ، وكان الزمان شديد

---

(١) إناء من خزف معرب بستو.

(٢) مصاباً بمرض الجذام ، وهو مرض وخيم ربّما انتهى إلى تقطع أطراف البدن وسقوطها عن تقرح ، ويفسد مزاج الأعضاء وهيئتها .

(٣) مرضه .

الحر ، وانه نام فاجتازته أفعى فنهشته في يده ، وكان قد ألقى يده على الأرض من شدّة تعبه ، فانتبه بفزع وعلم أن الآفة قد لحقته ، ولم يكن به على القيام طاقة ليقتل الأفعى ، وأخذه الكرب والغشي[1] فكتب وصية وضمنها اسمه ونسبه ، وموضع منزله وصفته ، وعلق ذلك على الشجرة ، كي إذا مات واجتاز به إنسان ، ورأى الرقعة يأخذها ويقرأها ويعلم أهله ، ثم استسلم للموت ، وكان بالقرب منه ماء قد حصل منه فضلة يسيرة ، في جوبة[2] في أصل تلك الشجرة التي علق عليها الرقعة ، وكان قد غلبه العطش ، فشرب من ذلك الماء شرباً كثيراً . فلم يلبث الماء في جوفه حتى سكن ألمه، وما كان يجده من ضربة الأفعى ، ثم برأ فبقى متعجّباً ولم يعلم ما كان في الماء ، فقطع عوداً من الشجرة وأقبل يفتش به الماء ، لأنه كره أن يفتشه بيده لئلا يكون فيه أيضاً شيء يؤذيه ، فوجد فيه أفعيين قد اقتتلا ووقعا جميعاً في الماء وتهرءا ، فأقبل أخي إلى منزلنا صحيحاً سالماً أيام حياته ، وترك ذلك العمل الذي كان فيه ، واقتصر بملازمتي ، وكان هذا أيضاً دليلاً على أن لحوم الأفاعي تنفع من نهش «الأفاعي» والحيّات والسباع الضارية .

لحوم الأفاعي تنفع من شرب الأدوية القتّالة المهلكة :

وأما التجربة الثالثة فإنه كان للملك يبولوس غلام ، وكان شريراً[3] غمازاً خماناً[4] فيه كل بلاء ، وكان كبيراً عند الملك يحبّه

---

(١) الاغماء.

(٢) الحفرة المستديرة الواسعة.

(٣) يطعن في الناس.

(٤) يقول بالحدس والظنّ .

لذلك ، وكان قد آذى أكثر الناس ، فاجتمع الوزراء والقوّاد والرؤساء على قتله ، فلم يتهيّأ لهم ذلك لمكانته عند الملك ، فاحتال بعضهم وقال : اذهبوا فاسحقوا وزن درهمين افيونا[1] وأطعموه إيّاه في طعامه ، أو اسقوه في شرابه ، فإنّ الموت السريع يلحق الناس كثيراً ، فإذا مات حملتموه إلى الملك وليس به جراحة ولا قلبة[2] ، فدعوه إلى بعض البساتين ، فلم يتهيأ لهم أن يفعلوا ذلك في الطعام فسقوه في الشراب ، فلم يلبث إلاّ قليلاً أن مات ، فقالوا نتركه في بعض البيوت ونختم عليه ، ونوكل الفعلة بباب البيت ، حتّى نمضي إلى الملك نعلمه أنه قد مات فجأة ليبعث ثقاته ينظرونه ، فلما صاروا بأجمعهم إلى الملك نظر الفعلة إلى أفعى قد خرج من بين الحجر ، ودخل إلى البيت الذي فيه الغلام ، فلم يتهيأ لهم أن يدخلوا خلفه ويقتلوه لأنّ الباب كان مختوماً فلم يلبثوا إلاّ ساعة والغلام يصيح بهم لم قفلتم عليَّ الباب؟ أعينوني قد لسعتني أفعى! ومد الباب من داخل وأعانه قوّام البستان من خارج فكسروه فخرج وليس به قُلْبه . وكان هذا أيضاً دليلاً على أن لحوم الأفاعي تنفع من شرب الأدوية القتالة المهلكة» . هذا جملة ما ذكره اندروماخس .

ومثل هذا أيضاً ، أعني ما حصل بالاتّفاق والمصادفة ، انه كان بعض المرضى بالبصرة ، وكان قد استسقى[3] ويئس أهله من حياته وداووه بوصفات كثيرة من أدوية الأطبّاء ، فيئسوا منه وقالوا لا حيلة في

---

(١) عصير الخشخاش وخاصة الخشخاش الأبيض، وله خاصة مخدرة ومنوّمة .

(٢) الحمرة فيه .

(٣) أصيب بمرض الاستسقاء ، وهو تجمّع الماء في البطن عن مرض.

برئه ، فسمع ذلك من أهله ، فقال لهم : دعوني الآن أتزود من الدنيا وآكل كلّ ما عن لي ولا تقتلوني بالحمية. فقالوا له : كُلْ ما تريد! فكان يجلس بباب الدار فمهما جاز اشترى منه وأكل ، فمرّ به رجل يبيع جراداً مطبوخاً فاشترى منه كثيراً، فلما أكله انسهل بطنه من الماء الأصفر في ثلاثة أيام ما كاد به أن يتلف لافراطه ، ثم انه عندما انقطع القيام زال كل ما كان في جوفه من المرض ، وثابت قوته فبرأ ، وخرج يتصرّف في حوائجه ، فرآه بعض الأطبّاء فعجب من أمره ، وسأله عن الخبر فعرفه ، فقال : إنّ الجراد ليس من طبعه أن يفعل هذا ، فدلني على بائع الجراد فدلّه عليه ، فقال له من أين تصطاد هذا الجراد؟ فخرج به إلى المكان ، فوجد الجراد في أرض أكثر نباتها المازريون[1] ، وهو من دواء الاستسقاء ، وإذا دفع إلى مريض منه وزن درهم أسهل اسهالاً ذريعاً لا يكاد أن يضبط والعلاج به خطر ، ولذلك ما تكاد تصفه الأطبّاء ، فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة ، ونضجت في جوفه ، ثم طبخ الجراد ، ضعف فعلها ، وأكل الجراد فعوفي بسببها .

ومثل هذا أيضاً ، أي مما حصل من طريق المصادفة والاتّفاق أنه كان بافلوللن من سليلة اسقليبيوس ورم حار في ذراعه ، مؤلم ألماً شديداً ، فلما اشفى منه ارتاحت نفسه إلى الخروج إلى شاطىء نهر كان عليه النبات المسمى حي العالم[2] ، وانه وضعها عليه تبرّداً به

(١) جنس من النباتات يستعمل للتزيين وهو بالافرنجية Daphne .

(٢) قال الشهابي في معجمه عن كتاب المفردات : كان القدماء يطلقون لفظ حي العالم على أنواع من جنس Orpin وأنواع من جنس Sempervirum وهو ما سميته المخلدة وهو بالفرنسية Joubarbe . وهو جنس نباتات معمرة للتزيين.

فخف بذلك ألمه ، فاستطال وضع يده عليه ، وأصبح من غد فعمل مثل ذلك فبرأ برءاً تاماً ، فلمّا رأى الناس سرعة بُرئه علموا أنّه إنما كان بهذا الدواء وهو على ما قيل أول ما عرف من الأدوية .

وأشباه هذه الأمثلة التي قد ذكرنا كثيرة .

القسم الرابع

أن يكون قد حصل شيء منها أيضاً بما شاهده الناس من الحيوانات ، واقتدى بأفعالها وتشبه بها وذلك مثل ما ذكره الرازي[1] في كتاب (الخواص) ان الخطاف[2] إذا وقع بفراخه اليرقان[3] ، مضى فجاء بحجر اليرقان ، وهو حجر أبيض صغير يعرفه ، فجعله في عشه فيبرأوا . وإن الإنسان إذا أراد ذلك الحجر طلى فراخه بالزعفران ، فيظنّ أنه قد أصابهم اليرقان ، فيمضي فيجيء به فيؤخذ ذلك الحجر ويعلق على من به اليرقان ، فينتفع به .

وكذلك أيضاً شأن العقاب الأنثى ، انه إذا تعسّر عليها بيضها وخروجه ، وصعب حتى تبلغ الموت ، ورأى ذكرها ذلك طار وأحضر حجراً يعرف بالقلقل ، لأنه إذا حرك تقلقل في داخله ، فإذا كسر لم يوجد فيه شيء ، وكل قطعة منه إذا حركت تقلقلت مثل صحيحه ، وأكثر الناس تعرفه بحجر العقاب ، ويضعه فيسهل على الأنثى

---

(١) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي جالينوس العرب ، وسيأتي الكلام عنه .

(٢) طائر يشبه السنونو طويل الجناحين قصير الرجلين .

(٣) مرض يصيب الزرع والانسان يتغيّر منه لون البدن فاحشاً إلى صفرة أو سواد بجريان الخلط الأصفر والأسود إلى الجلد وما يليه بلا عفونة .

بيضها ، والناس يستعملونه في عسر الولادة على ما استنبطوه من العقاب .

ومثل ذلك أيضاً ان الحيّات إذا أظلمت أعينهن لكمونهنّ في الشتاء في ظلمة بطن الأرض ، وخرجن من مكامنهن في وقت ما يدفأ الوقت طلبن نبات الرازيانج[1] ، وأمررن عيونهن عليه فيصلح ما بها . فلما رأى الناس ذلك وجرّبوه وجدوا من خاصيته اذهاب ظلمة البصر إذا اكتحل بمائه .

وذكر جالينوس في كتابه في الحقن عن ارود وطوس ان طائراً يدعى أيبس[2] هو الذي دلّ على علم الحقن ، وزعم أنّ هذا الطير كثير الاغتذاء لا يترك شيئاً من اللحوم إلاّ أكله ، فيحتبس بطنه لاجتماع الأخلاط الرديئة وكثرتها فيه ، فإذا اشتدّ ذلك عليه توجّه إلى البحر ، فأخذ بمنقاره من ماء البحر ثم أدخله في دبره ، فيخرج بذلك الماء الأخلاط المحتقنة في بطنه ، ثم يعود إلى طعامه الذي عادته الاغتذاء به .

القسم الخامس

أن يكون حصل شيء منها أيضاً بطريق الإلهام كما هو لكثير من

---

(١) من الفارسية وهي الشماز جنس بقول من فصيلة الخيميات جذورها مسهلة (ن ر).

(٢) Ibis طائر مائي طويل الرجلين والعنق ، له منقار طويل ، وهو من طيور البلاد المعتدلة أبيض اللون جسداً أسوده رأساً وعنقاً ومنقاراً ويعرف بالعربية بأبي منجل . وعبده المصريون لأنه يهلك الحيّات التي تغزو ضفاف النيل . وموطنه مصر والشام والعراق واسمه في العراق على ما روي جيزمان سلندر ، وحسب رواية الكرملي : عنز . وعند عامة المصريّين اللقلق الأسود .

الحيوانات ، فإنّه يقال ان البازي إذا اشتكى جوفه عمد إلى طائر معروف يسميه اليونانيون ذريفوس ، فيصيده ويأكل من كبده فيسكن وجعه على الحال .

وكما تشاهد عليه أيضاً السنانير[1] ، فإنّها في أوقات الربيع تأكل الحشيش ، فإن عدمت الحشيش عدلت إلى خوص[2] المكانس فتأكله ، ومعلوم أن ذلك ليس مما كانت تغتذي به أولاً ، وإنما دعاها إلى ذلك الإلهام لفعل ما جعله الله تعالى سبباً لصحّة أبدانها ، ولا تزال كذلك إلى أن تحس بالصحة المأنوس إليها بالطبع ، فتكف عن أكله . وكذلك أيضاً متى نالها أذى من بعض الحيوانات المؤذية ذات السموم ، وأكلت شيئاً منها فإنها تقصد إلى السيرج[3] وإلى مواضع الزيت فتنال منه ، ذلك يسكن عنها سورة[4] ما تجده .

ويحكىٰ أن الدواب إذا أكلت الدفلى[5] في ربيعها أضرّ ذلك بها ، فتسارع إلى حشيشة هي بادزهر[6] للدفلى فترتعيها ، ويكون بها برؤها ، وممّا يحقّق ذلك حالة جرت من قريب ، وهي ان بهاء

---

(١) جمع سنور وهو الهرّ.

(٢) ورق النخل .

(٣) دهن السمسم .

(٤) حدة .

(٥) نبت مرّ لا يأكله شيء ، زهره كالورد ومنه أبيض ، ينبت في شواطىء الأنهار وفي الخرابات ، وقال ابن الأعرابي : من الشجر الدفلي وهو آلاء والألاء والحبن وكله الدفلى .

(٦) هو في الأساس تجمدات مرضية كروية أو بيضية تتكوّن في الحيوانات قالوا انها مضادة للسم .

الـدين بن نفادة الكـاتب حكى انه لمـا كان متـوجّهاً إلى الكـرك[1] كان في طريقه بالطليل وهي منزلة كثيرة نبـات الدفلى ، فنـزل هو وآخـر في مكان منها وإلى جـانبهم هذا النبـات ، فربط الغلمـان دوابهم هنالـك ، وجعلت الـدواب ترعى مـا يقرب منهـا وأكلت من الدفلى ، فـأمّا دوابّـه فإن غلمانه غفلوا عنها فسـابت ورعت من مواضـع متفرّقـة ، وأما دواب الآخر فإنها بقيت في موضعها لم تقدر على التنقّـل منه ، ولمـا أصبحوا وجـدت دوابه في عـافية ودواب الآخـرين قد مـاتت بـأسـرهـا في ذلـك الموضع .

وحكى ديسقوريدس[2] في كتـابه أن المعـزى البريـة باقـريطش إذا رميت بـالنبل وبقيت في أبـدانهـا فـإنهـا تـرعى النبـات الـذي يقـال لـه المشكطرامشير ، وهو نوع من الفـوتنج[3] فيتسـاقط عنها مـا رميت به ، ولم يضرها شيء منه .

وحـدثني القاضي نجم الـدين عمر بن محمـد بن الكـرنـدي ، ان اللقلق يعشش في أعلى القباب والمواضع المرتفعـة ، وان له عـدوّاً من الـطيور يتقصـده أبـداً ، ويـأتي إلى عشـه ويكسـر البيض الـذي فيـه ، قـال : وإن ثم حشيشـة من خـاصيتهـا ان عـدوّ اللقلق إذا شم رائحتهـا يغمى ، فيـأتي بها اللقلق إلى عشّـه ويجعلها تحت بيضـه ، فـلا يقـدر العدو عليها .

---

(١) مدينة اردنيّة كانت قاعدة لدولة الممـاليك ، حصنهـا يشرف على طـريق التجارة والحج .

(٢) طبيب يـوناني في القـرن الأوّل من تـاريخنـا ، أشهـر مؤلّفـاتـه في علم النبات .

(٣) وورد في القاموس الفوذنج وهو ينبت حول المنـاقع ونسمّيـه أيضاً نعنـع الماء، وورد اسمه في معجم الشهابي الفوتنج كما هو هذا .

وذكر أوحد الزمان[1] في المعتبر أنّ القنفذ لبيته أبواب يسدّها ويفتحها عند هبوب الرياح التي تؤذيه وتوافقه . وحُكيَ أنّ إنساناً رأى الحبارى[2] تقاتل الأفعى ، وتنهزم عنها إلى بقلة تتناول منها ، ثم تعود لقتالها ، وإن هذا الإنسان عاينها فنهض إلى البقلة فقطعها عند اشتغال الحبارى بالقتال ، فعادت الحبارى إلى منبتها ففقدتها وطافت عليها فلم تجدها فخرت ميتة ، فقد كانت تتعالج بها ، قال : وابن عرس يستظهر في قتال الحيّة بأكل السّذاب[3] ، والكلاب إذا دودت بطونها أكلت السنبل وتقيّأت واستطلقت[4] ، وإذا جرح اللقلق داوى جراحه بالصعتر الجبلي[5] ، والثور يفرق بين الحشائش المتشابهة في صورها ، ويعرف ما يوافقه منها فيرعاه ، وما لا يوافقه فيتركه ، مع نهمه وكثرة أكله وبلادة ذهنه ، ومثل هذا كثير .

فإذا كانت الحيوانات التي لا عقول لها ألهمت مصالحها ومنافعها ، كان الإنسان العاقل المميّز المكلّف ، الذي هو أفضل من الحيوان أولى بذلك وهذا أكبر حجّة لمن يعتقد أنّ الطب إنما هو الهام وهداية من الله سبحانه لخلقه .

---

(١) أبو البركات هبة الله بن علي ملكا البلدي ولد ببلد ثم أقام ببغداد وكان يهوديّاً فأسلم ، أخذ صناعة الطب عن أبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين وكان شديد الذكاء .

(٢) طائر من طيور البر بعظم الدجاجة طويلة العنق والذنب معتدلة الرجلين ومن أسمائها دجاجة البر (والحبارى في الألفاظ الفارسية المعربة تعريب أبره ، ويقال لها بالفارسية جزر) «عن عجائب المخلوقات» .

(٣) بقل يسمى الفيجن له خواص تستعمل في الطب .

(٤) اسهلت .

(٥) نبات عطر طبي من الفصيلة النعنعية من الشفويات (ن . ر) .

الفصل الخامس

في الأذكياء من الأطباء عبر مختلف الطبقات والهويات

ونودّ أن نلفت انتباهك أيّها القارىء النبيل إلى أنّا سوف نتعرّض في هذا الفصل إلى عدد كبير من الأطباء، الذين عاشوا في عصور مختلفة، وأزمنة متقاربة، ومتباعدة، ممّن كانوا قبل ظهور الإسلام كاليونانيّين و. . . وممّن عاشوا بعد ظهوره (ممّن اعتنقوه واهتدوا بهديه وممّن ابتعدوا عنه ولم يعتنقوه). مشيرين إلى الكثير من قصصهم وحكاياتهم :

المفعومة بفهمهم وذكائهم.

المعبّرة ـ أحياناً ـ عن مدى حذاقتهم ومهارتهم.

والناطقة ـ كثيراً ـ عن سمّوهم واعتلائهم.

والمفهمة ـ تارة ـ عن دقائق سِيَرهم وحالاتهم.

المشعرة. . . عن تضلّعهم واقتدارهم .

والمنبئة عن وفرة حرصهم وحماسهم في سبيل حفظ أمثالهم .

وقد رتّبناهم على ترتيب حروف الهجاء حسب أسمائهم وألقابهم.

الطبيب الذكي
أبقراط

وهو من الأطبّاء اليونانيّين الكبار الذين اسقليبيوس أوّلهم .

وهو من أشرف أهل بيته وأعلاهم نسباً ، وعلى ما في بعض النسخ المنقولة من اليوناني انه ابقراط بن ايراقليدس بن ابقراط بن عنوسيد يقوس بن نبروس بن سوسطراطس بن ثاوذروس بن قلاوموطاداس بن قريساميس الملك . . .

تعلم صناعة الطب من أبيه ايراقليدس ومن جدّه ابقراط ، وهما أسرّا إليه أصول صناعة الطب .

وكانت مدة حياة ابقراط خمساً وتسعين سنة منها صبي ومتعلّم ست عشرة سنة ، وعالم معلّم تسعاً وسبعين سنة ، وكان منذ وقت وفاة اسقليبيوس الثاني وإلى ظهور ابقراط سنتين .

ولمّا نظر ابقراط في صناعة الطب ووجدها قد كادت أن تبيد لقلّة الأبناء المتوارثين لها من آل اسقليبيوس ، رأى أن يذيعها في جميع الأرض ، وينقلها إلى سائر الناس ويعلمها المستحقّين لها حتّى لا تبيد .

فوضع ناموساً عرّف فيه من الذي ينبغي له أن يتعلّم صناعة الطب . ثم وضع وصيّة عرّف فيها جميع ما يحتاج إليه الطبيب في نفسه .

وهذه نسخة العهد الذي وضعه ابقراط[1].

قَسَم ابقراط :

قال أبقراط : « إني أقسم بالله ربّ الحياة والموت ، وواهب الصحّة ، وخالق الشفاء وكل علاج » .

وأقسم باسقلبيوس . وأقسم بأولياء الله من الرجال والنساء جميعاً . وأشهدهم جميعاً على أني أفي بهذه اليمين وهذا الشرط . وأرى أن المعلم لي هذه الصناعة بمنزلة آبائي ، وأواسيه في معاشي ، وإذا احتاج إلى مال واسيته وواصلته من مالي .

« وأما الجنس المتناسل منه فارى أنه مساوٍ لاخوتي ، وأعلمهم هذه الصناعة إن احتاجوا إلى تعلمها بغير أجرة ولا شرط . وأشرك أولادي وأولاد المعلم لي والتلاميذ الذين كتب عليهم الشرط أو حلفوا بالناموس الطبي في الوصايا والعلوم وسائر ما في الصناعة . وأما غير هؤلاء فلا أفعل به ذلك ، وأقصد في جميع التدابير ، بقدر طاقتي ، منفعة المرضى .

« وأما الأشياء التي تضر بهم وتدني منهم بالجور عليهم فامنع منها بحسب رأيي . ولا أعطي إذا طلب مني دواء قتالاً ، ولا أشير أيضاً بمثل هذه المشورة . وكذلك أيضاً لا أرى ان أدنى من النسوة فرزجة[2] تسقط الجنين ، وأحفظ نفسي في تدبيري وصناعتي على الزكاة والطهارة ، ولا أشق أيضاً عمّن في مثانته حجارة ، ولكن أترك ذلك إلى من كانت حرفته هذا العمل ، وكل المنازل التي أدخلها إنما

---

(١) ويدعى قسم ابقراط .

(٢) شيء يتداوى به النساء.

أدخل إليها لمنفعة المرضى ، وأنا بحال خارجة عن كل جور وظلم وفساد اراديّ مقصود إليه في سائر الأشياء ، وفي الجماع للنساء والرجال ، الأحرار منهم والعبيد . وأما الأشياء التي أعاينها في أوقات علاج المرضى أو أسمعها ، في غير أوقات علاجهم في تصرف الناس من الأشياء التي لا ينطق بها خارجاً فأمسك عنها ، وأرى أن أمثالها لا ينطق به .

فمن أكمل هذه اليمين ولم يفسد شيئاً كان له أن يكمل تدبيره وصناعته على أفضل الأحوال وأجملها، وأن يحمده جميع الناس فيما يأتي من الزمان دائماً ، ومن تجاوز ذلك كان بضده » .

ناموس الطب لابقراط :

وهذه نسخة ناموس الطب لابقراط . قال ابقراط :

« إن الطب أشرف الصنائع كلها إلاَّ أن نقص فهم من ينتحلها صار سبباً لسلبّ الناس إيّاها ، لأنه لم يوجد لها في جميع المدن عيب غير جهل من يدعيها ممن ليس بأهل للتسمي بها إذ كانوا يشبهون الأشباح التي يحضرها أصحاب الحكاية ليلهوا الناس بها ، فكما أنها صور لا حقيقة لها ، كذلك هؤلاء الأطباء ، بالاسم كثير ، وبالفعل قليل جدّاً .

« وينبغي لمن أراد تعلّم صناعة الطب أن يكون ذا طبيعة جيّدة مؤاتية ، وحرص شديد ورغبة تامّة ، وأفضل ذلك كلّه الطبيعة لأنها إذا كانت مؤاتية فينبغي أن يقبل على التعليم ولا يضجر لينطبع في فكره ويثمر ثماراً حسنة ، مثل ما يرى في نبات الأرض . أما الطبيعة فمثل التربة ، وأما منفعة التعليم فمثل الزرع ، وأما تربية التعليم فمثل وقوع البزر في الأرض الجيّدة . فمتى قدمت العناية في صناعة الطب بما

كرنا ، ثم صاروا إلى المدن لم يكونوا أطبّاء بالاسم بل بالفعل . والعلم بالطب كنز جيّد وذخيرة فاخرة لمن علمه ، مملوء سروراً ، سرّاً وجهراً ، والجهل به لمن انتحله صناعة سوء ، وذخيرة ردية ، عديم السرور ، دائم الجزع والتهوّر ، والجزع دليل على الضعف ، والتهوّر دليل على قلّة الخبرة بالصناعة .

وصية ابقراط :

وهذه نسخة وصيّة ابقراط المعروفة بترتيب الطب . قال ابقراط :

« ينبغي أن يكون المتعلّم للطب ، في جنسه حرّاً ، وفي طبعه جيّداً ، حديث السن ، معتدل القامة ، متناسب الأعضاء ، جيّد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأي عند المشورة ، عفيفاً شجاعاً ، غير محب للفضة ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون تاركاً له في الغاية ، ولا يكون بليداً .

وينبغي أن يكون مشاركاً للعليل مشفقاً عليه ، حافظاً للأسرار لأنّ كثيراً من المرضى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبّون أن يقف عليها غيرهم .

وينبغي أن يكون محتملاً للشتيمة ، لأنّ قوماً من المبرسمين[1] وأصحاب الوسواس[2] السوداوي يقابلونا بذلك ، وينبغي لنا أن نحتملهم عليه ، ونعلم أنه ليس منهم ، وأن السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعة .

وينبغي أن يكون حلق رأسه معتدلاً مستوياً ، لا يحلقه ولا يدعه

(١) المصابون بالبرسام وهي علّة يهذي فيها .

(٢) حديث النفس والشيطان بما لا نفع ولا خير.

كـالجمة ، ولا يستقصي[1] قصّ أظـافير يـديـه ، ولا يتـركهـا تعلو على أطراف أصابعه .

وينبغي أن تكـون ثيـابـه بيضـاء نقيـة لينـة ، ولا يكـون في مشيـه مستعجـلاً، لأنّ ذلك دليـل على الطيش ، ولا متبـاطئـاً لأنـه يـدلّ على فتور النفس . وإذا دعي إلى المريض فليقعـد متربّعـاً ويختبر منـه حالـه بسكون وتأن ، لا بقلق واضـطراب ، فإنّ هـذا الشكل والـزي والترتيب عندي أفضل من غيره» .

جالينوس يصف ابقراط :

قال جالينوس ، في المقالة الثالثة من كتابه في أخلاق النفس :

« إنّ أبقـراط كان يعلم مـع ما كـان يعلم من الطب من أمـر النجوم مـا لم يكن يدانيـه فيه أحـد من أهل زمـانـه . وكـان يعلم أمـر الأركـان التي منهـا تركيب أبـدان الحيـوان ، وكـون جميـع الأجسـام التي تقبـل الكـون والفساد ، وفسـادها . وهـو أول من برهن ببـراهين حقيقـة هـذه الأشيـاء التي ذكرنـا . وبرهن كيف يكـون المرض والصحّة في جميـع الحيـوان وفي النبات . وهـو الـذي استنبط أجنـاس الأمـراض وجهـات مداواتها .

أقول : « فأما معالجة أبقراط ومداواته للأمراض فإنه أبـداً كانت لـه العنـاية البـالغة في نفـع المـرضىّ وفي مـداواتهم . ويقـال إنّـه أول من جدّد البيمارستان[2] واخترعه وأوجده . وذلك انّه عمل بالقـرب من داره في مـوضع من بستـان كان لـه ، موضعـاً مفرداً للمـرضى، وجعـل فيـه

---

(١) يبلغ الغاية في .

(٢) المكان المعد لمداواة المرضى .

خدماً يقومون بمداواتهم ، وسمّاه أخسندوكين أي : مجمع المرضى - وكذلك أيضاً معنى لفظة البيمارستان ، وهو فارسي ، وذلك ان البيمار بالفارسي هو المريض ، وستان هو الموضع ، أي : موضع المرضى .

ولم يكن لأبقراط دأب على هذه الوتيرة ، في مدّة حياته وطول بقائه ، إلاّ النظر في صناعة الطب وإيجاد قوانينها ومداواة المرضى ، وايصال الراحة إليهم وانقاذهم من عللهم وأمراضهم . وقد ذكر كثيراً من قصص مرضى عالجهم في كتابه المعروف بأبيديميا وتفسير أبيديميا الأمراض الوافدة .

ابقراط لم يخدم لأجل المال :

ولم يكن لأبقراط رغبة في خدمة أحد من الملوك لِطَلَبِ الغِنى ، ولا في زيادة مال يفضل عن احتياجه الضروري . وفي ذلك قال جالينوس : « إن ابقراط لم يجب أحد ملوك الفرس العظيم الشأن المعروف عند اليونانيين بأرطخششت[1] ، - وهو أردشير الفارسي جد دارا بن دارا - فإنه عرض في أيّام هذا الملك للفرس وباء ، فوجه إلى عامله بمدينة فاوان أن يحمل إلى أبقراط مائة قنطار ذهباً ويحمله بكرامة عظيمة وإجلال ، وأن يكون هذا المال تقدمة له ، ويضمن له اقطاعاً بمثلها . وكتب إلى ملك اليونانيين يستعين به على إخراجه إليه ، وضمن له مهادنة سبع سنين متى أخرج أبقراط إليه . فلم يجب أبقراط إلى الخروج عن بلده إلى الفرس . فلما ألحّ عليه ملك اليونانيين في الخروج قال له أبقراط : « لست أبدل الفضيلة بالمال » . ولما عالج بردقس[2] الملك من أمراض مرضها لم يقم

---

(١) ملك الفرس حكم من سنة ٤٦٥ إلى ٤٢٥ قبل المسيح .

(٢) ملك مقدونيا.

عنده دهره كلّه . وانصرف إلى علاج المساكين والفقراء الذين كانوا في بلدته ، وفي مدن أُخرىٰ وان صغرت . ودار هو بنفسه جميع مدن اليونانيين ، حتىٰ وضع لهم كتاباً في الأهوية والبلدان . قال جالينوس : ومن هذه حاله ليس إنما يستخف بالغنى فقط ، بل بالخفض[1] والدعة[2] ، ويؤثر التعب والنصب[3] عليها في جنب الفضيلة .

ابقراط مع بهمن بن أردشير :

ومن بعض التواريخ القديمة ان ابقراط كان في زمن بهمن ابن أردشير وكان بهمن قد اعتل ، فأنفذ إلى أهل بلد أبقراط يستدعيه فامتنعوا من ذلك ، وقالوا ان اخرج أبقراط من مدينتنا ، خرجنا جميعاً وقتلنا دونه ، فرقّ لهم بهمن وأقرّه عندهم . وظهر أبقراط سنة ستّ وتسعين لبختنصر[4] وهي سنة أربع عشرة للملك بهمن .

حكاية أبقراط مع افليمون :

قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل : ورأيت حكاية طريفة لأبقراط استحلينا ذكرها لندلّ بها على فضله ، وذلك أن أفليمون صاحب الفراسة[5] كان يزعم في فراسته أنه يستدل بتركيب الإنسان على أخلاق نفسه ، فاجتمع تلاميذ أبقراط وقال بعضهم

---

(١) لين العيش وسعته.

(٢) الترفه.

(٣) البلاء والشرّ.

(٤) ملك الكلدانيين (٦٠٤ ـ ٥٦١).

(٥) علم ادراك الباطن من نظر الظاهر.

لبعض : هل تعلمون في دهرنا أفضل من هذا المرء الفاضل؟ فقالوا ما نعلم . فقال بعضهم ، تعالوا نمتحن به أفليمون فيما يدعيه من الفراسة فصوّروا صورة ابقراط ، ثم نهضوا بها إلى أفليمون . فقالوا له : أيّها الفاضل ، انظر هذا الشخص واحكم على أخلاق نفسه من تركيبه . فنظر إليه ، وقرن أعضاءه بعضها ببعض ، ثم حكم ، فقال : رجل يحبّ الزنا . فقالوا له : كذبت ، هذه صورة ابقراط الحكيم . فقال لهم : لا بدّ لعلمي أن يصدق ، فاسألوه فإنّ المرء لا يرضى بالكذب . فرجعوا إلى أبقراط وأخبروه بالخبر وما صنعوا وما قال لهم أفليمون ، فقال أبقراط : صدق أفليمون! أحبّ الزنا ولكني أملك نفسي .

فهذا يدل على فضل أبقراط وملكه لنفسه ، ورياضته لها بالفضيلة . أقول : وقد تنسب هذه الحكاية إلى سقراط الفيلسوف وتلامذته .

معنى اسم أبقراط :

فأما تفسير اسم أبقراط فإن معناه ضابط الخيل ، وقيل معناه ماسك الصحّة ، وقيل ماسك الأرواح . وأصل اسمه باليونانية ايفوقراطيس ، ويقال هو بقراطيس ، وإنما العرب عادتها تخفيف الأسماء واختصار المعاني ، فخففت هذا الاسم فقالوا أبقراط وبقراط أيضاً . وقد جرى ذلك كثيراً في الشعر ويقال أيضاً بالتاء أبقرات وبقرات .

وقال المبشر بن فاتك في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » :

صفات أبقراط :

إن أبقراط كان ربعة ، أبيض ، حسن الصورة ، أشهل العينين ، غليظ العظام ، ذا عصب ، معتدل اللحية أبيضها ، منحني الظهر ، عظيم الهامة ، بطيء الحركة . إذا التفت التفت بكليته ، كثير الأطراق ، مصيب القول ، متأنياً في كلامه ، يكرّر على السامع منه . ونعلاه أبداً بين يديه إذا جلس ، وان كُلِّم أجاب وإن سُكت عنه سأل ، وإن جلس كان نظره إلى الأرض ، معه مداعبة ، كثير الصوم ، قليل الأكل ، بيده أبداً اما مبضع[١] وإمّا مرود[٢] .

وقال حنين بن إسحاق ، في كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء : انّه كان منقوشاً على فصّ خاتم أبقراط : « المريض الذي يشتهي أرجى عندي من الصحيح الذي لا يشتهي شيئاً » .

أبقراط مات مفلوجاً :

ويقال : إنّ أبقراط مات بالفالج وأوصى أن يدفن معه درج[٣] من عاج لا يعلم ما فيه ، فلما اجتاز قيصر الملك بقبره رآه قبراً ذليلاً ، فأمر بتجديده لأنه كان من عادة الملوك أن يفتقدوا أحوال الحكماء في حياتهم وبعد وفاتهم ، لأنهم كانوا عندهم أجل الناس وأقربهم إليهم . فأمر قيصر الملك بحفره ، فلمّا حفره لينظر إليه استخرج الدرج ، فوجد فيه الخمس والعشرين قضيّة في الموت التي لا يعلم العلّة فيها

---

(١) آلة البضع وهي سكين الجراح.

(٢) الميل يكتحل به.

(٣) الدرج : سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأدواتها وعم به مجمع مصر كل وعاء غير منقول لكتب أو غيرها وترجم به Tiroir وتطلق عليه العامة الجارور.

لأنه حكم فيها بالموت إلى أوقات معيّنة وأيام معلومة . وهي موجودة بالعربي .

ويقال ان جالينوس فسرها، وهذا مما استبعده ، وإلاّ فلو كان ذلك حقاً ووجد تفسير جالينوس لنقل إلى العربي كما قد فعل ذلك بغيره من كتب ابقراط التي فسّرها جالينوس ، فإنها نقلت بأسرها إلى العربي .

بعض كلمات أبقراط الحكمية :

ومن ألفاظ أبقراط الحكيمة ونوادره المفردة في الطب ، قال أبقراط : الطب قياس وتجربة .

وقال : لو خلق الإنسان من طبيعة واحدة لما مرض أحد لأنه لم يكن هناك شيء يضادها فيمرض .

وقال : العادة إذا قدمت صارت طبيعة ثانية . والزجر والفأل حسّ نفساني .

وقال : احذق الناس بأحكام النجوم أعرفهم بطبائعها وآخذهم بالتشبيه .

وقال : الإنسان ما دام في عالم الحس فلا بدّ من أن يأخذ من الحس بنصيب قلّ أو كثر .

وقال : كلّ مرض معروف السبب موجود الشفاء .

وقال: إن الناس اغتذوا في حال الصحّة بأغذية السباع فأمرضتهم ، فغذوناهم بأغذية الطير فصحّوا .

وقال : إنّما نأكل لنعيش، ولا نعيش لنأكل .

وقال : لا تأكل حتّى تؤكل .

وقال : يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه ، فإن الطبيعة تفزع إلى عادتها .

وقال : الخمرة صديقة الجسم ، والتفّاحة صديقة النفس .

وقيل له : لِمَ أثورُ ما يكون البدن إذا شرب الإنسان الدواء؟ قال : لأنّ أشد ما يكون البيت غباراً إذا كنس .

وقال : لا تشرب الدواء إلاّ وأنت محتاج إليه ، فإن شربته من غير حاجة ولم يجد داء يعمل فيه وجد صحّة يعمل فيها فيحدث مرضاً .

وقال : مَثَلُ المني في الظهر كَمَثَل الماء في البشر ، إن نزفته فار وإن تركته غار .

وقال : إنّ المجامع يقتدح من ماء الحياة . وسئل في كم ينبغي للإنسان أن يجامع؟ قال : في كل سنة مرّة! قيل له : فإن لم يقدر؟ قال : في كلّ شهر مرّة . قيل له : فإن لم يقدر؟ قال : في كلّ أسبوع مرّة . قيل له: فإن لم يقدر؟ قال : هي روحه أيّ وقت شاء يخرجها .

أمهات لذات الدنيا . .

وقال : أمّهات لذّات الدنيا أربع : لذّة الطعام ، ولذّة الشراب ، ولذّة الجماع ، ولذّة السماع ، فاللّذات الثلاث لا يتوصل إليها ولا إلى شيء منها إلاّ بتعب ومشقّة ولها مضارّ إذا استكثر منها ، ولذّة السماع قلّت أو كثرت صافية من التعب ، خالصة من النصب .

ومن كلامه قال : إذا كان الغدر بالناس طباعاً ، كانت الثقة بكل

أحد عجزاً ، وإذا كان الرزق مقسوماً ، كان الحرص باطلاً .

وقال : قلّة العيال أحد اليسارين .

وقال : العافية ملك خفي لا يعرف قدرها إلّا من عدمها .

وقيل له : أيّ العيش خير؟ فقال : الأمن مع الفقر ، خير من الغنى مع الخوف .

ورأى قوماً يدفنون امرأة فقال : نعم الصهر صاهرك .

حكاية تعليمه لشاب فطن :

وحكى عنه أنه أقبل[1] بالتعليم على حدث من تلامذته ، فعاتبه الشيوخ على تقديمه إيّاه عليهم ، فقال لهم : ألا تعلموا ما السبب في تقديمه عليكم؟ قالوا : لا. فقال لهم : ما أعجب ما في الدنيا؟ فقال أحدهم : السماء والأفلاك والكواكب . وقال آخر : الأرض وما فيها من الحيوانات والنبات . وقال آخر : الإنسان وتركيبه . ولم يزل كل واحد منهم يقول شيئاً وهو يقول لا . فقال للصبي : ما أعجب ما في الدنيا؟ فقال : أيّها الحكيم ، إذا كان كلّ ما في الدنيا عجباً فلا عجب . فقال الحكيم: لأجل هذا قدّمته ، لفطنته .

ومن كلامه قال : محاربة الشهوة أيسر[2] من معالجة العلّة .

وقال : التخلّص من الأمراض الصعبة صناعة كبيرة .

حكاية دخوله على عليل :

ودخل على عليل فقال : أنا والعلّة وأنت ثلاثة : فإن أعنتني

---

(١) أقبل عليه أي : ولّاه قبل وجهه، وكفله.

(٢) أهون .

عليها بالقبول منّي لما تسمع صرنا اثنين ، وانفردت العلّة فقوينا عليها، والاثنان إذا اجتمعا على واحد غلباه .

جامع العلم عند أبقراط :

ولما حضرته الوفاة قال : خذوا جامع العلم منّي : من كثر نَوْمُه ولانت طبيعتُه ، ونديت جلدتُه طال عمره .

ومن كلامه ، ممّا ذكره حنين بن اسحاق في كتاب نوادر الفلاسفة ، انّه قال : منزلة لطافة القلب في الأبدان ، كمنزلة النواظر في الأجفان .

للقلب آفتان :

وقال : للقلب آفتان وهما الغمّ والهم ، فالغم يعرض منه النوم ، والهم يعرض منه السهر . وذلك بأنّ الهم فيه فكر في الخوف بما سيكون ، فمنه يكون السهر ، والغم لا فكر فيه ، لأنه إنما يكون بما قد مضى وانقضى . وقال : القلب من دم جامد ، والغم يهيج الحرارة الغريزيّة ، فتلك الحرارة تذيب جامد الدم ، ولذلك كره الغم خوف العوارض المكروهة التي تهيج الحرارة ، وتحمي المزاج ، فيحل جامد الدم ، فينتقض التركيب .

كلمات مفيدة أُخرىٰ :

وقال : من صحب السلطان فلا يجزع من قُوّته ، كما لا يجزع الغَوّاصُ من ملوحة البحر .

وقال : من أحبّ لنفسه الحياة أماتها .

وقال : العلم كثير والعمر قصير ، فخذ من العلم ما يبلغك قليله إلى كثيره .

وقال : إنّ المحبة قد تقع بين العاقلين من باب تشاكلهما[1] في العقل ، ولا تقع بين الأحمقين من باب تشاكلهما في الحمق .

لأنّ العقل يجري على ترتيب فيجوز أن يتّفق فيه اثنان على طريق واحد ، والحمق لا يجري على الترتيب فلا يجوز أن يقع به اتّفاق بين اثنين .

أبقراط يصف العشق :

ومن كلامه في العشق قال : « العشق طمع يتولّد في القلب وتجتمع فيه مواد من الحرص . فكلما قوي ازداد صاحبه في الاهتياج واللجاج وشدّة القلق وكثرة السهر ، وعند ذلك يكون احتراق الدم ، واستحالته إلى السوداء[2] ، والتهاب الصفراء وانقلابها إلى السوداء ، ومن طغيان السوداء فساد الفكر ، ومع فساده يكون الفدامة[3] ، ونقصان العقل ، ورجاء ما لم يكن ، وتمنى ما لم يتم حتى يؤدّي ذلك إلى الجنون . فحينئذٍ ربما قتل العاشق نفسه ، وربما مات غمّاً . وربما وصل إلى معشوقه فيموت فرحاً أو أسفاً . وربّما شهق شهقة فتختفي منها روحه أربعاً وعشرين ساعة . فيظنّ أنه قد مات فيقبر وهو حيّ . وربما تنفس الصعداء[4] فتختنق نفسه في تامور[5] قلبه ، ويضم عليها القلب فلا تتفرج حتى يموت . وربما ارتاح وتشوّق للنظر ، ورأى من يجب فجأة فتخرج نفسه فجأة دفعة واحدة .

---

(١) التباسهما .

(٢) من اخلاط البدن الأربعة منشؤها من الطحال .

(٣) العي عن الحجّة مع قلّة فهم .

(٤) التنفّس الطويل من همّ أو تعب ، أو هو تنفّس محدود .

(٥) غلاف القلب .

ويصف العاشق :

وأنت ترى العاشق إذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه ، وزوال ذلك عمّن هذه حاله بلطف من ربّ العالمين لا بتدبير من الآدميّين . وذلك انّ المكروه العارض من سبب قائم منفرد بنفسه يتهيّأ التلطّف بإزالته بإزالة سببه . فإذا وقع السببان وكل واحد منهما علّة لصاحبه ، لم يكن إلى زوال واحد منهما سبيل وإذا كانت السوداء سبباً لاتصال الفكر ، وكان اتّصال الفكر سبباً لاحتراق الدم والصفراء وميلهما إلى السوداء . والسوداء كلما قويت قوت الفكر ، والفكر كلما قوى قوي السوداء . فهذا الداء العياء الذي يعجز عن معالجته الأطبّاء » .

المناهج الخمسة لمعالجة الجسد :

ومن كلامه قال : الجسد يعالج جملة من خمسة أضرب : ما في الرأس بالغرغرة ، وما في المعدة بالقيء ، وما في البدن بإسهال البطن ، وما بين الجلدين بالعرق ، وما في العمق وداخل العروق بإرسال الدم .

وقال : الصفراء[١] هنّتها المرارة[٢] وسلطانها[٣] في الكبد والبلغم[٤] بيته المعدة وسلطانه في الصدر ، والسوداء بيتها الطحال[٥] وسلطانها في القلب . والدم بيته القلب وسلطانه في الرأس .

---

(١) المرة وهي من اخلاط البدن الأربعة.

(٢) هنة ـ شبه كيس ـ لاصقة بالكبد فيها ماء أخضر مرّ.

(٣) هنا بمعنى مقرّها ومكان تكوّنها.

(٤) من أخلاط البدن.

(٥) من الأحشاء كائن في الجهة اليسرى بين المعدة والأضلاع الكاذبة.

وقال لتلميذ له : ليكن أفضل وسيلتك إلى الناس محبّتك لهم والتفقّد لأمورهم ، ومعرفة حالهم ، واصطناع المعروف إليهم .

ومن كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم ، للمبشر بن فاتك من كلام أبقراط أيضاً وآدابه قال: استدامة الصحّة تكون بترك التكاسل عن التعب ، وبترك الامتلاء عن الطعام والشراب .

وقال : إن أنت فعلت ما ينبغي على ما ينبغي أن يُفعل فلم يكن ما ينبغي ، فلا تنتقل عمّا أنت عليه ما دام ما رأيته أوّل الأمر ثابتاً .

وقال : الإقلال من الضار خير من الإكثار من النافع .

وقال : ليس معي من فضيلة العلم إلاّ علمي بأنّي لست بعالم .

وقال : اقنعوا بالقوت ، والغوا عنكم اللجاجة ، لتكون لكم قربى إلى الله عزّ وجلّ ، لأن الله سبحانه وتعالى غير محتاج إلى شيء ، فكلما احتجتم أكثر كنتم منه أبعد . واهربوا من الشرور ، ذروا[1] المآتم ، واطلبوا من الخيرات الغايات .

وقال : المالك للشيء هو المسلّط عليه ، فمن أحبّ أن يكون حرّاً فلا يهو ما ليس له ، وليهرب منه وإلاّ صار له عبداً .

وقال : ينبغي للمرء أن يكون في دنياه كالمدعوّ في الوليمة . إذا أتته الكأس تناولها ، وإن جازته[2] لم يرصدها[3] ولم يقصد لطلبها . وكذلك يفعل في الأهل والمال والولد .

وقال لتلميذ له : إن أحببت أن لا تفوتك شهوتك فاشته ما يمكنك .

---

(١) دعوا واتركوا.

(٢) تعدته.

(٣) يرقبها.

وسئل عن أشياء قبيحة فسكت عنها ، فقيل له : لِمَ لا تجيب عنها ؟ فقال : جوابها السكوت عنها .

وقال : الدنيا غير باقية ، فإذا أمكن الخير فاصطنعوه ، وإذا عدمتم ذلك فتحمدوا ، واتّخذوا من الذكر أحسنه .

وقال : لولا العمل لم يطلب العلم ، ولولا العلم لم يطلب العمل ، ولأن ادع الحق جهلاً به أحبّ إليَّ من أن أدعه زهداً فيه .

وقال : لا ينبغي أن تكون علّة صديقك وإن طالت آلم به من تعاهدك له .

وكان يقول العلم روح والعمل بدن ، والعلم أصل والعمل فرع ، والعلم والد والعمل مولود ، وكان العمل لمكان العلم ، ولم يكن العلم لمكان العمل . وكان يقول : العمل خادم العلم والعلم غاية ، والعلم رائد والعمل مرسل .

وقال : اعطاء المريض بعض ما يشتهيه أنفع من أخذه بكلّ ما لا يشتهيه » .

أقول : وأبقراط هو أوّل من دوّن صناعة الطب ، وشهرها وأظهرها كما قلنا من قبل . وجعل أسلوبه في تأليف كتبه على ثلاث طرق التعليم : احداها على سبيل اللغز ، والثانية على غاية الايجاز والاختصار ، والثالثة على طريق التساهل والتبيين .

والذي انتهى إلينا ذكره ووجدناه من كتب أبقراط الصحيحة يكون نحو ثلاثين كتاباً ، والذي يدرس من كتبه لمن يقرأ صناعة الطب ، إذا كان درسه على أصل صحيح وترتيب جيّد ، اثنا عشر كتاباً وهي المشهورة من سائر كتبه . راجع التفصيل إلى كتاب عيون الأنباء ص ٥٤ فصاعداً .

الطبيب الذكي
أسعد بن إلياس الدّمشقي(1)

(يقول صاحب الأعيان نقلاً عن عيون الأنباء) حدّثني شيخنا مهذّب الدّين قال : كان أسد الدّين شيركوه صاحب حمص قد طلب ابن المطران فتوجه إليه وكنت معه فاستقبله في الطريق رجل مجذوم وقد تغيرت خلقته ، فاستوصفه دواء فقال كل لحوم الأفاعي فعاوده المسألة فقال كل لحوم الأفاعي فلما رجعنا وإذا بشاب حسن الصورة قد سلّم علينا فلم نعرفه فأخبر أنه هو المجذوم أكل لحوم الأفاعي فصلح .

وحدثني أيضاً أنه كان معه في البيمارستان الذي أنشاه نور الدين بن زنكي فكان من جملة المرضى رجل به استسقاء زقي فقصد إلى بزله فخرج منه ماء أصفر وابن المطران يتفقد نبضه فلما رأى أن قوته لا تفي بإخراج أكثر من ذلك أمر بشد الموضع وأن يستلقي المريض ولا يغير الرباط وأوصى زوجته بعدم تغييره إلى اليوم الثاني فلما انصرفنا قال المريض لزوجته قد وجدت العافية وما بقي شيء وطلب منها حل الرباط فامتنعت فعاودها إلى أن حلّت الرباط وخرجت بقية الماء فهلك .

---

(1) موفق الدين أبو نصر أسعد بن أبي الفتح الياس بن جرجس المطران الدمشقي. ولد بدمشق ونشأ بها وتوفي في ربيع الأول سنة ٥٨٧ بدمشق .

وحدثني أيضاً أنه رأى في البيمارستان مع ابن المطران رجلاً قد فلجت يده من أحد شقي البدن ورجله من الشق الآخر فعالجه بالأدوية الموضعية فصلح .

تشيّعه :

ليس في ترجمته التي في عيون الأنباء على طولها ما يشعر بتشيعه ولكن في النجوم الزاهرة ما يدل على تشيعه وهذا غريب مع كونه في خدمة صلاح الدين وأسلم في زمانه قال : وكان يصحبه صبي حسن الصورة اسمه عمر وكان الموفق يحب أهل البيت ويبغض ابن عنين الشاعر لخبث لسانه وكان يحرض السلطان صلاح الدين عليه ويقول له أليس هو القائل :

سلطاننا أعرج وكاتبه ... أعمش والوزير منحدب

فهجاه ابن عنين بقوله :

قالوا الموفق شيعي فقلت لهم ... هذا خلاف الذي للناس منه ظهر

فكيف يجعل دين الرفض مذهبه ... وما دعاه إلى الإسلام غير عمر

إحسانه إلى أهل صناعة الطب :

(في عيون الأنباء) انه كان كثير الاشتمال على أهل هذه الصناعة الطبية والحكمية يقدمهم ويتوسط في ارزاقهم . أخبرني الفقيه اسماعيل بن صالح بن البنا القفطي خطيب عيذاب قال لما فتح صلاح الدين الساحل أتيت لزيارة البيت المقدس فلما حصلت بالشام رأيت جبالاً مشجرة بعدة براري عيذاب المصحرة فاشتقت إلى سكنى الشام ، وتحيّلت في الرزق به فأتيت القاضي الفاضل عبدالرحيم فكتب لي كتاباً إلى السلطان بتوليتي خطابة قلعة الكرك فلما أتيت

دمشق أشير عليّ بعرضه على ابن المطران فدخلت عليه بإذن فرأيته حسن الخلقة والخلق لطيف الاستماع والجواب ورأيت داره في غاية الحسن والتجمل حتى ان أنابيب الماء فيها من ذهب ورأيت له غلاماً يتحجب بين يديه اسمه عمر في غاية جمال الصورة وسألته حاجتي فأنعم بإنجازها . ولما فتح صلاح الدين الكرك أتى إلى دمشق الحكيم يعقوب بن سقلاب النصراني وهو بزي أطباء الفرنج فقصد ابن المطران لعله ينفعه فأشار عليه أن يغير زيه إلى زي أطباء بلاد الإسلام ، وأعطاه ما يلبسه وقال له : إن ها هنا أميراً كبيراً اسمه ميمون القصري وهو مريض وأنا أداويه فتعال معي فقال للأمير هذا طبيب فاضل وأنا أعتمد عليه فيكون يلزمك إلى أن تبرأ إن شاء الله فلازمه إلى أن برىء فأعطاه خمسمائة دينار فأحضرها إلى ابن المطران فقال له ابن المطران : ما أردت إلّا نفعك فخذها فأخذها ودعا له .

وقد قرأ علم النحو واللغة والأدب على الشيخ الإمام تاج الدين أبي اليمن زيد بن الحسن الكندي وتميز في ذلك واشتغل بالطب على مهذب الدين ابن النقاش .

تلاميذه :

كان أجل تلامذته مهذب الدين عبدالرحيم بن علي وكان كثير الملازمة له والاشتغال عليه وسافر معه عدة مرات في غزوات صلاح الدين لما فتح الساحل .

قال (في عيون الأنباء) : حدثني الحكيم إبراهيم بن محمد السويدي قال كان ابن المطران جالساً على باب داره فجاءه شاب وأعطاه ورقة فيها اثنا عشر بيتاً من الشعر يمدحه بها فقال له انت شاعر قال لا ولكنني من أهل البيوت وقد ضاقت يدي فقصدتك فادخله داره

وقدم له طعاماً فأكل وقال له قد مرض عز الدين فرخشاه صاحب صرخد وهذا المرض يعتاده وأنا أعرف دواءه وقد رأيت أن أبعثك فتداويه بما أقول لك وأعطاه ثياباً لائقة وفرساً ومائتي درهم وكتب معه إلى فرخشاه فذهب وداواه بما قال له ابن المطران فبرىء وأجازه بألف دينار وخلع عليه وطلب منه أن يبقى عنده ويكون طبيبه فقال حتى أشاور شيخي ابن المطران فقال وهل هو إلّا غلام أخي لا سبيل إلى خروجك فلمّا ألحّ عليه أحضر الجائزة وأخبره بقصّته فقال لا عليك تكون حاجباً عندي[1] اهـ.

(١) أعيان الشيعة للسيد الأمين ج ١١ ص ١٣٦ إلى ١٣٩.

الطبيب الذكي
ابن الأصم

هو[1] من الأطبّاء المشهورين بإشبيلية ، وله خبرة في صناعة الطب ، وقوّة نظر في الاستدلال على الأمراض ومداواتها .

قال صاحب عيون الأنباء وله حكايات مشهورة ونوادر كثيرة في معرفته بالقوارير وأخباره عند ما يراها بجملة حال المريض ، وما يشكوه وما كان قد تناوله من الأغذية .

معالجته لرجل دخلت الحية فمه :

وقال : حدّثني أبو عبدالله المغربي قال : كنت يوماً عند ابن الأصم وإذا بجماعة قد أقبلوا إليه ، ومعهم رجل على دابة ، وهو مُنْكَبٌ عليها فلمّا وصلوا وجدنا ذلك الرجل وفي فمه حية قد دخل بعضها مع رأسها في حلقه ، وبقيتها ظاهرة ، وهي مربوطة بخيط قنب إلى ذراع الرجل فقال : ما شأن هذا؟ فقالوا له : إنّ عادته ينام وفمه مفتوح ، وكان قد أكل لبناً ، فنام ، فلمّا جاءت هذه الحيّة لعقت فمه ، وداخل فمه وهو نائم . ولمّا أحست بمن أتى خافت وانساب بعضها في حلقه ، وأدركناها فربطناها بهذا الخيط لئلّا تدخل في حلقه . فلمّا نظر إلى ذلك الرجل وجده وهو في الموت من الخوف فقال له : ما عليك ، كدتم تهلكون الرجل . ثم قطع الخيط فانسابت

---

(١) عيون الأنباء ص ٥٣٩ .

الحيّة في حلقه واستقرّت في معدته ، فقال له : الآن تبرأ . وأمره أن لا يتحرّك وأخذ أدوية وعقاقير فأغلاها في ماء غلياً جيّداً . وجعل ذلك الماء في إبريق ، وسقاه الرجل وهو حارّ فشربه ، وصار يجس معدته حتى قال ماتت الحيّة . ثم سقاه ماء آخر مغلياً فيه حوائج ، وقال هذه تهرىء الحيّة مع هضم المعدة ، وصبر مقدار ساعتين وسقاه ماء قد أغلى فيه أدوية مقيئة فجاشت نفس الرجل وذرعه القيء فعصب عينيه وبقي يتقيّأ في طشت فوجدناه الحيّة وهي قطع ، وهو يأمره بكثرة القيء ، حتّى تنظّفت معدته ، وخرجت بقايا الحيّة فقال له : طب نفساً فقد تعافيت ، وذهب الرجل مطمئناً صحيحاً بعد أن كان في حالة الموت .

الطبيب الذكي
ابن الشبل البغدادي

هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن يوسف بن شبل ، مولده ومنشؤه ببغداد ، وكان حكيماً فيلسوفاً ، ومتكلّماً فاضلاً ، وأديباً بارعاً ، وشاعراً مُجيداً ، وكانت وفاته ببغداد سنة أربع وسبعين وأربعمائة .

ومن شعره :

وعلى[1] قدر عقله فاعتب المرء وحاذر[2] برأ يصير عقوقاً[3]
كم صديق بالعتب صار عدوّاً وعدوّ بالحلم صار صديقاً

(كما عن الخفيف)

وقال أيضاً :

إحفَظ لِسانَكَ لا تُبح بِثلاثَة سِرّ ومالٍ ما استطعت وَمَذْهَبِ
فَعَلَى الثلاثة تبتلى بثلاثة بمفكّر ، وبحاسد ، ومكذّب

(عن الكامل)

وفي هذا المعنى قد قال بعضُهم نثراً ، وفيه جِناسٌ : « الرَّجُلُ يُخْفِي ذَهَبَهُ وَمَذْهَبَهُ وَذِهَابَهُ » .

---

(١) عيون الأنباء ص ٣٣٣ .

(٢) الرحيم البارّ.

(٣) العاصي أوامر والده المستخفّ به .

الطّبيب الذكي
ابن خليل الطّهراني[1]

(يقول السيّد الأمين) : كتب لنا بعض أفاضل طائفته فقال ما حاصله : كان والده الميرزا خليل من مشاهير الأطبّاء بالعراق علىٰ طريقة الطّب اليوناني وتخلّف بخمسة أولاد كان ثلاثة منهم من مشاهير العلماء الفقهاء فالأطبّاء الميرزا محمّد والميرزا باقر صاحب الترجمة وهو أصغر اخوته الخمسة والعلماء الملاّ علي والميرزا حسين .

أخذ المترجم الطّب أوّلاً عن أبيهم ثمّ عن أساطين عصره من الإيرانيّين حتّى أبرع فيه .

ذكائهم :

أخذ عنه الطّب جماعة انتفع بهم النّاس منهم ولده الميرزا صادق وتقدّم في المنطق والكلام وقرأ الفقه والأصول على الآغا رضا الهمذاني وله في الطّب والكلام نظريّات عارض بها ابن سينا وبعض حكماء اليونان (يقول السيّد الأمين) : وجدناها في أوراقه ولم نعثر له علىٰ مؤلّف في الطّب مع عزمه علىٰ ذٰلك وكان له ذوق في الشّعر العربي والفارسي وميل للشّعر والأدب عثرنا له علىٰ هٰذين البيتين مخاطباً بهما صديقاً له سجنه عاكف باشا :

---

(١) الميرزا باقر الطبيب ابن الميرزا خليل الطبيب الطهراني النجفي.

ولد في كربلا سنة ١٢٦١هـ وتوفيّ في النّجف سنة ١٣٣٢ ودفن مع أخيه الميرزا حسين في مقبرتهم بجوار المدرسة المعروفة بمدرسة القطب.

لاغروانّك قد سجنت بحبس من | هـو عـاكف أبـداً علىٰ الجحـد
مـا أنـت إلاّ صـارم ذكـر | والسّيف لا يبقىٰ بـلا غـمـد

هٰذا حاصل ما كتبه لنا بعض أقربائه في ترجمته ونحن قد شاهدناه أيّام مجاورتنا بالنجّف الأشرف وعاشرناه وراجعناه للتطبيب فوجدناه طبيباً ماهراً وكان علىٰ جانب من حسن الأخلاق ولطف المعاشرة .

ومن ذكائهم :

كان الميرزا باقر إذا جس نبض المرأة عرفها أنها حامل أو لاً .

ومن طريف أحواله أن عوام النّجف كانوا يتشاءمون من دخوله إلىٰ مريضهم فيخافون عليه الموت لما أتّفق موت كثير من المرضىٰ حين طبّهم وسبب ذٰلك أنّ الناس يغلب عليهم الفقر فلا يتطبّبون عنده لأنّه يريد أجرة كطبيب فيذهبون إلىٰ صغار الأطبّاء لأنّ أجرتهم زهيدة فإذا كان المرض خطراً وأشرف المريض علىٰ الموت التجأوا حينئذٍ إلىٰ الميرزا باقر فيموت المريض تحت يده لأنّه ليس عيسىٰ ابن مريم فيقولون انّه مات من شؤمه والله في خلقه شؤون[1] .

(١) أعيان الشيعة للسيد الأمين ج ١٣ ص ١٤٠ إلى ١٤١ .

الطبيب الذكي
أمير الأطباء

الشيخ الرئيس ابن سينا

نسبه وبعض حالاته :

هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا ، وهو ان كان أشهر من أن يذكر ، وفضائله أظهر من أن تسطر ، فإنّه قد ذكر من أحواله ، ووصف من سيرته ما يغني غيره عن وصفه . ولذلك إنّنا نقتصر من ذلك على ما قد ذكره هو عن نفسه ، نقله عنه أبو عبيد الجوجزاني ، قال ، قال : الشيخ الرئيس :

إنّ أبي كان رجلاً من أهل بلخ(١) ، وانتقل منها إلى بخارى(٢) في أيام نوح بن منصور(٣) واشتغل بالتصرّف ، وتولّى العمل في أثناء أيامه بقرية يقال لها خرميثن من ضياع بخارى ، وهي من أمّهات

---

(١) كانت القصبة السياسية لولاية خراسان . ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان . وفي سنة ٦٥٣ شدّد عليها ابن قيس الأحنف الحصار حتّى فتحها . واجتاحها جنكيز خان سنة ١٢٢٠ فدمّرها .

(٢) مدينة في اوزبيكستان (الاتحاد السوفياتي) على ملتقى الطرق بين روسيا وفارس والهند والصين ، فيها معامل للسجاد .

(٣) هو نوح الثاني ابن منصور (٩٧٦ ـ ٩٩٧) جلس على العرش وهو في الثالثة عشرة من عمره فتولّت الحكم أمّه مع الوزير أبي الحسين عبدالله العتبي . ولم يتمكن من اخضاع امراء الأقاليم وأخصّهم سبكتكين .

القرى ، ويقربها قرية يقال لها أفشنة ، وتزوّج أبي منها بوالدتي وقطن بها وسكن ، وولدت منها بها ، ثم ولدت أخي ، ثم انتقلنا إلى بخارى . وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب وأكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب ، حتى كان يقضي مني العجب . وكان أبي ممّن أجاب داعي المصريين ويعد من الاسماعيلية[1] . وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه ويعرفونه هم ، وكذلك أخي . وكانوا ربما تذاكروا بينهم وأنا أسمعهم وأدرك ما يقولونه ولا تقبله نفسي ، وابتدأوا يدعونني أيضاً إليه ، ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند ، وأخذ يوجهني إلى رجل كان يبيع البقل ، ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه . ثم جاء إلى بخارى أبو عبدالله الناتلي وكان يدعى المتفلسف ، وأنزله أبي دارنا رجاء تعلمي منه . وقبل قدومه كنت أشتغل بالفقه والتردّد فيه إلى اسماعيل الزاهد ، وكنت من أجود السالكين . وقد ألفت طرق المطالبة ووجوه الاعتراض على المجيب على الوجه الذي جرت عادة القوم به .

تفوقه على استاذه :

ثم ابتدأت بكتاب ايساغوجي على الناتلي . ولما ذكر لي حد الجنس ، انه هو المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ما هو ، فأخذت في تحقيق هذا الحد بما لم يسمع بمثله ، وتعجب مني كل العجب وحذر والدي من شغلي بغير المعلم . وكان أيّ مسألة قالها لي أتصورها خيراً منه ، حتى قرأت ظواهر المنطق عليه . وأما

---

(١) أو السبعية طائفة من أصل الشيعة ينتسبون إلى اسماعيل بن جعفر الصادق سادس الأئمة. وهم يقيمون اليوم في فارس والهند وسوريا . (ن. ر)

دقائقه فلم يكن عنده منها خبرة . ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق . وكذلك كتاب اقليدس فقرأت من أوله خمسة أشكال أو ستة عليه ، ثم توليت بنفسي حل بقية الكتاب بأسره . ثم انتقلت إلى المجسطي ، ولما فرغت من مقدماته وانتهيت إلى الأشكال الهندسية ، قال لي الناتلي تول قراءتها وحلها بنفسك ، ثم اعرضها عليَّ لأبيّن لك صوابه من خطئه ، وما كان الرجل يقوم بالكتاب . وأخذت أحل ذلك الكتاب فكم من شكل ما عرفه إلى وقت ما عرضته عليه وفهمته إيّاه . ثم فارقني الناتلي متوجّهاً إلى كركانج ، واشتغلت أنا بتحصيل الكتب من الفصوص والشروح ، من الطبيعي والإلهي ، وصارت أبواب العلم تنفتح عليَّ .

رغبته لعلم الطب والمنطق :

ثم رغبت في علم الطب وصرت أقرأ الكتب المصنفة فيه ، وعلم الطب ليس من العلوم الصعبة . فلا جَرَم أني برزت فيه في أقل مدّة حتى بدأ فضلاء الطب يقرأون عليّ علم الطب . وتعهدت المرضى فانفتح عليَّ من أبواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لا يوصف ، وأنا مع ذلك اختلف إلى الفقه وأناظر فيه ، وأنا في هذا الوقت من أبناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على العلم والقراءة سنة ونصفاً ، فأعدت قراءة المنطق وجميع أجزاء الفلسفة . وفي هذه المدة ما نمت ليلة واحدة بطولها ، ولا اشتغلت النهار بغيره وجمعت بين يدي ظهوراً ، فكل حجة كنت أنظر فيها أثبت مقدمات قياسية ، ورتبتها في تلك الظهور . ثم نظرت فيما عساها تنتج ، وراعيت شروط مقدماته حتى تحقق لي حقيقة الحق في تلك المسألة ، وكلما كنت أتحيّر في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت

إلى الجامع ، وصلّيت وابتهلت إلى مبدع الكل ، حتى فتح لي المنغلق ، وتيسّر المتعسّر.

اشتغاله بالقراءة والكتابة وسهره الليل :

وكنت أرجع بالليل إلى داري وأضع السراج بين يدي ، وأشتغل بالقراءة والكتابة . ومهما أخذني أدنى نوم أحلم بتلك المسائل بأعيانها ، حتى ان كثيراً من المسائل اتّضح لي وجوهها في المنام . وكذلك حتى استحكم معي جميع العلوم ، ووقفت عليها بحسب الامكان الإنساني . وكل ما علمته في ذلك الوقت فهو كما علمته الآن لم أزدد فيه إلى اليوم ، حتى أحكمت على المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدلت إلى الإلّهي .

قراءته لكتاب « ما بعد الطبيعة » :

وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة ، فما كنت أفهم ما فيه ، والتبس عليّ غرض واضعه ، حتى أعدت قراءته أربعين مرة وصار لي محفوظاً . وأنا مع ذلك لا أفهمه ولا المقصود به ، وأيست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل إلى فهمه . وإذا أنا في يوم من الأيام حضرت وقت العصر في الوراقين ، وبيد دلال مجلد ينادي عليه . فعرضه علي فرددته رد متبرم ، معتقداً أن لا فائدة من هذا العلم . فقال لي اشتر مني هذا فإنه رخيص أبيعكه بثلاث دراهم ، وصاحبه محتاج إلى ثمنه ، واشتريته فإذا هو كتاب لأبي نصر الفارابي[1] في

---

(١) أبو النصر محمد ولد في فاراب وتوفي في دمشق (٨٧٣ ـ ٩٥٠) من أعظم فلاسفة العرب حين أقام في بغداد وفي بلاط سيف الدولة بحلب . ولقب المعلم الثاني بعد ارسطو ، وينسبون إليه اختراع آلة القانون .

أغراض كتاب ما بعد الطبيعة : ورجعت إلى بيتي وأسرعت قراءته . فانفتح عليَّ في الوقت أغراض ذلك الكتاب بسبب انه كان لي محفوظاً على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدقت في ثاني يومه بشيء كثير على الفقراء شكراً لله تعالى .

مداواته لسلطان بخارى :

وكان سلطان بخارى في ذلك الوقت نوح بن منصور ، واتّفق له مرض اتلج[1] الأطباء فيه ، وكان إسمي اشتهر بينهم بالتوفّر على القراءة . فأجروا ذكرى بين يديه وسألوه احضاري ، فحضرت وشاركتهم في مداواته وتوسّمت بخدمته فسألته يوماً الاذن لي في دخول دار كتبهم ومطالعتها وقراءة ما فيها من كتب الطب ، فأذن لي فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة في كل بيت صناديق كتب منضدة بعضها على بعض ، في بيت منها كتب العربية والشعر ، وفي آخر الفقه وكذلك في كل بيت كتب علم مفرد .

في الثامنة عشرة من عمره صار علامة ! !

فطالعت فهرست كتب الأوائل وطلبت ما احتجب إليه منها . ورأيت من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس قط ، وما كنت رأيته من قبل ولا رأيته أيضاً من بعد . فقرأت تلك الكتب وظفرت بفوائدها ، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه . فلما بلغت ثماني عشرة سنة من عمري ، فرغت من هذه العلوم كلها . وكنت إذ ذاك للعلم أحفظ ، ولكنه اليوم معي أنضج ، وإلاّ فالعلم واحد لم يتجدد لي بعده شيء . وكان في جواري رجل يقال له أبو الحسين العروضي .

---

(١) دخل. (ن. ر).

فسألني أن أصنف له كتاباً جامعاً في هذا العلم ، فصنفت له المجموع وسميته به . وأتيت فيه على سائر العلوم سوى الرياضي ، ولي إذ ذاك إحدى وعشرون سنة من عمري . وكان في جواري أيضاً رجل يقال له أبو بكر البرقي ، خوارزمي المولد ، فقيه النفس ، متوحّد في الفقه والتفسير والزهد ، مائل إلى هذه العلوم ،ـ فسألني شرح الكتب له فصنفت له كتاب الحاصل والمحصول في قريب من عشرين مجلدة ، وصنفت له في الأخلاق كتاباً سميته كتاب البرّ والإثم . وهذان الكتابان لا يوجدان إلّا عنده فلم يعر أحداً ينسخ منهما .

موْتُ والِدِه وتنقّله من بلد إلى بلد :

ثم مات والدي وتصرفت بي الأحوال ، وتقلّدت شيئاً من أعمال السلطان ، ودعتني الضرورة إلى الإخلال ببخارى والانتقال إلى كركانج . وكان أبو الحسين السهلي المحب لهذه العلوم بها وزيراً ، وقدمت إلى الأمير بها وهو علي بن مأمون وكنت على زيّ الفقهاء إذ ذاك بطيلسان وتحت الحنك ، وأثبتوا لي مشاهرة دارة بكفاية مثلي . ثم دعت الضرورة إلى الانتقال إلى نسا[1] ، ومنها إلى باورد[2] ، ومنها إلى طوس[3] ، ومنها إلى شقان ، ومنها إلى سمنيقان ومنها إلى جاجرم رأس حد خراسان ، ومنها إلى جرجان[4] ، وكان قصدي

---

(١) عدّة مواضع في إيران وفارس وكرمان وهمدان ، أشهرها نسا خراسان.

(٢) بلدة في خراسان .

(٣) مدينة في خراسان فيها قبر الامام علي الرضا وقبر هارون الرشيد.

(٤) مدينة في مقاطعة جرجان وتدعى أيضاً استراباد .

الأمير قابوس[1] ، فاتّفق في أثناء هذا أخذ قابوس وحبسه في بعض القلاع وموته هناك ، ثم مضيت إلى دهستان ومرضت بها مرضاً صعباً وعدت إلى جرجان ، فاتّصل أبو عبيد الجوزجاني[2] بي وأنشأت في حالي قصيدة فيها بيت القائل :

لما عظمت فليس مصر واسعي　　　لما غلا ثمني عدمت المشتري

(الكامل)

قال أبو عبيد الجوزجاني ، صاحب الشيخ الرئيس ، فهذا ما حكى لي الشيخ من لفظه ، ومن ها هنا شاهدت أنا من أحواله ، وكان بجرجان رجل يقال له أبو محمد الشيرازي يحب هذه العلوم ، وقد اشترى للشيخ داراً في جواره وأنزله بها ، وأنا اختلف إليه في كل يوم أقرأ المجسطي وأستملي المنطق ، فأملى عليَّ المختصر الأوسط في المنطق . وصَنّف لأبي محمد الشيرازي كتاب المبدأ والمعاد ، وكتاب الارصاد الكلية . وصنف هناك كتباً كثيرة ، كأول القانون ومختصر المجسطي ، وكثيراً من الرسائل ثم صنف في أرض الجبل بقيّة كتبه .

كتبه :

وهذا فهرست كتبه ، كتاب المجموع مجلّدة ، الحاصل والمحصول عشرون مجلّدة ، الإنسان عشرون مجلدة ، البرّ والإثم مجلّدتان ، الشفاء ثمان عشرة مجلّدة ، القانون أربع عشرة مجلّدة ، الارصاد الكلية مجلدة ، كتاب النجاة ثلاث مجلّدات ، الهداية

---

(١) من امراء بني زياد في العراق العجمي وطبرستان (ن . ر)

(٢) نسبة إلى جوزجان وهو اسم قديم لمنطقة في بلاد تركستان الأفغانية قرب جيحون (ن . ر).

مجلّدة ، القولنج مجلدة ، لسان العرب عشر مجلدات ، الأدوية القلبية مجلد ، الموجز مجلد ، بعض الحكمة المشرقية مجلد ، بيان ذوات الجهة مجلد ، كتاب المعاد مجلد ، كتاب المبدأ والمعاد مجلد ، كتاب المباحثات مجلد .

رسائله :

ومن رسائله : القضاء والقدر ، الآلة الرصدية غرض قاطيغورياس . المنطقَ بالشعر القصائد في العظمة والحكمة في الحروف . تعقب المواضع الجدلية . مختصر اقليدس . مختصر في النبض بالعجمية . الحدود ، الأجرام السماوية . الإشارة إلى علم المنطق . أقسام الحكمة في النهاية واللانهاية ، عهد كتبه لنفسه حي بن يقظان في أن أبعاد الجسم غير ذاتية له . خطب ، الكلام في الهندبا . في أنه لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهرياً وعرضياً . في أن علم زيد غير علم عمرو . رسائل له اخوانية وسلطانية . مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء . كتاب الحواشي على القانون . كتاب عيون الحكمة ، كتاب الشبكة والطير .

انتقاله إلى الري والتحاقه بالسلطة :

ثم انتقل إلى الرَّي واتّصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة ، وعرفوه بسبب كتب وصلت معه تتضمن تعريف قدره . وكان بمجد الدولة إذ ذاك غلبة السوداء ، فاشتغل بمداواته ، وصنف هناك كتاب المعاد ، وأقام بها إلى أن قصد شمس الدولة[1] بعد قتل هلال بن بدر بن حسنويه وهزيمة عسكر بغداد . ثم اتفقت أسباب أوجبت

(١) أبو طاهر بن فخر الدولة البويهي حاكم همدان وكرمانشاه .

الضرورة لها خروجه إلى قزوين[1] ، ومنها إلى همدان[2] ، واتصاله بخدمة كذبانويه والنظر في أسبابها . ثم اتفق معرفة شمس الدولة واحضاره مجلسه بسبب قولنج كان قد أصابه ، وعالجه حتى شفاه الله ، وفاز من ذلك المجلس بِخِلَعٍ كثيرة ورجع إلى داره بعد ما أقام هناك أربعين يوماً بلياليها ، وصار من ندماء الأمير . ثم اتفق نهوض الأمير إلى قرمسين[3] لحرب عناز ، وخرج الشيخ في خدمته ، ثم توجّه نحو همدان منهزماً راجعاً .

تقلّده الوزارة . . وتشويش العسكر عليه :

ثم سألوه تقلّد الوزارة فتقلّدها ، ثم اتّفق تشويش العسكر عليه ، واشفاقهم منه على أنفسهم ، فكبسوا داره وأخذوه إلى الحبس ، وأغاروا على أسبابه ، وأخذوا جميع ما كان يملكه . وسألوا الأمير قتله فامتنع عنه وعدل إلى نفيه عن الدولة طلباً لمرضاتهم ، فتوارى في دار الشيخ أبي سعيد ابن دخدوك أربعين يوماً فعاد الأمير شمس الدولة القولنج ، وطلب الشيخ فحضر مجلسه ، فاعتذر الأمير إليه بكل الاعتذار ، فاشتغل بمعالجته ، وأقام عنده مكرماً مبجّلاً .

تصنيفه لكتاب الشفاء :

وأُعيدت الوزارة إليه ثانياً ، ثم سألته أنا شرح كتب ارسطوطاليس، فذكر انه لا فراغ له إلى ذلك في ذلك الوقت ، ولكن إن رضيت مني بتصنيف كتاب أورد فيه ما صحّ عندي من هذه العلوم

---

(١) مدينة في ايران .

(٢) مدينة في ايران جنوباً بغرب فيها قبر ابن سينا .

(٣) هكذا وردت والصحيح قرميسين وهي معرّب كرمانشاه ـ بلد ـ .

بلا مناظرة مع المخالفين ، ولا اشتغال بالرد عليهم فعلت ذلك ، فرضيت به ، فابتدأ بالطبيعيات من كتاب سمّاه كتاب الشفاء ، وكان قد صنف الكتاب الأول من القانون . وكان يجتمع كل ليلة في داره طلبة العلم ، وكنت أقرأ من الشفاء ، وكان يقرىء غيري من القانون نوبة .

وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للأمير، فقضينا على ذلك زمناً ، ثم توجّه شمس الدين إلى طارم[1] لحرب الأمير بها ، وعاوده القولنج قرب ذلك الموضع واشتدّ عليه ، وانضاف إلى ذلك أمراض أُخر جلبها سوء تدبيره ، وقلة القبول من الشيخ ، فخاف العسكر وفاته فرجعوا به طالبين همدان في المهد فتوفّى في الطريق في المهد . ثم بويع ابن شمس الدولة وطلبوا استيزار الشيخ فأبى عليهم .

مطالبة الشيخ الالتحاق بعلاء الدولة :

وكاتب علاء الدولة[2] سِرّاً يطلب خدمته ، والمصير إليه ، والانضمام إلى جوانبه ، وأقام في دار أبي غالب العطار متوارياً . وطلبت منه اتمام كتاب الشفاء ، فاستحضر أبا غالب وطلب الكاغد[3] والمحبرة فأحضرهما ، وكتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثمن بخطه رؤوس المسائل . وبقي فيه يومين حتى كتب رؤوس المسائل كلها بلا كتاب يحضره ولا أصل يرجع إليه ، بل من حفظه ، وعن ظهر قلبه . ثم ترك الشيخ تلك الأجزاء بين يديه وأخذ الكاغد

---

(١) اسم موضع في العجم.

(٢) من امراء بني كاكويه استوزر ابن سينا ، وتوفى سنة ١٠٢٩ .

(٣) القرطاس.

فكان ينظر في كل مسألة ويكتب شرحها ، فكان يكتب كل يوم خمسين ورقة حتى أتى على جميع الطبيعيات والإلهيات ما خلا كتابَي الحيوان والنبات . وابتدأ بالمنطق وكتب منه جزءاً .

إبعاد الشيخ إلى قلعة فردجان :

ثم اتّهمه تاج الملك بمكاتبته علاء الدولة ، فأنكر عليه ذلك ، وحثّ في طلبه فدلّ عليه بعض أعدائه ، فأخذوه وأدّوه إلى قلعة يقال لها فردجان وأنشأ هناك قصيدة منها :

دخولي باليقين كما تراه وكل الشك في أمر الخروج

(الوافر)

وبقي فيها أربعة أشهر . ثم قصد علاءُ الدولة همدانَ وأخذها ، وانهزم تاجُ الملك ومرّ إلى تلك القلعة بعينها . ثم رجع علاء الدولة عن همدان ، وعاد تاج الملك وابن شمس الدولة إلى همدان وحملوا معهم الشيخ إلى همدان ، ونزل في دار العلوي ، واشتغل هناك بتصنيف المنطق من كتاب الشفاء ، وكان قد صنف بالقلعة كتاب الهدايات ، ورسالة حي بن يقظان ، وكتاب القولنج . وأما الأدوية القلبيّة فإنّما صَنَّفها أول وروده إلى همدان ، وكان قد تقضى على هذا زمان ، وتاج الملك في أثناء هذا يُمَنِّيه بمواعيد جميلة .

ذهاب الشيخ إلى أصفهان :

ثم عنّ للشيخ التوجّه إلى أصفهان[1] ، فخرج متنكراً وأنا وأخوه

---

(١) مدينة في إيران كانت عاصمة الصفويّين قتل تيمور لنك أهلها وعمل هرماً من ٧٠,٠٠٠ جمجمة .

وغلامان معه في زيّ الصوفية[1] إلى أن وصلنا إلى طبران[2] على باب أصفهان ، بعد أن قاسينا شدائد في الطريق ، فاستقبلنا أصدقاء الشيخ وندماء الأمير علاء الدولة وخواصّه ، وحمل إليه الثياب والمراكب الخاصّة وأنزل في محلّة يقال لها كونكنبد في دار عبدالله بن بابي ، وفيها من الآلات والفرش ما يحتاج إليه . وحضر مجلس علاء الدولة فصادف في مجلسه الإكرام والإعزاز الذي يستحقّه مثلُه . ثم رسم علاء الدولة ليالي الجمعات مجلس النظر بين يديه بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم ، والشيخ من جملتهم ، فما كان يطاق في شيء من العلوم .

وفي أصفهان أتم كتاب الشفاء :

واشتغل بأصفهان في تتميم كتاب الشفاء ، ففرغ من المنطق والمجسطي ، وكان قد اختصر أوقليدس والارثماطيقي والموسيقى . وأورد في كل كتاب من الرياضيات زيادات رأى أن الحاجة إليها داعية . أما في المجسطي فأورد عشرة أشكال في اختلاف القطر وأورد في آخر المجسطي في علم الهيئة أشياء لم يسبق إليها ، وأورد في أوقليدس شبهاً ، وفي الارثماطيقي خواص حسنة ، وفي الموسيقى مسائل غفل عنها الأولون ، وتمّ الكتاب المعروف بالشفاء ما خلا كتابَي النبات والحيوان فإنّه صنفهما في السنة التي توجّه فيها علاءُ

(١) فئة من المتعبّدين وأحدهم صوفي وهو عندهم من كان فانياً بنفسه باقياً بالله تعالى مستخلصاً من الطبائع متّصلاً بحقيقة الحقائق ، ويطلق العامة عليهم الدراويش (ن. ر).

(٢) بلد بتخوم قومس من عمل خراسان .

الدولة إلى سابور[1] خواست في الطريق . وصنف أيضاً في الطريق كتاب النجاة ، واختص بعلاء الدولة وصار من ندمائه إلى أن عزم علاء الدولة على قصد همدان ، وخرج الشيخ في الصحبة ، فجرى ليلة بين يدي علاء الدولة ذكر الخلل الحاصل في التقاويم المعمولة بحسب الارصاد القديمة ، فأمر الأمير الشيخَ الاشتغال برصد هذه الكواكب وأطلق له من الأموال ما يحتاج إليه . وابتدأ الشيخ به وولّاني اتّخاذ آلاتها واستخدام صناعها حتّى ظهر كثير من المسائل ، فكان يقع الخلل في أمر الرصد لكثرة الأسفار وعوائقها . وصنف الشيخ بأصفهان الكتاب العلائي .

بين الشيخ والجبائي وتعمُّق الشيخ في اللغة :

وكان من عجائب أمر الشيخ أني صحبتُه وخدمته خمساً وعشرين سنة فما رأيته إذا وقع له كتاب مجدّد ينظر فيه على الولاء ، بل كان يقصد المواضع الصعبة منه والمسائل المشكلة ، فينظر ما قاله مُصنِّفُه فيها ، فيتبيّن مرتبته في العلم ودرجته في الفهم . وكان الشيخ جالساً يوماً من الأيام بين يدي الأمير وأبو منصور الجبائي[2] حاضر فجرى في اللغة مسألة تكلّم الشيخ فيها بما حضره ، فالتفت أبو منصور إلى الشيخ يقول إنك فيلسوف وحكيم ، ولكن لم تقرأ من اللغة ما يرضي كلامك فيها ، فاستنكف الشيخ من هذا الكلام وتوفر على درس كتب اللغة ثلاث سنين ، واستهدى كتاب تهذيب اللغة من خراسان من تصنيف أبي منصور الأزهري[3] ، فبلغ الشيخ في اللغة طبقة قلّما

---

(١) كورة في فارس.

(٢) من علماء اللّغة.

(٣) ولد في هراة . من علماء اللغة له كتاب التهذيب .

يتّفق مثلها . وأنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة من اللغة . وكتب ثلاثة كتب أحدها على طريقة ابن العميد[1] والآخر على طريقة الصابي[2] والآخر على طريقة الصاحب[3] وأمر بتجليدها واخلاق جلدها . ثم أوعز الأمير فعرض تلك المجلدة على أبي منصور الجبائي . وذكر انّا ظفرنا بهذه المجلدة في الصحراء وقت الصيد فيجب أن تتفقدها وتقول لنا ما فيها ، فنظر فيها أبو منظور وأشكل عليه كثير مما فيها . فقال له الشيخ : إنّ ما تجهله من هذا الكتاب فهو مذكور في الموضع الفلاني من كتب اللغة ، وذكر له كثيراً من الكتب المعروفة في اللغة كان الشيخ حفظ تلك الألفاظ منها ، وكان أبو منصور مجزفاً فيما يورده من اللغة غير ثقة فيها ، ففطن أبو منصور ان تلك الرسائل من تصنيف الشيخ وان الذي حمله عليه ما جبهه به في ذلك اليوم ، فتنصل واعتذر إليه . ثم صَنَّف الشيخُ كتاباً في اللغة سمّاه لسان العرب لم يصنّف في اللغة مثله ولم ينقله في البياض حتّى توفي فبقي علىٰ مسودته لا يهتدي أحدٌ إلى ترتيبه . وكان قد حصل للشيخ تجارب كثيرة فيما باشره من المعالجات عزم على تدوينها في كتاب القانون ، وكان قد علقها على أجزاء فضاعت قبل تمام كتاب القانون . من ذلك انه صدع يوماً فتصوّر ان مادة تريد النزول إلى حجاب رأسه ، وأنه لا يأمن ورما ينزل فيه فأمر باحضار

---

(١) أبو الفتح علي بن العميد (٩٢٠ ـ ٩٩٧) لقّب بذي الكفايتين ـ السيف والقلم ـ ووزر لركن الدولة ومؤيّد الدولة ، ثم دسّت عليه الدسائس فسجن وعذّب ومات .

(٢) كاتب ديوان الانشاء في دولة بني بويه .

(٣) وزير مؤيّد الدولة الذي لقبّ بكافي الكفاية له مؤلّفات في الأدب والشعر (٩٣٦ ـ ٩٩٥) ولد في طالقان وتوفّى في اصفهان . (ن . ر)

ثلج كثير ودَقّه ولَفّه في خرقة وتغطى رأسه بها ففعل ذلك حتى قوي الموضع ، وامتنع عن قبول تلك المادة وعوفي . ومن ذلك ان امرأة مسلولة بخوارزم أمرها أن لا تتناول شيئاً من الأدوية سوى الجلنجبين السكري حتى تناولت على الأيام مقدار مائة من وشفيت المرأة .

المختصر الأصغر في المنطق وبعض الردود عليه :

وكان الشيخ قد صنّف بجرجان المختصر الأصغر في المنطق وهو الذي وضعه بعد ذلك في أول النجاة ، ووقعت نسخة إلى شيراز[1] فنظر فيها جماعة من أهل العلم هناك فوقعت لهم الشبه في مسائل منها ، فكتبوها على جزء ، وكان القاضي بشيراز من جملة القوم ، فأنفذ بالجزء إلى أبي القاسم الكرماني صاحب إبراهيم بن بابا الديلمي المشتغل بعلم التناظر ، وأضاف إليه كتاباً إلى الشيخ أبي القاسم ، وأنفذهما على يدي ركابي قاصد ، وسأله عرض الجزء على الشيخ واستيجاز أجوبته فيه ، وإذا الشيخ أبي القاسم دخل على الشيخ عند اصفرار الشمس في يوم صائف ، وعرض عليه الكتاب والجزء ، فقرأ الكتاب وردّه عليه ، وترك الجزء بين يديه وهو ينظر فيه والناس يتحدثون ، ثم خرج أبو القاسم ، وأمرني الشيخ بإحضار البياض وقطع أجزاء منه ، فشددت خمسة أجزاء كل واحد منها عشرة أوراق بالربع الفرعوني ، وصلينا العشاء وقدم الشمع وابتدأ هو بجواب تلك المسائل . وكان يكتب إلى نصف الليل حتى غلبني وأخاه النوم ، فأمر بالانصراف فعند الصباح قرع الباب فإذا رسول الشيخ يستحضرني فحضرته وهو على المصلى ، وبين يديه الأجزاء

---

(١) مدينة في إيران هي قاعدة اقليم فارس فتحها أبو موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص في أواخر خلافة عثمان . نشأ منها عدّة علماء .

الخمسة ،ـ فقال : خذها وصر بها إلى الشيخ أبي القاسم الكرماني ، وقل له استعجلت في الأجوبة عنها لئلا يتعوق الركابي ، فلما حملته إليه تعجب كل العجب وصرف الفيج وأعلمهم بهذه الحالة ، وصار هذا الحديث تاريخاً بين الناس .

بعض تصنيفاته ونبذ من حالاته :

ووضع في حال الرصد آلات ما سبق إليها ، وصنف فيها رسالة وبقيت أنا ثماني سنين مشغولاً بالرصد ، وكان غرضي تبيّن ما يحكيه بطليموس عن قصته في الارصاد ، فتبين لي بعضها ، وصنف الشيخ كتاب الانصاف واليوم الذي قدم فيه السلطان مسعود إلى أصفهان نهب عَسْكَرُه رَحْلَ الشيخِ وكان الكتاب في جملته ، وما وقف على أثر . وكان الشيخ قوي القوى كلها ، وكانت قوة المجامعة من قواه الشهوانية أقوى وأغلب . وكان كثيراً ما يشتغل به فأثر في مزاجه : وكان الشيخ يعتمد على قوّة مزاجه حتى صار أمره في السنة التي حارب فيها علاء الدولة تاش فراش على باب الكرخ إلى أن أخذ الشيخ قولنج ، ولحرصه على برئه اشفاقاً من هزيمة يدفع إليها ولا يتأتى له المسير فيها مع المرض حقن نفسه في يوم واحد ثمان كرات ، فتقرح بعض أمعائه وظهر به سحج(١) ، وأحوج إلى المسير مع علاء الدولة فأسرعوا نحو إيذج فظهر به هناك الصرع الذي يتبع علة القولنج ، ومع ذلك كان يدبر نفسه ويحقن نفسه لأجل السحج ولبقية القولنج ، فأمر يوماً باتخاذ دانقين من بزر الكرفس(٢) في جملة ما يحتقن به وخلطه بها طلباً لكسر الرياح ، فقصد بعض الأطباء الذي

(١) تقشر .
(٢) القطن .

كان يتقدم هو إليه بمعالجته ، وطرح من بزر الكرفس خمسة دراهم لست أدري أعمداً فعله أم خطأ لأنني لم أكن معه ، فازداد السحج به من حدة ذلك البزر . وكان يتناول المثرود بطوس لأجل الصرع فقام بعض غلمانه وطرح شيئاً كثيراً من الأفيون[1] فيه ، وناوله فأكله وكان سبب ذلك خيانتهم في مال كثير من خزانته ، فتمنوا هلاكه ليأمنوا عاقبة أعمالهم .

قبل وفاته :

وَنُقِلَ الشَّيخُ كما هو إلى أصفهان ، فاشتغل بتدبير نفسه ، وكان من الضعف بحيث لا يقدر على القيام فلم يزل يعالج نفسه حتّى قدر على المشي وحضر مجلس علاء الدولة . لكنه مع ذلك لا يتحفظ ، ويكثر التخليط في أمر المجامعة ، ولم يبرأ من العلة كل البرء ، فكان ينتكس ويبرأ كل وقت . ثم قصد علاءُ الدولة همدانَ فسار معه الشيخ فَعَاوَدَتْهُ في الطريق تلك العلة إلى أن وصل إلى همدان ، وعلم أن قُوَّتَهُ قد سقطت ، وأنّها لا تفي بدفع المرض فأهمل مداواة نفسه وأخذ يقول المدبر الذي كان يدبر بدني قد عجز عن التدبير ، والآن فلا تنفع المعالجة . وبقي على هذا أياماً ، ثم انتقل إلى جوار ربّه . وكان عمره ثلاثاً وخمسين سنة ، وكان موته في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة ، وكانت ولادته في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة . هذا آخر ما ذكره أبو عبيد من أحوال الشيخ الرئيس ، وقبره تحت السور من جانب القبة من همدان ، وقيل انه نقل إلى أصفهان ودفن في موضع على باب كونكنبد . ولما مات ابن سينا من القولنج الذي عرض له قال فيه بعض أهل زمانه :

---

(١) عصارة الخشخاش وهو نبات يحمل أكوازاً بيضاء ، وهو منوّم مخدّر.

رأيت ابن سينا يعادي الرجال وبالحبس مات أخسّ الممات
فلم يشف ما ناله بالشفا ولم ينج من موته بالنجاة
(المتقارب)

ــ وقوله بالحبس يريد انحباس البطن من القولنج الذي أصابه ، والشفاء والنجاة يريد الكتابين من تأليفه وقصد بهما الجناس في الشعر ــ .

بعض كلمات ابن سينا ووصاياه :

ومن كلام الشيخ الرئيس :

. وصيّة أوصى بها بعض أصدقائه وهو أبو سعيد ابن أبي الخير الصوفي قال : « ليكن الله تعالى أول فكر له وآخره ، وباطن كل اعتبار وظاهره ، ولتكن عين نفسه مكحولة بالنظر إليه ، وقدمها موقوفة على المثول بين يديه ، مسافراً بعقله في الملكوت الأعلى وما فيه من آيات ربّه الكبرى . وإذا انحط إلى قراره ، فلينزه الله تعالى في آثاره ، فإنه باطن ظاهر تجلى لكل شيء بكل شيء .

ففي كل شيء له آية تدل على انه واحد
(المتقارب)

« فإذا صارت هذه الحال له ملكة ، انطبع فيها نقش الملكوت ، وتجلّىٰ له قدس اللاهوت ، فألف الأنس الأعلى ، وذاق اللذّة القصوى ، وأخذ عن نفسه من هو بها أولى ، وفاضت عليه السكينة وحقت عليه الطمأنينة . وتطلع إلى العالم الأدنى اطلاع راحم لأهله ، مستوهن لحيله ، مستخف لثقله ، مستحسن به لعقله ، مستضل لطرقه ، وتذكر نفسه وهي بها لهجة، وببهجتها بهجة ، فتعجب منها ومنهم تعجبهم منه ، وقد ودّعها وكان معها كأنه ليس معها . وليعلم

أن أفضل الحركات الصلاة ، وأمثل السكنات الصيام ، وأنفع البر الصدقة ، وأزكى السر الاحتمال ، وأبطل السهى المراءاة . ولن تخلص النفس عن الدرن ما التفتت إلى قيل وقال ، ومناقشة وجدال ، وانفعلت بحال من الأحوال . وخير العمل ما صدر عن خالص نيّة ، وخير النية ما ينفرج عن جناب علم ، والحكمة أمّ الفضائل ، ومعرفة الله أول الأوائل ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطيّب وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُه ﴾(١) ثم يقبل على هذه النفس المزينة بكمالها الذاتي فيحرسها عن التلطّخ بما يشينها من الهيآت الانقيادية للنفوس الموادية التي إذا بقيت في النفوس المزينة كان حالها عند الانفصال كحالها عند الاتّصال ، اذ جوهرها غير مشاوب ولا مخالط ، وإنما يدنسها هيئة الانقياد لتلك الصواحب ، بل يفيدها هيآت الاستيلاء والسياسة والاستعلاء والرياسة . وكذلك يهجر الكذب قولاً وتخيلاً حتى تحدث للنفس هيئة صدوقة ، فتصدق الأحلام والرؤيا . وأما اللذّات فيستعملها على إصلاح الطبيعة وإبقاء الشخص أو النوع أو السياسة . أما المشروب فإنه يهجر شربه تلهياً بل تشفياً وتداوياً ، ويعاشر كل فرقة بعادته ورسمه ، ويسمح بالمقدور والتقدير من المال ، ويركب لمساعدة الناس كثيراً مما هو خلاف طبعه ، ثم لا يقصر في الأوضاع الشرعية ، ويعظم السنن الإلّهية ، والمواظبة على التعبدات البدنية ويكون دوام عمره إذا خلا وخلص من المعاشرين تطربه الزينة في النفس والفكرة في الملك الأول وملكه ، وكيس النفس عن عيار الناس من حيث لا يقف عليه الناس عاهد الله إنه يسير بهذه السيرة ،

(١) سورة فاطر : الآية : ١٠.

ويـدين بهـذه الـديانـة ، والله وليّ الـذين آمنـوا وهـو حسبنـا ونعم الوكيل » .

بعض شعر ابن سينا وقصائده :

ومن شعـر الشيخ الـرئيس قـال في النفس وهي من أجـلّ قصـائـده وأشرفها :

هبـطت إليك من المحـل الأرفـع ورقـاء ذات تـعـزز وتـمـنـع
محجـوبـة عن كـل مقلة عـارف وهي التي سفـرت ولم تتبـرقـع
وصلت على كـره إليك وربمـا كـرهت فراقـك وهي ذات تفجع
أنفت ومـا أنست فلمّـا واصلت ألفت مجـاورة الخـراب البلقـع
وأظنهـا نسيت عهـوداً بـالحمى ومنـازلاً بفـراقـهـا لم تـقـنـع
حتّى إذا اتّصلت بهـاء هبـوطهـا في ميم مـركزهـا بـذات الأجرع
علقت بهـا ثاء الثقيـل فـأصبحت بين المعـالم والـطلول الخضـع
تبكي إذا ذكـرت ديـاراً بـالحمى بمـدامـع تهمي ولـمـا تقـطع
وتظل ساجعة على الدمن[1] التي درست بتكـرار الـريـاح الأربـع
إذ عاقها الشـرك الكثيف وصدهـا قفص عن الأوج الفسيح الأربـع
حتّى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيـل إلى الفضاء الأوسـع
سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت مـا ليس يـدرك بـالعيـون الهجـع
وغـدت مفـارقـة لكـل مخلف عنهـا حليف التـرب غيـر مشيـع
وبـدت تغـرد فـوق ذروة شـاهق سام إلى قعر الحضيض الأوضـع
إن كـان أرسلهـا الإلّـه لحكمـة طـويت عن الفطن اللبيب الأروع

---

(١) جمـع وهي آثار الـدار أي : ما يتـركه الحي من الأقـذار بعـد الـرحيـل دمنة .

فهبوطها إن كان ضربة لازب ... لتكون سامعة بما لم تسمع
وتعود عالمة بكلّ خفية ... في العالمين فخرقها لم يرقع
وهي التي قطع الزمان طريقها ... حتّى لقد غربت بغير المطلع
فكأنه برق تألق للحمى ... ثم انطوى فكأنّه لم يلمع

(الكامل)

وقال في الشيب والحكمة والزهد :

أما أصبحت عن ليل التصابي ... وقد أصبحت عن ليل الشباب
تنفس في عذارك صبح شيب ... وعسعس ليله فكم التصابي
شبابك كان شيطاناً مريداً ... فرجم[1] من مشيبك بالشهاب
وأشهب من بزاة الدهر خوي[2] ... على فودي[3] فألما[4] بالغراب
عفا رسم الشباب ورسم دار ... لهم عهدي بها مغنى رباب
فذاك ابيضّ من قطرات دمعي ... وذاك اخضرّ من قَطْر السحاب
فذا ينعى إليك النفس نعياً ... وذالكم نشور للروابي
كذا دنياك ترأب لانصداع ... مغالطة وتبني للخراب
ويعلق مشمئزّ النفس عنها ... فلمّا عفتها أغريتها بي
فلولاها لعجلت انسلاخي ... عن الدنيا وان كانت أهابي
عرفت عقوقها فسلوت عنها ... بإشراك تعوق عن اضطراب
بليت بعالم يعلو أذاه ... سوى[5] صبري ويسفل عن عتابي

---

(١) رمى .
(٢) أرسل جناحيه .
(٣) جانب الرأس ممّا يلي الأذن إلى الأمام .
(٤) ذهب به خفية .
(٥) العدل والمساوي .

وسيل للصواب خلاط قوم وكم كان الصواب سوى الصواب
أخالطهم ونفسي في مكان من العلياء عنهم في حجاب
ولست بمن يلطخه خلاط متى أغبرت أثنت عن تراب
إذا ما لحت الأبصار نالت خيالاً واشمأزت عن لباب
(الوافر)

وقال أيضاً :

يا ربع، نكّرك الأحداث والقدم فصار عينك[1] كالآثار تتهم ،
كأنما رسمك السرّ الذي لهم عندي ونؤيك صبري الدارس الهدم
كأنما سفعة الاثفيّ باقية بين الرياض كطاجونية[2] جثم
أو حسرة بقيت في القلب مظلمة عن حاجة ما قضوها اذ هم أمم[3]
ألا بكاه سحاب دمعه همع[4] بالرعد مزدفر[5] بالبرق مبتسم
لِمَ لَمْ تجدها سحاب جودها ديم من الدموع الهوامي كلهنّ دم
ليت الطلول أجابت من به أبداً في حبهم صحّة في حبهم سقم
أو علها بلسان الحال ناطقة قد تفهم الحال ما لا تفهم الكلم
أما ترى شيبتي تنبيك ناطقة بأن حدى الذي استدلقته[6] ثلم[7]
الشيب يوعد والآمال واعدة والمرء يغتر والأيام تنصرم
ما لي أرى حكم الأفعال ساقطة وأسمع الدهر قولاً كلّه حكم
ما لي أرى الفضل فضلاً يستهان به قد أكرم النقص لما استنقص الكرم
جوّلت في هذه الدنيا وزخرفها عيني، فألفيت داراً ما بها أرم[8]

---

(١) أهل الدار.
(٢) ما يقلى فيه .
(٣) القصد.
(٤) سائل .
(٥) محمل .
(٦) استخرجته .
(٧) مكسور الحد أي الحافة .
(٨) أي أحد .

كجيفـة دودت فـالـدود منشؤه | فيهـا، ومنهـا لـه الارزاء والـطعم
سيـان عندي ان بـروا وان فجروا | فليس يجـري عـلى أمثـالهم قلم
لا تحسـدنهم إن جـدّ جـدّهـم | فـالجد يجدي ولكن مـا لـه عصم
ليسوا وان نعموا عيشـاً سوى نعم | وربّمـا نعمت في عيشهـا النعم[1]
الـواجـدون غنى، العـادمـون نهى | ليس الذي وجدوا مثل الذي عدموا
خلقت فيهم وأيضاً قد خلطت بهم | كـرهـاً فليس غنى عنهم ولا لهم
أسكنت بينهم كـالـليث في أجم | رأيت ليثـاً لـه من جنسـه أجم
أنى وإن بـان عنّي من بـليت بـه | في عينـه كمـه[2] في أذنـه صمم
مميّـز من بني الـدنيـا يميـزني | أقـل مـا فيَّ ليس الجـل والعـظم
بـأيّ مـاثـرة ينقـاس بي أحـد | بـأيّ مكـرمـة تحكيـني الأمم
أمثل عنجهة[3] شوكاء[4] يلحق بي | أم مثل شغبر[5] حش[6] عرضه زيم[7]
فـذا عجوز ولكن بعـد ما قعـدت | وذاك جـود مسـاع الملك متهـم
إني وإن كـانت الأقـلام تخـدمني | كذاك يخدم كفي الصارم الخذم[8]
قد أشهد الـروع مرتـاحاً فـاكشفه | إذا تنـاكـر عن تيّـاره الـبهـم
الضـرب محتدم، والـطعن منتـظم | والـدم مرتكم[9] والبأس مغتلم[10]

---

(١) الإبل وتطلق على البقر والغنم .
(٢) العمى أو العشى في العين .
(٣) الجفا والكبر.
(٤) ذات أشواك .
(٥) ابن آوى.
(٦) الولد الهـالك في بـطن امّه تهـراق دماً عليـه وتنطوي عليـه أي يبقى فلا يخرج .
(٧) جمع زيمة وهي القطعة من لحم وغيره .
(٨) القاطع .
(٩) مجتمع .
(١٠) مشتد .

والحق يافوخه[1] من نقعهم[2] قتر[3] ... والافك قسطاسه[4] من سفكهم قتم[5]

والبيض والسمر حمر تحت عثيره[6] ... والموت يحكم والابطال تختصم

وأعدل القسم في حربي وحربهم ... منهم لنا غنم منّا لهم عرم[7]

أما البلاغة فاسألني الخبير بها ... أنا اللسان قديماً والزمان فم

لا يعلم العلم غيري معلماً علماً ... لأهله أنا ذاك المعلم العلم

كانت قناة علوم الحق عاطلة ... حتّى جلاها بشرحي البند والعلم

نبيد أرواحهم بالرعب نقذفه ... فيهم وأجسادهم بالقضب تلتحم

ماتت انالة ذا الدهر اللقاح على ... عزائمي وأسفت بي لها الهيم

لو شئت كان الذي لو شئت بحت به ... ما الخوف أسكت بل ان تلزم الحشم

ولو وجدت طلاع الشمس متّسعاً ... لحط رحل عزيمي كنت أعتزم

ولو بكت عزماتي دونها الحشم ... ولم يعم سبيلي نحوها العمم

وكانت البيض ظلفاً للعمود له ... وقد تباغل[8] عرض الخيل والحكم

وظن أن ليس تحجيل سوى شعر ... وأن للخيل في ميلادها اللجم

وغشيت صفحات الأرض معدلة ... فالأسد تنفر عن مرعى به غتم[9]

لكنّها بقعة حفّ الشقاء بها ... فكلّ صاغ[10] إليها صاغر سدم

(البسيط)

---

(١) مقدم الرأس.

(٢) الغبار الساطع .

(٣) أي : عليه غبرة.

(٤) الميزان أو القبان.

(٥) صار لونه القتمة أي : ضارب السواد.

(٦) العجاج الساطع .

(٧) اللحم .

(٨) تشبه بالبغل في سعة مشيه أو تبلده .

(٩) أي : فيه قتمة .

(١٠) مائل ومستمع . سدم : نادم .

وقال أيضاً :

هـو الشّيب لا بـدّ من وخـطه[1] ... فقـرضـه واخضبـه أو غـطـه
أأقـلقـك الـطل مـن وبـله ... وجـرعت من البحـر في شـطه
وكم منـك سرك غصن الشبـاب ... وريـقـاً فـلا بـدّ مـن حـطّه[2]
فـلا تجـزعنّ لـطريق سلكت ... كـم أنـبـت غيـرك فـي وسـطه
ولا تـجـشـعـن فـمـا أن ينـال ... من الـرزق كـلّ سـوى قسـطه
وكـم حـاجـة بـذلت نـفسـهـا ... ففـوتهـا الحـرص من فـرطـه
إذا أخـصب الـمـره من عـقـله ... نشـا في الـزمـان على قحـطه
ومن عـاجـل الحـزم في عـزمـه ... فـإنّ الـنـدامـة مـن شـرطـه
وكـم مـلق دونـهـا غـيـلة ... كمـا يمـرط الشعـر من مشـطه
إذا مـا أحـال أخـو زلـة ... على الغـدر فاعجـل على بسـطه
ومـا يتعـب الـنفس تـمـييـزه ... فـلا تـعـجـلن إلـى خـلطه
ووقـر أخـا الشيب والـخ الشباب ... إذا مـا تـعـسـف فـي خـبـطه
ولا تبـغ في العـذل واقصـد فكم ... كـتـبت قـديمـاً عـلى خـطه
وكم عـانـد النصـح ذو شيبـة ... عـنـاد القـتـاد لـدى خـرطـه
تـراه سـريـعـاً إلـى مـطمـع ... كمـا أنشط البكـر[3] عن نشطه[4]
وكـم رامَ ذو مـلل حـاشـم ... ليـغـضـب حـلمي فـلم أعـطه
وذي حـسـد أسـقـطتـه لـقـى ... فمـا يـأنف الـدهـر من لقـطه
يـحـاول حـطي عـن رتـبـتـي ... قـد ارتـفـع النجم عـن حـطه
يـظل عـلى دهـره سـاخـطاً ... وكم يضحـك الدهـر من سخـطه

(المتقارب)

---

(١) خالط سواد الشعر (ن. ر.) .

(٢) أي : تعريته من ورقه .

(٣) الفتى من الإبل .

(٤) ذهابه .

وقال أيضاً :

قفا نجزي معاهدهم قليلاً نغيث بدمعنا الربع المحيلا
تخونه العفاة كما تراه فأمسى لا رسوم ولا طلولا
لقد عشنا بها زمناً قصيراً نقاسي بعدهم زمناً طويلا
ومن يستثبت الدنيا بحال يرم من مستحيل مستحيلا
إذا ما استعرض الدنيا اعتبارا تنحى الحرص عنها مستقيلا
خليلي أبلغ العذال أني هجرت تجملي هجراً جميلا
وأنّي من أناس ما أحلنا على عزم فأعقبنا نزولا
مآقينا وأيدينا إذا ما همين[1] رأيتنا نعصي العذولا
وقفت دموع عيني دون سعدي على الأطلال ما وجدت مسيلا
على جفني لدمعي فرض دمع أقمت له به قلبي كفيلا
عقدت لها الوفاء وانّ عقدي هو العقد الذي لن يستحيلا
وكم أخت لها خطبت فؤادي فما وجدت إلى عذري سبيلا
أعاذل لست في شيء فأسهب مدى الملوين[2] أو أقصر قليلا
فلم ير مثلها قلبي ألوفا ولم تر مثلها أذني ملولا
وعذل الشيب أولى لي لواني أطقت وان جهدت له قبولا
أجل قد كررت هذي الليالي على ليلي زماناً لن يزولا
أتنكر ذرأة لما علتني تزين كزينة الاثر النصولا
يعيرني ذبولي أو نحولي كسيت الذبل والجسد النحيلا
كما أن الخفيش أبا وجيم يعيرني بأن لست البخيلا
يقول مبذر ليغض مني يعد علو ذي كرم سفولا

---

(١) أرسلت دمعها وانتشرت .

(٢) اللّيل والنهار .

متى وسعت لقصدي الأرض حتى ... أبرز أو أنيل به جزيلا

يقول به انخراق الكف جدا ... وكم خرق رقعت به منيلا

فجل خلل الأصابع منك واجهد ... عسى أن لا تطوف ولا تنولا

بفحش ان مالك فوق مالي ... نفائس ما تصان بما أذيلا

حكاك غباء ما أفناه بذلي ... يباع ببعض ما تحوي كميلا

يحذرك الأحبّة وقع كيدي ... فلست بذاك مذعوراً مهولا

سقطت عن اعتقادي فيك سوءاً ... فطب نفساً ولا تفرق قبيلا

فأما ان أروعك بغير قصدي ... فقد ما روع الفيل الا فيلا

(الوافر)

وقال أيضاً :

أوليتني نعمة مذ صرت تلحظني ... كافي الكفاة بعيني مجمل النظر

كذا اليواقيت فيما قيل نشأتها ... من حسن تأثيرعين الشمس في القمر

(البسيط)

وشكا إليه الوزير أبو طالب العلوي آثار بثر بدا على جبهته ونظم شكواه شعراً وأنفذه إليه وهو :

صنيعة الشيخ مولانا وصاحبه ... وغرس أنعامه بل نشء نعمته

يشكو إليه أدام الله مدته ... آثار بثر تبدي فوق جبهته

فامنن عليه بحسم الداء مغتنماً ... شكر النبي له مع شكر عترته

(البسيط)

فأجاب الشيخ الرئيس عن أبياته ووصف في جوابه ما كان به برؤه من ذلك ، فقال :

الله يشفي وينفي ما بجبهته ... من الأذى ويعافيه برحمته

أما العلاج فاسهال يقدمه ... ختمت آخر أبياتي بنسخته

وليرسل العلق المصاص يرشف من ... دم القذال ويغني عن حجامته
واللحم يهجره إلاَّ الخفيف ولا ... يدني إليه شراباً من مدامته
والوجه يطليه ماء الورد معتصراً ... فيه الخلاف(١) مدافا وقت هجعته
ولا يضيق منه الزر مختنقاً ... ولا يصيحنّ أيضاً عند سخطته
هذا العلاج ومن يعمل به سيرى ... آثار خير ويكفي أمر علّته

وقال أيضاً :

خير النفوس العارفات ذواتها ... وحقيق كميات ماهياتها
وبم الذي حلّت ومِمّ تكوّنت ... أعضاء بنيتها على هيئاتها
نفس النبات ونفس حس ركبا ... هلا كذاك سماته كسماتها
يا للرجال لعظم رزء لم تزل ... منه النفوس تخب(٢) في ظلماتها

وقال أيضاً :

هذب النفس بالعلوم لترقى ... وذر الكل فهي للكل بيت
إنّما النفس كالزجاجة والعلم ... سراج وحكمة الله زيت
فإذا أشرقت فإنك حيّ ... وإذا أظلمت فإنّك ميت

(الخفيف)

وقال أيضاً :

عجباً لقوم يحسدون فضائلي ... ما بين غيابي إلى عذالي
عتبوا على فضلي وذمّوا حكمتي ... واستوحشوا من نقصهم وكمالي
إنّي وكيدهم وما عتبوا به ... كالطود يحقر نطحة الأوعال
وإذا الفتى عرف الرشاد لنفسه ... هانت عليه ملامة الجهّال

(الكامل)

---

(١) نوع من الصفصاف .

(٢) تضطرب وتسير خبباً .

وقال أيضاً :

أساجية الجفون أكل خود ... سجاياها استعرن من الرحيق
هي الصهباء مخبرها عدو ... وإن كانت تناغي عن صديق

(الوافر)

وقال أيضاً :

أكاد أجن[1] فيما قد أجن[2] ... فلم ير ما أرى أنس وجن
رميت من الخطوب بمصليات[3] ... نوافذ لا يقوم بها مجن[4]
وجاورني أناس لو أريدوا ... على منفت ما أكلوه ضنوا
فإن عنت مسائل مشكلات ... أجال سهامهم حدس وظن
وإن عرضت خطوب معضلات ... تواروا واستكانوا[5]واستكنوا[6]

(الوافر)

وقال أيضاً :

أشكو إلى الله الزمان فصرفه ... أبلى جديد قواي وهو جديد
محن إلي توجّهت فكأنني ... قد صرت مغناطيس وهي حديد

(الكامل)

وقال أيضاً :

تنهنه وحاذر أن ينالك بغتة ... حسام كلامي أو كلام[7] حسامي

---

(١) أفقد عقلي .

(٢) ما أخبيء وأخفى .

(٣) قاتله .

(٤) كل ما وقى من السلاح أو الترس .

(٥) ذلّوا وخضعوا .

(٦) استتروا .

(٧) جروح .

وقـال أيضاً ، إنّ هـذه الأبيات إذا قيلت عند رؤية عطارد وقت شرفه؟ فإنّها تفيد علماً وخيراً بإذن الله تعالى .

عـطارد قـد والله طـال تـردّدي | مسـاء وصبحاً كي أراك فـاغنـما
فهـا أنت فامـددني قـوى أدرك المنى | بهـا والعلوم الغـامضـات تكـرّمـا
ووقـني المـحـذور والشرّ كـلّه | بـأمر مليـك خالق الأرض والسـما

(الطويل)

وممّا ينسب إلى الشيخ الرئيس ابن سينا قصيدة فيما يحدث من الأمور والأحوال عند قران المشتري وزحل في برج الجدي ، بيت زحل ، وهو أنحس البروج ، لكونه بيت زحل نحس الفلك النحس الأكبر وأوّل القصيدة :

« احذر بني من القران العاشر »

وجملة ما قيل في هذه القصيدة من أحوال التتر وقتلهم للخلق وخرابهم للقلاع جرى ، وقد رأيناه في زماننا . ومن أعجب ما أتى فيها عن التتر يفنيهم الملك المظفّر[1] ، وكان كذلك أفناهم الملك المظفر قطز لما وصل من الديار المصريّة بعساكر الإسلام ، وكانت الكسرة على التتر منه في وادي كنعان[2] كما ذكر ، وذلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وستمائة . وكذلك أشياء أُخر من ذلك كثيرة صحّت الأحكام بها في هذه القصيدة ، مثل القول عن خليفة بغداد ، وكذا الخليفة جعفر البيت والبيت الذي يليه بعده تمحى

---

(١) أحد سلاطين المماليك البحريّين ، تولّى الحكم « ١٢٥٩ - ١٢٦٠ » .

(٢) هي على ما أعتقد ناحية في العراق «لواء ديالي».

خلافته وملكت التتر بغداد كما ذكر، وكان ذلك في أوّل سنة سبع وخمسين وستمائة . وكان الاعتماد بما في هذه القصيدة من كتاب الجفر[1] عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام . والله أعلم ، أن يكون الشيخ الرئيس قال هذه القصيدة أو غيره وقد عَنَّ لي أن أذكر القصيدة هٰهنا سواء كانت لابن سينا أو لغيره ، وهي :

احذر بني من القران العاشر ... وانفر بنفسك قبل نفر النافر
لا تشغلنّك لذّة تلهو بها ... فالموت أولى بالظلوم الفاجر
واسكن بلاداً بالحجاز وقم بها ... واصبر على جور الزمان الجائر
لا تركنّن[2] إلى البلاد فإنّها ... سيعمها حد الحسام الباتر
من فتية فطس الأنوف كأنّهم ... سيل طما أو كالجراد الناشر
خزر[3] العيون تراهم في ذلّة ... كم قد أبادوا من مليك قاهر
ما قصدهم إلّا الدماء كأنّما ... ثار لهم من كلّ ناه آمر
وخراب ما شاد الورى حتّى ترى ... قفراً عمارتهم برغم العامر
أما خراسان تعود منابتاً ... للعشب ليس لأهلها من جابر
وكذا الخوارزم[4] وبلخ[5] بعدها ... تضحى وليس بربعها من صافر

(١) الجفر : ولد الشاة إذ استكرش وأكل ، وسمّى العلم الّذي كتب عليه بعلم الجفر ، وهو العلم الاجمالي على طريقة علم الحروف بلوح القضاء والقدر المحتوى على كلّ ما كان وما يكون ، وقالوا انّه مختصّ بآل البيت (عليهم السلام) .

(٢) سكن واستأمن .

(٣) ضيّقيو العيون .

(٤) بلاد واقعة على نهر آموداريا الأسفل في تركستان الروسية ، ذكرها هيرودوتس ورأى البيروني فيها العمران قبل سنة ١٢٩٢ق،م .

(٥) كانت القصبة السياسية لولاية خراسان ثم أصبحت المركز الثقافي والديني لمملكة طخارستان اجتاحتها قبائل جنكيزخان فدمّرتها .

والديلمان[1] جبالها ودحالها ورها ستخرب بعد أخذ نشاور
والريّ يسفك فيه دم عصابة من آل أحمد لا بسيف الكافر
وتفر سفاك الدما منهم كما فرّ الحمام من العقاب الكاسر
فهو الخوارزمي يكسر جيشه في نصف شهر من ربيع الآخر
ويموت من كمد على ما ناله من ملكه في لجّ بحر زاخر
وتذلّ عترته وتشقى ولده لظهور نجم للذؤابة زاهر
ويكون في نصف القران ظهوره لكن سعادته كلمح الناظر
وتثور أعداه عليه ويلتقي ويعود منهزماً بصفقة خاسر
ويكون آخر عمره في آمد يسري إليه وما له من ساتر
وتعود عظم جيوشه مرتدّة عنه إلى الخصم الألدّ الفاجر
وديار بكر سوف يقتل بعضهم بالسيف بين أصاغر وأكابر
وترى بآذربيج[2] بدو خيامه نصبت لجاجاً من عدوّ كافر
تفني عساكره ويفنى جيشه متمزّقاً في كلّ قفر واعر
والويل ما تلقى النصارى منهم بالذلّ بين أصاغر وأكابر
والويل ان حلّوا ديار ربيعة ما بين دجلتها[3] وبين الجازر[4]
ويدوخون ديار بابل[5] كلّها من شهر زور إلى بلاد السامر

---

(١) الديلم هي القسم الجبلي من جبال جيلان شمالي بلاد قزوين .

« ن . ر »

(٢) اقليم في بلاد إيران على الحدود الشماليّة الغربية عاصمته تبريز ، ومنها قسم يؤلف اليوم جمهورية سوفياتية على ساحل بحر قزوين وعاصمتها باكو .

(٣) نهر ينبع من تركيا ويجري بديار بكر والموصل وبغداد ويمتزج بنهر الفرات في شطّ العرب ومن سواعده : الزاب الأكبر والزاب الأصغر وديالى .

(٤) واد بين الكوفة وفيد .

(٥) البلاد التي تتألف منها مملكة بابل.

وخلاط[1] ترجع بعد بهجة منظر قفراً تداوس باختلاف الحافر
هذا وتغلق اربل[2] من دونهم تسعاً وتفتح في النهار العاشر
وبطون نينوه[3] ويؤخذ مالها ودوابها من معشر متجاور
ولربما ظهرت عساكر موصل[4] تبغي الأمان من الخؤون الغادر
فتراهم نزلاً بشاطىء دجلة ومضوا إلى بلد بغير تفاتر
وترى إلى الثرثار[5] نهباً واقعاً ودماً يسيل وهتك ستر ساتر
ويكون يوم حريق زهرتها التي تأتيهم مطر كبحر زاخر
وا حسرتاه على البلاد وأهلها ماذا يكون وما لهم من ناصر
ولربما ظهرت عليهم فتية من آل صعصعة[6] كرام عشائر
يسقون من ماء الفرات[7] خيولهم من كلّ ظام فوق صهوة ضامر
تلقاهم حلب[8] بجيش لو سرى في البحر أظلم بالعجاج الثائر

---

(١) بلد بأرمينية .

(٢) مدينة بالعراق في شماليه قرب الموصل .

(٣) مدينة اثرية في العراق وهي عاصمة بلاد آشور القديمة واسمها اليوم كويونجيك بالقرب من الموصل .

(٤) مدينة في العراق لقّبت بالحدباء ، كائنة على نهر دجلة بالقرب من انقاض نينوة كانت قاعدة بلاد بني ربيعة .

(٥) عين غزيرة بالماء بالجزيرة ، أو هي نهر بعينه ، أو واد كائن قرب سامراء بني عليه اليوم سدّ .

(٦) قبيلة عربيّة تنسب إلى صعصعة .

(٧) نهر ينبع من أرمينيا يقطع جبال طوروس ويجتاز سوريا والعراق ويصبّ متّحداً مع دجلة في شطّ العرب .

(٨) قاعدة سوريا الشمالية وهي من أقدم مدن العالم فقد ذكرت في الكتابات الحثية سنة ٢٠٠٠ ق.م. اتّخذها سيف الدولة عاصمة لمملكته فازدهرت فيها العلوم والفنون الإسلاميّة .

وإذا مضى حدّ القران رأيتهم يردون جلق وهي ذات عساكر
يفنيهم الملك المظفر مثل ما فنيت ثمود[1] في الزمان الغابر
ويبيدهم نجل الإمام محمّد بحسامه الماضي الغرار الباتر
ولربما أبقى الزمان عصابة منهم فيهلكهم حسام الناصر
والترك تفني الفرس لا يبقى لهم أثر كذا حكم المليك القادر
في أرض كنعان[2] تظل جسومهم مرعى الذئاب وكلّ نسر طائر
وتجول عبّاد الصليب عليهم بالسيف ذات ميامن ومياسر
يا ربع بغداد لما تحويه من جثث محلّقة ورأس طائر
وكذا الخليفة جعفر سيظلّ في أرض وليس لسبلها من خاطر
وكذا العراق قصورها وربوعها تلك النواحي والمشيد العامر
يفنيهم سيف القِران فيا لها من سفرة أودت بمال التاجر
والروم[3] تكسرهم وتكسر بعدهم عاماً وليس لكسرها من جابر
تمحي خلافته وينسى ذكره بين البريّة صنع ربّ قادر
فترى الحصون الشامخات مهدّة لم يبق فيها ملجأ لمسافر
وترى قراها والبلاد تبدّلت بعد الأنيس بكلّ وحش نافر
(الكامل)

وأنشدني بعض التجّار من أهل العجم قصيدة لابن سينا في هذا المعنى على قافية الراء الساكنة وأوّلها :

---

(١) شعب عربيّ قديم باد اثره قبل ظهور الإسلام ، وقد ورد ذكرهم في القرآن الكريم ، وثبت وجودهم تاريخيّاً في كتابة سرجون سنة ٣١٥ ق.م. وفي كتب الرومان واليونان وفي الشعر الجاهلي .

(٢) ناحية في العراق كان اسمها مهروز ، وهي الآن تدعى لواء ديالى .

(٣) اسم أطلقه العرب على البيزنطيّين .

إذا شرق المريخ من أرض بابل ... واقترن النحسان فالحذر الحذر
ولا بدّ أن تجري أمور عجيبة ... ولا بدّ أن تأتي بلادكم التتر

(الطويل)

ولم يكن يحفظ إلّا بعض القصيدة على غير الصواب فما نقلتها عنه .

بعض كتبه الأخرىٰ :

وللشيخ الرئيس من الكتب كما وجدناه غير ما هو مثبت فيما تقدّم من كلام أبي عبيد الجوزجاني : كتاب اللواحق يذكر انّه شرح الشفاء. كتاب الشفاء ، جمع جميع العلوم الأربعة فيه وصنّف طبيعيّاته والهيّاتها في عشرين يوماً بهمدان . كتاب الحاصل والمحصول ، صنفه ببلده للفقيه أبي بكر البرقي في أول عمره في قريب من عشرين مجلدة ، ولا يوجد إلّا نسخة الأصل . كتاب البرّ والاثم ، صنفه أيضاً للفقيه أبي بكر البرقي في الأخلاق مجلدتان ، ولا يوجد إلّا عنده . كتاب الانصاف عشرون مجلدة شرح فيه جميع كتب ارسطوطاليس وأنصف فيه بين المشرقيين والمغربيين ، ضاع في نهب السلطان مسعود ، كتاب المجموع ويعرف بالحكمة العروضيّة ، صنفه وله إحدى وعشرون سنة لأبي الحسن العروضي من غير الرياضيات . كتاب القانون في الطب صنف بعضه بجرجان وبالرس ، وتممه بهمدان ، وعول على أن يعمل له شرحاً وتجارب . كتاب الأوسط الجرجاني في المنطق صنفه بجرجان لأبي محمد الشيرازي . كتاب المبدأ والمعاد في النفس ، صنفه له أيضاً بجرجان ووجدت في أول هذا الكتاب انه صنفه للشيخ أبي أحمد محمد إبراهيم الفارسي . كتاب الارصاد الكلية صنفها أيضاً بجرجان لأبي محمد الشيرازي .

كتاب المعاد صنفه بالري للملك مجد الدولة . كتاب لسان العرب في اللغة صنفه باصفهان ولم ينقله إلى البياض ، ولم يوجد له نسخة ولا مثله ، ووقع إلى بعض هذا الكتاب وهو غريب التصنيف . كتاب دانش مايه العلائي بالفارسية ، صنفه لعلاء الدين ابن كاكويه بأصفهان . كتاب النجاة صنفه في طريق سابور خواست ، وهو في خدمة علاء الدولة . كتاب الاشارات والتنبيهات وهي آخر ما صنف في الحكمة وأجوده ، وكان يضن بها . كتاب الهداية في الحكمة صنفه وهو محبوس بقلعة فردجان لأخيه علي ، يشتمل على الحكمة مختصراً . كتاب القولنج صنفه بهذه القلعة أيضاً ، ولا يوجد تاماً . رسالة حي بن يقظان صنفها بهذه القلعة أيضاً رمزاً عن العقل الفعّال . كتاب الأدوية القلبية صنفها بهمدان وكتب بها إلى الشريف السعيد أبي الحسين علي بن الحسين الحسيني . مقالة في النبض بالفارسية . مقالة في مخارج الحروف ، وصنفها بأصفهان للجبائي . رسالة إلى أبي سهل المسيحي في الزاوية صنفها بجرجان . مقالة في القوى الطبيعية إلى أبي سعد الميامي . رسالة الطبر مرموزة تصنيف فيما يوصله إلىٰ علم الحق . كتاب الحدود . مقالة في تعرض رسالة الطبيب في القوى الطبيعية . كتاب عيون الحكمة يجمع العلوم الثلاثة . مقالة في عكوس ذوات الجهة . الخطب التوحيديّة في الإلّهيّات . كتاب الموجز الكبير في المنطق ، وأما الموجز الصغير فهو منطق النجاة . القصيدة المزدوجة في المنطق صنفها للرئيس أبي الحسن سهل بن محمد السهلي بكركانج . مقالة في تحصيل السعادة ، وتعرف بالحجج الغر . مقالة في القضاء والقدر صنفها في طريق أصفهان عند خلاصه وهربه إلى أصفهان . مقالة في الهندبا . مقالة في الإشارة إلى علم المنطق . مقالة في تقاسيم الحكمة

والعلوم . رسالة في السكنجبين . مقالة في اللانهاية كتاب تعاليق علقه عند تلميذه أبو منصور بن زيلا . مقالة في خواص خط الاستواء . المباحثات بسؤال تلميذه أبي الحسن بهمنيار بن المرزبان وجوابه له . عشر مسائل أجاب عنها لأبي الريحان البيروني . جواب ست عشرة مسألة لأبي الريحان . مقالة في هيئة الأرض من السماء وكونها في الوسط . كتاب الحكمة المشرقية لا يوجد تامّاً. مقالة في تعقب المواضع الجدلية . المدخل إلى صناعة الموسيقى ، وهو غير الموضوع في النجاة . مقالة في الأجرام السماوية كتاب التدارك لأنواع خطا التدبير ، سبع مقالات ألفه لأبي الحسن أحمد بن محمد السهلي. مقالة في كيفية الرصد ومطابقته مع العلم الطبيعي . مقالة في الأخلاق . رسالة إلى الشيخ أبي الحسن سهل بن محمد السهلي في الكيمياء . مقالة في آلة رصدية صنعها بأصفهان عند رصده لعلاء الدولة . مقالة في غرض قاطيغورياس . الرسالة الأضحوية في المعاد صنفها للأمير أبي بكر محمد بن عبيدة معتصم الشعراء في العروض ، صنفه ببلاده ، وله سبع عشرة سنة . مقالة في حد الجسم . الحكمة العرشية وهو كلام مرتفع في الإلٓهيات عهد له عاهد الله به لنفسه . مقالة في أن علم زيد غير علم عمرو . كتاب تدبير الجند والمماليك والعساكر وأرزاقهم وخراج الممالك . مناظرات جرت له في النفس مع أبي علي النيسابوري ، خطب وتمجيدات وأسجاع جواب يتضمّن الاعتذار فيما نسب إليه من الخطب . مختصر أوقليدس أظنه المضمون إلى النجاة . مقالة الارثماطيقي . عشر قصائد وأشعار في الزهد وغيره يصف فيها أحواله . رسائل بالفارسية والعربية ، ومخاطبات ومكاتبات وهزليّات . تعاليق مسائل حنين في الطب . قوانين ومعالجات طبّية . مسائل عدة طبية عشرون مسألة سأله عنها

بعض أهل العصر. مسائل ترجمها بالتذاكير جواب مسائل كثيرة . رسالة له إلى علماء بغداد يسألهم الانصاف بينه وبين رجل همداني يدعى الحكمة . رسالة إلى صديق يسأله الانصاف بينه وبين الهمداني الذي يدعي الحكمة . جواب لعدة مسائل كلام له في تبين ماهية الحروف . شرح كتاب النفس لأرسطوطاليس ويقال انه من الانصاف . مقالة في النفس تعرف بالفصول . مقالة في إبطال أحكام النجوم . كتاب الملح في النحو. فصول إلهية في إثبات الأول . فصول في النفس والطبيعيات. رسالة إلى أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي في الزهد . مقالة في انه لا يجوز أن يكون شيء واحد جوهراً وعرضاً . مسائل جرت بينه وبين بعض الفضلاء في فنون العلوم . تعليقات استفادها أبو الفرج الطبيب الهمداني من مجلسه وجوابات له . مقالة ذكرها في تصانيفه انها في الممالك وبقاع الأرض . مختصر في أن الزاوية التي من المحيط والمماس لا كمية لها . أجوبة لسؤالات سأله عنها أبو الحسن العامري وهي أربع عشرة مسألة . كتاب الموجز الصغير في المنطق . كتاب قيام الأرض في وسط السماء ألفه لأبي الحسين أحمد بن محمد السهلي . كتاب مفاتيح الخزائن في المنطق ، كلام في الجوهر والعرض كتاب تأويل الرؤيا . مقالة في الرد على مقالة الشيخ أبي الفرج بن الطيب . رسالة في العشق ألفها لأبي عبيدالله الفقيه . رسالة في القوى الإنسانيّة وإدراكاتها .

قول في تبين ما الحزن وأسبابه مقالة إلى أبي عبيدالله الحسين بن سهل بن محمد السهلي في أمر مشوب[1].

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٤٣٧ ـ ٤٥٩ .

بعض من عاصره :

وفي بعض مصنّفات مولانا أحمد النراقي (ره) انّه قد كان بين هذا الشيخ وبين الشيخ أبي سعيد ابن أبي الخير الزاهد المتصوّف المشهور مكاتبات ومراسلات تكلّم كلّ منهما فيما كتبه على مشربه ومذاقه ولم تخل من لطف غير أنا أعرضنا عن الذكر لجملتها حذراً عن التطويل ، وفي آخر بعض ما كتبه الشيخ هكذا : وليعلم أنّ أفضل الحركات الصلاة ، وأفضل السكنات الصوم ، وأفضل البرّ العطاء ، وأزكى السير الاحتمال ، وأبطل السعي المراءاة ، وخير العمل ما صدر عن خالص النيّة ، وخير النيّة ما خرج عن حباب علمه ، والحكمة أمّ الفضائل ، ومعرفة الله أوّل الأوائل ، إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه .

أقول هذا وأستغفر الله وأتوب إليه وأستكفيه وأسأله أن يقرّبني إليه إنّه سميع مجيب ، والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله أجمعين .

مكافحته للفئران :

كان[1] يوجد ملك في حلب ، وكانت هذه المدينة قد خرّبت بعدد عظيم من الفئران التي ما انفكّ الأهلون يتضرّرون منها ومما حدث يوماً ان كان الملك يكلم ابن سينا ، وأن الحديث دار حول الفئران ، فسأل الملك هذا الطبيب عن وجود وسيلة لابادتها فأجاب الطبيب بقوله : « أستطيع أن أصنع ما لا يبقى معه أيّة فارة في المدينة في بضع ساعات ، ولكن على أن تكون أنت عند أبواب المدينة وألاّ

(١) فلاسفة الشيعة نقلاً عن شارل ويلز ، آداب الترك ص ١١٤ .

تضحك ممّا ترى » فرضي الملك بذلك مسروراً ، وشدّ السرج على فرسه ، وذهب إلى الباب وانتظر وذهب ابن سينا من ناحية الطريق المؤدية إلى الباب وأخذ يقرأ إحدى الرّقى ، فجاءت فأرة ، فأمسكها ابن سينا وقتلها ووضعها في تابوت ودعا أربعة فئران لحمله ، ويداوم على رقاه ، وتأخذ الفئران في المشي وهي تخبط أرجلها ، وتحضر فئران المدينة كلّها لحضور الجنازة ، وتتقدم مصفوفة إلى الباب حيث كان الملك ، ويسبق بعضها الجنازة ويسير بعضها الآخر خلفها ، وينظر الملك ، ولكنه لم يتمالك أن قهقه عندما رأى الفئران الحاملة للتابوت ، وتموت جميع الفئران التي جاوزت الباب حالاً ، وأما التي لم تزل داخل المدينة فقد انفصل بعضها عن بعض وفرّت ، فقال ابن سينا « أيّها الملك ، لو أمسكت عن الضحك بضع دقائق أخرى ما بقي في المدينة واحدة منها ، ولكشف الهمّ عن جميع الناس » فندم الملك ، ولكن ما الحيلة؟ لا فائدة من ندم بعد الأوان .

معالجته لشاب عشق فتاة :

استدعى ابن سينا للكشف على أحد المرضى وبعد فحصه فحصاً دقيقاً تأكّد أنه لا يعاني من مرض عضوي ولكن من حالة نفسية وعندئذٍ استدعى رجلاً يعرف أحياء المدينة وشوارعها خير المعرفة « وأخذ في سرد أسماء الأحياء اسماً اسماً بينما يضع ابن سينا اصبعه على رسغ المريض ويحسّ نبضه ويلحظ التغيّرات على وجهه حيث لاحظ عليه التأثر عند ذكر اسم حيّ معيّن وعندئذٍ بدأ في ذكر شوارع ذلك الحيّ حتّى اكتشف الشارع الذي تأثّر بذكره هذا المريض ، وهكذا حتى وصل إلى ذكر البيوت وساكنيها فرداً فرداً حتى ذكر اسم فتاة معيّنة فعرف أن الشاب يهواها وكان العلاج هو الزواج وتم بعده الشفاء» .

معالجته لمريض ظن أنه بقرة :

طُلِبَ ابن سينا لعلاج حالة مريض نفسي يعتقد أنه بقرة ويرفض الطعام الذي يقدم له ويطلب أن يذبح وعندئذٍ استَدْعَىٰ ابنُ سينا جزَّاراً ووعد المريض أن يذبحه ولكنه أخذ يتحسّس جسمه ثم قال : « لا . . . هذه البقرة هزيلة جِدّاً وتحتاج لبعض التغذية وفعلاً أخذ المريض في تناول الطعام ثم شفى بعدها » .

ذكاء ابن نوح الطبيب

حدثنا[1] (أبو الحسن المهدي القزويني) قال : كان عندنا طبيب يقال له (ابن نوح) فلحقتني سكتة فلم يشك أهلي في موتي وغسّلوني وكفّنوني وحملوني على الجنازة فمرت الجنازة عليه ونساءٌ خلفي يصرخن فقال لهم إن صاحبكم حي فدعوني أعالجه فصاحوا عليه فقال لهم الناس دعوه يعالجه فإن عاش وإلاّ فلا ضرر عليكم فقالوا نخاف أن تصير فضيحة فقال عليّ أن لا تصير الفضيحة قالوا فإن صرنا؟ قال : حكم السلطان في أمري .

وان برأ فأيّ شيء لي؟ قالوا : ما شئت ، قال : ديته ، قالوا : لا نملك ذلك فرضي منهم بمال أجابه الورثة إليه وحملني فأدخلني الحمام وعالجني وأفَقْتُ في الساعة الرابعة والعشرين من ذلك الوقت ووقعت البشائر ودفع إليه المال ، فقلت للطبيب بعد ذلك من أين عرفت هذا؟ فقال : رأيت رجليك في الكفن منتصبة وأرجل الموتى منبسطة ولا يجوز انتصابها فعلمت أنك حيّ وخمّنتُ أنك أسكت وجربت عليك فصحّت تجربتي .

---

(١) كفاية الخطيب ج٢ / للسيد مهدي السويج .

الطبيب الذكي
أبو بكر محمد بن زكريا الرازي

مولده ومنشأه بالري، وسافر إلى بغداد وأقام بها مدّة وكان قدومه إلى بغداد وله من العمر نيف وثلاثون سنة .

وقيل : إنّ الرازي كان في أول أمره صيرفياً . ومما يحقّق ذلك أنني وجدت نسخة من المنصوري قديمة قد سقط آخرها واحترق أكثرها من عتقها ، وهي مترجمة بذلك الخط على هذا المثال : كناش المنصوري ، تأليف محمد بن زكريا الرازي الصيرفي . وأخبرني من هي عنده أنها خط الرازي . وكان الرازي معاصراً لإسحاق بن حنين ومن كان معه في ذلك الوقت ، وعُميَ في آخر عمره بماء نزل في عينيه فقيل له : لو قدحت؟ فقال : لا قد نظرت من الدنيا حتى مللت . فلم يسمح بعينيه للقدح . وقال أبو الخير الحسن بن سوار ابن بابا ، وكان قريب العهد منه : ان الرازي توفّى في سنة نيف وتسعين ومائتين أو ثلاثمائة وكسر ، قال : والشك مني .

ونقلت من خط بلمظفر بن معرف أن الرازي توفى في سنة عشرين وثلاثمائة . وقال عبيدالله بن جبرئيل : كان أبو بكر محمد بن زكريا الرازي له المنزلة الجليلة بالري وسائر بلاد الجبل . قال :

وعاش إلى أن لحقه ابن العميد[1] أستاذ الصاحب[2] بن عباد ، وهو كان سبب إظهار كتابه المعروف بالحاوي ، لأنه كان حصل بالري بعد وفاته فطلبه من أُخت أبي بكر ، وبذل لها دنانير كثيرة حتى أظهرت له مسودأت الكتاب . فجمع تلاميذه الأطباء الذين كانوا بالري حتى رتبوا الكتاب ، وخرج على ما هو عليه من الاضطراب .

بعض كلماته :

ومن كلام أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال :

الحقيقة في الطب غاية لا تدرك ، والعلاج بما تنصه الكتب دون أعمال الماهر الحكيم برأيه خطر .

وقال : الاستكثار من قراءة كتب الحكماء ، والأشراف على أسرارهم ، نافع لكل حكيم عظيم الخطر .

وقال : العمر يقصر عن الوقوف على فعل كل نبات في الأرض فعليك بالأشهر ، مما أجمع عليه ، ودع الشاذ ، واقتصر على ما جربت .

وقال : من لم يعن بالأمور الطبيعية ، والعلوم الفلسفية ، والقوانين المنطقية ، وعدل إلى اللذّات الدنيائية ، فاتهمه في علمه ، لا سيما في صناعة الطب .

---

(١) أبو الفضل محمد الخطيب ابن العميد وزير ركن الدولة البويهي . غلب الخراسانيين واسترد منهم اصفهان ومنع عنهم الري . وتوفّى سنة ٩٧١ .

(٢) أبو القاسم اسماعيل الطالقاني وزير بني بويه ولقّب بالصاحب . أخضع طبرستان ورتّب أمورها . وتوفّى في الري ودفن في أصفهان (٩٣٨ - ٩٩٥) (ن . ر) . .

وقال : متى اجتمع جالينوس وارسطوطاليس على معنى فذلك هو الصواب ، ومتى اختلفا صعب على العقول إدراك صوابه جدّاً .

وقال : الأمراض الحارة أقتل من الباردة لسرعة حركة النار .

وقال : الناقهون من المرض إذا اشتهوا من الطعام ما يضرّهم فيجب للطبيب أن يحتال في تدبير ذلك الطعام وصرفه إلى كيفيّة موافقة ، ولا يمنعهم ما يشتهون بتة .

وقال : ينبغي للطبيب أن يوهم المريض أبداً الصحة ويرجيه بها ، وإن كان غير واثق بذلك ، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النّفس .

وقال : الأطباء الأميون والمقلدون ، والأحداث الذين لا تجربة لهم ، ومن قلت عنايته وكثرت شهواته ، قَتَّالُون .

وقال : ينبغي للطبيب أن لا يدع مساءلة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته من داخل ومن خارج ، ثم يقضي بالأقوى .

ينبغي الاقتصار على طبيب واحد :

وقال : ينبغي للمريض أن يقتصر على واحد ممن يوثق به من الأطباء ، فخطؤه في جنب صوابه يسير جدّاً .

وقال : من تَطَبّب عند كثيرين من الأطباء يوشك أن يقع في خطأ كل واحد منهم .

وقال : متى كان اقتصار الطبيب على التجارب دون القياس وقراءة الكتب خذل .

وقال : لا ينبغي أن يوثق بالحسن العناية في الطب حتى يبلغ الأشد ويجرب .

ينبغي للطبيب أن يكون بين الرغبة والرهبة :

وقال : ينبغي أن تكون حالة الطبيب معتدلة ، لا مقبلاً على الدنيا كلية ولا معرضاً عن الآخرة كلية ، فيكون بين الرغبة والرهبة .

وقال : بانتقال الكواكب الثابتة في الطول والعرض تنتقل الأخلاق والمزاجات .

وقال : باختلاف عروض البلدان تختلف المزاجات والأخلاق والعادات وطباع الأدوية والأغذية ، حتى يكون ما في الدرجة الثانية من الأدوية في الرابعة ، وما في الرابعة في الثانية .

المعالجة بالأغذية خير من المعالجة بالأدوية :

وقال : إن استطاع الحكيم أن يعالج بالأغذية دون الأدوية فقد وافق السعادة .

وقال : ما اجتمع الأطباء عليه ، وشهد عليه القياس وعضدته التجربة ، فليكن أمامك ، وبالضد .

ومن شعر أبي بكر محمد بن زكريا الرازي قال :

لعمري ، ما أدري ، وقد آذن البلى بعاجل ترحال ؛ إلى أين ترحالي؟
وأين محل الروح بعد خروجه من الهيكل المنحل والجسد البالي؟
(الطويل)

قال صاحب عيون الأنباء : ــ

وحدثني بعض الأطباء أن الرازي كان قد باع لقوم من الروم سبائك ذهب وساروا بها إلى بلادهم ، ثم انهم بعد ذلك بسنين عدة وجدوها وقد تغيّر لونها بعض التغيّر ، وتبيّن لهم زيفها فجاءوا بها إليه وألزم بردها .

حكاية اضافته الوزير :

وقال غيره أن الوزير كان أضافه الرازي فأكل عنده أطعمة لذيذة لا يمكن أن يأكل بأطيب منها ، ثم ان الوزير تحيّل بعد ذلك حتى اشترى إحدى الجواري التي تطبخ الأطعمة عند الرازي ظنّاً منه أن تطبخ مثل ذلك الطعام ، فلما صنعت له أطعمة لم يجدها كما وجدها عند الرازي . فلما سألها عن ذلك ، ذكرت له أن الطبيخ واحد ، بل إننا كنا نجد القدور التي عند الرازي جميعاً ذهباً وفضة . فسبق إلى وهمه حينئذٍ أن جودة الأطعمة إنما هي من ذلك ، وإن الرازي قد حصلت له معرفة الكيمياء . فاستحضر الوزير الرازي وسأله أن يعرفه ما قد حصل له من معرفة الكيمياء . فلما لم يذكر له الرازي شيئاً من ذلك ، وأنكر معرفته خنقه سراً بوتر .

الطبيب الذكي
أبو نصر الفارابي

هو أبو نصر محمد بن محمد بن اوزلغ بن طرخان ، مدينته فاراب ، وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان ، وكان أبوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب ، وكان ببغداد مدّة ، ثم انتقل إلى الشام ، وأقام به إلى حين وفاته .

وقال صاحب عيون الأنباء : ـ

وفي التاريخ أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج[1] فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق . وكان الفارابي أيضاً يشعر . وَسُئِلَ أبو نصر : من أعلمْ أنتَ أمْ أرسطو؟ فقال : لو أدركته لكنت أكبر تلاميذه . ويذكر عنه أنه قال : قرأت السماع لأرسطو أربعين مرة ، وأرى اني محتاج إلى معاودته ، وهذا دعاء لأبي نصر الفارابي قال : اللهم إنّي أسألك يا واجب الوجود ، ويا علّة العلل ، قديماً لم يزل ، ان تعصمني من الزلل ، وان تجعل لي من الأمل ما ترضاه لي من عمل . اللهم امنحني ما اجتمع من المناقب ، وارزقني في أموري حسن العواقب . نجح مقاصدي

---

(١) من علماء وأئمة النحو المشهورين وإليه انتهت الرياسة في النحو بعد المُبَرِّد ، وكتابه الأصول الكبيرة المرجع عند اضطراب النقل ، وجمع فيه أصول علم العربية .

والمطالب ، يا إلهَ المشارق والمغارب . رب الجوار الكُنَّس السبع التي انبجست عن الكون انبجاس الأبهر ، هنّ الفواعل عن مشيئته التي عَمَّت فضائِلُها جميع الجوهر . أَصْبَحْتُ أرجو الخير منك وأمتري زحلاً ونفس عطارد والمشتري . اللهم ألبسني حُلَلَ البهاء ، وكرامات الأنبياء ، وسعادة الأغنياء ، وعلوم الحكماء ، وخشوع الأتقياء .

اللهم أنقذني من عالم الشقاء والفناء واجعلني من اخوان الصفاء ، وأصحاب الوفاء ، وَسُكَّان السماء ، مع الصدّيقين والشهداء أنت الله الإلٰه الذي لا إلٰه إلَّا أنت ، علّة الأشياء ، ونور الأرض والسماء . امنحني فيضاً من العقل الفعّال ، يا ذا الجلال والافضال ، هَذِّبْ نفسي بأنوار الحكمة ، وأوزِعْني شُكْرَ ما أوليتني من نعمة ، أرني الحق حقّاً وألهِمْنِي آتّباعَه ، والباطل باطلاً وآحْرِمْني آعتقاده واستماعه ، هَذِّبْ نفسي من طينة الهيولى إنك أنت العلَّة الأُولىٰ .

يا علّة الأشياء جمعاً والذي ... كانت به عن فيضه المتفجر
ربّ السماوات الطباق ومركز ... في وسطهن من الثرى والأبحر
إنّي دعوتك مستجيراً مذنباً ... فاغفر خطيئة مذنب ومقصر
هذب بفيض منك رب الكل من ... كدر الطبيعة والعناصر عنصري
(الكامل)

اللهم ، رب الأشخاص العلويّة ، والأجرام الفلكية ، والأرواح السماوية ، غلبت على عبدك الشهوة البشريّة ، وحبّ الشهوات والدنيا الدنيّة . فاجعل عصمتك مجنى من التخليط ، وتقواك حصني من التفريط ، إنّك بكلّ شيء محيط . اللهم انقذني من أسر الطبائع الأربع ، وانقلني إلى جنانك الأوسع وجوارك الأرفع اللهم ، اجعل الكفاية سبباً لقطع مذموم العلائق التي بيني وبين الأجسام الترابية ،

والهموم الكونية واجعل الحكمة سبباً لاتّحاد نفسي بالعوالم الإلّهية ، والأرواح السماوية . اللهم طهّر بروح القدس الشريفة نفسي وأثر بالحكمة البالغة عقلي وحسي ، واجعل الملائكة بدلاً من عالم الطبيعة أنسي . اللهم ، ألهمني الهدى ، وثبّت إيماني بالتقوى ، وبغّض إلى نفسي حب الدنيا . اللهم ، قوّ ذاتي على قهر الشهوات الفانية ، وألحق نفسي بمنازل النفوس الباقية ، واجعلها من جملة الجواهر الشريفة الغالية ، في جنّات عالية . سبحانك اللهم سابق الموجودات التي تنطق بألسنة الحال والمقال ، إنك المعطي كل شيء منها ما هو مستحقّه بالحكمة ، وجاعل الوجود لها بالقياس إلى عدمها نعمة ورحمة . فالذوات منها والأعراض مستحقّة بآلائك ، شاكرة فضائل نعمائك ، وإن من شيء إلّا يسبّح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم . سبحانك اللهم وتعاليت ، إنك الله الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . اللهم ، إنك قد سجنت نفسي في سجن من العناصر الأربعة ، ووكلت بافتراسها سباعاً من الشهوات . اللهم ، جد لها بالعصمة ، وتعطف عليها بالرحمة التي هي بك أليق ، وبالكرم الفائض الذي هو منك أجد وأخلق ، وامنن عليها بالتوبة العائدة بها على عالمها السماوي ، وعجّل لها بالأوبة إلى مقامها القدسي ، واطلع على ظلمائها شمساً من العقل الفعّال ، وامط عنها ظلمات الجهل والضلال ، واجعل ما في قواها بالقوّة كامناً بالفعل، واخرجها من ظلمات الجهل إلى نور الحكمة وضياء العقل . الله وليّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور . اللهم ، أرِ نفسي صور الغيوب الصالحة في منامها ، وبدلها من الأضغاث برؤيا الخيرات والبشرى الصادقة في أحلامها ، وطهّرها من الأوساخ التي تأثرت بها عن محسوساتها وأوهامها ، وامط

عنها كدر الطبيعة ، وأنزلها في عالم النفوس المنزلة الرفيعة . الله الذي هداني وكفاني وآواني .

ومن شعر أبي نصر الفارابي قال :

لما رأيت الزمان نكساً ... وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال ... وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضاً ... به من العزّة اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحاً ... لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامي ... ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم ... قد أقفرت منهم البقاع

(البسيط)

وقال أيضاً :

أخي خل حيّز ذي باطل ... وكن للحقائق في حيّز
فما الدار دار خلود لنا ... ولا المرء في الأرض بالمعجز
وهل نحن إلاّ خطوط وقعن ... على كرة وقع مستوفز
ينافس هذا الهذ على ... أقلّ من الكلم الموجز
محيط السماوات أولى بنا ... فكم ذا التزاحم في المركز[1]

(المتقارب)

---

(١) عيون الأنباء ص ٦٠٦ .

الطبيب الذكي
أبو مؤيد العنتري

هو[1] أبو المؤيّد محمد بن المجلي بن الصائغ الجزري، كان طبيباً مشهوراً وعالماً مذكوراً ، حسن المعالجة ، جيد التدبير ، وافر الفضل ، فيلسوفاً متميّزاً في علم الأدب .

وله شعر كثيرفي الحكمة وغيرها ، قال صاحب عيون الأنباء :

سبب اشتهاره بالعنتري :

حدثني الحكيم سديد الدين محمود بن عمر : انّ العنتري كان في أول أمره يكتب أحاديث عنتر العبسي فصار مشهوراً بنسبته إليه .

بعض كلام العنتري في الحكمة :

ومن كلامه في الحكمة قال :

بني ، تعلّم العلوم فلو لم تنل من الدنيا إلاّ الغنى عمّن يستعبدك بحق أو بباطل .

وقال : بني ، إن الحكمة العقلية تريك العالم يقادون بأزمة الجهل إلى الخطأ والصواب .

وقال: الجاهل عبد لا يعتق رقه إلاّ بالمعرفة .

---

(١) عيون الأنباء ص ٣٨٩ .

الحكمة سراج النفس . . . .

وقال : الحكمة سراج النفس فمتى عدمتها عميت النفس عن الحق .

وقال : الجاهل سكران لا يفيق إلاّ بالمعرفة .

الحكمة غذاء النفس وجمالها . .

وقال : الحكمة غذاء النفس وجمالها ، والمال غذاء الجسد وجماله ، فمتى اجتمعا للمرء زال نقصه ، وتمّ كماله ، ونعم باله .

وقال : الحكمة دواء من الموت الأبدي .

وقال : كون الشخص بلا علم كالجسد بلا روح .

وقال : الحكمة شرف من لا شرف له قديم .

الأدب أزين للمرء من نسبه . .

وقال : الأدب أزين للمرء من نسبه ، وأولى بالمرء من حسبه وأدفع عن عرضه من ماله ، وأرفع لذكره من جماله .

وقال : من أحب أن ينوه باسمه فليكثر من العناية بعلمه .

وقال : العالم المحروم أشرف من الجاهل المرزوق .

وقال : عدم الحَكمة هو العقم العظيم .

وقال : الجاهل يطلب المال ، والعالم يطلب الكمال .

وقال : الغم ليل القلب ، والسرور نهاره ، وشرب السم أهون من معاناة الهم .

قصيدة في بعض الوصايا الطبية :

ومن شعر أبي المؤيد محمد بن المجلي بن الصائغ المعروف

بالعنتري أنشدني إيّاه الحكيم سديد الدين محمود بن عمر بن رقيقة قال ، أنشدني مؤيد الدين ولد العنتري قال : أنشدني والدي بنفسه :

احفظ بني وصيّتي واعمل بها ... فالطب مجموع بنصّ كلامي
قدم على طب المريض عناية ... في حفظ قوته مع الأيّام،
بالشبه تحفظ صحّة موجودة ... والضد فيه شفاء كلّ سقام.
أقلل نكاحك ما استطعت فإنّه ... ماء الحياة يراق في الأرحام.
واجعل طعامك كلّ يوم مرّة، ... واحذر طعاماً قبل هضم طعام،
لا تحقر المرض اليسير فإنّه ... كالنار يصبح وهي ذات ضرام
وإذا تغيّر منك حال خارج، ... فاحتل لرجعة حل عقد نظام.
لا تهجرنّ القيء، واهجر كل ما ... كيموسه سبب إلى الأسقام،
إن الحمى ، عن الطبيعة مسعد ... شاف من الأمراض والآلام،
لا تشربنّ بعقب أكل عاجلاً، ... أو تأكلن بعقب شرب مدام،
والقيء يقطع والقيام كلاهما ... بهما وليس بنوع كل قيام.
وخذ الدواء إذا الطبيعة كررت ... بالاحتلام وكثرة الأحلام،
وإذا الطبيعة منك نقت باطناً ... فدواء ما في الجلد بالحمام.
إيّاك تلزم أكل شيء واحد ... فتقود طبعك للأذى بزمام،
وتزيد في الاخلاط إن نقصت به ... زادت فنقص فضلها بقوام،
والطب جملته، إذا حقّقته، ... حل وعقد طبيعة الأجسام
ولعقل تدبير المزاج فضيلة ... يشفي المريض بها وبالأوهام

(الكامل)

أقول : وهذه القصيدة تنسب أيضاً إلى الشيخ الرئيس ابن سينا[1] ، وتنسب إلى المختار بن الحسن بن بطلان ، والصحيح انها

(١) أبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا من كبار الفلاسفة وأئمّة المفكرين .

لمحمد بن المجلي لما قدمته من انشاد سديد الدين محمود ابن عمر لي مما أنشده مؤيد الدين بن العنتري لوالده مما سمعه منه . ووجدت العنتري أيضاً ذكرها في كتابه المسمى « بالنور المجتنى » وقال انها له وقال أيضاً أنشدنيها سديد الدين :

وجودي، به من كل نوع مركب   من العالم المعقول والمتركّب
فذهني مشكاة، ونفسي زجاجة   تضيء بمصباح الحجا المتلهّب
ونوري من النور الإلّهي دائماً   يصب على ذاتي بغير تسكّب
وزيتي من الزيتونة العذب دهنها،   تنزه عن وصف بشرق ومغرب
كأني في وصفي منارة راهب   بقنديلها الشفاف أشرف كوكب

(الطويل)

وقال أيضاً :

إذاً إن غدا والنفس منه كجنة   يغرد في أرجائها كلّ طائر
تدبرت السبع الطباق وفارقت   على شرف منها سجون العناصر

(الطويل)

وقال أيضاً :

كأننا ممتزج لم يزل   من عالم النيّر والمظلم
فبعضنا يختارها داره   وبعضنا يرقى إلى الأنجم

(السريع)

وقال أيضاً :

الحق ينكره الجهول لأنه   عدم التصور فيه والتصديقا
فهو العدو لكل ما هو جاهل   فإذا تصوره يعود صديقا

(الكامل)

وقال أيضاً :

لو كنت تعلم كلّ ما علم الورى ... جمعاً، لكنت صديق كل العالم،
لكن جهلت، فصرت تحسب كل من ... يهوى خلاف هواك، ليس بعالم.
استحيى ان العقل أصبح ضاحكاً ... مما تقول وأنت مثل النائم
لو كنت تسمع ما سمعت، وعالماً ... ما قد علمت، خجلت خجلة نادم
وضع الإله الخلف[1] في كل الورى ... بالطبع حتى صار ضربة لازم

(الكامل)

وقال أيضاً :

أبلغ العالمين عني باني ... كل علمي تصوّر وقياس
قد كشفت الأشياء بالفعل حتّى ... ظهرت لي وليس فيها التباس
وعرفت الرجال بالعلم لما ... عرف العلم بالرجال الناس

(الخفيف)

وقال أيضاً :

قالوا: رضيت، وأنت أعلم ذا الورى، ... بحقائق الأشياء عن باريها
تجتاب أبواب الخمول. فقلت: عن ... كره ولست بجاهل راضيها،
لي همة مأسورة لي صادفت ... سعداً بغير عوائق تثنيها،
ضاق الفضاء بها، فلا يسطيعها ... لعلوّها الأفلاك أن تحويها،
ما للمقاصد جمّة ومقاصدي ... ناط القضاء بها الفضا والتيها؟
أطوي الليالي بالمنى، وصروفها ... تنشرنني أضعاف ما أطويها.
إني على نوب الزمان لصابر ... إما سيفنى العمر أو يفنيها،
أما الذي يبقى فقد أحرزته ... والفانيات فما أفكر فيها.

(الكامل)

---

(١) الاختلاف.

وقال أيضاً :

بني، كن حافظاً للعلم مطرحاً … جميع ما الناس فيه تكتسب نسبا،
فقد يسود الفتى، من غير سابقة … للأصل، بالعلم حتى يبلغ الشهبا
غذ العلوم بتذكار تزد أبداً، … فالنار تخمد مهما لم تجد حطبا،
إني أرى عدم الإنسان أصلح من … عمر به لم ينل علماً ولا نسبا!
قضى الحياة، فلما مات شيعه … جهل، وفقر، فقد قضّاهما نصبا.

(البسيط)

وقال أيضاً :

كن غنيّاً ان استطعت وإلاّ … كن حكيماً فما عدا ذين غفل
إنما سؤدد الفتى المال والعلم، … وما ساد قطّ فقر وجهل

(الخفيف)

وقال أيضاً :

أقسم العمر ثلاثاً واستمع … يا بني النصح مني والرشادا:
فاطلب الحكمة في أوله ، … واحرز العلم وجب فيه البلادا،
واكسب الأموال في الثاني، وكل … واشرح الراح ولا تبغ الفسادا،
وترقب آخر العمر فإن … جاءك الموت ، فقد نلت المرادا ،
وإن اعتاقك ، في احداهما، … طارق الموت فقد حزت الجهادا،
هذه سيرة مسعود بها … نال في الدنيا وفي الأخرى السدادا[1]

(الرمل)

وقال أيضاً :

بني تعلم حكمة النفس انها … طريق إلى رشد الفتى ودليل

---

(١) الرشاد والصواب والاستقامة .

ولا تطلب الدنيا فإنّ كثيرها … قليل وعمّا رقدة فتزول
فمن كان في الدنيا حريصاً فإنه … يظل كئيب القلب وهو ذليل
ومن يترك الدنيا وأصبح راهباً … فما للأذى يوماً إليه سبيل
(الطويل)

وقال أيضاً :

نفسي تطالبني بما في طبعها … والعقل يزجرها عن الشهوات
والنفس تعلم إنّ ذلك واجب … والطبع يجذبها إلى العادات
والطبع يقصر عن مراد كليهما … فكلاهما وقف على الحسرات
والنفس من خمر الحياة وسكرها … ستفيق بين عساكر الأموات
(الكامل)

وقال أيضاً :

لا تدنينّ فتى يودّك ظاهراً … حبّاً وضدّ وداده في طبعه
واهجر صديقك أن تنكر ودّه … فالعضو يحسم داؤه في قطعه
(الكامل)

الطبيب الذكي
أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر

هو أبو مروان عبدالملك بن أبي العلاء بن أبي مروان عبدالملك بن محمد بن مروان بن زهر ، لحق بأبيه في صناعة الطب ، وكان جيّد الاستقصاء في الأدوية المفردة ، والمركّبة ، قال ابن أبي أُصَيْبِعَه[1] :

حكاية معالجته لخليفة وقته :

حدثني أبو القاسم المعاجيني الأندلسي أن الخليفة عبدالمؤمن احتاج إلى شرب دواء مسهّل ، وكان يكره شرب الأدوية المسهلة فتلطف له ابن زهر في ذلك ، وأتى إلى كرمة في بستانه فجعل الماء الذي يسقيها به ماء قد اكسبه قوة أدوية مسهّلة بنقعها فيه ، أو بغليانها معه . ولما تشربت الكرمة قوة الأدوية المسهلة التي أرادها ، وطلع فيها العنب ، وله تلك القوة ، أحم الخليفة ، ثم أتاه بعنقود منها وأشار عليه أن يأكل منه . وكان حسن الاعتقاد في ابن زهر ، فلما أكل منه وهو ينظر إليه قال له : يكفيك يا أمير . . . فإنك قد أكلت عشر حبّات من العنب ، وهي تخدمك عشر مجالس . فاستخبره عن علة ذلك وعرفه به . ثم قام على عدد ما ذكره له ووجد الراحة فاستحسن منه فعله هذا وتزايدت منزلته عنده .

---

(١) عيون الأنباء ص ٥٢٠ .

حكاية معالجته لمريض كبر جوفه واصْفرَّ لونُه

وحدثني الشيخ محي الدين أبو عبدالله بن علي بن محمد بن العربي الطائي الحاتمي من أهل مرسية أن أبا مروان عبدالملك بن زهر ، كان في وقت مروره إلى دار الأمير بإشبيلية ، يجد في طريقه عند حمام أبي الخير بالقرب من دار ابن مؤمل مريضاً به سوء قتبه[1] ، وقد كبر جوفه ، واصفرّ لونه فكان أبداً يشكو إليه حاله ، ويسأله النظر في أمره . فلما كان بعض الأيام سأله مثل ذلك فوقف أبو مروان بن زهر عنده ، ونظر إليه فوجد عند رأسه إبريقاً عتيقاً يشرب منه الماء ، فقال اكسر هذا الإبريق فإنه سبب مرضك . فقال له لا بالله يا سيّدي فإني ما لي غيره ، فأمر بعض خدمه بكسره فكسره فظهر منه لما كسر ضفدع وقد كَبُر مما له فيه من الزمان . فقال له ابن زهر : خلصت يا هذا من المرض انظر ما كنت تشرب . وبرأ الرجل بعد ذلك .

حكاية ابتلاءه بمرض وعدم قدرته على معالجته :

وحدثني القاضي أبو مروان محمد بن أحمد بن عبدالملك اللخمي ثم الباجي قال : حدثني من أثق به أنه كان بإشبيلية حكيم فاضل في صناعة الطب يعرف بالفار ، وله كتاب جيّد في الأدوية المفردة سفران ، وكان أبو مروان بن زهر كثيراً ما يأكل التين ويميل إليه . وكان الطبيب المعروف بالفار لا يغتذي منه بشيء ، وإن أخذ منه شيئاً فيكون واحدة في السنة ، فكان يقول هذا لأبي مروان بن زهر انه لا بد أن تعرض لك نغلة صعبة بمداومتك أكل التين والنغلة هو

---

(١) المعى .

الدبيلة بلغتهم . وكان أبو مروان يقول له لا بدّ لكثرة حميتك وكونك لم تأكل شيئاً من التين ان يصيبك الشناج قال : فلم يمت المعروف بالفار إلّا بعلّة التشنج وكذلك أيضاً عرض لأبي مروان بن زهر دبيلة في جنبه ، وتوفى بها . وهذا من أبلغ ما يكون من تقدمة الإنذار .

قال : ولما عرض لأبي مروان هذه العلّة ، كان يعالجها ويصنع لها مراهم وأدوية ، ولم تؤثر نفعاً يعتد به . فكان يقول له ابنه أبو بكر : يا أبي لو غيرت هذا الدواء بالدواء الفلاني ، ولو زدت من هذا الدواء أو استعملت دواء كذا وكذا ، فكان يقول له : يا بني إذا أراد الله تغيير هذه البنية فإنه لا يقدر لي أن أستعمل من الأدوية إلّا ما يتمّ به مشيئته وإرادته .

في ذكاء الطبيب أبي منصور ابن مارية وعلاجه للمستسقي بالحشيشة

قال[1] أبو منصور بن مارية وكان من رؤساء البصرة قال : أخبرني شيوخنا قال : كان بعض أهلنا قد استقى وأيسوا من حياته وقالوا لا حيلة لنا في برئه فسمع العليل فقال دعوني الآن أتزوّد من الدنيا وآكل ما أشتهي ولا تقتلوني بالحمية فقالوا كل ما تريد فكان يجلس بباب الدار فمهما اجتاز به اشتراه وأكله فمرّ به رجل يبيع جراداً مطبوخاً فاشترى منه عشرة أرطال فأكلها بأسرها فانحل طبعه فقام في ثلاثة أيام أكثر من ثلاثمائة فجلس وكاد يتلف ثم انقطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وثابت فبرأ خرج يتصرف في حوائجه فرآه بعض الأطباء فعجب من أمره وسأله عن الخبر فعرفه فقال ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل ولا بد أن يكون في الجراد الذي فعل هذا خاصية فأحب أن تدلني على صاحب هذا الجراد الذي باعه لك فما زالا في طلبه حتى علما به فرآه الطبيب فقال له ممن اشتريت هذا الجراد فقال ما اشتريته أنا أصيده وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه وأبيعه قال فمن أين تصطاده؟ فذكر له مكاناً على فراسخ يسيرة من بغداد فقال له الطبيب أعطيك ديناراً أو تجيء معي إلى الموضع الذي اصطدت منه الجراد قال : نعم ، فخرجا وعاد الطبيب من الغد ومعه من الجراد

(١) كتاب الأذكياء للسبط ابن الجوزي .

شيء ومعه حشيشة فقالوا له ما هذا؟ قال : صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل يرعى في صحراء جميع نباتها حشيشة يقال لها (مازريون) وهي من دواء الاستشفاء فإذا دفع إلى العليل منها وزن درهم أسهله إسهالاً عظيماً لا يؤمن أن ينضبط والعلاج بها خطر ولذلك ما يكاد يصفها الأطباء فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة ونضجت في معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلها بطبختين فاعتدلت بمقدار ما أبرأت هذا .

الطبيب الذكي
ارسطوطاليس

آدابه :

ومن[1] آداب ارسطوطاليس وكلماته الحكيمة ممّا ذكره الأمير (المبشر بن فاتك) قال أرسطوطاليس : ـ

اعلم انه ليس شيء أصلح من أولى الأمر إذا صلحوا ، ولا أفسدهم ولأنفسهم منهم إذا فسدوا . قالوا لي من الرعية بمنزلة الروح من الجسد الذي لا حياة له إلاّ بها .

وقال : احذر الحرص ، فأما ما هو مصلحك ومصلح على يديك فالزهد ، واعلم أن الزهد باليقين ، واليقين بالصبر ، والصبر بالفكر ، فإذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً لأن تكرمها بهوان الآخرة ، لأن الدنيا دار بلاء ومنزل بلغة[2] .

القناعة كل الغنى :

وقال : « إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فإنه من لم تكن له القناعة فليس المال مغنيه وإن كثر » .

وقال : « اعلم أن من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها انه لا يصلح

---

(١) عيون الأنباء ص ٩٨ فصاعداً .

(٢) الكفاية .

منها جانب إلاَّ بفساد جانب آخر ، ولا سبيل لصاحبها إلى عزّ إلاَّ بإذلال ، ولا استغناء إلاَّ بافتقار . واعلم أنها ربما أصيبت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين ، فإن أصبت حاجتك منها وأنت مخطىء ، أو أدبرت عنك وأنت مصيب ، فلا يستخفنك[1] ذلك إلى معاودة الخطأ ومجانبة[2] الصواب » .

عدم تضييع العمر والمال والقوة في غير حق :

وقال : لا تبطل عمراً في غير نفع ، ولا تضع لك مالاً في غير حق ، ولا تصرف لك قوة في غير عناء ، ولا تعدل لك رأياً في غير رشد[3] فعليك بالحفظ لما أتيت من ذلك والجد فيه ، وخاصة في العمر الذي كل شيء مستفاد سواه ، وإن كان لا بد لك من اشغال نفسك بلذّة فلتكن في محادثة العلماء ودرس كتب الحكمة .

وقال : اعلم أنه ليس من أحد يخلو عن عيب ولا من حسنة ، فلا يمنعك عيب رجل من الاستعانة به فيما لا نقص به . ولا يحملنك ما في رجل من الحسنات على الاستعانة به فيما لا معونة عنده عليه، واعلم ان كثرة أعوان السوء أضرّ عليك من فقد أعوان الصدق .

العدل ميزان الله في أرضه :

وقال : العدل ميزان الله عزَّ وجلَّ في أرضه ، وبه يؤخذ للضعيف من القوي ، وللمحق من المبطل . فمن أزال ميزان الله عمّا وضعه

---

(١) استفز .

(٢) التباعد عن الشيء .

(٣) الاستقامة على طريق الحق مع صلابة فيه .

بين عباده فقد جهل أعظم الجهالة ، واعتز بالله سبحانه أشد اعتزازاً .

العالم يعرف الجاهل . .

وقال : العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً ، والجاهل لا يعرف العالم لأنه لم يكن عالماً .

وقال : ليس طلبي العلم طمعاً في بلوغ قاصيته ، ولا الاستيلاء على غايته ، ولكن التماساً لما لا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه .

وقال : اطلب الغنى الذي لا يفنى[1] ، والحياة التي لا تتغيّر ، والملك الذي لا يزول ، والبقاء الذي لا يضمحل[2] .

إصلاح النفس :

وقال : أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك .

وقال : كن رؤوفاً رحيماً ، ولا تكن رأفتك ورحمتك فساداً لمن يستحقّ العقوبة ويصلحه الأدب .

وقال : خذ نفسك بإثبات السنة فإن فيها إكمال التقى .

وقال : افترص[3] عن عدوّك الفرصة واعمل على أن الدهر دول[4] .

وقال : لا تصادم من كان على الحق ، ولا تجارب من كان متمسّكاً بالدين .

---

(١) لا يهلك.

(٢) لا يتلاشى .

(٣) انتهز .

(٤) أي : لا ثبات فيه ولا قرار .

اعتبر ممن مضى . . .

وقال : صبر الدين موضع ملكك ، فمن خالفه فهو عدو لملكك ومن تمسّك بالسنة فحرام عليك ذمه وادخال المذلّة عليه ، واعتبر ممّن مضى ولا تكن عبرة لمن بعدك . .

وقال : لا فخر فيما يزول ، ولا غنى فيما لا يثبت .

وقال : عامل الضعيف من أعدائك على أنه أقوى منك ، وتفقد جندك تفقد من قد نزلت به المحنة واضطرته إلى مدافعتهم[1] .

تقديم أهل الدين والصلاح :

وقال : دار الرعية مداراة من قد انهتكت عليه مملكته وكثرت عليه أعداؤه .

وقال : قدم أهل الدين والصلاح والأمانة على أنك تنال بذلك في العاقبة الفوز وتتزين به في الدنيا .

وقال : اقمع أهل الفجور على أنك تصلح دينك ورعيتك بذلك .

الغفلة تورث الندامة :

وقال : لا تغفل فإن الغفلة تورث الندامة .

وقال : لا ترج السلامة لنفسك حتى يسلم الناس من جورك ، ولا تعاقب غيرك على أمر ترخص فيه لنفسك واعتبر بمن تقدم واحفظ ما مضى ، وألزم الصحة يلزمك النصر .

---

(١) مقاومتهم ودفاعهم .

الصدق قوام أمر الخلائق :

وقال : الصدق قوام أمر الخلائق ، والكذب داء لا ينجو من نزل به . ومن جعل الأجل أمامه أصلح نفسه ، ومن وسخ نفسه أبغضته خاصته .

ستر عيوب الآخرين :

وقال : لن يسود من يتبع العيوب الباطنة من اخوانه من تجبر على الناس ذلّته ، من أفرط في اللوم كره الناس حياته . من مات محموداً كان أحسن حالاً ممن عاش مذموماً . من نازع السلطان مات قبل يومه . أي ملك نازع السوقة[1] هتك شرفه . أي ملك تطنف[2] إلى المحقرات فالموت أكرم له .

عدم الاسراف في حب الدنيا :

وقال : من أسرف في حب الدنيا مات فقيراً ، ومن قنع مات غنيّاً . من أسرف في الشراب فهو من السفل . من مات قلّ حسّاده .

اللؤم يهدم الشرف :

وقال : الحكمة شرف من لا قديم له . الطمع يورث الذلّة التي لا تستقال[3] . اللؤم يهدم الشرف ويعرض النفس للتلف . سوء الأدب يهدم ما بناه الأسلاف . الجهل سرّ الأصحاب . بذل الوجه إلى الناس هو الموت الأصغر . ينبغي للمدبر أن لا يتخذ الرعية مالاً

---

(١) الرعية من الناس .

(٢) هفا .

(٣) لا يمكن النهوض والخلاص منها .

وقنية ، ولكن يتخذهم أهلاً وإخواناً ، ولا يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرهاً ولكن في التي يستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير .

وصاياه إلى الإسكندر :

وكتب إلى الاسكندر في وصاياه له : ان الأردياء ينقادون بالخوف ، والأخيار ينقادون بالحياء ، فميّز بين الطبقتين واستعمل في أولئك الغلظة والبطش ، وفي هؤلاء الافضال والاحسان .

وقال أيضاً : ليكن غضبك أمراً بين المنزلتين ، لا شديداً قاسياً ولا فاتراً ضعيفاً ، فإن ذلك من أخلاق السباع وهذا من أخلاق الصبيان .

ثلاثة تشرف الملوك :

وكتب إليه أيضاً : انّ الأمور التي يشرف بها الملوك ثلاثة : سن السنن الجميلة ، وفتح الفتوح المذكورة ، وعمارة البلدان المعطّلة .

السعيد من اتّعظ بغيره :

وقال : اختصار الكلام طي المعاني . رغبتك فيمن يزهد فيك ذلّ نفس ، وزهدك فيمن يرغب فيك قصر همة . النميمة تهدى إلى القلوب البغضاء . من واجهك فقد شتمك ، ومن نقل إليك نقل عنك الجاهل عدوّ لنفسه فكيف يكون صديقاً لغيره . السعيد من اتّعظ بغيره .

العناية برياضة النفس :

وقال لأصحابه : لتكن عنايتكم في رياضة أنفسكم ، فأما الأبدان

فاعتنوا بها لما يدعو إليه الاضطرار ، واهربوا من اللذّات فإنها تسترقّ النفوس الضعيفة ، ولا قوّة بها على القوية .

الحق أولى بالمحبة :

وقال : إنا لنحب الحق ونحب افلاطون فإذا افترقا فالحق أولى بالمحبة . الوفاء نتيجة الكرم . لسان الجاهل مفتاح حتفه . الحاجة تفتح باب الحيلة . الصمت خير من عجز المنطق . بالافضال تعظم الأقدار . بالتواضع تتم النعمة . باحتمال المؤن يجب السؤدد بالسيرة العادلة تقل المساوىء . بترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل بالسعايات تنشأ المكاره .

الصبر على تعب العلم . . .

ونظَرَ إلىٰ حَدَثٍ يتهاون بالعلم فقال له : إنَّك إن لم تصبر على تعب العلم صَبَرْتَ علىٰ شِقاء الجهل .

عدم السعاية على الآخرين :

وسعى إليه تلميذ له بآخر فقال له : أتحب أن نقبل قولك فيه ، على أنا نقبل قوله فيك؟ قال : لا . قال : فكف عن الشر يُكَفّ عنك .

قوة البدن ليس بكثرة الغذاء . . .

ورأى إنساناً ناقهاً[1] يكثر من الأكل وهو يرى أنه تقوية ، فقال له : « يا هذا ليس زيادة القوة بكثرة ما يرد البدن من الغذاء ولكن بكثرة ما يقبل منه » .

---

(١) أي شاف من مرض وبه ضعف .

وقال: كفى بالتجارب تأدّباً وبتقلّب الأيام عظة.

لا ينبغي للإنسان أن يمدح نفسه:

وقيل لأرسطوطاليس: ما الشيء الذي لا ينبغي أن يقال وإن كان حقّاً؟ فقال: مدح الإنسان نَفْسَه.

وقيل له: لم حفِظَت الحكماءُ المالَ؟ فقال: «لئلّا يقيموا أنفسهم بحيث لا يستحقّونه من المقام».

مواقع امتحان الإنسان:

وقال: امتحن المرء في وقت غضبه لا في وقت رضاه، وفي حين قدرته لا في حين ذلّته.

رضا الناس غاية لا تدرك:

وقال: رضى الناس غاية لا تدرك، فلا تكره سخط من رضاه الجور.

حركة الاقبال بطيئة وحركة الادبار سريعة..

قال[1] ارسطوطاليس: حركة الإقبال بطيئة وحركة الإدبار سريعة لأن المقبل كالصّاعد من مرقاة إلى مرقاة. والمدبر كالمقذوف به من علوّ إلى أسفل.

شرف الإنسان على جميع الحيوان..

وقال: شرف الإنسان على جميع الحيوان بالنطق والذهن، فإن سكت ولم يفهم عاد بهيمياً.

---

(١) منهاج البراعة ج ٦ ص ١٩٧.

وقال : لا تكثروا من الشراب فيغير عقولكم ويفسد أفهامكم .

السرور دليل على الفهم :

وأعاد على تلميذ له مسألة فقال له : أفهمت؟ قال التلميذ : نعم . قال : لا أرى آثار الفهم عليك . قال : وكيف ذلك؟ قال : لا أراك مسروراً ، والدليل على الفهم السرور .

خير الأشياء أجدّها إلاّ المودّات . . .

وقال : خير الأشياء أجدُّها إلاّ المودّات فإن خيرها أقدمها .

خاصة العقل حسن الاختيار :

وقال : لكل شيء خاصة ، وخاصة العقل حسن الاختيار .

وقال : لا يلام الإنسان في ترك الجواب إذا سئل حتى يتبيّن أن السائل قد أحسن السؤال ، لأن حسن السؤال سبيل وعلّة إلى حسن الجواب .

وقال : كلام العجلة موكل به الزلل .

وقال : إنما يحمل المرء على ترك ابتغاء ما لم يعلم قلّة انتفاعه بما قد علم .

وقال : من ذاق حلاوة عمل صبر على مرارة طرقه ، ومن وجد منفعة علم عنى بالتزيد فيه .

دفع الشر بالخير فضيلة :

وقال : دفع الشر بالشر جَلَدٌ ، ودفع الشر بالخير فضيلة .

أكتب خير ما يقرأ واحفظ خير ما يكتب :

وقال : ليكن ما تكتب من خير ما يقرأ وما تحفظ من خير ما يكتب .

وكتب إلى الإسكندر : إذا أعطاك الله ما تحب من الظفر فافعل ما أحب من العفو .

وقال : لا يوجد الفخور محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنيّاً ، ولا الملول دائم الإخاء ، ولا مفتتح يعجل الإخاء ثم يندم .

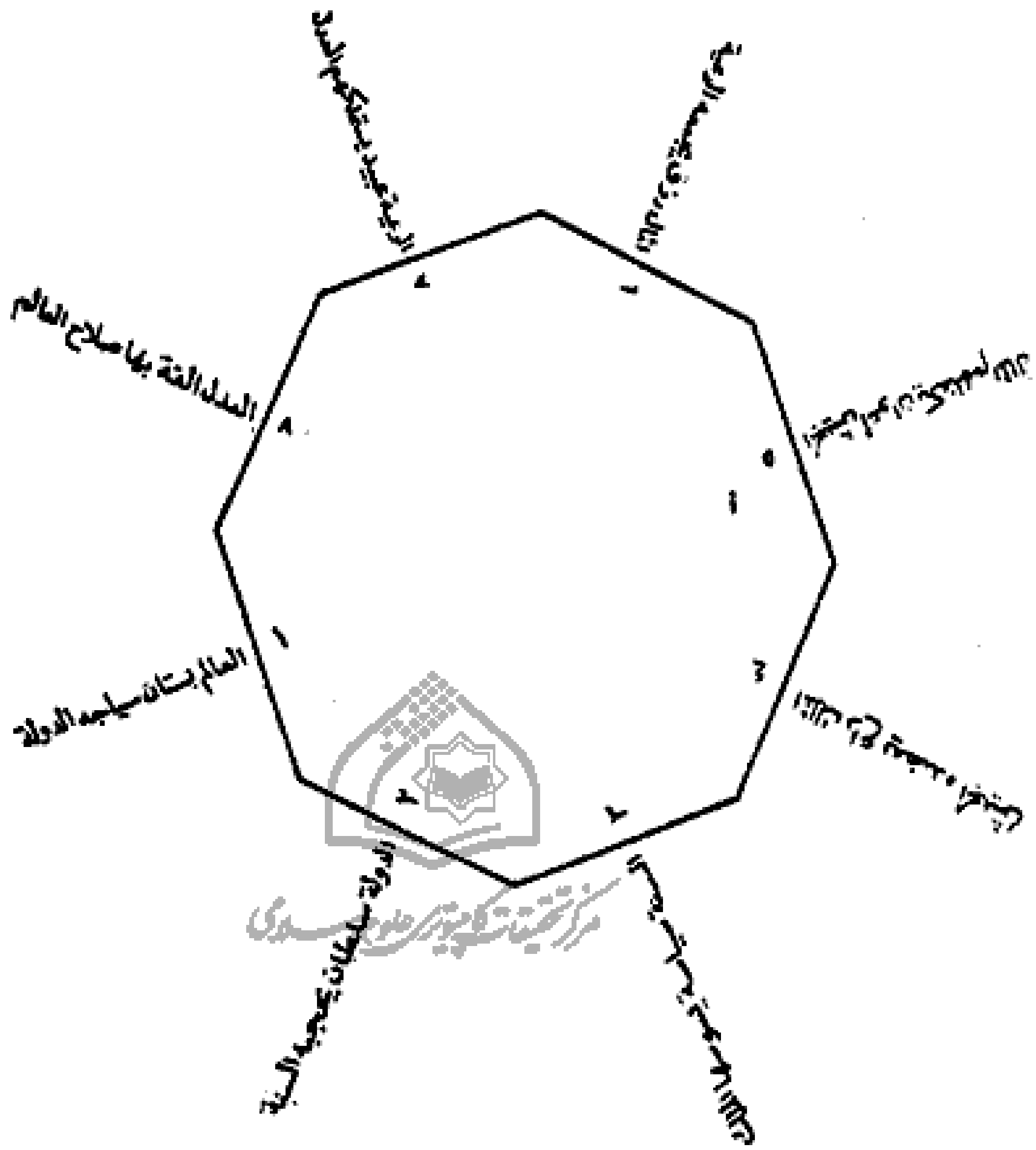
علة غلبة الشهوة على الرأي في أكثر الناس :

وقال : إنما غلبت الشهوة على الرأي في أكثر الناس ، لأن الشهوة معهم من لدن الصبا ، والرأي إنما يأتي عند تكاملهم فإنهم بالشهوة لقدم الصحبة أكثر من آنسهم بالرأي ، لأنه فيهم كالرجل الغريب .

ولما فرغ من تعليم الإسكندر دعا به فسأله عن مسائل في سياسة العامة والخاصة ، فأحسن الجواب عنها فناله بغاية ما كره من الضرب والأذى . فسئل عن هذا الفعل فقال : هذا غلام يرشح للملك ، فأردت أن أذيقه طعم الظلم ليكون رادعاً له عن ظلم الناس .

الكلمات الثمان المكتوبة على قبر ارسطوطاليس :

وأمر أرسطوطاليس عند موته أن يدفن ويبنى عليه بيت مثمن يكتب في جملة جهاته ثمان كلمات جامعات لجميع الأمور التي بها مصلحة الناس ، وتلك الكلم الثمان هي هذه على هذا المثال :



بعض كتب أرسطوطاليس :

ولأرسطوطاليس من الكتب المشهورة ممّا ذكره بطليموس .

كتاب يحض فيه على الفلسفة ، ثلاث مقالات . كتاب سوفسطس مقالة ، كتاب في صناعة الريطوري ، ثلاث مقالات . كتاب في العدل ، أربع مقالات ، كتاب في الرياضة والأدب المصلحين وغيرها .

الطبيب الذكي
اسقليبيوس

من آدابه وحكمه :

مما[1] ذكره الأمير أبو الوفاء المبشر بن فاتك في كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » قال اسقليبيوس : ــ من عرف الأيام لم يغفل الاستعداد .

وقال : إن أحدكم بين نعمة من بارئه وبين ذنب عمله ،ـ وما يصلح هاتين الحالتين إلاّ الحمد للمنعم والاستغفار من الذنب .
وقال : كم من دهر ذممتموه فلما صرتم إلى غيره حمدتموه ، وكم من أمر أُبغضت أوائلهُ وبُكِيَ عند أواخره عليه .

مثال المتعبد بغير معرفة :

وقال : المتعبّد بغير معرفة كحمار الطاحون يدور ولا يبرح ، ولا يدري ما هو فاعل .

وقال : فوت[2] الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها .

عدم اعطاء الفاجر :

وقال : اعطاء الفاجر تقوية له على فجوره ، والصنيعة عند

---

(١) عيون الأنباء ص ٣٧.

(٢) امتناع .

الكفور[1] اضاعة للنعمة ، وتعليم الجاهل ازدياد في الجهل ، ومسألة اللئيم اهانة للعرض .

وقال : إني لأعجب ممن يحتمي من المآكل الرديئة مخافة الضرر ، ولا يدع الذنوب مخافة الآخرة .

فائدة الاكثار من الصمت واستعمال الصدق :

وقال : أكثروا من الصمت فإنه سلامة من المقت[2] واستعملوا الصدق فإنه زين النطق .

وقيل له صف لنا الدنيا فقال : أمس أجل ، واليوم عمل ، وغداً أمل .

وقال : المشفق عليكم يسيء الظن بكم ، والزاري عليكم كثير العتب لكم ، وذو البغضاء لكم قليل النصيحة لكم .

سبيل من له دين ومروءة :

وقال : سبيل من له دين ومروءة أن يبذل لصديقه نفسه وماله ، ولمن يعرفه طلاقة وجهه وحسن محضره ، ولعدوّه العدل وأن يتصاون[3] عن كل حال يعيب .

---

(١) مبالغة كافر وهو الجاحد للنعمة .

(٢) البغض الشديد .

(٣) تصاون عن العيب : حفظ نفسه منه .

الطبيب الذكي
أفلاطون

يقال : فلاطن وأفلاطن وأفلاطون .

قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل في كتابه :

« أفلاطن الحكيم من أهل مدينة أثينيا ، رومي فيلسوف يوناني طبي ، عالم بالهندسة وطبائع اعداد ، وله في الطب كتاب بعثه إلى طيماوس تِلميذِه ، وله في الفلسفة كتب وأشعار ، وله في التأليف كلام لم يسبقه أحد إليه . . . » .

وقال المبشر بن فاتك : في « كتاب مختار الحكم ومحاسن الكلم » : «معنى أفلاطون وتفسيره في لغتهم : العميم الواسع . وكان اسم أبيه أرسطن ، وكان أبواه من أشراف اليونانيين من ولد اسقليبيوس جميعاً ، وكانت أُمّه خاصة من نسل سولون صاحب الشرائع .

وبلغ أفلاطون من العمر إحدى وثمانين سنة ، وكان حسن الأخلاق ، كريم الأفعال ، كثير الإحسان لكل ذي قرابة منه وإلى الغرباء ، متئناً[1] حليماً صبوراً. وكان له تلاميذ كثيرة ، وتولى التدريس بعده رجلان أحدهما بأثينية في الموضع المعروف بأقاديميا[2]

---

(١) المتأني المترزن .

(٢) حداثق كان يجتمع بها الفلاسفة .

وهو كسانو قراطيس ، والآخر بلوقين من عمل أثينية أيضاً وهو ارسطوطاليس .

وكان يرمز حكمته ويسترها ويتكلم بها ملغوزة ، حتى لا يظهر مقصده لذوي الحكمة . وكان درسه وتعلمه على طيماوس وسقراطيس وعنهما أخذ أكثر آرائه .

وصنف كتباً كثيرة ، منها ما بلغنا اسمه ستّة وخمسون كتاباً ، وفيها كتب كبار يكون فيها عدة مقالات . وكتبه يتصل بعضها ببعض أربعة أربعة يجمعها غرض واحد ، ويخصّ كل واحد منها غرض خاص يشتمل عليه ذلك الغرض العام ، ويسمى كل واحد منها رابوع ، وكل رابوع منها يتصل بالرابوع الذي قبله .

وكان رجلاً أسمر اللون ، معتدل القامة ، حسن الصورة ، تام التخاطيط ، حسن اللحية ، قليل شعر العارضين ، ساكتاً خافضاً ، أشهل العينين براق بياضهما ، في ذقنه الأسفل خال أسود ، تام الباع ، لطيف الكلمة ، محباً للفلوات والصحاري والوحدة . وكان يستدل في الحال الأكثر على موضعه بصوت بكائه ، ويسمع منه على نحو ميلين في الفيافي والصحاري .

ومن خط اسحاق بن حنين : عاش افلاطون ثمانين سنة. وقال حنين بن إسحاق في كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء : كان منقوشاً على فصّ خاتم افلاطون : « تحريك الساكن أسهل من تسكين المتحرّك » .

مواعظ أفلاطون :

ومن آداب افلاطون ومواعظه ، مما ذكره المبشر بن فاتك في كتابه ، قال أفلاطون : العادة على كل شيء سلطان ، وقال : إذا هرب الحكيم من الناس فاطلبه ، وإذا طلبهم فاهرب منه .

وقال : من لا يواس الاخوان عند دولته خذلوه عند فاقته .

وقيل له : لم لا تجتمع الحكمة والمال فقال : لعزّ الكمال .

وسئل : من أحق الناس أن يؤتمن على تدبير المدينة؟ فقال : من كان في تدبير نفسه حسن المذهب .

وقيل له : من يسلم من سائر العيوب وقبيح الأفعال؟ فقال : من جعل عقله أمينه ، وحذره وزيره ، والمواعظ زمامه والصبر قائده ، والاعتصام بالتوقي ظهيره[1] ، وخوف الله جليسه ، وذكر الموت أنيسه .

وقال : المَلِكُ هو كالنهر الأعظم تستمد منه الأنهار الصغار ، فإن كان عذباً عذبت ، وإن كان مالحاً ملحت .

وقال : إذا أردت أن تدوم لك اللذّة فلا تستوف الملتذ أبداً بل دع فيه فضله[2] ، تدوم لك اللذّة .

وقال : إيّاك في وقت الحرب أن تستعمل النجدة وتدع العقل ، فإن للعقل مواقف قد يتم بلا حاجة إلى النجدة ، ولا ترى للنجدة غنى عن العقل . وقال : غاية الأدب أن يستحي المرء من نفسه .

وقال : ما ألمت نفسي إلاّ من ثلاث : من غني افتقر ، وعزيز ذلّ ، وحكيم تلاعبت به الجهّال .

عدم مصاحبة الأشرار :

وقال : لا تصحبوا الأشرار فإنهم يمنون عليكم بالسلامة منهم .

---

(١) المعين .

(٢) ما فضل من الشيء .

وقال : لا تطلب سرعة العمل واطلب تجريده ، فإن الناس لا يسألون في كم فرغ من هذا العمل . وإنما يسألون عن جودة صنعه .

وقال: إحسانك إلى الحر يحركه على المكافأة ، وإحسانك إلى الخسيس يحركه على معاودة المسألة .

وقال : الأشرار يتبعون مساوىء الناس ويتركون محاسنهم ، كما يتتبع الذباب المواضع الفاسدة من الجسد ويترك الصحيح منه .

عدم استصغار العدو :

وقال : لا تستصغر عدوّك فيقتحم عليك المكروه من زيادة مقداره على تقديرك فيه .

وقال : ليس تكمل خيريّة الرجل حتى يكون صديقاً للمتعاديين .

وقال : اطلب في الحياة العلم والمال تحز الرئاسة على الناس ، لأنهم بين خاص وعام ، فالخاصة تفضلك بما تُحسِن ، والعامّة تفضلك بما تَملِك .

وقال : من جمع إلى شرف أصله شرف نفسه فقد قضى الحق عليه . واستدعى التفضيل بالحجّة ، ومن أغفل نفسه واعتمد على شرف آبائه فقد عقّهم [1] واستحق أن لا يقدّم بهم على غيره .

وقال : لا تبتاعن مملوكاً قوي الشهوة فإن له مولى غيرك ، ولا غضوباً[2] فإنه يقلق في ملكك ، ولا قوي الرأي فيستعمل الحيلة عليك .

---

(١) شق طاعتهم وعصاهم .

(٢) السريع الهياج .

وقال : استعمل مع فرط النصيحة ما تستعمله الخونة من حسن المداراة ، ولا تدخل عليك العجب[1] لفضلك على اكفائك فيفسد عليك ثمرة ما فضلت به .

وقال : لا تنظر إلى أحد بالموضع الذي رتّبه فيه زمانه ، وانظر إليه بقيمته في الحقيقة فإنها مكانه الطبيعي .

فساد الزمان :

وقال : إذا خبث الزمان كسدت[2] الفضائل وضرّت، ونفقت الرذائل ونفعت ، وكان خوف الموسر[3] أشد من خوف المعسر[4] .

وقال : لا يزال الجائر ممهلاً حتى يتخطى إلى أركان العمارة ومباني الشريعة ، وإذا أقصد[5] لها تحرك عليه قيم العالم فأباده .

وقال : إذا طابق الكلام نيّة المتكلّم حرك نية السامع ، وإن خالفها لم يحسن موقعه ممن أريد به .

وقال : أفضل الملوك من بقي بالعدل ذكره واستملى من أتى بعده بفضائله .

وقال رجل جاهل لأفلاطون : كيف قدرت على كثرة ما تعلّمت؟ قال : لأني أفنيت من الزيت بمقدار ما أفنيته أنت من الشراب .

وقال : عين المحب عمياء عن عيوب المحبوب .

---

(١) الزهو والتكبّر .

(٢) لم تنفق . وأصل المعنى الفساد.

(٣) الغنى .

(٤) من قلت ذات يده.

(٥) أي : استمرّ على عملها.

كيفية مخاطبة الأعلم والأدون :

وقال : إذا خاطبت من هو أعلم منك فجرّد له المعاني ، ولا تكلف[1] بإطالة اللفظ ولا تحسينه ، وإذا خاطبت من هو دونك في المعرفة فأبسط[2] كلامك ليلحق في أواخره ما أعجزه في أوائله .

وقال : الحلم لا ينسب إلاّ إلى من قدر على السطوة ، والزهد لا ينسب الاّ إلى من ترك بعد القدرة .

وقال : العزيز النفس هو الذي يذلّ للفاقة .

وقال : الحسن الخلق من صبر على السيء الخلق .

وقال : أشرف الناس من شَرُفته الفضائل ، لا مَنْ تَشَرّف بالفضائل ، وذلك أن من كانت الفضائل فيه جوهريّة فهي تشرفه ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه .

وقال : الحياء إذا توسّط أوقف الإنسان عمّا عابه ، وإذا أفرط أوقفه عمّا يحتاج إليه ، وإذا قصر خلع عنه ثوب التجمّل في كثير من أحواله .

وقال : إذا حصل عدوّك في قدرتك خرج من جملة أعدائك ، ودخل في عدّة حشمك .

وقال : ينبغي للمرء أن ينظر وجهه في المرآة ، فإن كان حسناً استقبح أن يضيف إليه فعلاً قبيحاً ، وإن كان قبيحاً استقبح أن يجمع بين قبحين .

---

(١) تولع .

(٢) جعله بسيطاً سهلاً .

عدم مصاحبة الشرّير :

وقال : لا تصحب الشرير فإن طبعك يسرق من طبعه شرّاً وأنت لا تدري .

وقال : إذا قامت حجّتك في المناظرة على كريم أكرمك ووقّرك ، وإذا قامت على خسيس عاداك واصطنعها[1] عليك .

وقال : من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ذمّك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك .

وقال : إنّما صار التقليد واجباً في العالم لأن الضعف فيه قائم في الناس .

وقال : من تعلّم العلم لفضيلته لم يوحشه كساده ، ومن تعلّمه لجدواه[2] انصرف بانصراف الحظ عن أهله إلى ما يكسبه .

الحذر من العدو :

وقال : ليكن خوفك من تدبيرك على عدوّك أكثر من خوفك من تدبير عدوّك عليك .

وقال : ربّ مغبوط بنعمة هي بلاؤه ، وربّ محسود على حال هي داؤه .

وقال : شهوات الناس تتحرّك بحسب شهوات الملك وإرادته .

الأمل خداع الناس :

وقال : ما معي من فضيلة العلم إلاّ علمي بأني لست بعالم .

---

(١) هكذا في الأصل، وأظنها اضطغنها أي : طواها على حقد. (ن. ر)

(٢) لنفعه وعطائه.

وقال : الأمل خداع الناس.

وقال : احفظ الناموس يحفظك .

وقال : إذا صادقت رجلاً وجب أن تكون صديق صديقه ، ولا يجب عليك أن تكون عدوّ عدوّه .

وقال : المشورة تريك طبع المستشار .

وقال : ينبغي للعاقل أن لا يتكسب إلاّ بأزيد ما فيه ، ولا يخدم إلاّ المقارب له في خلقه .

الفضائل والرذائل :

وقال : أكثر الفضائل مُرَّةُ المَبادي حُلْوَةُ العواقب ، وأَكْثَرُ الرذائل حُلْوَةُ المبادي مُرَّةُ العواقب .

وقال : لا تستكثرنّ من عشرة حملة عيوب الناس ، فإنّهم يتسقطون[1] ما غفلت عنه وينقلونه إلى غيرك كما ينقلون عنه إليك .

وقال : الظفر شافع المذنبين إلى الكرماء .

وقال : ينبغي للحازم أن يعد للأمر الذي يلتمسه كلّ ما أوجبه الرأي في طلبه ، ولا يتكل فيه على الأسباب الخارجة عن سعيه مما يدعو إليه الأمل وما جرت به العادة ، فإنها ليست له وإنما هي للاتفاق الذي لا تثق به الحزمة .

وقيل لأفلاطون : لم صار الرجل يقتني مالاً وهو شيخ؟ فقال : لأن يموت الإنسان فيخلف مالاً لأعدائه ، خير له من أن يحتاج في حياته إلى أصدقائه .

---

(١) تسقط الخبر: أخذه شيئاً بعد شيء.

ورأى طبيباً جاهلاً فقال : هذا محب مزعج للموت .

عدم الافراط في النصيحة :

وقــال : الافـراط في النصيحــة يهجم بصـاحبهــا على كثيــر من الظنة[1] .

وقـال : ليس ينبغي للرجل أن يشغـل قلبـه بمـا ذهب منـه ، ولكن يعتني بحفظ ما بقي عليه .

التعرف على الحكيم :

وسأله ارســطوطاليس : بمـاذا يعرف الحكيم أنـه قد صـار حكيماً؟ فقـال : إذا لم يكن بمـا يصيب من الـرأي معجب ، ولا لمـا يـأتي من الأمـر متكلّفاً ، ولم يستفـزه عند الـذم الغضب ، ولا يدخله عنـد المرح النخوة .

وسئل : ممّ ينبغي أن يحترس[2] .

فقــال: من العــدوّ القــادر ، والـصــديق الـمكــدر ، والـمســلط الغاضب .

وسئل : أيّ شيء أنفع للإنسان؟

فقال : أن يعني بتقويم نفسه أكثر من عنايته بتقويم غيره .

العالم الشرّير :

وقـال : الشريـر العالم يسـرّه الـطعن على من تقـدّمـه من العلمـاء

---

(١) التهمة. (ن . ر).

(٢) يتوقّى .

ويسوؤه بقاء من في عصره منهم ، لأنه يحبّ أن لا يعرف بالعلم غيره ، لأنّ الأغلب عليه شهوة الرآسة ، والخيّر العالم يسوؤه فقد أحد من طبقته في المعرفة ، لأنّ رغبته في الازدياد وإحياء علمه بالذاكرة أكثر من رغبته في الرآسة والغلبة .

وقال : تبكيت[1] الرجل بالذنب بعد العفو عنه ازراء[2] بالصنيعة ، وإنما يكون قبل هبة الجرم له .

طلب العلم والمال والعمل الصالح :

وقال : اطلب في حياتك العلم والمال والعمل الصالح ، فإن الخاصة تفضلك بما تحسن ، والعامة بما تملك ، والجميع بما تعمل .

وصفه للدنيا :

وسئل أفلاطون عند موته عن الدنيا فقال : خرجت إليها مضطّراً ، وعشت فيها متحيّراً ، وها أنا أخرج منها كارهاً ، ولم أعلم فيها إلاّ أنني لم أعلم .

وصفه للمزاح والانبساط :

إنّ[3] كثير المزاح والانبساط بمنزلة من انكشف عن مواضع بدنه المستورة وبمنزلة من كشف عن عورته فلا ينبغي للإنسان أن يظهر المزاح والانبساط إلاّ إلى من يأمنه على سرّه .

---

(١) تعنيف .

(٢) تحقير .

(٣) لئالىء الأخبار ج ٢ ص ٢١٨ .

وقال : لا تذهب الحشمة بينك وبين أخيك أبق منها فإنّ ذهابها ذهاب الحياء .

كتب أفلاطون :

ولفلاطن من الكتب : كتاب احتجاج سقراط على أهل أثينية ، كتاب فأذن في النفس ، كتاب السياسة المدنيّة ، كتاب طيماوس الروحاني في ترتيب العوالم الثلاثة العقليّة ، التي هم عالم الربوبيّة وعالم العقل وعالم النفس ، كتاب طيماوس الطبيعي ، أربع مقالات في تركيب عالم الطبيعة ، كتب بهذين الكتابين إلى تلميذ له يسمّى طيماوس ، وغرض فلاطن في كتابه هذا أن يصف جميع العلم الطبيعي .

أقول : وذكر جالينوس في المقالة الثامنة من كتابه « من آراء أبقراط وفلاطن » أن كتاب طيماوس قد شرحه كثير من المفسّرين وأطنبوا في ذلك ، حتّى جاوزوا المقدار الذي ينبغي ما خلا الأقاويل الطبية التي فيه ، فإنه قلّ من رام شرحها ، ومن رام شرحها أيضاً لم يحسن فيما كتب فيها . ولجالينوس كتاب ينقسم إلى أربع مقالات فسّر فيه ما في كتاب طيماوس من علم الطب .

كتاب الأقوال الأفلاطونية ، كتاب اونفرن ، كتاب اقريطن ، كتاب قراطلس ، كتاب ثاطيطس ، كتاب سوفسطس ، كتاب فوليطيقوس كتاب برمينيدس ، كتاب فلبس ، كتاب سمبوسين ، وغيرها من الكتب أوردها صاحب عيون الأنباء ، فراجع .

الطبيب الذكي
أمين الدولة ابن التلميذ

هو الأجل موفق الملك أمين الدولة ، أبو الحسن هبة الله ابن أبي العلاء صاعد بن إبراهيم بن التلميذ .

أوحد زمانه في صناعة الطب وفي مباشرة أعمالها ، يقول ابن أبي اصيبعة[1] :

ونقلت من خط الشيخ موفق الدين عبداللطيف بن يوسف البغدادي فيما حكاه عن الأجل أمين الدولة بن التلميذ قال : كان أمين الدولة حسن العشرة ، كريم الأخلاق ، عنده سخاء ومروءة ، وأعمال في الطب مشهورة ، وحدوس صائبة ، منها : انه أحضرت إليه امرأة محمولة لا يعرف أهلها في الحياة هي أم في الممات ، وكان الزمان شتاء ، فأمر بتجريدها وصبّ الماء المبرد عليها صباً متتابعاً كثيراً . ثم أمر بنقلها إلى مجلس دفيء قد بخر بالعود[2] والند[3] ودثرت بأصناف الفراء ساعة ، فعطست وتحرّكت وقعدت وخرجت ماشية مع أهلها إلى منزلها .

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء ص ٣٥٠ .

(٢) ضرب من الطيب يتبخر به .

(٣) عود يتبخر به .

معالجته لمريض يعرق دماً :

قال : ودخل إليه رجل منزف يعرق دماً في زمن الصيف ، فسأل تلاميذه وكانوا قدر خمسين نفساً فلم يعرفوا المرض ، فأمره أن يأكل خبز شعير مع باذنجان مشوي ، ففعل ذلك ثلاثة أيام فبرأ فسأله أصحابه عن العلّة ؟ فقال : إن دمه قد رق ومسامه قد تفتحت ، وهذا الغذاء من شأنه تغليظ الدم وتكثيف المسام .

قال : ومن مروءته أن ظهر داره كان يلي النظامية ، فإذا مرض فقيه نقله إليه ، وقام في مرضه عليه ، فإذا أبل وهب له دينارين وصرفه .

معالجته لأحد الملوك وعدم قبول عطيته :

ومما حكاه أيضاً عن أمين الدولة بن التلميذ وكأنه قد تجاوز في هذه الحكاية قال : وكان أمين الدولة لا يقبل عطيّة إلاّ من خليفة أو سلطان ، فعرض لبعض الملوك النائية داره مرض مزمن فقيل له : ليس لك إلاّ ابن التلميذ ، وهو لا يقصد أحداً فقال : أنا أتوجّه إليه . فلما وصل أفرد له ولغلمانه دوراً وأفاض عليه من الجرايات قدر الكفاية ، ولبث مدّة فبرىء الملك وتوجّه إلى بلاده وأرسل إليه مع بعض التجّار أربعة آلاف دينار وأربعة تخوت عتابى وأربعة مماليك وأربعة أفراس ، فامتنع من قبولها وقال : عليّ يميناً أن لا أقبل من أحد شيئاً فقال التاجر : هذا مقدار كثير ، قال : لمّا حلفت ما استثنيت ، وأقام شهراً يراوده ولا يزداد إلاّ اباء . فقال له عند الوداع : ها أنا أسافر ولا أرجع إلى صاحبي ، وأتمتّع بالمال فتتقلّد منته ، وتفوتك منفعته ، ولا يعلم أحد بأنك رددته ، فقال: ألست أعلم في نفسي اني لم أقبله ، فنفسي تشرف بذلك ، علم الناس أو جهلوا .

أخباره عن مرض صبي ومعالجته له :

وحدّثني الحكيم مهذب الدين عبدالرحيم بن علي ، قال : حدثني الشيخ موفّق الدين أسعد بن الياس بن المطران ، قال : حدّثني أبي قال: حدثني اسماعيل بن رشيد قال: حدثني أبو الفرج ابن توما وأبو الفرج المسيحي ، قالا : كان الأجل أمين الدولة بن التلميذ جالساً ونحن بين يديه إذ استأذنت عليه امرأة ومعها صبيّ صغير ، فأدخلت عليه ، فحين رآه بدرها فقال : إنّ صبيّك هذا به حرقة البول ، وهو يبول الرمل ، فقالت : نعم .

قال : فيستعمل كذا وكذا وانصرفت . قالا : فسألناه عن العلامة الدالّة على أن به ذلك ، وانه لو ان الآفة في الكبد أو الطحال لكان اللون من الاستدلال مطابقاً . فقال : حين دخل رأيته يولع بإحليله ويحكه ، ووجدت أنامل يديه مشققة قاحلة ، فعلمت أن الحكّة لأجل الرمل ، وان تلك المادة الحادة الموجبة للحكّة والحركة ربما لامست أنامله عند ولوعه بالقضيب فتقحل وتشقق فحكمت بذلك وكان موافقاً .

من نوادره وحسن إشارته :

ومن نوادر أمين الدولة وحسن إشارته : انه كان يوماً عند المستضيء[1] بأمر الله ، وقد أسن أمين الدولة . فلما نهض للقيام

---

(١) هذا خطأ من المؤلّف لأن المستضيء تولّى الخلافة سنة ١١٧١ والشيخ أمين الدولة توفي سنة ١١٦٥ وأرجح أن الخليفة هو المقتفي وهو الخليفة الثاني والثلاثون والإمام المستنجد الذي وهبه قوارير هو الخليفة الواحد والثلاثون ، بينما المستضيء هو الخليفة الثالث والثلاثون. (ن. ر.).

توكأ على ركبتيه ، فقال له الخليفة : كبرت يا أمين الدولة . فقال : نعم يا أمير. . . ، وتكسرت قواريري ، ففكر الخليفة في قول أمين الدولة وعلم انه لم يقله إلاّ لمعنى قد قصده وسأل عن ذلك فقيل له : إن الإمام المستنجد بالله كان قد وهبه ضيعة تسمى قوارير وبقيت في يده زماناً ، ثم من مدّة ثلاث سنين حطّ الوزير يده عليها فتعجّب الخليفة من حسن أدب أمين الدولة ، وانه لم ينه أمرها إليه ولا عرض بطلبها . ثم أمر الخليفة بإعادة الضيعة إلى أمين الدولة ، وأن لا يعارض في شيء من ملكه .

امتحانه للأطباء ببغداد ولِشَيْخٍ مُتَطبِّب :

ومن نوادره : ان الخليفة كان قد فوض إليه رآسة الطب ببغداد ، ولما اجتمع إليه سائر الأطباء ليرى ما عند كل واحد منهم من هذه الصناعة ، كان من جملة من حضره شيخ له هيئة ووقار وعنده سكينة ، فأكرمه أمين الدولة وكانت لذلك الشيخ دربة ما بالمعالجة ، ولم يكن عنده من علم صناعة الطب إلاّ التظاهر بها . فلما انتهى الأمر إليه قال له أمين الدولة : ما السبب في كون الشيخ لم يشارك الجماعة فيما يبحثون فيه حتى نعلم ما عنده من هذه الصناعة؟ فقال : يا سيّدنا ، وهل شيء مما تكلموا فيه إلاّ وأنا أعلمه ، وقد سبق إلى فهمي أضعاف ذلك مرات كثيرة؟ فقال له أمين الدولة : فعلى من كنت قد قرأت هذه الصناعة؟ فقال الشيخ : يا سيدنا إذا صار الإنسان إلى هذه السن ما يليق به إلاّ أن يسأل كم له من التلاميذ ، ومن هو المتميّز فيهم ، وأمّا المشايخ الذين قرأت عليهم فقد ماتوا من زمان طويل . فقال له أمين الدولة : يا شيخ ، هذا شيء قد جرت العادة به ولا يضرّ ذكره ، ومع هذا ، فما علينا ، أخبرني أيّ شيء قد

قرأته من الكتب الطبيّة؟ وكان قصد أمين الدولة أن يتحقّق ما عنده ، فقال : سبحان الله العظيم ، صرنا إلى حد ما يسأل عنه الصبيان ، وأي شيء قد قرأته من الكتب ، يا سيدنا لمثلي ما يقال إلاّ أيّ شيء صنفته في صناعة الطب ، وكم لك فيها من الكتب والمقالات؟ ولا بد انني أعرفك بنفسي ، ثم انه نهض إلى أمين الدولة ودنا منه وقعد عنده ، وقال له ، فيما بينهما : يا سيّدي ، اعلم انني قد شخت وأنا أوسم بهذه الصناعة ، وما عندي منها إلاّ معرفة اصطلاحات مشهورة في المداواة ، وعمري كلّه أتكسّب بها ، وعندي عائلة ، فسألتك بالله يا سيّدنا مشي حالي ولا تفضحني بين هؤلاء الجماعة .

فقال أمين الدولة : على شريطة ، وهي انك لا تهجم على مريض بما تعلمه ، ولا تشير بفصد ولا بدواء مسهل إلاّ لما قرب من الأمراض .

فقال الشيخ : هذا مذهبي منذ كنت ، ما تعديت السكنجبين والجلاب . ثم ان أمين الدولة قال له معلناً ، والجماعة تسمع ، يا شيخ ، اعذرنا فإننا ما كنا نعرفك ، والآن فقد عرفناك ، استمر فيما أنت فيه ، فإن أحداً ما يعارضك . ثم انه عاد بعد ذلك فيما هو فيه مع الجماعة ، وقال لبعضهم : على من قرأت هذه الصناعة؟ وشرع في امتحانه ، فقال يا سيّدنا : أنا من تلامذة هذا الشيخ الذي قد عرفته ، وعليه كنت قد قرأت صناعة الطب ، ففطن أمين الدولة بما أراد من التعريض بقوله ، وتبسّم ثم امتحنه بعد ذلك .

ثلاثة قصدوه إلى داره فلم يجدوه . . .

وكان لأمين الدولة بن التلميذ أصحاب وجماعة يتردّدون إليه ، فلما كان في بعض الأيام أتى إليه ثلاثة ، منجم ، ومهندس، وصاحب

أدب، فسألوا عن أمين الدولة غلامه قنبر، فذكر لهم ان سيده ليس في الدار، وانه لم يأت في ذلك الوقت. فراحوا ، ثم انهم عادوا في وقت آخر ، وسألوه عنه ، فذكر لهم مثل قوله الأوّل . وكان لهم ذوق من الشعر فتقدّم المنجّم وكتب على الحائط عند باب الدار :

قد بلينا في دار أسعد قوم ، بمدبر

ثم كتب المهندس بعده :

بقصير مطول وطويل مقصر

ثم تقدم صاحب الأدب وكان عنده مجون فكتب :

كم تقولون قنبراً دحرجوا رأس قنبر

(الخفيف)

ومضوا ، فلما جاء أمين الدولة قال له قنبر : يا سيّدي جاء ثلاثة إلى هٰهنا يطلبونك ، ولما لم يجدوك ، كتبوا هذا على الحائط . فلما قرأه أمين الدولة قال لمن معه : يوشك أن يكون هذا البيت الأول خط فلان المنجّم ، وهذا البيت الثاني خط فلان المهندس ، وهٰذا الثالث خط فلان صاحبنا ، فإن كل بيت يدل على شيء مما يعانيه صاحبه . وكان الأمر كما حدسه أمين الدولة سواء. وكانت دار أمين الدولة هذه يسكنها ببغداد في سوق العطر مما يلي بابه المجاور لباب الغربة من دار الخلافة المعظمة ، بالمشرعة النازلة إلى شاطىء دجلة .

بعض كلماته :

قال[1] كان يقول لنا أمين الدولة : لا تقدّروا أن أكثر الأمراض

---

(١) عيون الأنباء ص ٣٥٥.

تحيطون بها خبرة ، فإنّ منها ما يأتيكم من طريق السماوة ، وكان يقول أيضاً : متى رأيت شوكة في البدن ونصفها ظاهر فلا تشترط انك تقلعها ، فإنها ربما انكسرت .

ومن كلامه قال : ينبغي للعاقل أن يختار من اللباس ما لا تحسده عليه العامة ولا تحقره فيه الخاصة ، ومن كلامه قال عن أفلاطون :

الفضائل مرة الورد حلوة الصدر

والرذائل حلوة الورد مرة الصدر

وقد زاد ارسطوطاليس في هذا المعنى فقال : (إنّ الرذائل لا تكون حلوة الورد عند ذي فطرة فائقة . بل يؤذيه تصور قبحها أذى يفسد عليه ما يستلذّه غيره منها .

ومن شعره في العلم :

سق(١) النفس بالعلم نحو الكمال تـوافِ السعادة من بابها
ولا ترج ما لم تسبب له، فإن الأمور بأسبابها

(المتقارب)

وقال أيضاً :

العلم للرجل اللبيب زيادة ونقيصة للأحمق الطياش
مثل النهار يزيد أبصار الورى نوراً، ويغشي أعين الخفاش

(عن الكامل)

وقال في التواضع :

تواضع كالبدر استنار لناظر على صفحات الماء،وهو رفيع
ومن دونه، يسمو إلى المجد صاعداً سمو دخان النار وهو وضيع

---

(١) نفس المصدر ص ٣٦٠.

وقال أيضاً :

إذا كنت محموداً فإنك مرمد عيون الورى فأكحلهم بالتواضع

(عن الطويل)

وقال أيضاً مما يكتب على حصير :

أفرشت خدّي للضيوف ولم يزل خلقي التواضع للبيب الأكيس
فتواضعي أعلا مكاني بينهم طوراً فصرت أحل صدر المجلس

وقال أيضاً :

لا تحقرنّ عدواً لان جانبه ولو يكون قليل البطش والجلد
فللذبابة في الجرح الممد[1] يد تنال ما قصرت عنه يد الأسد

(عن البسيط)

ومن نظمه :

إذا وجد الشيخ في نفسه نشاطاً ، فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج له لهب قبل أن ينطفي

(عن المتقارب)

وقال أيضاً :

قالوا فلان قد وزر[2] فقلت: كلاّ لا وزر
والله لو حكمت فيه جعلته يرعى البقر

وقال أيضاً :

قالوا: شباب الفتى خؤون والشيب واف فليس يرحل
فقلت : أبعدتم قياساً ذاك حبيب وذا موكل

(عن البسيط)

---

(١) المقيح .
(٢) أصبح وزيراً .

وقال أيضاً :

وأرى[1] عيوب العالمين ولا أرى ... عيباً لنفسي وهو مني قريب
كالطرف يستجلي الوجوه ووجهه ... منه قريب وهو عنه مغيب

(عن الكامل)

وقال أيضاً :

لا تعجبوا من حنين قلبي ... إليهم، واعذروا غرامي
فالقوس ، مع كونها جماداً ... تئنّ من فرقة السهام

(عن البسيط)

وقال أيضاً :

كيف ألذّ العيش في بلدة ... سكّان قلبي غير سكّانها
لو أنها الجنّة قد أزلفت[2] ... أرضها إلاّ برضوانها[3]

---

(١) المصدر السابق ص ٣٥٩ .

(٢) قدمت.

(٣) الملك خازن الجنان .

الطبيب الذكي
تياذوق

كان طبيباً فاضلاً وله نوادر وألفاظ مستحسنة في صناعة الطب. وعمر، وكان في أول دولة بني أميّة ومشهوراً عندهم بالطب. وصحب أيضاً الحجاج[1] بن يوسف الثقفي، المتولّى من جهة عبدالملك بن مروان، وخدمه بصناعة الطب، وكان يعتمد عليه، ويثق بمداواته، وكان له منه الجامكية[2] الوافرة والافتقاد الكثير.

بعض وصاياه :

ومن كلام تياذوق للحجّاج قال :

لا تنكح إلاّ شابّة، ولا تأكل من اللحم إلاّ فتياً، ولا تشرب الدواء إلاّ من علّة، ولا تأكل الفاكهة إلاّ في أوان نضجها، وأجد مضغ الطعام، وإذا أكلت نهاراً فلا بأس أن تنام، وإذا أكلت ليلاً فلا تنم حتى تمشي ولو خمسين خطوة، فقال له بعض من حضر : إذا كان الأمر كما تقول فلم هلك بقراط ؟ ولم هلك جالينوس وغيرهما ولم يبق أحد منهم ؟ قال: يا بني قد احتججت فاسمع! إنّ القوم

---

(١) ولد بالطائف ٦٦١ وولاّه عبدالملك بن مروان على الحجاز فرمى مكّة بالمنجنيق وقتل مصعب بن الزبير ثم تولّى العراق فأخمد الفتن ببطشه وقوته وله خطب مشهورة . توفى سنة ٧١٤م.

(٢) المال السلطاني .

دبّروا أنفسهم بما يملكون وغلبهم ما لا يملكون ـ يعني الموت ـ وما يرد من خارج كالجر والبرد والوقوع والغرق والجراح والغم وما أشبه ذلك .

وأوصى تياذوق أيضاً الحجاج فقال : لا تأكلن حتى تجوع ، ولا تتكارهنّ على الجماع ، ولا تحبس البول ، وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك .

أربعة تهدم العمر :

وقال أيضاً للحجاج : أربعة تهدم العمر وربما قتلن : دخول الحمام على البطنة ، والمجامعة على الامتلاء ، وأكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق ، وما مجامعة العجوز ببعيدة منهن .

معالجته صداع رأس الحجاج :

ووجد الحجاج في رأسه صداعاً فبعث إلى تياذوق وأحضره فقال : اغسل رجليك بماء حار ، وادهنهما ، وخِصيٌّ للحجاج قائم على رأسه ، فقال : والله ما رأيت طبيباً أقل معرفة بالطب منك! شكى الأميرُ الصداعَ في رأسه فتصف له دواء في رجليه! فقال له أما أن علامة ما قلت فيك بينة . قال الخِصيُّ : وما هي ؟ قال : نُزِعَتْ خِصْيتاك فذهب شَعْرُ لِحْيَتِكَ ، فضحك الحجّاجُ ومن حضر .

الحجّاج يشكو ضعف معدته لتياذوق :

وشكى الحجاج ضعفاً في معدته وقصوراً في الهضم إلى تياذوق فقال : يكون الأمير يحضر بين يديه الفستق الأحمر القشر البراني ويكسره ويأكل من لبّه، فإن ذلك يقوي المعدة ، فلما أمسى الحجاج بعث إلى حظاياه وقال : إن تياذوق وصف لي الفستق ، فبعثت إليه

كل واحدة منهن صينية فيها قلوب فستق فأكل من ذلك حتى امتلأ . وأصابته بعقبه هيضة[1] كادت تأتي على نفسه ، فشكى حاله إلى تياذوق، وقال : وصفت لي شيئاً أضرّ بي ، وذكر له ما تناول ، فقال له : إنما قلت لك أن تحضر عندك الفستق بقشره البراني ، فتكسر الواحدة بعد الواحدة ، وتلوك قشرها البراني وفيه العطرية والقبض ، فيكون بذلك تقوية المعدة ، وأنت فقد عملت غير ما قلت لك ، وداواه مما عرض له .

قيل : ومن أخباره مع الحجاج : انه دخل عليه يوماً ، فقال له الحجاج : أيّ شيء دواء أكل الطين؟ فقال عزيمة مثلك أيها الأمير ، فرمى الحجاج بالطين من يده ولم يعد إليه أبداً .

من عمل عشرة لم يعتل مدة حياته :

وقيل : إنّ بعض الملوك لما رأى تياذوق وقد شاخ وكبر سنّه ، وخشي أن يموت ولا يعتاض عنه ، لأنه كان أعلم الناس وأحذق الأمة في وقته بالطب . فقال له : « صف لي ما أعتمد عليه فأسوس به نفسي ، وأعمل به أيام حياتي ، فلست آمن أن يحدث عليك حدث الموت ، ولا أجد مثلك ، فقال تياذوق : « أيها الملك بالخيرات ، أقول لك عشرة أبواب إن علمت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك ، وهذه عشر كلمات :

١ ـ لا تأكل طعاماً وفي معدتك طعام .

٢ ـ ولا تأكل ما تضعف أسْنَانُك عن مضغه ، فتضعف معدتك عن هضمه .

---

(١) انطلاق البطن .

٣ ــ ولا تشرب الماء على الطعام حتّى تفرغ ساعتين ، فإن أصل الداء التخمة ، وأصل التخمة الماء على الطعام .

٤ ــ وعليك بدخول الحمّام في كل يومين مرّة واحدة ، فإنه يخرج من جسدك ما لا يصل إليه الدواء .

٥ ــ وأكثر الدم في بدنك تحرص به نفسك .

٦ ــ وعليك في كل فصل قيئة ومسهلة .

٧ ــ ولا تحبس البول وإن كنت راكباً .

٨ ــ وأعرض نفسك على الخلاء قبل نومك .

٩ ــ ولا تكثر الجماع فإنه يقتبس من نار الحياة فليكثر أو يقل .

١٠ ــ ولا تجامع العجوز فإنه يورث الموت الفجأة .

فلما سمع الملك ذلك أمر كاتبه أن يكتب هذه الألفاظ بالذهب الأحمر ، ويضعه في صندوق من ذهب مرصّع . وبقي ينظر إليه في كل يوم ويعمل به ، فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذي لا بدّ منه ولا محيص عنه .

آخر وصاياه في الطب :

وذكر إبراهيم بن القاسم الكاتب قال : قال الحجاج لابنه محمد : يا بني إن تياذوق الطبيب كان قد أوصاني في تدبير الصحّة بوصية كنت أستعملها ، فلم أرَ إلاّ خيراً ، ولما حضرته الوفاة دخلت عليه أعوده فقال إلزم ما كنت وصيتك به وما نسيت منها فلا تنس : « لا تشربنّ دواء حتى تحتاج إليه ، ولا تأكلن طعاماً وفي جوفك طعام ، وإذا أكلت فامش أربعين خطوة ، وإذا امتلأت من الطعام فنم على جنبك الأيسر ، ولا تأكلن الفاكهة وهي مولية ، ولا تأكلن من اللحم إلاّ فتياً ، ولا تنكحنّ عجوزاً ، وعليك بالسواك ، ولا تتبعن

اللحم اللحم ، فإن ادخال اللحم على اللحم يقتل الأسود في الفلوات » .

وقال أيضاً إبراهيم بن القاسم الكاتب في كتاب أخبار الحجاج أن الحجّاج لما قتل سعيد بن جبير رحمه الله ، وكان من خيار التابعين ، وجرى بينهما كلام كثير ، وأمر به فذبح بين يديه ، وخرج منه دم كثير استكثره وهاله ، فقال الحجاج لتياذوق طبيبه : ما هذا؟ قال : « لاجتماع نفسه ، وانه لم يجزع من الموت ، ولا هاب ما فعلته به ، وغيره تقتله وهو مفترق النّفس ، فيقل دمه لذلك » .

ومات تياذوق بعد ما أسنّ وكبر ، وكانت وفاته بواسط في نحو سنة تسعين للهجرة .

ولتياذوق من الكتب : كناش كبير ألفه لابنه ، كتاب إيدال[1] الأدوية وكيفيّة دقها وإيقاعها وإذابتها وشيء من تفسير أسماء الأدوية[2] .

(١) هذه اما من أدل ـ أدلا ، أو من ودل ـ ودلا اللبن : مخضه وهي بهذا المعنى أي : مخض الأدوية وهو مزجها بالماء وتحريكها (ن . ر) .

(٢) عيون الأنباء ص ١٧٩ .

الطبيب الذكي
أبو الحسن ثابت بن قرة الحراني

كان[1] من الصابة المقيمين بحرّان[2] ويقال الصابئون نسبتهم إلى صاب وهو طاط بن النبي إدريس عليه السلام .

قال أبو إسحاق الصابىء الكاتب : إنّ ثابتاً كان يمشي مع المعتضد في الفردوس ـ وهو بستان في دار الخليفة للرياضة ـ وكان المعتضد قد اتكأ على يد ثابت وهما يتماشيان ، ثم نتر المعتضد يده من يد ثابت بشدّة ، ففزع ثابت ، فإن المعتضد كان مهيباً جدّاً ، فلما نتر يده من يد ثابت قال له : يا أبا الحسن ، ـ وكان في الخلوات يكنّيه وفي الملأ يسمّيه ـ سهوت ووضعت يدي على يدك واستندت عليها ، وليس هكذا يجب أن يكون ، فإن العلماء يعلون ولا يُعْلَون .

ونقلت من كتاب الكنايات للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني قال : حدثني أبو الحسن هلال بن المحسن بن إبراهيم قال : حدثني جدّي أبو إسحاق الصابىء . قال : حدثني عمي أبو الحسين ثابت بن إبراهيم ، قال : حدثني أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي قال : سألت أبا الحسن ثابت بن قرة عن مسألة بحضرة قوم

---

(١) عيون الأنباء ص ٢٩٦ .

(٢) مدينة قديمة ما بين النهرين قاعدة بلاد مصر اشتهرت بالفلاسفة والعلماء أعظمهم ثابت هذا وأولاده ، والبتاني .

فكره الإجابة عنها بمشهدهم ، وكنت حديث السن ، فدافعني عن الجواب . فقلت متمثلاً :

ألا ما لليل لا ترى عند مضجعي ... بليل ولا يجري بها لي طائر
بلى إن عجم الطير تجري إذا جرت ... بليلي ولكن ليس للطير زاجر

(الطويل)

فلما كان من غد لقيني في الطريق وسرت معه ، فأجابني عن المسألة جواباً شافياً ، وقال : زجرت الطير يا أبا محمد؟ فأخجلني ، فاعتذرت إليه ، وقلت : والله يا سيّدي ما أردتك بالبيتين .

حكاية معالجته لمصاب بالسكتة :

ومن بديع حسن تصرف ثابت بن قرة في المعالجة ما حكاه أبو الحسن ثابت بن سنان ، قال : حكى أحد أجدادي ، عن جدّنا ثابت بن قرة ، انه اجتاز يوماً ماضياً إلى دار الخليفة فسمع صياحاً وعويلاً ، فقال : مات القصاب الذي كان في هذا الدكان؟ فقالوا له : أي والله يا سيدنا البارحة فجأة ، وعجبوا من ذلك . فقال : ما مات خذوا بنا إليه . فعدل الناس معه إلى الدار فتقدم إلى النساء بالإمساك عن اللطم والصياح ، وأمرهنّ بأن يعملن مزوّرة ، وأومأ إلى بعض غلمانه بأن يضرب القصاب على كعبه بالعصا . وجعل يده في مجسه ، وما زال ذلك يضرب كعبه إلى أن قال : حسبك .

واستدعى قدحاً وأخرج من شستكة في كمّه دواء فدافه[1] في القدح بقليل ماء ، وفتح فم القصاب وسقاه إيّاه ، فأساغه ، ووقعت الصيحة والزعقة في الدار والشارع بأن الطبيب قد أحيا الميّت . فتقدم

---

(١) أذابه في الماء وضربه فيه ليختثر .

ثابت بغلق الباب والاستيثاق منه . وفتح القصّاب عينه وأطعمه مزوّرة وأجلسه . وقعد عنده ساعة ، وإذا بأصحاب الخليفة قد جاءوا يدعونه ، فخرج معهم والدنيا قد انقلبت ، والعامة حوله يتعادون ، إلى أن دخل دار الخلافة .

ولما مثل بين يدي الخليفة قال له : يا ثابت ما هذه المسيحية التي بلغتنا عنك ؟ قال : يا مولاي كنت أجتاز على هذا القصّاب وألحظه يشرح الكبد ، ويطرح عليها الملح ويأكلها . فكنت أستقذر فعله أولاً ، ثم أعلم أن سكتة ستلحقه . فصرت أراعيه ، وإذا علمت عاقبته انصرفت وركّبت للسكتة دواء استصحبته معي في كلّ يوم ، فلمّا اجتزت اليوم وسمعت الصياح قلت : مات القصّاب ؟ قالوا : نعم ، مات فجأة البارحة ، فعلمت أن السكتة قد لحقته ، فدخلت اليه ولم أجد له نبضاً . فضربت كعبه إلى أن عادت حركة نبضه ، وسقيته الدواء ففتح عينيه ، وأطعمته مزوّرة . والليلة يأكل رغيفاً بدراج ، وفي غد يخرج من بيته .

شيء عن حالاته :

أقول : وكان مولد ثابت بن قره في سنة احدى عشرة ومائتين بحرّان في يوم الخميس الحادي والعشرين من صفر . وتوفّى سنة ثمان وثمانين ومائتين ، وله من العمر سبع وسبعون سنة . وقال ثابت ابن سنان بن ثابت بن قره : كانت بين أبي أحمد يحيى بن علي بن يحيى بن المنجم النديم ، وبين جدي أبي الحسن ثابت ابن قره . . . مودّة أكيدة ، ولما مات جدّي في سنة ثمان وثمانين ومئتين رثاه أبو أحمد بأبيات هي هذه :

ألا كل شيء ما خلا الله مائت　　　ومن يغترب يرجى ومن مات فائت

أرى من مضى عنا وخيم عندنا ... كسفر ثووا أرضاً فسار وبائت
نعينا العلوم الفلسفيّات كلّها ... خبا نورها اذ قيل قد مات ثابت
وأصبح أهلوها حيارى لفقده ... وزال به ركن من العلم ثابت
وكانوا اذا ضلّوا هداهم لنهجها ... خبير بفصل الحكم للحق ناكت(١)
ولما أتاه الموت لم يغن طبه ... ولا ناطق ممّا حواه وصامت
ولا أمتعته بالغنى بغتة الردى ... ألا ربّ رزق قابل وهو فائت
فلو أنه يسطاع للموت مدفع ... لدافعه عنه حماة مصالت(٢)
ثقاة من الاخوان يَصْفون ودّه ... وليس لما يقضى به الله لافت(٣)
أبا حسن لا تبعدن وكلنا ... لهلكك مفجوع له الحزن كابت(٤)
آمل أن تجلى عن الحق شبهة ... وشخصك مقبور وصوتك خافت
وقد كان يسرو حسن تبيينك العمى ... وكل قؤول حين تنطق ساكت
كأنّك مسؤولا من البحر غارف ... ومستبدئا نطقا من الصخر ناحت
فلم يتفقدني من العلم واحد ... هراق(٥) اناء العلم بعدك كابت
وكم من محب قد أفدت وأنه ... لغيرك ممّن رام شأوك هافت
عجبت لأرض غيّبتك ولم يكن ... ليثبت فيها مثلك الدهر ثابت
تهذبت حتى لم يكن لك مبغض ... ولا لك لما اغتالك الموت شامت
وبرّزت حتى لم يكن لك دافع ... عن الفضل الّا كاذب القول باهت
مضى علم العلم الذي كان مقنعاً ... فلم يبقَ الّا مخطىء متهافت(٦)

---

(١) أصل معنى نكت : ضرب الأرض بقضيب أو اصبع حال التفكير فاثر فيها . وكأنه هنا ينكت عن الحق ليكشف عنه .

(٢) شجعان ماضون في الحوائج.

(٣) صارف .

(٤) أذلّه وكسره (ن. ر).

(٥) أراقه.

(٦) متساقط ومتتابع .

شيئان يضران الشيخ الكبير :

قال : ليس على الشيخ أضرّ من أن يكون له طبّاخ حاذق ، وجارية حسناء لأنه يستكثر من الطعام فيسقَم ، ومن الجِماع فيَهْرَم .

ما يريح الجسم والنفس والقلب واللسان

وقال : راحة الجسم في قلّة الطعام ، وراحة النفس في قلّة الآثام ،وراحة القلب في قلّة الاهتمام ، وراحة اللسان في قلّة الكلام .

الطبيب الذكي
جالينوس

ولـد في الـرّي (٨٦٤ ـ ٩٣٢) ولقّب بجـالينـوس العـرب ، أو طبيب المسلمين وأشهر كتبه كتاب « الحاوي » .

وقـال المبشـر بن فـاتـك : ان جـاليـنـوس كـان أسمـر اللون حسن التخـاطيط ، عريض الأكتـاف ، واسع الـراحتين ، طـويـل الأصـابـع ، حسن الشعـر ، محبّاً لـلأغـاني والألحـان وقـراءة الكتب ، معتـدل المشيـة ، ضاحـك السن ، كثير الهـذر ، قليل الصمت ، كثيـر الوقـوع في أصحـابه ، كثيـر الأسفـار ، طيب الـرائحـة ، نقي الثيـاب . وكـان يحب الركوب والتنزّه ، مداخـلاً للملوك والرؤسـاء من غير أن يتقيّـد في خـدمة أحـد من الملوك ، بل انهم كـانوا يكـرمونـه . وإذا احتاجـوا إليه في مـداواة شيء من الأمـراض الصعبـة دفعـوا لـه العـطايـا الكثيـرة من الذهب وغيره في بـرئها . « وذكـر ذلك في كثيـر من كتبه » . وانـه كان اذا تطلّبه أحـد من الملوك أن يستمر في خـدمته سـافر من تلك المـدينة الى غيرها لئلا يشتغل بخدمة الملك عما هو بسبيله .

بعض حالاته عن لسانه

أنّى لم أطلب من أحـد من تـلاميـذي اجرة ولا من مـريض من المرضى الذين أعالجهم ، وأنى أعطي المـرضى كل مـا يحتاجـون اليه لا من الأدويـة فقط أو من الأشـربـة أو من الأدهـان أو غيـر ذلـك ممـا أشبهـه ، لكني أقيم عليهم من يخدمهم أيضـاً اذا لم يكن لهم خـدم ،

وأهيىء لهم مع ذلك أيضاً ما يغتذون به .

قال : واني وصلت كثيراً من الأطباء بأصدقاء كانوا لي توجهوا في عساكر ، وأطباء أخر أيضاً كثير عددهم ضممتهم الى قوم من أهل القدر لم آخذ من أحد منهم على ذلك رشوة أو هدية ، بل كنت أهب لقوم منهم على ذلك رشوة أو هدية ، بل كنت أهب لقوم منهم بعض الآلات والأدوية التي يحتاجون اليها ، وبعض لم أكن أقتصر به على ذلك فقط ، لكني كنت أزوده ما يحتاج اليه من النفقة في طريقه .

أصل اسمه :

وذكروا أن الأصل كان في اسم جالينوس غالينوس ، ومعناه الساكن أو الهادي . وقيل : ان ترجمة اسم جالينوس معناه بالعربي الفاضل .

وقال أبو بكر محمد بن زكريّا الرازي في كتاب « الحاوي » انه ينطلق في اللغة اليونانية أن ينطق بالجيم غينا وكافاً ، فيقال مثلاً جالينوس وغالينوس وكالينوس ، وكل ذلك جائز . وقد تجعل الألف واللام لاما مشددة فيكون ذلك أصحّ في اليونانية .

قال صاحب عيون الأنباء : وهذه فائدة تتعلق بهذا المعنى وهي : حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكريدي قال : حدثني أبنا غاثون المطران بشويك وكان أعلم أهل زمانه بمعرفة لغة الروم القديمة وهي اليونانية ، ان في لغة اليونان كل ما كان من الأسماء الموضوعة من أسماء الناس وغيرهم ، فآخرها سين مثل جالينوس وديسقوريدس وانكساغورس وارسطوطاليس وديوجانيس واريباسيوس ، وغير ذلك ، وكذلك مثل قولهم قاطيغورياس ، وباريمينياس ، ومثل اسطوخودس ، وانا غالس ، فان السين التي في آخر كل كلمة

حكمها في لغة اليونانيين مثل التنوين في لغة العرب الذي هو في آخر الكلمة ، مثل قولك زيدٌ وعمروٌ وخالدٌ وبكرٌ وكتابٌ وشجر . فتكون النون التي تتبين في آخر التنوين مثل السين في لغة أولئك .

وقال أيضاً : ويقع لي أن من الألفاظ التي في لغة اليونانيين وهي قلائل ، ما لا يكون في آخره سين مثل سقراط وأفلاطن واغاثذيمون واغلوقن وتامور وياغات . وكذلك من غير أسماء الناس مثل : أنالوطيقيا ونيقوماخيا والريطورية ، ومثل : جند بيدستر وترياق ، فان هذه الأسماء تكون في لغة اليونانيين لا يجوز عندهم تنوينها فتكون بلا سين . وذلك مثل ما عندنا في لغة العرب ان من الأسماء ما لا ينون ، وهي الأسماء التي تنصرف مثل اسماعيل وابراهيم وأحمد ومساجد ودنانير ، فتكون هذه كتلك ، والله أعلم .

وقد مدح أبو العلاء بن سليمان المعرى[1] في كتاب « الاستغفار » كتب جالينوس ومدوني الطب فقال :

سقيا ورعيا[2] لجالينوس من رجل ... ورهط بقراط غاضوا بعد أوزادوا
فكل ما أصّلوه غير منتقض ... به استغاث أو لو سقم وعوّاد
كتب لطاف عليهم خفّ محملها ... لكنها في شفاء الداء أطواد[3]

بعض ألفاظه ونوادره الحكمية

ومن ألفاظ جالينوس وآدابه ونوادره الحكمية ، مما ذكره حنين بن

---

(١) ولد في معرة النعمان (٩٧٩ ـ ١٠٥٨) شاعر ومفكّر . فقد بصره وهو في الرابعة من عمره سمى نفسه رهين المحبسين العمى والبيت لأنه اعتزل بعد ما سافر إلى بغداد وعاد منها إلى بلده ، وكان لاذع النقد متشائماً .

(٢) دعاء بالسقيا والرعاية .

(٣) جمع طود وهو الجبل العظيم أي شفاءها للداء عظيم .

اسحـــاق في كتـاب « نــوادر الفــلاسفــة والحكمـــاء وآداب المعلمين القدماء » ، قال جالينوس :

التحذير من الغم والهم

« الهَمُّ فنـاء القلب والغَمُّ مـرض القلب » . ثم بيّن ذلــك فقـال : « الغم بما كان والهم بما يكون » .

وفي مـوضع آخـر : « الغم بما فـات والهم بمـا هـو آت ، فـإيّـاك والغم فـان الغم ذهاب الحيـاة . ألا ترى أن الحي اذا غمّ وجبةً تـلاش من الغـم » ؟

جالينوس يشرح صورة القلب

قـال في صـورة القلب : « ان في القلب تجــويفين أيمن وأيســر . وفي التجويف الأيمن من الدم أكثر من الأيسر . وفيهما عرقـان يأخـذان الى الدماغ ، فـاذا عرض للقلب مـا لا يوافق مـزاجه انقبض ، فـانقبض لانقباضه العرقان ، فتشنج لذلك الوجه وألم له الجســد. واذا عرض لـه ما يوافق مزاجه انبسط ، وانبسط العرقان لانبساطه » .

قـال : « وفي القلب عـريق صغيـر كـالأنبـوبـة مــطل على شغـاف القلب وسويدائه[1] ، فاذا عـرض للقلب غم انقبض ذلك العـريق فقطر منه دم على سويداء القلب وشغافـه ، فيعصر عنـد ذلك من العـرقين دم يتغشّاه ، فيكون ذلـك عصرا على القلب ، حتى يحس ذلـك في القلب والروح والنفس والجسم ، كما يتغشى بخار الشراب الدماغ فيكـون منه السكر » .

(١) شغاف القلب وسويداؤه : غلافه وحبّته .

وقيل : ان جالينوس أراد امتحان ذلك ،فأخذ حيوانا ذا خس فغمه أياماً ، ولما ذبحه وجد قلبه ذابلاً نحيفا قد تلاشى أكثره .فاستدل بذلك على أن القلب اذا توالت عليه الغموم وضاقت به الهموم ، ذبل ونحل . فحذر حينئذ من عواقب الغم والهم .

وقال لتلاميذه : « من نصح الخدمة نصحت له المجازاة » .

وقال لهم : « لا ينفع علم من لا يعقله ، ولا عقل من لا يستعمله » .

وقال في كتاب أخلاق النفس : « كما انه يعرض للبدن المرض والقبح ، فالمرض مثل الصرع والشوصة[1] ، والقبح مثل الحدب وتسقط الرأس وقرعه ، كذلك يعرض للنفس مرض وقبح ، فمرضها كالغضب ، وقبحها كالجهل » .

مصادر العلل

وقال : « العلل تجيء على الانسان من أربعة أشياء : من علّة العلل ، ومن سوء السياسة في الغذاء ، ومن الخطايا ، ومن العدو أبليس » .

وقال : الموت من أربعة أشياء ، موت طبيعي ، وهو موت الهرم ، وموت مرض وشهرة ، مثل من يقتل نفسه أو يقاد[2] منه ، وموت الفجأة ، وهو بغتة .

وقال : وقد ذكر عنده القلم : القلم طبيب المنطق .

---

(١) ريح في البطن تجول يسبب آلاما. (ن. ر).

(٢) أن يقتل قوداً ، والقود : قتل القاتل بذل القتيل . (ن. ر).

العشق والعاشق

ومن كلامه في العشق، قال: «العشق استحسان ينضاف اليه طمع».

وقال: «العشق من فعل النفس وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد. وفي الدماغ ثلاث قوى: التخيّل، وهو في مقدم الرأس، والفكر، وهو في وسطه، والذكر، وهو في مؤخره، وليس يكمل أحد اسم عاشق حتى يكون اذا فارق من يعشقه لم يخل من تخيّله وفكره وذكره، وقلبه وكبده. فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخييل، والذكر له والفكر فيه، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به. فمتى لم تشتغل به وقت الفراق لم يكن عاشقاً. فاذا لقيه خلت هذه المساكن.

قال حنين بن اسحاق: «وكان منقوشاً على فص خاتم جالينوس: «من كتم داءه أعياه شفاؤه».

ومن كلام جالينوس، مما ذكره أبو الوفاء المبشر بن فاتك، في كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» قال جالينوس:

اللين والحلم وعدم العُجب

«لِنْ تنل، واحلم تنبل، ولا تكن معجبا فتمتهن».

وقال: «العليل الذي يشتهي، أرجى من الصحيح الذي لا يشتهي».

وقال: «لا يمنعك من فعل الخير ميل النفس إلى الشرّ».

تأكيده على التزيُّن بالآداب

وقال: «رأيت كثيراً من الملوك يزيدون في ثمن الغلام المتأدّب

بالعلوم والصناعات ، وفي ثمن الدواب الفاضلة في أجناسها ، ويغفلون أمر أنفسهم في التأدّب ، حتى لو عرض على أحدهم غلام مثله ما اشتراه ولا قبله . فكان من أقبح الأشياء عندي أن يكون المملوك يساوي الجملة من المال ، والمالك لا يجد من يقبله مجاناً .

وقال : « كان الأطباء يقيمون أنفسهم مقام الأمراء ، والمرضى مقام المأمورين الذين لا يتعدون ما حُدّ لهم ، فكان الطب في أيامهم أنجع ، فلما حال الأمر في زماننا فصار العليل بمنزلة الأمير ، والطبيب بمنزلة المأمور ، وخدم الأطباء رضا الاعلاء ،وتركوا خدمة أبدانهم ، فقلّ الانتفاع بهم » .

وقال أيضاً : « كان الناس قديماً يجتمعون على الشراب والغناء ، فيتفاضلون في ذكر ما تعمله الأشربة في الأمزجة ، والألحان في قوّة الغضب ، وما يرد كل واحد منها من أنواعه ، وهم اليوم اذا اجتمعوا فانما يتفاضلون بعظم الأقداح التي يشربونها » .

ترويض النفس على ترك الشهوات منذ الصبى

وقال : « من عوّد من صباه القصد في التدبير كانت حركات شهواته معتدلة ، فأمّا من اعتاد أن لا يمنع شهواته منذ صباه ولا يمنع نفسه شيئاً مما تدعوه اليه ، فذلك يبقى شرها . وذلك ان كل شيء يكثر الرياضة في الأعمال التي تخصه يقوى ، وكل شيء يستعمل السكون يضعف » .

وقال : من كان من الصبيان شرهاً شديد القحة ، فلا ينبغي أن يطمع في صلاحه البتّة ، ومن كان منهم شرهاً ولم يكن وقحاً فلا

ينبغي أن يؤيس من صلاحه ، ويقدّر أنه ان تأدّب يكون انساناً عفيفاً » .

وقال : « الحياء خوف المستحي من نقص يقع به عند من هو أفضل منه » .

الحكمة العظمى هي معرفة الانسان نفسه

وقال : « يتهيأ للانسان أن يصلح أخلاقه اذا عرف نفسه ، فان معرفة الانسان نفسه هي الحكمة العظمى ، وذلك انالانسان لافراط محبته لنفسه ، بالطبع ، يظنّ بها من الجميل ما ليست عليه ، حتى ان قوماً يظنون بأنفسهم أنهم شجعاء وكرماء وليسوا كذلك ، فأما العقل فيكاد أن يكون الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه ، وأقرب الناس الى أن يظن ذلك بنفسه أقلهم عقلاً » .

جالينوس يصف العادل والعاقل

وقال : « العادل من قدر على أن يجور فلم يفعل ، والعاقل من عرف كل واحد من الأشياء التي في طبيعة الانسان معرفتها على الحقيقة » .

وقال : العجب ظنّ الانسان بنفسه انه على الحال التي تحب نفسه أن يكون عليها من غير أن يكون عليها .

وقال : « كما أن من ساءت حال بدنه من مرض به وهو ابن خمسين سنة ليس يستسلم ويترك بدنه حتى يفسد ضياعاً ، بل يلتمس أن يصح بدنه ، وان لم يفده صحة تامة ، كذلك ينبغي لنا أن لا نمتنع من أن نزيد أنفسنا صحة على صحتها ، وفضيلة على فضيلتها ، وان كنّا لا نقدر أن نلحقها بفضيلة نفس الحكيم » .

استعمال الجميل وطرح القبيح

وقال : « يتهيأ للانسان أن يسلم من أن يظن بنفسه انه أعقل الناس ، اذا قلد غيره ، امتحان كل ما يفعله في كل يوم ، وتعريفه صواب فعله من خطئه ، ليستعمل الجميل ويطرح القبيح .

ورأى رجلاً تعظمه الملوك لشدة جسمه ، فسأل عن أعظم ما فعله ، فقالوا : « انه حمل ثوراً مذبوحاً من وسط الهيكل حتى أخرجه الى خارج) فقال لهم : « فقد كانت نفس الثور تحمله ولم تكن لها في حمله فضيلة » .

ونقلت من كلام جالينوس أيضاً من مواضع أخر ، قال جالينوس :

« إنّ العليل يتروّح بنسيم أرضه ، كما تتروّح الأرض الجدبة ببل القطر »[1] .

وسئل عن الشهوة فقال : « بلية تعير لا بقاء لها » .

وقيل له : « لم تحضر مجالس الطرب والملاهي ، قال : لأعرف القوى والطبائع في كل حال من منظر ومسمع » .

من جهل ما يضره مما ينفعه

وقيل له : متى ينبغي للإنسان أن يموت ؟

قال : « اذا جهل ما يضرّه مما ينفعه » .

جالينوس يسئل عن الاخلاط الأربعة

ومن كلامه أنه سئل عن الأخلاط فقيل له : ما قولك في الدم ؟

قال : « عبد مملوك وربما قتل العبد مولاه » .

---

(١) المطر .

قيل له : « فما قولك في الصفراء ؟ » .

فقال : « كلب عقور[1] في حديقة » .

قيل له : فما قولك في البلغم ؟

قال : «ذلك الملك الرئيس، كلما أغلقت عليه باباً فتح لنفسه باباً» .

قيل له : فما قولك في السوداء ؟

قال : « هيهات ، تلك الأرض اذا تحركت تحرك ما عليها » .

يذكر مثالاً في الأخلاط الأربعة

ومن ذلك أيضاً قال : « أنا ممثل لك مثالاً في الأخلاط الأربعة فأقول : ان مثل الصفراء ، وهي المرة[2] الحمراء ، كمثل امرأة سليطة[3] صالحة تقية ، فهي تؤذي بطول لسانها وسرعة غضبها ، إلا أنها ترجع سريعاً بلا غائلة [4] ، ومثل الدم كمثل الكلب [5] فإذا دخل دارك فعاجله إما باخراجه أو قتله . ومثل البلغم اذا تحرك في البدن ، مثل ملك دخل بيتك وأنت تخاف ظلمه وجوره ، وليس يمكن أن تخرق[6] به وتؤذيه بل يجب أن ترفق به وتخرجه . ومثل السوداء في الجسد ، مثل الانسان الحقود الذي لا يتوهم فيه بما في نفسه ، ثم يثبت وثبة فلا يبقى مكروهاً إلاّ ويفعله ولا يرجع إلاّ بعد الجهد الصعب» .

---

(١) كلب عقور : كلب جارح .

(٢) خلط من أخلاط البدن .

(٣) بذيئة اللسان .

(٤) الغائلة : المهلكة والشرّ .

(٥) المصاب بالكلب وهو داء شبه الجنون يأخذ الكلاب ، فتعضّ الناس فيكلبوا هم أيضاً إذا لم يتناولوا دواء .

(٦) تدهشه .

ومن تمثيلاته الطريفة أيضاً

قال : « الطبيعة كالمدعى ، والعلّة كالخصم ، والعلامات كالشهود ، والقارورة والنبض كالبينة ، ويوم البحران كيوم القضاء والفصل ، والمريض كالمتوكّل ، والطبيب كالقاضي » .

وقال المسعودي في كتاب « المسالك والممالك » : « ان الفرما[1] على شط بحيرة تنيس ، وهي مدينة حصينة وبها قبر جالينوس اليوناني .

وقال غيره انه لما كانت ديانة النصرانية قد ظهرت في أيام جالينوس قيل له ان رجلاً ظهر في آخر دولة قيصر اكتفيان ببيت المقدس يبرىء الأكمه[2] والأبرص ويحيي الموتى ، فقال : « يوشك أن تكون عنده قوّة الهية يفعل بها ذلك » ، فسأل ان كان هناك بقية ممن صحبه فقيل له نعم ! فخرج من رومية يريد بيت المقدس ، فجاز الى صقلية وهي يومئذ تسمى سلطانية . فمات هنالك وقبره بصقلية ، ويقال ان العلة التي مات بها الذرب[3] .

العلة التي مات بها جالينوس

وحكى عنه أنه لما طالت به العلّة عالجها بكل شيء فلم ينجع ، فقالت تلاميذه ان الحكيم ليس يعرف علاج علته ، وقصروا في

---

(١) مدينة قديمة عند مدخل مصر شرقاً .

(٢) الممسوح العين والمسلوب العقل .

(٣) هنا يختلف المعنى باختلاف الحركات المبنية فإن كانت الذرب فهو داء في الكبد وإن كان الذرب فهو داء يعرض للمعدة فلا تهضم الطعام فيفسد ولا تمسكه. (ن . ر).

خدمته ، فأحسّ بذلك منهم وكان زمانا صائفا ، فأحضر جرة فيها ماء وأخرج شيئا فطرحه فيها وتركها ساعة وكسرها ، واذا بها قد جمدت ، فأخذ من ذلك الدواء فشربه واحتقن به فلم ينفع ، فقال لتلاميذه هل تعلمون لم فعلت هذا ؟ قالوا : لا ! قال لئلا تظنوا أني قد عجزت عن علاج نفسي فهذه علة تسمى داء مدد يعني الداء الذي لا دواء له وهو الموت . وهذه الحكاية أحسبها مفتعلة عن جالينوس .

صفة تجميد الماء

وذكر ابن بختويه[1] في كتاب « المقدمات » صفة لتجميد الماء في غير وقته ، زعم انه اذا أخذ من الشب اليماني الجيد رطل ، ويسحق جيدا ويجعل في قدر فخار جديدة ، ويلقى عليه ستة أرطال ماء صاف ، ويجعل في تنور ويطين عليه حتى يذهب منه الثلثان ويبقى الثلث لا يزيد ولا ينقص ، فانه يشتد . ثم يرفع في قنينة ويسد رأسها جيدا . فاذا أردت العمل به أخذت ثلجية جديدة وفيها ماء صاف ، واجعل في الماء عشرة مثاقيل[2] من الماء المعمول بالشب ، ويترك ساعة واحدة فانه يصير ثلج ، وكذلك أيضاً زعم بعض المغاربة في صفة تجميد الماء في الصيف قال : اعمد الى بزر الكتان فانقعه في خل خمر جيد ثقيف ، فإذا جمد فيه فألقه في جرة أو حب مليء ماء . قال : فانه يجمد ما كان فيه من الماء ولو أنه في حزيران أو تموز .

---

(١) أبو الحسين عبدالله بن عيسى وكان طبيباً وخطيباً من أهل واسط. وله كتاب المقدمات ويعرف بكنز الأطباء .

(٢) ما وازنه في الوزن درهم وثلاثة أسباع الدرهم ويعدل بوزن هذا العصر ٤٣٦ ، ٣ غ هذا الشرعي و٤,٨٠٠ غ للصيرفي الشامي (ن. ر).

ذكاء الطبيب
جبريل بن بختيشوع

انقاذه للرشيد من الموت بالحجامة :

قال[1] «جبريل بن بختيشوع» كنت مع الرشيد بالرقة ومعه محمد والمأمون ، وكان الرشيد رجلاً كثير الأكل والشرب فأكل يوماً أشياء خلط فيها ودخل المستراح فغشي عليه فأخرج وقوى الأمر حتى لم يشكّوا في موته فأحضرت وجبيت عرقه فوجدت نبضاً خفياً . وقد كان قبل ذلك بأيام يشكو امتلاء وحركة الدم فقلت الصواب أن يحتجم الساعة فقال كوثر الخادم لما لم تقدر من أمر الخليفة (يا جبريل) تقول احجموا رجلاً ميتاً لا نقبل قولك ولا كرامة ، قال المأمون الأمر قد وقع وليس يضر أن تحجمه فأحضر الحجام وقدمت الى جماعة من الغلمان بامساكه ومص الحجام المحاجم فأحمر المكان ففرحت .

ثم قلت أشرطه فشرطه فخرج الدم فسجدت شكراً فلما خرج الدم أسفر لونه الى أن تكلّم وقال : أين أنا ؟ أنا جائع فغذيناه وعوفي فسأل صاحبه فعرفه انها خمسمائة ألف فقال (يا جبريل) كم عليك ؟ قلت : خمسون ألفاً قال : ما أنصفناك اذ غلات هؤلاء وهم يحرسوني كذلك وغلتك كما ذكرت فأمر باقطاعه ألف ألف درهم .

---

(١) في الأذكياء للسبط ابن الجوزي .

الطبيب الذكي
الحرث بن كلده الثقفي

كان[1] من الطائف وسافر في البلاد وتعلّم الطب بناحية فارس وتمرّن هناك وعرف الداء والدواء وكان يضرب بالعود ، تعلم ذلك أيضاً بفارس واليمن ، وبقى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وأيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب عليه السلام ومعاوية وقال له معاوية ما الطب يا حارث ؟ فقال : (الأزم) يعني الجوع ذكر ذلك ابن جلجل .

وكانت للحرث معالجات كثيرة ، ومعرفة بما كانت العرب تعتاده وتحتاج اليه من المداواة . وله كلام مستحسن فيما يتعلق بالطب وغيره .

كلام الحارث مع كسرى

من ذلك ، انه لما وفد على كسرى أنو شروان[2] أذن له بالدخول عليه . فلما وقف بين يديه منتصباً قال له : من أنت ؟ قال : أنا الحرث بن كلدة الثقفي .

---

(١) عيون الأنباء ص ١٦١ .

(٢) أعظم ملوك الساسانيين . حارب البيزنطيين وناصر العلم وبأمره نقلت مؤلفات اليونان والسريان إلى الفارسية .

قال : فما صناعتك ؟ قال : الطب . قال : أعربيّ أنت ؟ قال : نعم من صميمها وبحبوحة دارها قال : فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها ، وضعف عقولها ، وسوء أغذيتها ؟ قال : أيها الملك ، اذا كانت هذه صفتها ، كانت أحوج الى من يصلح جهلها ، ويقيم عوجها، ويسوس أبدانها، ويعدل[1] أمشاجها[2] فإن العاقل يعرف ذلك من نفسه، ويميز موضع دائه، ويحترز[3] عن الأدواء كلها بحسن سياسته لنفسه . قال كسرى : فكيف تعرف ما تورده عليها؟ ولو عرفت الحلم لم تنسب إلى الجهل قال : الطفل يناغي فيداوي ، والحية ترقى فتحاوي . ثم قال : أيها الملك ، العقل من قِسَم الله تعالى قسمه بين عباده ، كقسمة الرزق فيهم . فكل من قسمته أصاب ، وخص بها قوم وزاد ، فمنهم مثر ومعدم ، وجاهل وعالم ، وعاجز وحازم ، وذلك تقدير العزيز العليم .

اعجاب كسرى من كلام الحارث

فأعجب كسرى من كلامه ، ثم قال : فما الذي تحمد من أخلاقها ؟ ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ قال الحرث : أيها الملك ، لها أنفس سخية ، وقلوب جرية ، ولغة فصيحة وألسن بليغة ، وأنساب صحيحة ، وأحساب شريفة ، يمرق من أفواههم الكلام مروق السهم من نبعة الرام[4]، أعذب من هواء الربيع، وألين من

---

(١) يعدل أي : يجعله مستقيماً .

(٢) جمع مشح وهو ما كان مختلطاً ، وهنا ما يتركب منه مزاج البدن .

(٣) يتوقّى .

(٤) قوس .

سلسبيل المعين[1] مطعموا الطعام في الجدب ، وضاربوا الهام في الحرب . لا يراهم عزهم ، ولا يضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل أكرمهم ، ولا يقرون بفضل للأنام ، الا للملك الهمام الذي لا يقاس به أحد ، ولا يوازيه سوقة[2] ولا ملك .

كلام الحارث حول الطب وأصله :

فاستوى كسرى جالساً ، وجرى ماء رياضة الحلم في وجهه ، لما سمع من محكم كلامه . وقال لجلسائه اني وجدته راجحاً ولقومه مادحاً ، وبفضيلتهم ناطقاً ، وبما يورده من لفظه صادقاً . وكذا العاقل من أحكمته التجارب . ثم أمره بالجلوس ، فجلس ، فقال : كيف بصرك بالطب ؟ قال : ناهيك[3] قال : فما أصل الطب ؟ قال : الأزم . قال : فما الأزم ؟ قال : ضبط الشفتين والرفق باليدين ، قال : أصبت ، وقال : فما الداء الدوي ؟ قال : ادخال الطعام على الطعام ، هو الذي يفني البرية ، ويهلك السباع في جوف البرية . قال : أصبت ، وقال : فما الجمرة التي تصطلم[4] منها الأدواء ؟ قال : هي التخمة ، ان بقيت في الجوف قتلت ، وان تحللت أسقمت ، قال : صدقت .

وقال : فما تقول في الحجامة ؟ قال : في نقصان الهلال في يوم صحو لا غيم فيه ، والنفس طيبة والعروق ساكنة ، لسرور يفاجؤك ، وهم يباعدك . قال : فما تقول في دخول الحمّام ؟ قال : لا تدخله

---

(١) الماء الجاري .

(٢) الرعية من الناس .

(٣) أي : غاية فيما تطلبه «في مقام المدح» .

(٤) تستأصل .

شبعانا ، ولا تغش[1] أهلك سكراناً ، ولا تقم بالليل عرياناً ، ولا تقعد على الطعام غضباناً ، وأرفق بنفسك ، يكن أرخى لبالك ، وقلل من طعامك ، يكن أهنأ لنومك . قال : فما تقول في الدواء ؟ قال : ما لزمتك الصحة فاجتنبه ، فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه ، فإن البدن بمنزلة الأرض ان أصلحتها عمرت ، وان تركتها خربت .

أفضل اللحوم والفواكه والرياحين

قال : فأي اللحمان أفضل ؟ قال : الضأن الفتي[2] والقديد[3] المالح مهلك للآكل . واجتنب لحم الجزور والبقر . قال : فما تقول في الفواكه ؟ قال : كلها في اقبالها وحين أوانها ، واتركها اذا أدبرت وولت وانقضى زمانها . وأفضل الفواكه : الرمان والأترج[4] ، وأفضل الرياحين : الورد والبنفسج ، وأفضل البقول : الهندباء والخس . قال : فما تقول في شرب الماء ؟ قال : هو حياة البدن وبه قوامه ، ينفع ما شرب منه بقدر ، وشربه بعد النوم ضرر . أفضله امرأه ، وأرقه أصفاه . ومن عظام أنهار البارد الزلال لم يختلط بماء الآجام[5] والآكام[6] ينزل من صرادح[7] المسطان ، ويتسلل

---

(١) دخل على أهله أي : جامع امرأته .

(٢) اسم جنس من الغنم .

(٣) اللحم المقدد أي : المجفّف بالشمس .

(٤) ثمر من جنس الليمون تسميه العامة الكباد .

(٥) جمع أجمة وهي الغابة .

(٦) جمع أكمة وهي الرابية.

(٧) المكان المستوى أو الواسع الأملس.

عن الرضراض وعظام الحصى في الايفاع[1] . قال : فما طعمه ؟ قال : لا يوهم له طعم الا انه مشتق من الحياة .

قال : فما لونه ؟ قال : اشتبه[2]على الأبصار لونه لأنه يحكى لون كل شيء يكون فيه . قال : أخبرني عن أصل الانسان ما هو؟ قال : أصله من حيث شرب الماء ، يعني رأسه .

نور العينين وطبائع البدن :

قال: فما هذا النور في العينين؟ قال مركب من ثلاثة أشياء: فالبياض شحم ، والسواد ماء ، والناظر ريح . قال : فعلى كم جبل وطبع هذا البدن ؟ قال : على أربع طبائع : المرة السوداء ، وهي باردة يابسة ، والمرة الصفراء ، وهي حارة يابسة ، والدم ، وهو حار رطب ، والبلغم ، وهو بارد رطب . قال : فَلِمَ لَمْ يكن من طبع واحد ؟ قال : لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك . قال : فمن طبيعتين ، لو كان اقتصر عليهما ؟ قال : لم يجز ، لأنهما ضدان يقتتلان . قال : فمن ثلاث ؟ قال : لم يصلح ، موافقان ومخالف . فالأربع هو الاعتدال والقيام . قال : فأجمل لي الحار والبارد في أحرف جامعة ؟ قال : كل حلو حار ، وكل حامض بارد ، وكل حريف حار ، وكل مر معتدل ، وفي المر حار وبارد .

قال : فاصل ما عولج له المرة الصفراء ؟ قال : كل بارد ليّن ، قال : فالمرة السوداء ؟ قال : لين ، قال : والبلغم ؟ قال : كل حار يابس ، قال : والدم ؟ قال : اخراجه اذا زاد ، وتطفئته اذا سخن

(١) ما دقّ من الحصى .

(٢) خفى .

بالأشياء الباردة اليابسة ؟ قال : فالرياح ؟ قال : بالحقن اللينة والأدهان الحارة اللينة . قال : أفتأمر بالحقنة ؟ قال : نعم ، قرأت في بعض كتب الحكماء ان الحقنة تنقى الجوف ، وتكسح الأدواء عنه ، والعجب لمن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد . وان الجهل كل الجهل من أكل ما قد عرف مضرته ، ويؤثر شهوته على راحة بدنه . قال : فما الحمية ؟ قال : الاقتصاد في كل شيء ، فإن الأكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها[١] .

قال : فما تقول في النساء واتيانهن[٢] ؟ قال : كثرة غشيانهنّ رديء ، وإياك واتيان المرأة المسنة فانها كالشن[٣] البالي ، تجذب قوتك ، وتسقم بدنك ، ماؤها سم قاتل ، ونفسها موت عاجل ، تأخذ منك الكل ، ولا تعطيك البعض . والشابة ماؤها عذب زلال ، وعناقها غنج ودلال ، فوها بارد ، وريقها عذب ، ريحها طيب ، وهنها ضيق[٤] . تزيدك قوة الى قوتك ، ونشاطاً الى نشاطك .

قال : فأيّهن القلب اليها أميل ؟ والعين برؤيتها أسر ؟ قال : اذا أصبتها المديدة القامة العظيمة الهامة ، واسعة الجبين ، اقناة العرنين[٥] ، كحلاء ، لعساء[٦] ، صافية الخد عريضة الصدر ، مليحة النحر . في خدها رقة ، وفي شفتيها لعس . مقرونة الحاجبين ،

---

(١) ثقبها ومنافذها.

(٢) مخالطتهن أو مجامعتهم.

(٣) القربة البالية.

(٤) الفرج .

(٥) الأنف كله أو ما صلب منه.

(٦) سوداء الشفة.

ناهدة الثديين ، لطيفة الخصر والقدمين ، بيضاء فرغاء[1] جعدة ، غضة بضة ، تخالها في الظلمة بدرا زاهراً تبسم عن اقحوان[2] ، وعن مبسم كالأرجوان ، كأنها بيضة مكنونة ، ألين من الزبد وأحلى من الشهد ، وأنزه من الفردوس والخلد ، وأزكى ريحا من الياسمين الورد ، تفرح بقربها ، وتسرّك الخلوة معها . قال : فاستضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه ، وقال : ففي أي الأوقات اتيانهن أفضل ؟ قال : عند ادبار الليل يكون الجوف أخلى ، والنفس أهدى والقلب أشهى والرحم أدفى . فان أردت الاستمتاع بها نهاراً تسرح عينك في جمال وجهها . ويجتنى فوك من ثرمات حسنها ، ويعي سمعك من حلاوة لفظها ، وتسكن الجوارح كلها اليها . قال كسرى : لله درك من اعرابي . لقد أعطيت علماً، وخصصت فطنة وفهماً .

وأحسن صلته وأمر بتدوين ما نطق به .

وقال الواثق[3] بالله في كتابه المسمى « بالبستان » : ان الحرث ابن كلدة مر بقوم وهم في الشمس فقال : عليكم بالظل فان الشمس تنهج[4] الثوب ، وتنقل الريح ، وتشحب اللون ، وتهيج الداء الدفين .

ومن كلام الحرث : البطنة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وعودوا كل بدن ما اعتاد .

---

(١) كثيرة الشعر.

(٢) نبات له زهر أبيض وأوراق زهر مفلجة صغيرة.

(٣) تاسع الخلفاء العباسيّين (٨٤٢ ـ ٨٤٦) تسلط على أيامه القواد الأتراك على جيوش الخلافة وغزا العرب صقلية.

(٤) تبليه .

وقيل : هو من كلام عبد الملك بن أبجر .

وقد نسب قوم هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وأوله : « المعدة بيت الداء » وهو أبلغ من لفظ البطنة .

وروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، (عليه السلام) ، انه قال : « من أراد البقاء ولا بقاء ، فليجود الغذاء ، وليأكل على نقاء ، وليشرب على ظماء ، وليقل من شرب الماء ، ويتمدد بعد الغذاء ويتمشى بعد العشاء . ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء . ودخول الحمام على البطنة من شر الداء ، ودخلة الى الحمام في الصيف خير من عشر في الشتاء . وأكل القديد اليابس في الليل معين على الفناء . ومجامعة العجوز تهدم أعمار الأحياء » .

بعض توصياته الحكيمة

وروى بعض هذه الكلمات عن الحرث بن كلدة وفيها : من سرّه النساء ولا نساء ، فليكر العشاء ، وليباكر الغداء ، وليخفف الرداء ، وليقل غشيان النساء . ومعنى فليكر يؤخر ، والمراد بالرداء الدين ، وسمى الدين رداء لقولهم : « هو في عنقي وفي ذمّتي » فلما كانت العنق موضع الرداء سمى الدين رداء .

وقد روى من طريق آخر وفيه : « تعجيل العشاء » وهو أصحب ، وروى أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير قال : قال الحرث بن كلدة : « من سرّه البقاء ولا بقاء ، فليباكر الغداء وليعجل العشاء ، وليخفف الرداء وليقل الجماع » .

أربعة أشياء تهدم البدن

(وروى) حرب بن محمد قال : حدثنا أبي ، قال : قال الحرث

ابن كلدة: أربعة أشياء تهدم البدن : الغشيان على البطنة[1] ، ودخول الحمام على الامتلاء ، وأكل القديد ، ومجامعة العجوز .

(وروى) داود بن رشيد عن عمرو بن عوف قال : لما احتضر الحرث بن كلدة اجتمع اليه الناس فقالوا : « مرنا بأمر ننتهي إليه من بعدك » فقال : لا تتزوجوا من النساء الا شابة ، ولا تأكلوا الفاكهة الا في أوان نضجها ، ولا يتعالجن أحد منكم ما احتمل بدنه الداء . وعليكم بالنورة[2] في كل شهر ، فانها مذيبة للبلغم مهلكة للمرة منبتة للحم ، واذا تغدى أحدكم فلينم على اثر غدائه ، واذا تعشى ليخط أربعين خطوة .

ومن كلام الحرث أيضاً قال : دافع بالدواء ما وجدت مدفعاً ، ولا تشربه الا من ضرورة فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله .

(وقال) سليمان بن جلجل : أخبرنا الحسن بن الحسين قال : أخبرنا سعيد بن الأموي قال : أخبرنا عمي محمد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عمير قال : كان اخوان من ثقيف[3] من بني كنه يتحابان ، لم ير قط أحسن ألفة منهما . فخرج الأكبر الى سفر فأوصى الأصغر بامرأته ، فوقعت عينه عليها يوماً غير معتمد لذلك ، فهويها وضنى . وقدم أخوه فجاءه بالأطباء ، فلم يعرفوا ما به ، الي أن جاءه بالحرث ابن كلدة فقال : أرى عينين محتجبتين وما أدري ما هذا الوجع

---

(١) المجامعة مع امتلاء البطن بالطعام .

(٢) حجر الكلس ثم غلب على اخلاط من زرنيخ وكلس وغيره يزال به الشعر في الحمّام طلاء . .

(٣) قبيلة عربية سكنت في الطائف قبيل الهجرة واشتركت في الفتوحات الإسلامية .

وسأجرّب ، فاسقوه نبيذاً . فلما عمل النبيذ فيه قال :

ألا رفقاً ألا رفقاً قليلاً ما أكونه
ألمّا[1] بي إلى الأبيات بالخيف أزرهنه
أسيل الخد مربوب وفي منطقه غنه[2]
(الهزج)

فقالوا : له : أنت أطب العرب . ثم قال : رددوا النبيذ عليه . فلما عمل فيه قال :

أيها الجيرة أسلموا وقفوا كي تكلموا
وتقضوا لبانة وتحبوا وتنعموا
خرجت مزنة من البحر ريا تحمحم[3]
هي ما كنّتي[4] وتز عم أني لها حم[5]

قال : فطلّقها أخوه ، ثم قال : تزوج بها يا اخي ، فقال : والله لا تزوجتها . فمات وما تزوجها .

وللحرث بن كلدة الثقفي من الكتب : كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى أنو شروان .

---

(١) ألم : أتى .
(٢) الصوت الرخيم .
(٣) تردّد الصوت .
(٤) امرأة الابن وتقال لامرأة الأخ وابن الأخ .
(٥) أبو زوج المرأة وأبو امرأة الرجل . (ن . ر) .

الطبيب الذكي
حنين بن إسحاق

هو أبو زيد حنين بن إسحاق العبادي ، قال الشاعر :

يسقيكها من بني العباد رشا منتسب عيده إلى الأحد

وكان حنين بن إسحاق فصيحاً لسناً بارعاً شاعراً .

قال يوسف بن إبراهيم : أوّل ما حصل لحنين بن إسحاق من الاجتهاد والعناية في صناعة الطب .

هو أن مجلس يوحنا بن ماسويه كان من أعم مجلس يكون في التصدّي لتعليم صناعة الطب ، وكان يجتمع فيه أصناف أهل الأدب .

قال يوسف : وذلك أني كنت أعهد حنين بن إسحاق الترجمان يقرأ على يوحنّا بن ماسويه كتاب فرق الطب الموسوم باللسان الرومي والسرياني بهراسيس ، وكان حنين إذ ذاك صاحب سؤال ، وذلك يصعب على يوحنّا وكان يباعده أيضاً من قلبه انّ حنيناً كان من أبناء الصيارفة في التشريح ، وهو يخاطبه بالتبجيل ويقول له يا ربن حنين وتفسيره ربن المعلم . فأعظمت ما رأيت ، وتبيّن ذلك جبرائيل في فقال لي : لا تستكثرنّ ما ترى من تبجيلي هذا الفتى ، فوالله لئن مد له في العمر ليفضحن سرجس وسرجس هذا الذي ذكره جبرائيل هو الرأس عيني ، وهو أول من نقل شيئاً من علوم الروم إلى اللّسان السرياني وليفضحن غيره من المترجمين .

وخرج من عنده حنين وأقمت طويلاً ، ثم خرجت فوجدت حنيناً ببابه ينتظر خروجي ، فسلم عليّ وقال لي : قد كنت سألتك ستر خبري ، والآن فأنا أسألك إظهاره وإظهار ما سمعت من أبي عيسى وقوله فيَّ . فقلت له : أنا مسود وجه يوحنا بما سمعت من مدح أبي عيسى لك ، فأخرج من كمه نسخة ما كان دفعه إلى جبرائيل وقال لي : تمام سواد وجه يوحنا يكون بدفعك إليه هذه النسخة ، وسترك عنه علم من نقلها ، فإذا رأيته قد اشتد عجبه بها أعلمه أنه إخراجي . ففعلت ذلك من يومي ، وقبل انتهائي إلى منزلي .

فلما قرأ يوحنا تلك الفصول ، وهي التي تسميها اليونانيون الفاعلات ، كثر تعجّبه وقال : أترى المسيح أوحى في دهرنا هذا إلى أحد؟ فقلت له في جواب قوله : ما أوحى في هذا الدهر ولا في غيره إلى أحد ، ولا كان المسيح إلاّ أحد من يوحى إليه . فقال لي : دعني من هذا القول ، ليس هذا الإخراج إلاّ إخراج مؤيّد بروح القدس . فقلت له : هذا إخراج حنين بن إسحاق الذي طردته من منزلك وأمرته أن يشتري قلوساً . فحلف بأن ما قلت له محال . ثم صدق القول بعد ذلك وأفضل عليه إفضالاً كثيراً ، وأحسن إليه ولم يزل مبجلاً له حتى فارقت العراق ؛ في سنة خمس وعشرين ومائتين .

هذا جملة ما ذكره يوسف بن إبراهيم .

أقول : ثم إن حنيناً لازم يوحنا بن ماسويه منذ ذلك الوقت وتتلمذ له واشتغل عليه بصناعة الطب ، ونقل حنين لابن ماسويه كتباً كثيرة وخصوصاً من كتب جالينوس ، بعضها إلى اللغة السريانية ، وبعضها إلى العربية ، وكان حنين أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية والدراية فيهم ، مما لا يعرفه غيره من النقلة الذين كانوا في

زمانه ، مع ما دأب أيضاً في اتقان العربيّة والاشتغال بها حتى صار من جملة المتميّزين فيها .

رؤيا المأمون . . وإكرامه لحنين :

ولما رأى المأمون المنام الذي أخبر به أنه رأى في منامه كأنّ شيخاً بهي الشكل جالس على منبر وهو يخطب ويقول : أنا أرسطوطاليس ، انتبه من منامه وسأل عن أرسطوطاليس فقيل له رجل حكيم من اليونانيين . فأحضر حنين بن إسحاق إذ لم يجد من يضاهيه في نقله ، وسأله عن نقل كتب الحكماء اليونانيين إلى اللغة العربية ، ويذل له من الأموال والعطايا شيئاً كثيراً .

قال صاحب عيون الأنباء :

ونقلت من خط الحسن بن العباس المعروف بالصناديقي . . . قال ، قال أبو سليمان : سمعت يحيى بن عدي يقول : قال المأمون : رأيت فيما يرى النائم كان رجلاً على كرسي جالساً في المجلس الذي أجلس فيه ، فتعاظمته وتهيبته وسألت عنه ، فقيل هو أرسطوطاليس ، فقلت أسأله عن شيء . فسألته فقلت : ما الحسن؟ فقال : ما استحسنته العقول . فقلت : ثم ماذا؟ قال : ما استحسنته الشريعة . قلت : ثم ماذا؟ قال : ما استحسنه الجمهور . قلت : ثم ماذا؟ قال : ثم لاثم.

جمعه لكتب حكماء اليونان :

فكان هذا المنام من أوكد الأسباب في إخراج الكتب فإن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من العلوم القديمة

المخزونة ببلد الروم ، فأجاب إلى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج ابن مطر وابن البطريق ، وسلما صاحب بيت الحكمة ، وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل . وقد قيل : إن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ إلى بلد الروم . وأحضر المأمون أيضاً حنين بن إسحاق وكان فتى السن ، وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين إلى العربي وإصلاح ما ينقله غيره فامتثل أمره .

ومما يحكى عنه : أن المأمون كان يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربي مثلاً بمثل .

وقال أبو سليمان المنطقي السجستاني : أن بني شاكر[1] وهم محمد وأحمد والحسن ، كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن إسحاق ، وحبيش بن الحسن ، وثابت بن قرة وغيرهم في الشهر نحو خمسمائة دينار للنقل والملازمة .

وقال حنين بن إسحاق : انه سافر إلى بلاد كثيرة ، ووصل إلى أقصى بلاد الروم لطلب الكتب التي قصد نقلها .

وقال محمد بن إسحاق بن النديم في كتاب الفهرست : سمعت إسحاق بن شهرام يحدث في مجلس عام أن ببلد الروم هيكلاً قديم البناء عليه باب لم ير قط أعظم منه بمصر أعين من حديد ، كان اليونانيون في القديم عند عبادتهم الكواكب والأصنام يعظمونه ويدعون

---

(١) هم بنو موسى بن شاكر ثلاثة إخوة اشتهروا بعلم الحساب والهيئة والآلات من عهد المأمون إلى عهد المتوكل . وكانوا يشرفون على حركة الترجمة وجلب المخطوطات من آسيا الصغرى إلى بغداد .

فيـه . قال : فسـألت ملك الـروم أن يفتحـه لي فـامتنـع من ذلـك لأنـه أغلق منـذ وقت تنصـرت الـروم . فلم أزل أراسله وأسـألـه شفـاهـا عن حضوري مجلسه فتقدم بفتحه ، فإذا ذلك البيت من المـرمر والصخـور العـظام ألوانـاً ، وعليه من الكتـابات والنقـوش ما لم أسمـع بمثله كثـرة وحسنـاً . وفي هـذا الهيكـل من الكتب القـديمـة مـا يحمـل على عـدة أجمـال ، (وكثر ذلـك حتى قال ألف جمـل) بعض ذلـك قـد أخلق ، وبعضـه على حالـه ، وبعضه قـد أكلته الأرضـة[1] . قال : ورأيت فيـه من آلات القرابين من الذهب وغيره أشياء ظـريفة . قـال : وأغلق الباب بعـد خـروجي وامتن عليّ بمـا فعـل معي ، وذلـك كـان في أيـام سيف الـدولة بن حمـدان وزعم أن البيت على ثلاثـة أيام من القسـطنطينيـة ، والمجاورون لذلك البيت قوم من الصابة والكلدانيين وقـد أقرتهم الـروم على مذاهبهم ، وتأخذ منهم الجزية .

أقول : وكان كـاتب حنين رجل يعـرف بالأزرق . وقـد رأيت أشياء كثيـرة من كتب جـالينـوس وغيـره بخـطه وبعضهـا عليـه تنكيت بخط حنين بن إسحاق باليوناني ، وعلى تلك الكتب علامة المأمون .

قال العلاّمـة الجليل والبحّـاثة الكبيـر في كتاب رجـاله الـذي قليل النظير روضات الجنات ج ٣ ، ص ٢٥٧ في تـرجمة «الـطبيب حنين بن إسحاق العبادي » :

الحاذق الماهر المشهور ، كان إمام وقته في صناعة الطبّ ، وكـان يعرف لغة اليونانيين معـرفة تـامّة ، وهـو الذي عـرّب « كتاب اقليـدس » ونقله من لغـة اليونـان إلى لغة العـرب ، ثمّ جاء ثـابت بن قرّة المتقـدّم

(١) دويبة تأكل الخشب والكتاب .

ذكره فنقّحه وهذّبه ، وكذلك « كتاب المجسطي » وأكثر كتب الحكماء والأطباء ، فإنّها كانت بلغة اليونان فعرّبت ، وكان حنين المذكور أشدّ الجماعة اعتناء بتعريبها ، وعرّب غيره أيضاً بعض الكتب ، ولولا ذلك التعريب لما انتفع أحد بتلك الكتب لعدم المعرفة بلسان اليونان ، لا جرم كل كتاب لم يعرّبوه باق على حاله ، ولا ينتفع به إلّا من عرف تلك اللغة ، وكان المأمون مغرماً بتعريبها وتحريرها وإصلاحها ، ومن قبله جعفر البرمكي وجماعة من أهل بيته أيضاً اعتنوا بها ، لكن عناية المأمون كانت أتمّ وأوفر ، ولحنين المذكور في الطبّ مصنّفات مفيدة كثيرة ، وكذا لولده إسحاق بن حنين وقد كان هو أيضاً أوحد عصره في الطبّ كما ذكره ابن خلكان .

بعض حالات حنين في طعامه ومنامه :

قال : ورأيت في كتاب « أخبار الأطبّاء » : إنّ حنيناً المذكور كان في كلّ يوم عند نزوله من الركوب يدخل الحمّام فيصبّ عليه الماء ، ويخرج فيلتف في قطيفة ويشرب قدح شراب ويأكل كعكة ويتّكىء حتى ينشف عرقه ، وربّما نام ثم يقوم ويتبخر ويقدّم له طعامه وهو فرّوج كبير مسمن قد طبخ شورباجه ورغيف وزنه مائتا درهم فيحسو من المرقة ويأكل الفرّوج والخبز وينام ، فإذا انتبه شرب أربعة أرطال شراباً عتيقاً ، فإذا اشتهى الفاكهة الرطبة أكل التفّاح الشامي والسفرجل[1] .

وكان ذلك دأبه إلى أن مات يوم الثلاثاء لستّ خلون من صفر سنة ستّين ومائتين[2] ونسبة العبادي بالكسر إلى عباد الحيرة وهم بطون

---

(١) عيون الأنباء ٢٦٢ .

(٢) وفيات الأعيان ١ : ٤٥٥ وقال ابن أبي أُصَيْبِعَة : وكان مولد حنين في ←

عدّة من قبائل شتّى نزلـوا الحيرة وكـانوا نصـارى والحيرة بـالكسر أيضـاً كـانت مدينـة قديمـة لملوك بني المنذر من العـرب وقـد خـربت وبنيت الكـوفة في الإسـلام على ظهرهـا في سنة سبـع عشـرة للهجـرة بنـاهـا عمـر بن الخطّاب على يـد سعد بن أبي وقّـاص[1] كما أنّـه بنى البصرة أيضاً على يد عتبة بن عزوان .

مختصر عن تاريخ اليونان :

وأمّا اليونان فهو بالضمّ قريـة ببعلبك وأخـرى بين برذعـة وبيلقان[2] واليونانيّون جيل انقـرضوا كمـا في القامـوس ، وكانـوا حكماء متقـدّمين على الإسـلام وهم من أولاد يونـان بن يافث بن نـوح كما في الـوفيـات قلت : ومن أعـاظم أولئك الحكمـاء المشهـورين المشـار إلى آرائهم وكلمـاتهم في مصنّفـات القـوم هـو أفـلاطـون الإلٓهي الحكيم الكـامـل المشهور ، والمعلّم الأوّل الذي يدعى بأرسطاطاليس وزيـر اسكندر بن فيلقوس الرّومي وعن كتـاب « عجائب البلدان » أنّ يـونان كـان موضعـاً من أرض الـروم مشتملاً على مـدن وقـرى كثيـرة وكـان منشـأ للحكمـاء البـاذخين وهو في الأعصـار قد استـولى عليه المـاء وانـطمست آثـاره ، ومن عجـائب أمره أنّ من حفظ فيـه شيئاً لا ينسـاه أبداً ، وذكـر جماعـة من التجّار انا ركبنا البحر فلمّـا بلغنا ذلـك الموضـع وقع في ذكـرنا كـلّ شيء نسيناه من قبل وكان قد محى عن خواطرنا ، والله العالم .

سنـة مائـة وأربعة وتسعين للهجـرة ، وتوفّى في زمـان المعتمد على الله وذلـك في يوم الثلاثاء أوّل كانون الأوّل من سنة ألف ومـائة وثمـان وثمانين لـلاسكندر ، وهـو لستّ خلون من صفر سنة مائتين وأربع وستّين للهجرة وكانت مدّة حياته سبعين سنة .

(١) وفيات الأعيان ١ : ١٨٨ .

(٢) مراصد الاطلاع٣ : ١٤٨٨ وهي التي تسمى باللغة الفارسية بالكان.

الطبيب الذكي
رشيد الدين أبو حليقة

هو الحكيم الأجل العالم رشيد الدين أبو الوحش بن فارس أبي الخير بن أبي سفيان داود بن أبي المنى بن أبي فاته ، ويعرف بأبي حليقة . كما في عيون الأنباء قال صاحب العيون :

وللحكيم رشيد الدين أبي حليقة نوادر في أعمال صناعة الطب ، وحكايات كثيرة تميز بها على غيره من جماعة الأطباء .

حكاية مداواته لبنت السلطان :

من ذلك انه مرضت دار من بعض الأدر السلطانية بالعباسية ، وكان من سيرته معه أن لا يشرك معه طبيباً في مداواته وفي مداواة من يعز عليه من دوره وأولاده ، فباشر مداواة المريضة المذكورة أيّاماً قلائل ، ثم حصل له شغل ضروري ألجأه إلى ترك المريضة ، ودخل القاهرة وأقام بها ثمانية عشر يوماً . ثم خرج إلى العباسية فوجد المريضة قد تولى مداواتها الأطباء الذين في الخدمة . فلما حضر وباشر معهم قالوا له : هذه المريضة تموت والمصلحة أن نعلم السلطان بذلك قبل أن يفاجئه أمرها بغتة . فقال لهم : إن هذه المريضة عندي ما هي في مرضة الموت ، وانها تعافي بمشيئة الله تعالى من هذه المرضة . فقال له أحدهم : وهو أكبرهم سنّاً ، وكان الحكيم المذكور شاباً : إنني أكبر منك ، وقد باشرت من المرضى أكثر منك فتوافقني على كتابة هذه الرقعة؟ فلم يوافقه . فقالت جماعة

الحكماء لا بدّ لنا من المطالعة ، فقال لهم : إن كان لا بدّ لكم من هذه المطالعة فيكون بأسمائكم من دوني . فكتب إليه الأطبّاء بموتها فسير إليهم رسولاً ومعه نجار ليعمل لها تابوتاً تحمل فيه . ولما وصل الرسول والنجار معه إلى الباب ، والأطبّاء جلوس ، قال له الحكيم المذكور : ما هذا النجّار؟ قال : يعمل تابوتاً لمريضتكم. فقال له : تضعونها فيه وهي في الحياة؟ فقال الرسول : لا ، لكن بعد موتها ، قال له : ترجع بهذا النجّار وتقول للسلطان عني خاصّة أنها في هذه المرضة لا تموت ، فرجع وأخبره بذلك .

فلما كان الليل استدعاه السلطان بخادم وشمعة وورقة بخطّه يقول فيها : ولد الفارس يحضر إلينا ، لأنه لم يكن بعد سمي أبا حليقة ، وإنما سماه بذلك فيما بعد السلطان الملك الكامل . فإنه كان في بعض الأيّام جالساً مع الأطبّاء على الباب ، فقال السلطان للخادم في أول مرة اطلب الحكيم ، فقال له يا خوند أيّ الحكماء هو؟ فقال له أبو حليقة . فاشتهر بين الناس بهذا الاسم من ذلك اليوم إلى حيث غطى نعته ونعت عمه الذي كانوا يعرفون به ببني شاكر . فلما وصل إليه قال : أنت منعت عمل التابوت؟ فقال : نعم . قال : بأيّ دليل ظهر لك هذا من دون الأطبّاء كلّهم ؟ قال له : يا مولانا ، لمعرفتي مزاجها وبأوقات مرضها على التحرير من دونهم ، وليس عليها بأس في هذه المرضة . فقال له : امض وطبها واجعل بالك لها . فطب المذكورة وعوفيت . ثم أخرجها السلطان وزوّجها وولدت من زوجها أولاداً كثيرين .

معرفته لنبض الملك :

ومن جملة ما تم أيضاً له أنه حكم معرفة نبض الملك الكامل

حتى انـه في بعض الأيـام خـرج إليـه من خلف الستـارة مـع الآدر المرضى فرأى نبض الجميع ووصف لهم . فلما انتهى إلى نبضـه عرفـه فقال هذا نبض مولانا السلطان ، وهـو صحيح بحمـد الله ، فتعجّب منه غاية العجب وزاد تمكّنه عنده .

صناعته للترياق. . . ومعالجة السلطان بها :

ومن حكاياته معه : انه أمره بعمـل الترياق الفاروق فـاشتغل بعمله مدة طويلة ، ساهراً عليـه الليل حتى حقق كـل واحد من مفـرداته اسمـاً على مسمى بشهـادة أئمّة الصنـاعـة ابقـراط وجـالينـوس . وفي غضـون ذلك حصل للسلطان نزلة على أسنانه فـافصد بسببهـا وهو ببـركة الفيـل يتفـرّج بها ، فـطلع إلى القلعة وتـولى مداواتـه الأسعـد الـطبيب بن أبي الحسن ، بسبب شغـل المذكـور بعمل التـرياق . فعـالجه الأسعـد مدة والحال كلّما مرّ اشتد ، فشكـا ذلك لـلأسعد فقـال له مـا بقي قدامي إلاّ الفصـد . فقال لـه : افصد مـرة أخرى ، ولي عن الفصـد ثلاثـة أيام ، اطلبـوا لي أبا حليقـة . فحضر إليـه وشكا لـه حالـه ، وأعلمـه أن ذلـك الطبيب قد أشار عليه بالفصد واستشـاره فيه أو في شـرب دواء ، فقال : يـا مولانـا بدنـك بحمد الله نقي ، والأمـر أيسر من هـذا كله . فقال لـه السلطان : ايش تقول لي أيسر ، وأنا في شدة عـظيمة من هـذا الألم لا أنام الليل ، ولا أقر النهار . فقال له : يتسـوك مولانـا من التريـاق الذي حمله المملوك في البـرنيـة الفضـة الصغيـرة ، وتـرى ، بـإذن الله ، العجب . وخـرج إلى الباب ، ولم يشعـر إلاّ بـورقـة بخط السلطان قـد خـرجت إليه ، وهـو يقول فيهـا يـا حكيم ، استعملت مـا ذكـرتـه فنـال جميع ما بي لـوقته ، وكـان ذلك بحضـور الأسعد الـطبيب الـذي كـان يعـالجه أولاً . فقـال له : ونحن مـا نصلح لمداواة الملوك ، ولا يصلح

لمداواتهم إلاّ أنتم ثم دخل الملك الكامل إلى خزانته ، وبعث إليه منها خلعاً سنية وذهباً متوفّراً .

معالجته المرضى والمفلوجين بالترياق :

ومن حكاياته : انه لما طال عليه عمل الترياق الفاروق ، لتعذر حضور أدويته الصحيحة من الآفاق ، عمل ترياقاً مختصراً توجد أدويته في كل مكان . ونوى أنه لا يقصد به قرباً من ملك ، ولا طلب مال ولا جاهاً في الدنيا ، ولا يقصد به إلاّ التقرّب إلى الله بنفع خلقه أجمعين ، والشفقة على سائر العالمين ، وبذله للمرضى فكان يخلص به المفلوجين ، ويقوم به الأيدي المتقوسة لوقته وساعته بحيث كان ينشىء في العصب زيادة في الحرارة الغريزية ، وتقوية وإذابة البلغم الذي فيه فيجد المريض الراحة به لوقته ، ويسكن وجع القولنج من بعد الاستفراغ ، لوقته . وانه مرّ على بوّاب الباب الذي بين السورين بالقاهرة المحروسة ، وهو رجل يعرف بعلي ، وهو ملقى على ظهره لا يقدر أن ينتصب من جنب إلى جنب ، فشكا إليه حاله فأعطاه منه شربة ، وطلع القلعة وباشر المرضى وعاد في الساعة الثالثة من النهار ، فقام المفلوج يعدو في ركابه يدعو له . فقال له : اقعد ، فقال : يا مولانا قد شبعت قعوداً خليني أتملى بنفسي .

معالجته لمؤذن الملك بشربة من الترياق :

ومن حكاياته : أن الملك الكامل كان عنده مؤذّن يعرف بأمين الدين جعفر ، حصل له حصاة سدت مجرى البول ، وقاسى من ذلك شدة أشرف فيها على الموت . فكتب إلى الملك الكامل وأعلمه بحاله ، وطلب منه دستوراً يمشي إلى بيته يتداوى ، فلما حضر إلى بيته أحضر أطبّاء العصر ، فوصف كل منهم له ما وصف فلم ينجع .

فاستدعى الحكيم أبا حليقة المذكور فأعطاه شربة من ذلك الترياق . فبمقدار ما وصلت إلى معدته نفذت قوتها إلى موضع الحصاة ففتتتها وخرجت من الاراقة ، وهي مصبوغة بالدواء ، وخلص لوقته ، وخرج لخدمة سلطانه ، وأذن أذان الظهر . وكان السلطان يومئذٍ مخيماً على جيزة القاهرة ، فلما سمع صوته أمر بإحضاره إليه ، فلما حضر قال له ما ورقتك؟ بالأمس وصلتنا، وأنت تقول إنك كنت على الموت فأخبرني أمرك . فقال : يا مولانا الأمر كان كذلك ، لولا لحقني مملوك مولانا الحكيم أبو حليقة ، فأعطاني ترياقاً خلصت به للوقت والحال . واتفق ان في ذلك اليوم جلس إنسان ليريق ماء فنهشته أفعى في ذكره فقتلته ، فلما سمع السلطان بخبره رقّ عليه لأنه كان رؤوفاً بالخلق . ثم دخل إلى قلعة القاهرة وبات بها ، وأصبح من باكر والحكيم المذكور قاعد في الخدمة عند زمام الدار على الباب. والسلطان قد خرج فوقف واستدعاه إليه ، وقال له : يا حكيم ايش هذا الترياق الذي عملته ، واشتهر نفعه للناس هذه الشهرة العظيمة ، ولم تعلمني به قط؟ فقال : يا مولانا ، المملوك لا يعمل شيئاً إلاّ لمولانا ، وما سبب تأخير اعلامه إلاّ ليجرّبه المملوك لأنه هو الذي أنشأه فإذا صحّت له تجربته ذكره لمولانا على ثقة منه ، وإذا قد صحّ هذا لمولانا ، فقد حصل المقصود . فقال له : تمضي وتحضر لي كلما عندك منه . وترك خادماً قاعداً على الباب في انتظاره ، ورجع إلى داره كأنه لم يطلع القلعة في تلك الليلة ، ولا خرج من الدار في تلك الساعة إلاّ لهذا المهم خاصّة . فمضى الحكيم المذكور إلى داره فوجد عنده من ذلك الترياق شيئاً يسيراً ، لأن الخلق كانت تفنيه مما تطلبه منه فمضى إلى أصدقائه الذين كان أهدى لهم منه شيئاً ، وجمع منه مقدار أحد عشر درهماً ووعدهم بأنه يعطيهم عوضاً عنه أضعافه،

فجعله في برنية فضة صغيرة وكتب عليه منافعه ومقدار الشربة منه وحملها إلى الخادم المذكور القاعد في انتظاره فحملها إلى السلطان ، ولم يزل حافظاً لها ، فلما آلمته أسنانه دلكه عليها فحصل له منه من الراحة ما ذكر .

مع السلطان ومداواته له :

ومن حكاياته معه : أنه كان قد عرض لبعض جهاته مرض عجز عن مداواته ، فسيرت تلك الجهة تقول له أنا أعرف أن السلطان لو عرف أن في الديار المصرية طبيباً خيراً منك لما سلم نفسه وأولاده إليك من دون كافة الأطباء ، فأنت ما تؤتى في مداواتي من قلّة معرفة بل من التهاون بأمري بدليل أنك تمرض فتداوي نفسك في أيام يسيرة، وكذلك يمرض أحد أولادك فتداويه في أيام يسيرة أيضاً وكذلك بقية الجهات التي عندنا ما منهم إلاّ من تداويه وتنجع مداواتك بأيسر سعي . فقال لها : ما كل الأمراض تقبل المداواة ، ولو قبلت الأمراض كلها المداواة لما مات أحد . فلم تسمع ذلك منه ، وقالت : أنا أعرف أن ما بقي في الديار المصرية طبيب ، وأنا أشير إلى السلطان يستخدم لي أطباء من دمشق ، فاستخدم لها طبيبين نصرانيين فلما حضرا لمداواتها من دمشق اتفق سفر السلطان إلى دمياط ، فاستؤذن من يمضي معه من الأطباء ومن يترك ، فقال الأطباء كلهم يبقون في خدمة تلك الجهة ، والحكيم فلان وحده يكون معي . فأما أولئك الأطباء فإنهم عالجوها بكل ما يقدرون عليه ، وتعبوا في مداواتها فلم ينجع فانبسط في ذلك عذر المذكور ، وأورد ما ذكر أبقراط في تقدمة المعرفة .

ثم انه لما سافر مع السلطان بقي في خدمته مدة شهر لم يتّفق له

أن يستدعيه ، وبعد ذلك بدمياط استدعاه ليلاً فحضر بين يديه فوجده محموماً ، ووجد به اعراضاً مختلفة يباين بعضها بعضاً فركب له مشروباً يوافق تلك الأعراض المختلفة ، وحمله إليه في السحر فلم تغب الشمس إلاّ وقد زال جميع ما كان يشكوه ، فحسن ذلك عنده جداً . ولم يزل ملازماً لاستعمال ذلك التدبير إلى أن وصل إلى الاسكندرية ، واتفق أول يوم من صيام شهر رمضان ان الحكيم المذكور مرض بها ، فحضر إليه الأطباء الذين في الخدمة واستشاروه فيما يحملون إلى السلطان يفطر عليه ، فقال لهم : عنده مشروب قد جرّبه وهو يثني عليه ويطلبه دائماً ، فما دام لا يشكو لكم شيئاً متجدّداً يمنع من استعماله فاحملوه إليه ، وإن تجدد لكم شيء فاستعملوا ما تقتضيه المصلحة الحاضرة .

فمضوا ولم يقبلوا منه قصداً منهم أن يجددوا تدبيراً من جهتهم ، فلما جددوا ذلك التدبير تغيّر عليه مزاجه ، فاستدعاهم واستدعى نسخة الحكيم المذكور ، وأخذ يحاققهم[1] عليها ، فكان من جملة ما فيها بزر هندبا ، وقد حذفوه فقال لهم لماذا حذفتم هذا البزر وهو مقوّ للكبد منق للعروق ، قاطع للعطش؟ فقال أحد الأطبّاء الذين حضروا : والله ما للمماليك في حذفه ذنب ، إلاّ أن الأسعد بن أبي الحسن نقل في بزر الهندبا نقلاً شاذاً بأنه يضرّ بالطحال ، المملوك والله ما يعرفه ، وزعم أن بمولانا طحالاً فوافقه المماليك على ذلك . فقال: والله يكذب ، أنا ما بي وجع طحال . وأمر بإعادة بزر الهندبا إلى مكانه . ثم حاققهم على منفعة دواء من مفردات ذلك المشروب

(١) حاقه في الأمر : خاصمه ورافعه وادّعى أنه أولى بالحقّ.

التي حذفوها إلى أن أعادوها وأعاد استعماله دائماً ولم يزل منتفعاً به شاكراً له .

تهيأته صلصة للسلطان :

ومن حكاياته : أنه طلب منه يوماً أن يركب له صلصاً[1] يأكل به اليخنى في الأسفار ، واقترح عليه أن يكون مقويّاً للمعدة منبّهاً للشهوة ، وهو مع ذلك مليّن للطبع فركب له صلصاً هذه صفته: يؤخذ من المقدونس جزء ، ومن الريحان الترنجاني وقلوب الأترج الغضة المحلاة بالماء والملح أياماً ثم بالماء الحلو أخيراً ، من كل واحد نصف جزء يدق في جرن الفقاعي كل منهم بمفرده ، حتى يصير مثل المرهم . ثم يخلط الجميع في الجرن المذكور ويعصر عليه الليمون الأخضر المنتقى ، ويذر عليه من الملح الاندراني مقدار ما يطيبه ثم يرفع في مسللات صغار تسع كل واحدة منها مقدار ما يقدم على المائدة لأنها إذا نقصت تكرجت ، وتختم تلك الأواني بالزيت الطيب وترفع ، فلما استعمله السلطان حصلت له منه المقاصد المطلوبة ، وأثنى عليه ثناء كثيراً . وكان مسافراً إلى بلاد الروم ، فقال للحكيم المذكور : هذا الصلص يدوم مدّة طويلة؟ فقال له : لا . فقال : ما يقيم شهراً؟ فقال له : نعم إذا عمل على هذه الصورة التي ذكرتها . فقال : تعمل لي منه راتباً في كل شهر ما يكفيني في مدّة ذلك الشهر ، وتسيره لي في رأس كل هلال . فلم يزل الحكيم المذكور يجدد ذلك الصلص في كل شهر ويسيره له إلى دربندات الروم ، وهو يلازم استعماله في الطريق ويثني عليه ثناء كثيراً .

---

(١) يتّخذ من أحرار البقول مطيب بالزيت والملح والخل . وهو بعينه معنى الصلصة .

غلبة النحول بسبب العشق :

ومن نوادره : أنه جاءت إليه امرأة من الريف ، ومعها ولدها ، وهو شابٌ قد غلب عليه النحول والمرض ، فشكت إليه حال ولدها ، وانها قد أعيت فيه من المداواة ، وهو لا يزداد الاّ سقاماً ونحولاً ، وكانت قد جاءت إليه بالغداة قبل ركوبه ، وكان الوقت بارداً . فنظر إليه واستقرأ حاله ، وجسّ نبضه . فبينما هو يجس نبضه قال لغلامه : ادخل ناولني الفرجية[1] حتى اجعلها عليَّ ، فتغيّر نبض ذلك الشاب عند قوله تغيّراً كثيراً ، واختلف وزنه ، وتغيّر لونه أيضاً فحدس أن يكون عاشقاً ، ثم جس نبضه بعد ذلك فتساكن وعندما خرج الغلام إليه وقال له : هذه الفرجية ، جس نبضه فوجده أيضاً قد تغيّر ، فقال لوالدته ان ابنك هذا عاشق والتي يهواها اسمها فرجية ، فقالت : أي والله يا مولاي هو يحبّ واحدة اسمها فرجية ، وقد عجزت مما أعذله فيها . وتعجّبت من قوله لها غاية التعجّب ، ومن اطلاعه على اسم المرأة من غير معرفة متقدمة له لذلك .

حكاية مشابهة عرضت لجالينوس :

أقول : ومثل هذه الحكاية كانت قد عرضت لجالينوس لما عرف المرأة العاشقة ، وذلك أنه كان قد استدعي إلى امرأة جليلة القدر ، وكان المرض قد طال بها وحدس انها عاشقة . فتردد إليها . ولما كان يوماً وهو يجس نبضها وكانت الأجناد قد ركبوا في الميدان وهم يلعبون ، فحكى بعض الحاضرين ما كانوا فيه ، وإنّ فلاناً تبيّنت له فروسية ولعب جيّد ، وعندما سمعت باسم ذلك الرجل تغيّر نبضها

---

(١) ثوب مفرج من أمام وربما فرج من خلف (ن. ر).

واختلف جسه بعد ذلك فوجده قد تساكن ، إلى أن عاد إلى حاله الأولى . ثم انّ جالينوس أشار لذلك الحاكي سرّاً أن يعيد قوله ، فلما أعاده ، وجس نبضها وجده أيضاً قد تغيّر ، فتحقّق من حالها انها تعشق ذلك الرجل . وهذا يدل على وفور العلم ، وحسن النظر في تقدمة المعرفة .

قال صاحب عيون الأنباء :

وجماعة أهل الحكيم رشيد الدين أبي حليقة أكثر شهرتهم في الديار المصرية والشام ببني شاكر، لشهرة الحكيم أبي شاكر وسمعته الذائعة ، فصار كل من له نسب إليه يعرفون ببني شاكر ، وإن لم يكونوا من أولاده . ولما اجتمعت بالحكيم رشيد الدين أبي حليقة وكان قد بلغه انني ذكرت الأطباء المشهورين من أهله ، ووصفت فضلهم وعلمهم فتشكر مني وتفضّل فأنشدته بديهاً :

وكيف لا أشكر من فضلهم ... قد سار في المشرق والمغرب
تشرق منهم في سماء العلا ... نجوم سعد قطّ لم تغرب
قوم ترى أقدارهم في الورى ... بالعلم تسمو رتبة الكوكب
كم صنفوا في الطب كتباً أتت ... بكل معنى مبدع مغرب
وإن شكري في بني شاكر ... ما زال في الأبعد والأقرب
خلدت مجداً دائماً فيهم ... بحسن وصف وثنا طيب

(السريع)

سبب اشتهاره بأبي حليقة :

وأما سبب الحلقة التي وضعت في أُذن الرشيد ، واشتهر بها اسمه فإن والده لم يعش له ولد ذكر غيره ، فوصف له ووالدته حامل به أن يهيّىء له حلقة فضّة ، قد تصدق بفضتها ، وفي الساعة التي يخرج فيها إلى العالم يكون صائغ مجهّزاً يثقب أُذنه ويضع الحلقة

فيها . ففعل ذلك وأعطاه الله الحياة ، فعاهدته والدته أن لا يقلعها فبقيت ، ثم تزوّج هو وجاءه أولاد ذكور عدّة ، ويموتون كما جرى الحال في أمره فتنبّه إلى عمل الحلقة المذكورة فعملها لولده الكبير المعروف بمهذب الدين أبي سعيد ، لأنه سماه باسم عم المذكور .

بعض شعره :

ومن شعر الحكيم رشيد الدين أبي حليقة وهو مما أنشدني لنفسه ، فمن ذلك قال بحضرة سيف الإسلام :

سمح الحبيب بوصله في ليلة غفل الرقيب ونام عن جنباتها
في روضة لولا الزوال لشابهت جنّات عدن في جميع صفاتها
فالطير يطرب في الغصون بصوته والراح تجلى في كؤوس سقاتها
ومجالس القمر المنير تنزهت فيه الحواس باسمها وكناتها

وقال أيضاً :

أحن إلى ذكر التواصل يا سعد
حنين النياق العيس عَنَّ لها الورد
فسعدى على قلبي ألذّ من المنى
وقربي لها عند اللقاء هو القصد
حوت مبسماً كالدر أضحى منظماً
وثغراً كمثل الأقحوان به شهد
وفرعا[1] كمثل الليل أو حظ عاشق
ووجهاً كضوء الصبح هذا لذا ضد
أقول لها عند الوداع وبيننا
حديث كنشر المسك[2] خالطه ند[3]

---

(١) كنى به عن الشعر .

(٢) طيب يستخرج من دم دابّة تدعى غزال المسك. (٣) عود شجر يتبخّر به .

تـرى، نلتقي بعـد الفـراق بمنـزل
ويـظفـر مشتـاق أضـرّ بـه البعـد
تـمـرّ الـليـالي لـيلة بـعـد لـيلة
وذكـركـم بـاق يـجـدّده الـعـهـد
ولكن خوف الصب ان طال هجركم
فيقضي ولا يمضي لـه منكم وعـد
عشقت سيوف الهند من أجـل أنهـا
تشـابهها في فعـل الحـاظهـا الهند
ولي في الـرماح السمـر سمـر لأنهـا
تشـابهـهـا قـدا فيـا حـبـذا القـد
وفي الـورد معنى شاهـد فوق خـدهـا
نـشـاهـده فـيـهـا اذا عـدم الـورد
وبي من هـواها مـا جحدت وعبـرت
بـه عبرتي يـومـاً ومـا نفع الجحـد
(الطويل)

وقال أيضاً :

خـليلي إنـي قـد بـقـيت مـسـهـداً
من الحـب مـأسـور الفـؤاد مقيّـدا
بحبّ فتـاة يخجـل البـدر وجـهـهـا
ولا سيّمـا فـي لـيـل شـعـر إذا بـدا
ضللت بهـا وهي الهـلال مـلاحـة
فـوا عجباً منـه أضـلّ ومـا هـدى
لهـا مبسم كـالـدر أضحى منـظمـاً
ونـطق كمثـل الـدر أمسى مـبـددا
(الطويل)

وقال أيضاً لما كان بدمياط ، ومرض والده في القاهرة فجاءه كتابه بعافيته :

مــطرت على سحـائب النعمــاء ... مــذ زال مــا تشكــو من البـلواء
ولبست مـذ أبصرت خـطك نعمة ... فيهــا أقــوم لشكــرهــا بــوفــاء

(الكامل)

بعض كتبه :

ولرشيد الدين أبي حليقة من الكتب : مقالة في حفظ الصحّة مقالة في أن الملاذ الروحانية ألذّ من الملاذ الجسمانية ، إذ الروحانية كمالات وإدراك الكمالات ، والجسمانية إنما هي دفع آلام خاصّة ، وإن زادت أوقعت في آلام أُخر . كتاب في الأدوية المفردة ، سمّاه المختار في الألف عقار . كتاب في الأمراض وأسبابها وعلاماتها ومداواتها بالأدوية المفردة والمركّبة التي قد أظهرت التجربة نجحها ، ولم يداو بها مرضاً يؤدّي إلى السلامة إلاّ ونجحت التقطها من الكتب المصنفة في صناعة الطب من آدم وإلى وقتنا هذا ونظم متشتتها ومتفرقها . مقالة في ضرورة الموت ، ولما ذكر من التحليل في هذه المقالة أن الإنسان لم يزل يتحلل من بدنه بالحرارة التي في داخله ، وبحرارة الهواء الذي من خارج ، كانت نهايته إلى الفناء بهذين السببين . وتمثل بعد ذكرهما بهذا البيت :

واحــداهــمــا قــاتــلي ... فكيف إذا استجــمعــا

وهذا البيت فما يكون موقعه بأولى مما هو في هذا الموضع فإنّه قد جاء موافقاً لما أورده ومطابقاً للمعنى المقصود إليه .

الذكية
زينب طبيبة بني أود

كانت[1] عارفة بالأعمال الطبّية ، خبيرة بالعلاج ومداواة آلام العين والجراحات ، مشهورة بين العرب بذلك .

قال أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني الكبير : أخبرنا محمد بن خلف المرزبان قال : حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه عن كناسة عن أبيه عن جدّه قال : أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من رمد كان قد أصابني فكحلتني ، ثم قالت : اضطجع قليلاً حتى يدور الدواء في عينيك ، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر :

أمخترمي[2] ريب المنون ولم أزر
طبيب بني أود على النأي زينبا
(الطويل)

فضحكت ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر؟ قلت : لا! قالت : فيَّ والله قيل ، وأنا زينب التي عناها ، وأنا طبيبة بني أود . أفتدري من الشاعر؟ قلت : لا! قالت : عمك أبو سماك الأسدي .

---

(١) عيون الأنباء ص ١٨١ .

(٢) اخترمته المنية : أخذته .

الطبيب الذكي
سقراط

قال[1] القاضي صاعد في طبقات الأُمم :

إنّ سقراط كان من تلاميذ فيثاغورس، ومن كلام سقراط ، قال : (عندما فتشت عن علّة الحياة ألفيت الموت . وعندما وجدت الموت عرفت حينئذٍ كيف ينبغي لي أن أعيش) . أي : أنّ الذي يريد أن يحيىٰ حياة إلّهيّة ، ينبغي أن يميت جسمه من جميع الأفعال الحسيّة على قدر القوّة التي منحها فإنه حينئذٍ يتهيأ بأن يعيش حياة الحق .

وقال : تكلّم بالليل حيث لا يكون أعشاش الخفافيش ، أي : ينبغي أن يكون كلامك عند خلوتك .

بعض كلماته :

وقال : أسدد الخمس الكوى ليضيء مسكن العلّة ، أي اغمض حواسك الخمس عن الجولان فيما لا يجدي لتضيء نفسك .

وقال : املأ الوعاء طيباً . أي : أوع عقلك بياناً وفهماً وحكمة .

وقال : أفرغ الحوض المثلث من القلال الفارغة . أي : أقص عن قلبك جميع الآلام العارضة ، في الثلاثة الأجناس من قوى النفس ، التي هي أصل جميع البشر .

---

(١) عيون الأنباء ص ٧٠ .

وقال : لا تأكل الأسود الذنب . أي : احذر الخطيئة .

وقال : لا تتجاوز الميزان ، أي : لا تتجاوز الحق .

وقال : عند الممات لا تكن نملة ، أي : في وقت أماتتك لنفسك لا تقن ذخائر الحس .

وقال : ينبغي أن تعلم انه ليس زمان من الأزمنة يفقد فيه زمان الربيع . أي : لا مانع لك في كل زمان من اكتساب الفضائل .

وقال : افحص عن ثلاثة سبل ، فإذا لم تجدها فارض أن تنام لها نومة المستغرق . أي : افحص عن علم الأجسام ، وعلم ما لا جسم له ، وعلم الذي وإن كان لا جسم له فهو موجود مع الأجسام ، وما اعتاص[1] منها عليك فارض بالامساك عنه .

وقال : ليست التسعة بأكمل من واحد . أي : العشرة هي عقد من العدد وهي أكثر من تسعة ، وإنما تكمل التسعة لتكون عشرة بالواحد ، وكذلك الفضائل التسع تتم وتكمل بخوف الله عزّ وجل ومحبّته ومراقبته .

وقال : اقتن بالاثنى عشر اثنى عشر . يعني بالاثنى عشر عضواً التي بها يكتسب البرّ والاثم اكتسب الفضائل ، وهي : العينان، والأذنان، والمنخران، واللسان، واليدان والرجلان والفرج، وأيضاً بالاثنى عشر شهراً اكتسب أنواع الأشياء المحمودة المكملة للإنسان في تدبيره ومعرفته في هذا العالم .

وقال : ازرع بالأسود واحصد بالأبيض . أي : ازرع بالبكاء واحصد بالسرور.

---

(١) عصاك.

وقال : لا تشيلن الاكليل وتهتكه، أي: للسنن الجميلة لا ترفضها لأنها تحوط جميع الأمم كحياطة الاكليل للرأس.

وكان أهل دهره لما سألوه عن عبادة الأصنام صدهم عنها وأبطلها ونهى الناس عن عبادتها . وأمرهم بعبادة الإلّه الواحد الصمد البارىء الخالق للعالم بما فيه الحكيم القدير، لا الحجر المنحوت الذي لا فائدة له .

قال صاحب عيون الأنباء :

ووجدت في كتاب افلاطن المسمّى احتجاج سقراط على أهل أثينية ، وهو يحكي قول سقراط بها اللفظ قال : « ما تمنيت مجلس الحكم قط قبل هذه المرة، على اني قد بلغت من السن سبعين سنة» وهذا الاحتجاج الذي كان بينه وبين أهل أثينية إنما كان قبل موته بمدّة يسيرة .

ومن خط اسحاق[1] بن حنين : « عاش سقراط قريباً ممّا عاش افلاطن . ومن خط اسحاق : عاش افلاطون ثمانين سنة » .

وقال حنين[2] بن اسحاق في كتاب « نوادر الفلاسفة والحكمة » ، انه كان منقوشاً على فصّ خاتم سقراط : « من غلب عَقْلَهُ هواه افتضح » .

من آدابه :

مما ذكره الأمير المبشر بن فاتك في كتابه ، قال سقراط: عجباً لمن عرف فناء الدنيا كيف تلهيه عما ليس له فناء .

(١ - ٢) هو أحد الأطباء السريان في الدولة العباسية . وكان يتقن اللغات .

وقال : النفوس اشكال ، فما تشاكل منها اتّفق وما تضاد منها اختلف .

وقال : اتفاق النفوس باتفاق هممها ، واختلافها باختلاف مرادها.

وقال : النفس جامعة لكل شيء ، فمن عرف نفسه عرف كل شيء ، ومن جهل نفسه جهل كل شيء .

وقال : من بخل على نفسه فهو على غيره أبخل ، ومن جاد على نفسه فذلك المرجوّ جوده .

وقال : ما ضاع من عرف نفسه ، وما أضيع من جهل نفسه .

وقال : النفس الخيرة مجتزئة[1] بالقليل من الأدب ، والنفس الشريرة لا ينجع[2] فيها كثير من الأدب لسوء مغرسها .

وقال : لو سكت من لا يعلم لسقط الاختلاف .

ستة لا تفارقهم الكآبة :

وقال : ستة لا تفارقهم الكآبة : الحقود، والحسود، وحديث عهد بغنى، وغنيّ يخاف الفقر، وطالب رتبة يقصر قدره عنها ، وجليس أهل الأدب وليس منها .

وقال : من ملك سرّه خفي على الناس أمره .

وقال : خير من الخير من عمل به ، وشرّ من الشر من عمل به .

---

(١) مكتفية .

(٢) يفيد (ن . ر).

وقال : العقول مواهب ، والعلوم مكاسب . وقال : لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوّك، فكيف بك إذا كنت لا يأمنك صديقك .

وقال : اتّقوا من تبغضه قلوبكم .

وقال : الدنيا سجن لمن زهد فيها وجنّة لمن أحبّها .

وقال : لكل شيء ثمرة ، وثمرة قلّة القنية[1] تعجيل الراحة ، وطيب النفس الزكيّة .

وقال : الدنيا كنار مضرمة على محمجة[2] فمن اقتبس منها ما يستضيء به في طريقه سلم من شرّها ، ومن جلس ليحتكر منها أحرقته بحرّها .

وقال : من اهتم بالدنيا ضيّع نفسه ، ومن اهتمّ بنفسه زهد في الدنيا .

وقال : طالب الدنيا أن نال ما أمل تركه لغيره ، وإن لم ينل ما أمله مات بغصّته .

تحذير من سقراط :

وقال : لا تردّن على ذي خطأ خطأه فإنه يستفيد منك علماً ويتّخذك عدواً .

وقيل لسقراط : ما رأيناك قطّ مغموماً! فقال : لأنه ليس لي شيء متى ضاع مني وعدمته اغتممت عليه .

وقال : من أحبّ أن لا تفوته شهرته فليشته ما يمكنه .

---

(١) ما تقتنيه.　　(٢) المكان الغائر.

الثناء على من أحسن :

وقال : أثن على ذي المودّة خيراً عند من لقيت ، فإن رأس المودّة حسن الثناء ، كما أنّ رأس العداوة سوء الثناء .

وقال : إذا ولّيت أمراً فأبعد عنك الأشرار ، فإن جميع عيوبهم منسوبة إليك .

وقال له رجل شريف الجنس وضيع الخلائق : أما تأنف يا سقراط من خساسة جنسك؟ فأجابه : جنسك عندك انثى ، وجنسي مني .

خير الأمور أوسطها :

وقال : خير الأمور أوسطها .

وقال: إنما أهل الدنيا كصور في صحيفة ، كلما نشر بعضها طوي بعضها .

وقال : الصبر يعين على كل عمل .

وقال : من أسرع يوشك أن يكثر عثاره .

وقال : إذا لم يكن عقل الرجل أغلب الأشياء عليه كان هلاكه في أغلب الأشياء عليه .

وقال : لا يكون الحكيم حكيماً حتى يغلب شهوات الجسم .

وقال : كن مع والديك كما تحب أن يكون بنوك معك .

وقال : ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب للمريض .

وقال : طالب الدنيا قصير العمر كثير الفكر .

وكان يقول : القنية مخدومة ومن خدم غير ذاته فليس بحرّ .

أقرب شيء . . الأجل، وأبعد شيء الأمل :

وقيل له : ما أقرب شيء؟ فقال: الأجل. وما أبعد شيء؟ فقال : الأمل . وما آنس شيء؟ فقال : الصاحب المؤاتي . وما أوحش شيء؟ قال : الموت .

وقال : من كان شريراً فالموت سبب راحة العالم من شرّه.

وقال : إنما جعل للإنسان لسان واحد وأُذنان ، ليكون ما يسمعه أكثر ممّا يتكلّم به .

وقال : الملك الأعظم هو الغالب لشهواته .

وقيل له : أيّ الأشياء ألذّ ؟ فقال : استفادة الأدب ، واستماع أخبار لم تكن سمعت .

وقال : انفس ما لزمه الأحداث الأدب ، وأوّل نفعه لهم انه يقطعهم عن الأفعال الرديئة .

وقال : انفع ما اقتناه الإنسان الصديق المخلص .

وقال : الصامت ينسب إلى العي ويسلم ، والمتكلم ينسب إلى الفضول ويندم .

وقال : استهينوا بالموت فإنّ مرارته في خوفه .

وقيل له : ما القنية المحمودة؟ فقال : ما ينمو على الاتفاق .

وقال : المشكور من كتم سرّاً لمن يتكتمه ، وأما من استكتم سرّاً فذلك واجب عليه .

وقال: اكتم سرّ غيرك كما تحبّ أن يَكْتِمَ غَيْرُك سِرَّك ، وإذا ضاق صدرك بسرّك فصدر غيرك به أضيق .

سبب استشارة العاقل :

وقيل له : لم صار العاقل يستشير؟ فقال : العلّة في ذلك تجريد الرأي عن الهوى ، وإنما استشار تخوفاً من شوائب[1] الهوى .

وقال : من حسن خلقه طابت عيشته ، ودامت سلامته وتأكدت في النفوس محبّته ، ومن ساء خلقه تنكّدت عيشته ، ودامت بغضته ، ونفرت النفوس منه .

وقال : حسن الخلق يغطي غيره من القبائح ، وسوء الخلق يقبح غيره من المحاسن .

وقال : رأس الحكمة حسن الخلق .

وقال : النوم موتة خفيفة ، والموت نوم طويل .

عدم الركون إلى الزمان :

وقال لتلميذ له : لا تركننّ[2] إلى الزمان فإنه سريع الخيانة لمن ركن إليه .

وقال : من سرّه الزمان في حال ساءه في أُخرى .

مضرات الهام النفس حب الدنيا :

وقال : من أَلْهَمَ نفسه حسب الدنيا امتلأ قَلْبُه من ثلاث خِلال: فَقْرٍ

---

(١) العيوب والأدناس.

(٢) مال إليه ووثق به.

لا يدرك غناه ، وأمَلٍ لا يبلغ منتهاه ، وشغلٍ لا يدرك فناه .

وقال : من احتجت أن تستكتمه سرّك فلا تسرّه إليه .

وسئل سقراط : لم صار ماء البحر مالحاً؟ فقال للذي سأله : إن أعلمتني المنفعة التي تنالك من علم ذلك أعلمتك السبب فيه .

وقال : لا ضرّ(١) أضرّ من الجهل ، ولا شر أشر من النساء .

ونظر إلى صبية تتعلّم الكتابة فقال : لا تزيدوا الشرّ شرّاً .

وقال : من أراد النجاة من مكائد الشيطان فلا يطيعنّ امرأة ، فإن النساء سلم منصوب ليس للشيطان حيلة إلاّ بالصعود عليه .

وقال لتلميذ له : يا بني إن كان لا بدّ لك من النساء فاجعل لقاءك لهنّ كأكل الميتة ، لا تأكل منها إلاّ عند الضرورة ، فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمق(٢) ، فإن أخذ آخذ منها فوق الحاجة أسقمته وقتلته .

وقيل له : ما تقول في النساء؟ فقال : هنّ كشجر الدفلى له رونق وبهاء ، فإذا أكله الغر قتله .

وقيل له : كيف يجوز لك أن تذمّ النساء ولولاهنّ لم تكن أنت ولا أمثالك من الحكماء؟ فقال : إنما المرأة مثل النخلة ذات السلاع(٣) ، إن دخل في بدن إنسان عقره ، وحملها الرطب الجني .

---

(١) ضد النفع : الضيق وسوء الحال.

(٢) بقيّة الروح .

(٣) السلاع : جمع سلعة ، وأصلها الشجّة في الرأس كائنة ما كانت وشبه بها عقد جذع النخلة .

وقال له أرشيجانس : إن الكلام الذي كلمت به أهل المدينة لا يقبل! فقال : ليس يكربني[1] أن يكون لا يقبل ، وإنما يكربني أن لا يكون صواباً .

وقال : من لا يستحي فلا تخطره ببالك.

وقال : لا يصدّنك عن الإحسان جحود جاحد للنعمة .

وقال : الجاهل من عثر بحجر مرّتين .

وقال : كفى بالتجارب تأديباً ، وبتقلّب الأيام عظة ، وبأخلاق من عاشرت معرفة .

وقال : إعلم أنك في أثر من مضى سائر ، وفي محل من فات مقيم ، وإلى العنصر الذي بدأت منه تعود .

وقال : لأهل الاعتبار في صروف الدهر كفاية ، وكل يوم يأتي عليه منه علم جديد .

وقال : بعوارض الآفات تكدر النعم على المنتمين .

وقال : من قل همه على ما فاته ، استراحت نفسه وصفا ذهنه .

وقال : من لم يشكر على ما أنعم به عليه ، أوشك أن لا تزيد نعمته.

وقال : ربّ متحرّز[2] من الشيء تكون منه آفته .

دواءُ الغَضبِ الصَّمت . . .

وقال : داووا الغضب بالصمت .

---

(١) يشقّ على ، ويغمّني .

(٢) المتوقّي.

وقال : الذكر الصالح خير من المال ، فإن المال ينفد والذكر يبقى ، والحكمة غنى لا يعدم ولا يضمحل .

وقال : استحب الفقر مع الحلال عن الغنى مع الحرام .

وقال : أفضل السيرة طيب المكسب وتقدير الانفاق .

وقال : من يجرب يزدد علماً ، ومن يؤمن يزدد يقيناً ، ومن يستيقن يعمل جاهداً ، ومن يحرص على العمل يزدد قوّة ، ومن يكسل يزدد فترة ، ومن يتردّد يزدد شكّاً .

وإن لسقراط بيتاً وزن بالعربيّة :

إنَّمـا الـدُّنيَـا وَإنْ وُمِقَتْ[1]   خَطْرَةٌ[2] مِنْ لَحْظِ[3] مُلْتَفِتِ

وقال : ما كان في نفسك فلا تُبْدِه لِكُلِّ أحد ، فما أقبح أن تخفى النَّاسُ أمتعتَهم في البيوت ويُظْهِرُون ما في قلوبهم .

قال : لولا أن في قولي إنّي لا أعلم إخباراً إني أعلم لقلت إنّي لا أعلم .

وقال : القنية ينبوع الأحزان ، فلا تقتنوا الأحزان .

وكان يقول : قلّلوا القنية تقلّ مصائبكم .

وينسب إلى سقراط من الكتب رسالة إلى إخوانه في المقايسة بين السنة والفلسفة ، كتاب معاتبة النفس ، مقالة في السياسة .

وقيل : إن رسالته في السيرة الجميلة هي صحيح له .

---

(١) أحِبّتْ.

(٢) لمحة خاطفة.   (٣) عين .

الطبيب الذكي
سديد الدين بن رقيقة

هو[1] أبو الثناء محمود بن عمر بن محمد بن إبراهيم بن شجاع الشيباني الحانوي ويعرف بابن رقيقة ؛ ذو النفس الفاضلة والمروءة الكاملة وقد جمع من صناعة الطب ما تفرق من أقوال المتقدمين وتميز على سائر نظرائه وأضرابه من الحكماء والمتطببين ، هذا مع ما هو عليه من الفطرة الفائقة والألفاظ الرائقة والنظم البليغ ، والشعر البديع ، وكثيراً ما له من الأبيات المثالية والفِقَرِ الحِكَمِيَّة .

وممّا أنشد :

لا يغرّنك من زمانك بُشْرُهُ ... فالبُشْرُ منه لا محالَةَ حائِلُ
فَقُطوبُه طَبْعٌ وليس تطبعاً ... والطبعُ باقٍ والتَطُبعُ زائِلُ

(الكامل)

وأنشد أيضاً :

لَسْتُ من يطلب التكسّبَ بالسخف ... ولو كنت متّ عرياً وجوعا
ولو اني ملكت ملك سليما ... ن لما اخترت عن وقاري رجوعا

(الخفيف)

وقال اقتداء بقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام :

---

(١) عيون الأنباء ص ٧٠٩ إلى ص ٧١٤.

« انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال » :

لا تكن ناظراً إلى قائل القو ... ل بل انظر إليه ماذا يقولُ
وخذ القول حين تلقيه معقو ... لاً ولو قاله غَبِيٌّ جَهُولُ
فَنِبَاحُ الكلابِ مع خسّة فيها ... على منزل الكريم دليلُ
وكذاك النضار معدنهُ الأر ... ضُ ولكنه الخطير الجليل

(الخفيف)

وله أيضاً :

توقّ صحبة أبناء الزمان ولا ... تأمن إلى أحد منهم ولا تثق
فليس يسلم منهم من تصاحبه ... طبعاً من المكر والتمويه والملق

(البسيط)

وقال أيضاً :

أرى كل ذي ظلم إذا كان عاجزاً ... يعف ويبدي ظلمه حين يقدر
ومن نال من دنياه ما كان زائداً ... على قدره أخلاقه تتنكر
وكلّ امرىء تلقيه للشرّ مؤثراً ... فلا بدّ أن يلقى الذي كان يؤثر

(الكامل)

وله أيضاً :

لما رأيت ذوي الفضائل والحِجَا ... لا ينفقون وكل فدم[1] ينفق
ألزمت نفسي اليأس علماً انّ لي ... رباً يجود بما أروم ويرزق
ولزمت بيتي واتّخذت مسامري ... سفراً بأنواع الفضائل ينطق
لي منه اني جئته متصفّحاً ... عمّا حوى روض نضير مونق

(الكامل)

---

(١) الأحمق الغليظ الدم أو العيى عن الكلام في رخاوة وقلّة فهم.

وقال أيضاً :

ما ضرّ خلقي إقلالي ولا شيمي ... ولا نهاني عن نهج النهى عدمي

وكيف والعلم حظي وهو أنفس ما ... أعطى المهيمن من مال من نعم

العلم بالفعل يزكو دائماً أبداً ... والمال إن أدمن الانفاق لم يدم

فالمال صاحبه الأيام يحرسه ... والعلم يحرس أهليه من النقم

(البسيط)

وله أيضاً :

خلقت مشاركاً في النوع قوماً ... وقد خالفتهم إذ ذاك شخصا

أريد كمالهم والنفع جهدي ... وهم يبغون لي ضرّاً ونقصا

إذا عَدَدْتُ ما فيهم عُيُوبَاً ... فقد حاولتُ شيئاً ليس يُحْصَى

(الوافر)

وقال أيضاً :

لا تصحبّن فتى أراك تكلّفاً ... ودّاً وأضمر ضد ذاك بطبعه

واهْجُر أخاك إذا تنكر ودّه ... فالعضوُ يُحْسَمُ داؤه في قطعه

(الكامل)

وله أيضاً :

إذا جاهلٌ ناواك يوماً بمحفل ... فلا ترفعن الطرف جهدك نحوه

فإنك إن سالمته كنت عالياً ... عليه وإن جاريته كنت كفوه

فكم جاهل رام انتقاصي بجهله ... رأيت سواء مدحه لي وهجوه

(الطويل)

وقال أيضاً :

إنّ العدو وإن بدا لك ضاحكاً ... كالشري[1] تبدو غضة أوراقه

---

(١) الحنظل .

وهو الزعاف لمن تعمد أخذه والمجتوى البشع الكريه مذاقه
واعلم بأن الضد سم قربه والبعد عنه حقيقة ترياقه
(الكامل)

وله أيضاً :

إذا كنت غارس غرساً جميلاً فلا تعطشنه يفتك الثمر
ودوام على سقيه ما استطعت بماء السخا لا بماء المطر
ولا تتبعنه بمنّ فقد رأيناه مفسدة للشجر
(المتقارب)

وقال أيضاً :

جانب طباعاً بني الدنيا فقربهم
يجدي المكاره ان ضنوا وان جادوا
فالناس يندر فيهم من إذا عرض
عراك من فيه اسعاد وانجاد
ولا تهن إن حماك الدهر جدك
فالأحرار عند انحراف الدهر انجاد
واطو الفلا طالباً نيل العلى أبداً
ولا يهولنك اغوار وانجاد
(البسيط)

وله أيضاً :

وإن أشد أهل الأرض حزناً وغمّاً منهما لا يستفيق
كريم حلّ موضعه المعلى سواه وإن لبه الخليق
(الوافر)

وأنشد أيضاً :

وضـع العـوارف عنـد النـذل يتبعـه

على معـاودة الإلحـاح في الـطلب

ويحمـل الفاضـل الطبـع الكريم على

حسن الجزاء لمولى العـرف عن كثب

فـالناس كـالأرض تسقى وهي واحـدة

عـذبـاً وتنبت مثـل الشـري والـرطب

(البسيط)

وقال أيضاً :

وَإنِّي آمـرُؤ بـالـطَّبـع أُلغِي مَـطَامِعِي

وَازْجُـرُ نَـفْـسِي طَـابِعـاً لا تَـطَبُّـعَـا

وعنـدي غِنَىٰ نفسٍ وفَضْـلُ قنـاعـةٍ

ولستُ كمَنْ إنْ ضَـاقَ ذَرْعـاً تَضَـرَّعـا

وإنْ مَـدَّ نَـحْـوَ الـزَّادِ قَـوْمٌ أَكُـفَّـهُـمْ

تَـأَخَّـرْتُ بَـاعـاً إنْ دنـا القـومُ اصبعَـا

ومُـذْ كـانـتِ الـدُّنيـا لَـدَيَّ دَنِيئَـةٌ

تَعَـرَّضْتُ لـلإعـراضِ عَنْهَـا تَـرَفُّعـا

وَذَاك لِـعِـلْـمِي إنَّـمـا الـلّهُ رَازِقٌ

فَمَنْ غَيْـرُهُ أرجـو وأَخْشَىٰ وأجـزعـا

فلا الضَّعْفُ يُقْصِي الرِّزْقَ إنْ كَانَ غَانِياً

ولا الحـولُ يُـدنيـه إذا مـا تَجَـزَّعـا

فـلا تبـطرن إنْ نِلْتَ مِنْ دَهـرِك الغِنىٰ

وكُنْ شـامِخـاً بـالأنف إن كنت مـدقعـا

فَــقَــدْرُ الــفَــتَــىٰ مــا حــازَهُ وَأَفــادَه

مِنَ العِلْمِ لَا مــالٌ حَــوَاهُ وَجَــمّــعــا

فَكُنْ عَــالِمَــاً فِي النَّــاسِ أَوْ مُتَعَلِّمــا

وإن فــاتــك القسمــان أصغ لتسمعــا

ولا تـك لـلأقسام مـا اسـطعت رابعـاً

فـتـرداً عـن ورد الـنجـاة وتـدفـعـا

(الطويل)

وقال أيضاً :

إذا كــان رزق الـمــرء عن قــدر أتــى

فما حـرصــه يغنيه في طلب الــرزق

كــذا موتــه إن كــان ضــربــة لازب

فـاخلاده نحــو الـدنــا غايــة الحمق

فــإن شئت ان تحيا كــريمــاً فكن فتى

يؤوســاً فــإن اليــأس من كــرم الخلق

فيــأس الكريم الـطبـع حلو مـذاقــه

لــديــه إذا مــا رام مســألــة الخـلق

وقال أيضاً :

أرى وجــودك هــذا لـم يـكـن عـبـثـاً

الا لتكمــل منــك النفس فــانتبــه

فـاعدل عن الجسم لا تقبـل عليه ومـل

إلـى رعــايــة مــا الإنســان أنت بــه

فمؤيس النفس عن أهوائها يقظ
ومطمع النفس فيها غير منتبه
فاسلك سبيل الهدى تحمد مغبته
فمنهج الحق باد غير مشتبه
(البسيط)

وله أيضاً :

كن محسناً طبعاً إلى | من بدل الحسنى مساءه
واشفع باسداء الجميل | صباحه أبداً مساءه
فلعلّه ان ينثني | ويحول عن حال الإساءه
فَالحُرُّ يذكر من أخيه | الخيرَ لا ما منه ساءه
فلكم مسيء رده الإحسان | عن ورد الرداءه
فصفا وفاء إلى الوفا | ء وصير الحسنى رداءه
فإذا منيت بمائن(١) | في الودّ لم يحسن أداءه
فاصدقه علّك أن تزيل | بصدق ودّك عنه داءه
(الكامل المرفل)

وأنشد أيضاً :

كن مجملاً فيما تقول ولا تَقُلْ | قولاً يهجنه بَذاً وفسادُ
فجماعة الحكماء قبلك دأبهم | كان الجميل من المقال فسادوا
(الكامل)

وقال أيضاً :

وما صاحب السلطان إلّا كراكب | بلجة بحر فهو يستشعر الغرق
فإن عاد منه سالم الجسم ناجياً | فما نفسه فيه بفارقها الفرق
(الطويل)

---

(١) كاذب ، غير صادق الود .

وله أيضاً :

يا ناظراً فيما قصدت لجمعه اعذر فإن أخا الفضيلة يعذر
علماً بأن المرء لو بلغ المدى في العمر لاقى الموت وهو مقصر

(الكامل)

وأنشد أيضاً مما كتبه على كأس في وسطه طائر على قبة مخرمة إذا قلب في الكأس ماء دار دوراناً سريعاً ، وصفَّر صفيراً قويّاً . ومن إذا وقف بازائه الطائر حكم عليه بالشرب فإذا شربه وترك فيه شيئاً من الشراب صفر الطائر ، وكذلك لو شربه في مائة مرّة فمتى شرب جميع ما فيه ولم يبق فيه درهم واحد فإن صفيره ينقطع .

أنا طائر في هيئة الزرزور[1] مستحسن التكوين والتصوير
فاشرب على نغمي سلاف مدامة صرفاً تنير حنادس الديجور
صفراء تلمع في الكؤوس كأنّها نار الكليم بدت بأعلى الطور
وإذا تخلف من شرابك درهماً في الكلس نمّ به عليك صفيري

(الكامل)

وقال أيضاً في وصيّة طبّيّة :

توقّ الامتلاء وعد عنه وادخال الطعام على الطعام
وإكثار الجماع فإن فيه لمن والاه داعية السقام
ولا تشرب عقيب الأكل ماء فتسلم من مضرّات عظام
ولا عند الخوي[2] والجوع حتّى تلهف[3] باليسير من الإدام

---

(١) طائر أكبر من العصفور منه نوع لونه أسود وآخر أسود منقّط ببياض.
(٢) خلاء البطن.
(٣) تعلّل باللهفة وهي ما يأكل الإنسان قبل الغذاء.

وخـذ منـه القليـل ففيـه نفـع   لـذي العـطش المبـرح والأوام
وهضمـك فـاصلحنـه فهـو أصـل   وأسهـل بـالأبـارج[1] كـلّ عـام
وفصـد العـرق نـكب عنـه إلاّ   لذي مرض رطيب الطبع حـامي
ولا تـتحـركن عـقيـب أكـل   وصيـر ذاك بـنـد الانـهـضـام
لئـلاّ ينـزل الكيلوس فجـاً   فيلحـج في المنافـذ والمسـام
ولا تـدم السكـون فـإن منـه   تـولـد كـل خلط فيـك خـام
وقلل مـا استـطعت المـاء بعـد   الـرياضـة واجتنب شرب المـدام
وعـدل مـزج كـأسـك فهي تُبْقي   الحـرارةَ فيـك دائمـة الضـرام
وخـل السُّكْـرَ واْهْـجُـرْهُ مَلِيّـاً   فـإنَّ السُّكْـر مِنْ فِعْـل الطغـام
واحسن صـون نفسك عن هـواها   تفـز بـالخلد في دار السـلام

(الوافر)

ولـه أيضاً :

غـرض الطب يـا أخا اللب عـرفا   ن مـبـادي أبـدانـنـا والأصـول
قيـل حـالاتهـا ومـا تـوجب الحـا   لات فيهـا ومـا لهـا من دليـل
لـتـدوم الأبـدان مـوجـودة   الصحـة منـا وذاك بـالتعـديـل
وتـزال الأمـراض ان أمكن الحـا   ل وذا بـالافـراغ والـتـبـديـل

(الخفيف)

وقـال أيضاً :

إنّ الغـذاء وإن كـان الصـديق لهـا
هـو المـدبـر أعني قـوّة الـوصب[2]

---

(١) الأبارج «وقيل» من الأدوية المسهلة .

(٢) ما بين السبّابة والخنصر.

فهو العدو لها أيضاً لأن به

زيادة الضد أعني عنصر الوصب[1]

(البسيط)

وله أيضاً :

علل الصحّة حقّاً ستّة وهي أيضاً علل للمرض

فإذا عدلتها في أربع كان ذا التعديل أنهى للغرض

(الرمل)

وقال أيضاً :

إذا ما اشتهى ذو علّة بعض ما به

شفاء من الداء الذي جسمه حلا

فلا تمنعنه ما اشتهاه فربما

تراه وشيكاً عقدة الداء قد حلا

وكان كما قد قيل في مثل ما جرى

من السعد أن يلقى هوى صادف العقلا

(الطويل)

---

(١) المرض والوجع والألم الشديد.

الطبيب الذكي
صاعد بن بشر بن عبدوس

نقل[1] صاحب عيون الأنباء من خط ابن بطلان :

إنّ صاعد الطبيب عالج الأجَلّ المرتضىٰ عَلَم الهُدىٰ (قدّس سرّه) لَدْغَة عقربٍ بأن ضمد المكان بكافور فسكن عنه الألم في الحال .

(١) عيون الأنباء.

الطبيب الذكي
مهذب الدين عبدالرحيم بن علي بن حامد(١)

هو العالم الفاضل مهذّب الدين أبـو محمد عبـدالرحيم بن علي بن حامد ويعرف بالدخوار ، قال صاحب عيون الأنباء :

لمـا حضر مهـذّب الدين عنـد الصـاحب قـال لـه : إني شكـرتـك للسلطان وهـذه ثـلاثـون دينـاراً ناصرية لـك في كـل شهـر وتكـون في الخدمة . فقال : يا مـولانا الحكيم مـوفق الدين عبـدالعزيـز له في كـل شهر مائة دينار ورواتب مثلهـا ، وأنا أعـرف منزلتي في العلم ومـا أخدم بدون مقرره . وانفصل عن الصاحب ولـم يقبـل . ثم إن الجماعـة ذمّت مهـذّب الـدين على امتنـاعـه ، ومـا بقي يمكنـه أن يعـاود الصـاحب ليخـدم ، وكان مقـرره في البيمارستـان شيء يسير . واتفق المقـدور أن بعد ذلك الحـديث بنحو شهـر ، وكان يعـاود الموفق عبـدالعزيـز قولنـج صعب فعرض له وتـزايد بـه ومات منـه . ولما بلغ الملك العـادل موتـه قال للصاحب : كنت قد شكرت لنا حكيماً يقال له المهـذب نزلـه على مقرر الموفق عبـدالعزيـز فتنزل على جميـع مقرره ، واستمـرّ في خدمـة الملك العـادل من ذلـك الـوقت . ثم لم تـزل تسمـو منـزلتـه عنـده ، وتترقى أحواله ، حتى صار جليسه وأنيسه وصاحب مشورته .

---

(١) عيون الأنباء ص ٧٢٩.

بعض نوادره :

وظهر أيضاً منه في أول خدمته له نوادر في تقدمة المعرفة ، أكدت حسن ظنه به واعتماده عليه ، ومن ذلك أن الملك العادل كان قد مرض ولازمه أعيان الأطباء ، فأشار الحكيم مهذّب الدين عليه بالفصد فلم يستصوب ذلك الأطباء الذين كانوا معه ، فقال : والله لم نخرج له دماً إلاّ خرج الدم بغير اختيارنا . ولم يوافقوه في قوله فما كان بعد ذلك بأيسر وقت إلاّ والسلطان قد رعف رعافاً كثيراً وصلح فعرف أن ما في الجماعة مثله . ومن ذلك أيضاً أنه كان يوماً على باب دار السلطان ومعه جماعة من أطباء الدور فخرج خادم ومعه قارورة جارية يستوصف لها من شيء يؤلمها ، فلما رآها الأطباء وصفوا لها ما حضرهم ، وعندما عاينها الحكيم مهذّب الدين قال : إن هذا الألم الذي تشكوه لم يوجب هذا الصبغ الذي للقارورة . يوشك أنه يكون الصبغ من حناء قد اختضبت به ، فأعلمه الخادم بذلك وتعجّب منه ، وأخبر الملك العادل فتزيّد حسن اعتقاده فيه .

غضب السلطان على قاضي القضاة!!

يقول صاحب عيون الأنباء :

ومن محاسن ما فعله الشيخ مهذّب الدين من كمال مروءته ووافر عصبيته ، حدثني أبي قال : كان الملك العادل قد غضب على قاضي القضاة محي الدين بن زكي الدين بدمشق لأمر نقم عليه به ، وأمر باعتقاله في القلعة ، ورسم عليه أن يزن للسلطان عشرة آلاف دينار مصرية وشدّد عليه في ذلك ، وبقي في الحبس والمطالبة عليه كل وقت فوزن البعض وعجز عن وزن بقية المال . وعظم الملك العادل

عليه الأمر وقال : لا بدّ أن يزن بقية المال وإلّا عذبته . فتحيّر القاضي وأبلغ جميع موجوده وأثاث بيته حتى الكتب التي له وتوسّل إلى السلطان وتشفّع بكثير من الأمراء والخواص والأكابر ، مثل الشميس استاذ الدار وشمس الخواص صواب والوزير وغيرهم أن يسامحه بالبعض ، أو يسقط عليه فما فعل السلطان ، وحمل القاضي همّاً عظيماً على ذلك حتى قل أكله ونومه ، وكاد يهلك فافتقده الحكيم مهذّب الدين ، وكان بينهما صداقة قديمة ، وشكا إليه حاله ، وسأله المساعدة بحسب ما يقدر عليه ففكر مهذّب الدين وقال : أنا أدبّر لك أمراً وأرجو أن يكون فيه نفع لك إن شاء الله تعالى وفارقه .

وكانت سرية الملك العادل أم الملك الصالح اسماعيل بن الملك العادل متغيرة المزاج في تلك الأيام . وكانت تركية الجنس وعندها عقل ودين وصلاح ولها معروف كثير وصدقات . فلما حضر الحكيم مهذّب الدين عندها وزمام الدور أوجدها مهذّب الدين حال القاضي وضرره وانه مظلوم وقد ألزمه السلطان بشيء لا يقدر عليه ، وطلب منها شفاعة لعلّ السلطان ينظر إليه بعين الرحمة ويسامحه بالبعض أو يسقط عليه ، وساعده الزمام في ذلك فقالت : والله كيف لي بالخير للقاضي وأن أقول للسلطان عنه . ولكن ما يمكن هذا فإن السلطان يقول لي إيش الموجب إنك تتكلمي في القاضي، ومن أين تعرفيه ولو كان هو في المثل حكيم يتردّد إلينا ، أو تاجر يشتري لنا القماش كان فيه توجّه للكلام والشفاعة، وهذا فما يمكن أتكلّم فيه .

فقال لها الحكيم : يا ستّي أنت لك ولد ومالك وغيره وتطلبي له السعادة والبقاء ، وتلقى من الله كل خير بشيء تقدري تفعليه ، وما تقولي للسلطان شفاعة أصلاً فقالت : إيش هو؟ فقال : وقت يكون

السلطان وأنتم نيام توجديه انك أبصرت مناماً في أنّ القاضي مظلوم . وعرفها ما تقول ، هذا يمكن .

ولما تكاملت عافيتها ، وكان الملك العادل نائماً عندها وهي إلى جانبه انتبهت في أواخر الليل ، وأظهرت انها مرعوبة وأمسكت فؤادها وبقيت ترتعد وتتباكى ، فانتبه السلطان وقال : ما لك ؟ وكان يحبّها كثيراً فلم تجبه مما بها . فأمر بإحضار شراب تفّاح وسقاها ورشّ على وجهها ماء ورد . وقال : أما تخبريني ايش جرى عليك وايش عرض لك؟ فقالت: يا خوند منام عظيم هالني ، وكدت أموت منه . وهو انني رأيت كأنّ القيامة قد قامت ، وخلق عظيم ، وكان في موضع به نيران كثيرة تشعل وناس يقولون هذا للملك العادل لكونه ظلم القاضي .

ثم قالت : هل فعلت قطّ بالقاضي شيئاً؟ فما شكّ في قولها وانزعج ، ثم قام لوقته وطلب الخدام وقال : امضوا إلى القاضي وطيّبوا قلبه وسلّموا عليه عنّي ، وقولوا له يجعلني في حلّ مما تمّ عليه وان جميع ما وزنه يعاد إليه، وما أطالبه بشيء فراحوا إليه وفرح القاضي غاية الفرح بقولهم ، ودعا للسلطان وجعله في حلّ . ولما أصبح أمر له بخلعة كاملة وبغلة وأعاده إلى القضاء ، وأمر بالمال الذي وزنه أن يحمل إليه من الخزانة . وان جميع ما باعه من الكتب وغيرها تسترجع من المشترين لها ويعطوا الثمن الذي وزنوه . وحصل للقاضي الفرج بأهون سعي وألطف تدبير .

معالجته الملك وحصوله على أموال وخلع:

قال : ولما كان الملك العادل بالشرق ، وذلك في سنة عشر

وستمائة مرض مرضاً صعباً وتولّى علاجه الحكيم مهذّب الدين إلى أن بـرىء ممّا كـان به فحصـل له منه في تلك المرضـة نحـو سبعـة آلاف دينـار مصـرية ، وبعث إليـه أيضـاً أولاده الملك العـادل وسـائـر ملوك الشرق وغيرهم الذهب والخلع والبغلات بـأطواق الـذهب وغير ذلـك . وكذلك تـوجه الملك العـادل إلى الديـار المصريـة في سنة اثنتي عشـرة وستمائة وأقام بالقـاهرة ، أتى في ذلـك الوقت وبـاء عظيم إلى أن هلك أكثـر الخلق . وكـان قـد مـرض الملك الكـامـل ابن الملك العـادل ، ومرض كثير من خواصه ، وهو صاحب الديار المصـرية فعـالجه بـالطف علاج إلى أن برىء . وحصـل لـه أيضـاً من الـذهب والخلع والعـطايـا السنية شيء كثير . وكان مبلغ ما وصل إليه من الـذهب نحو اثني عشـر ألف دينار وأربع عشـرة بغلة بأطـواق ذهب ، والخلع الكثيرة من الثيـاب الأطلس وغيرها .

يقـول ابن أبي أصيبعـة : وولّاه السلطان الكبيـر في ذلـك الـوقت رئاسة أطبّاء ديار مصر بأسـرها وأطبّـاء الشام وكنت في ذلـك الوقت مـع أبي وهو في خدمـة الملك العادل ففـوض إليه الـنظر في أمر الكحـالين واعتبـارهم ، وان من يصلح منهم لمعـالجـة أمـراض العين ويـرتضيـه يكتب لـه خطاً بمـا يعرفـه منه ففعـل ذلك . ولمـا كـان في سنـة أربعـة عشـرة وستمائـة وسمع الملك العـادل بتحرك الفـرنج في السـاحـل أتى إلى الشام ، وأقام بمرج الصفر ثم حصـل له وهـو في أثناء ذلـك مرض وهـو بمنزلـه بخـانقين[1] وتـوفي . . . بهـا في السـاعـة الثـانيـة من يـوم

(١) بلدة في العـراق في الـطريق بين بغـداد وخـراسـان على نهـر خلوان تشاي . وعندها حدثت وقعة بين العرب والفرس سنة ٦٣٧ . (ن . ر) .

الجمعة سابع جمادى الآخر سنة خمس عشرة وستمائة . ولما استقرّ ملك الملك المعظم بالشام استخدم جماعة عدة ممن كانوا في خدمة أبيه الملك العادل ، وانتظم في خدمته منهم من الحكماء الحكيم رشيد الدين بن الصوري وأبي . وأما الحكيم مهذّب الدين فإنه أطلق له جامكية وجراية ، ورسم انه يقيم بدمشق ، وأن يتردّد إلى البيمارستان الكبير الذي أنشأه الملك العادل نور الدين بن زنكي ويعالج المرضى به .

تدريسه الطب بدمشق :

ولما أقام الشيخ مهذّب الدين بدمشق شرع في تدريس صناعة الطب ، واجتمع إليه خلق كثير من أعيان الأطباء وغيرهم يقرأون عليه ، وأقمت أنا بدمشق لأجل القراءة عليه . وأما أولاً فكنت اشتغل عليه في المعسكر لما كان أبي والحكيم مهذّب الدين في خدمة السلطان الكبير فبقيت أتردّد إليه مع الجماعة ، وشرعت في قراءة كتب جالينوس ، وكان خبيراً بكل ما يقرأ عليه من كتب جالينوس وغيرها . وكانت كتب جالينوس تعجبه جدّاً . وإذا سمع شيئاً من كلام جالينوس في ذكر الأمراض ومداواتها والأصول الطبية يقول هذا هو الطب . وكان طلق اللّسان حسن التأدية للمعاني جيّد البحث لازمته أيضاً في وقت معالجته للمرضى بالبيمارستان فتدربت معه في ذلك وباشرت أعمال صناعة الطب . وكان في ذلك الوقت أيضاً معه في البيمارستان لمعالجة المرضى الحكيم عمران وهو من أعيان الأطباء وأكابرهم في المداواة والتصرف في أنواع العلاج فتضاعفت الفوائد المقتبسة من اجتماعهما ، ومما كان يجري بينهما من الكلام في الأمراض ومداواتها ومما كانا يصفاه للمرضى .

معالجته المرضى بسرعة ودقة :

وكان الحكيم مهذب الدين يظهر من ملح صناعة الطب ومن غرائب المداواة والتقصي في المعالجة والاقدام بصفات الأدوية التي تبرىء في أسرع وقت ما يفوق به أهل زمانه ، ويحصل من تأثيرها شيء كأنه سحر . ومن ذلك انني رأيته يوماً وقد أتى محموم بحمى محرقة وقواريره في غاية الحدة فاعتبر قوته ، ثم أمر بأن يترك له في قدح بزور من الكافور مقداراً صالحاً عيّنه لهم في الدستور ، وأن يشربه ولا يتناول شيئاً غيرهُ ، فلما أتينا من الغد وجدنا ذلك المريض والحمى قد انحطت عنه ، وقارورته ليس فيها شيء من الحدة. ومثل هذا أيضاً انه وصف في قاعة الممرورين لمن به المرض المسمى مانيا ، وهو الجنون السبعي ، أن يضاف إلى ماء الشعير في وقت اسقائه إيّاه مقدار متوفّر من الأفيون ، فصلح ذلك الرجل وزال ما به من تلك الحال . ورأيته يوماً في قاعة المحمومين وقد وقفنا عند مريض ، وجست الأطباء نبضه فقالوا عنده ضعف ليعطي مرقة الفروج للتقوية فنظر إليه ، وقال : إن كلامه ونظر عينيه يقتضي الضعف . ثم جس نبض يده اليمنى وجس الأخرى وقال : جسوا نبض يده اليسرى ، فوجدناه قوياً . فقال : انظروا نبض يده اليمنى وكيف هو من قريب كوعه قد انفرق العرق الضارب شعبتين ، فواحدة بقيت التي تجس والأخرى طلعت في أعلى الزند وامتدت إلى ناحية الأصابع . فوجدناه حقاً . ثم قال : إن من الناس ، وهو نادر ، من يكون النبض فيه هكذا ، ويشتبه على كثير من الأطباء ويعتقدون أن النبض ضعيف ، وإنما يكون جسم لتلك الشعبة التي هي نصف العرق فيعتقدون أن النبض ضعيف . وكان في ذلك الوقت أيضاً في البيمارستان الشيخ رضي الدين الرحبي ، وهو من أكبر الأطباء سنّاً

وأعظمهم قدراً وأشهرهم ذكراً ، فكان يجلس على دكة ويكتب لمن يأتي إلى البيمارستان ، ويستوصف منه للمرضى أوراقاً يعتمدون عليها ويأخذون بها من البيمارستان الأشربة والأدوية التي يصفها . فكنت بعدما يفرغ الحكيم مهذّب الدين والحكيم عمران من معالجة المرضى المقيمين بالبيمارستان ، وأنا معهم ، أجلس مع الشيخ رضي الدين الرحبي فأعاين كيفيّة استدلاله على الأمراض ، وجملة ما يصفه للمرضى وما يكتب لهم ، وأبحث معه في كثير من الأمراض ومداواتها . ولم يجتمع في البيمارستان منذ بني وإلى ما بعده من الزمان من مشايخ الأطباء كما اجتمع فيه في ذلك الوقت من هؤلاء المشايخ الثلاثة وبقوا كذلك مدّة .

ثم انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنّها وكأنّهم أحْلاَمُ

بعض حالاته :

وكان الشيخ مهذّب الدين . . . إذا تفرغ من البيمارستان ، وافتقد المرضى من أعيان الدولة وأكابرها وغيرهم ، يأتي إلى داره ثم يشرع في القراءة والدرس والمطالعة . ولا بدّ له مع ذلك من نسخ . فإذا فرغ منه أذن للجماعة فيدخلون إليه ويأتي قوم بعد قوم من الأطباء والمشتغلين . وكان يقرأ كل واحد منهم درسه ويبحث معه فيه ، ويفهمه إيّاه بقدر طاقته ، ويبحث في ذلك مع المتميّزين منهم إن كان الموضع يحتاج إلى فضل بحث ، أو فيه إشكال يحتاج إلى تحرير . وكان لا يقرىء أحداً إلاّ وبيده نسخة من ذلك الكتاب يقرأه ذلك التلميذ ، ينظر فيه ويقابل له ، فإن كان في نسخة الذي يقرأ غلط أمره بإصلاحه . وكانت نسخ الشيخ مهذّب الدين التي تقرأ عليه في غاية

الصحّة ، وكان أكثرها بخطّه ، وكان أبداً لا يفارقه إلى جانبه مع ما يحتاج إليه من الكتب الطبيّة ومن كتب اللغة كتاب الصحاح للجوهري ، والمجمل لابن فارس[1] وكتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري . فكان إذا فرغت الجماعة من القراءة يعود هو إلى نفسه فيأكل شيئاً ثم يشرع بقيّة نهاره في الحفظ والدرس.

---

(١) أحمد بن فارس لغوي ونحوي على طريقة الكوفيّين ولد في جهة كبرسف وجياتاباان وهما قريتان من رستاق الزهراء وتوفّي في الري (١٠٠٤) أشهر كتبه «المجمل في اللغة» (ن. ر).

الطبيب الذكي
عبداللطيف البغدادي

هو[1] الشيخ الإمام الفاضل موفّق الدين أبو محمد عبداللطيف بن يوسف بن محمد بن علي بن أبي سعد ويعرف بأبي اللباد موصلي الأصل بغدادي المولد كان مشهوراً بالعلوم .

قال صاحب عيون الأنباء : —

من كلام موفّق الدين عبداللطيف البغدادي ، مما نقلته من خطّه قال :

بعض كلماته ونصائحه :

« ينبغي أن تحاسب نفسك كل ليلة إذا آويت إلى منامك ، وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها ، وما اكتسبت من سيّئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها . وترتب في نفسك مما تعمله في غدك من الحسنات ، وتسأل الله الإعانة على ذلك » .

وقال : أوصيك أن لا تأخذ العلوم من الكتب وإن وثقت من نفسك بقوّة الفهم . وعليك بالاستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ، ولو كان الاستاذ ناقصاً فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه وعليك بتعظيمه وتوجيبه ، وإن قدرت أن تفيده من دنياك فافعل ، وإلاّ

---

(١) عيون الأنباء ص ٦٩١.

فبلسانك وثنائك . وإذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم أن الكتاب قد عدم وانك مستغن عنه لا تحزن لفقده . وإذا كنت مكباً على دراسة كتاب وتفهمه فإيّاك أن تشتغل بآخر معه ، ولصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره إليه .

وإيّاك أن تشتغل بعلمين دفعة واحدة ، وواظب على العلم الواحد سنة أو سنتين أو ما شاء الله . فإذا قضيت منه وطرك فانتقل إلى علم آخر . ولا تظن انك إذا حصلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج إلى مراعاته لينمو ولا ينقص ، ومراعاته تكون بالذاكرة ، والتفكّر واشتغال المبتدىء بالتلفّظ والتعلّم ، ومباحثة الأقران ، واشتغال العلم بالتعليم والتصنيف . وإذا تصدّيت لتعليم علم أو للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم ، فإن كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره ، فإن استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه كمن يستعين بلغة في لغة أخرى إذا علمها أو جهل بعضها .

قال : وينبغي للإنسان أن يقرأ التواريخ ، وأن يطلع على السير وتجارب الأمم فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الأمم الخالية ، وعاصرهم وعاشرهم ، وعرف خيرهم وشرّهم .

قال : وينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الأول ، فاقرأ سيرة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم ، وتتبّع أفعاله وأحواله ، واقتف آثاره ، وتشبّه به ما أمكنك وبقدر طاقتك . وإذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ، ومنامه ، ويقظته ، وتمرضه ، وتطبّبه ، وتمتّعه وتطيّبه ، ومعاملته مع ربّه ومع أزواجه وأصحابه وأعدائه ، وفعلت اليسير من ذلك فأنت السعيد كل السعيد .

قال : وينبغي أن تكثر إيهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها ، وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم ، وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ، ومع الاستبداد الزلل ، ومن لم يعرق جبينه إلى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة ، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس ، ومن لم يبكتوه لم يسد ، ومن لم يحتمل ألم التعلّم لم يذق لذّة العلم ، ومن لم يكدح لم يفلح . وإذا خلوت من التعلّم والتفكّر فحرّك لسانك بذكر الله وبتسابيحه ، وخاصّة عند النوم ، فيتشربه لبّك ، ويتعجن في خيالك ، وتكلّم به في منامك . وإذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات ، وإذا أحزنك أمر فاسترجع ، وإذا اعترتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينك ، والعلم والتقى زادك إلى الآخرة . وإذا أردت أن تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه . واعلم أن الناس عيون الله على العبد يريهم خيره وإن أخفاه ، وشرّه وإن ستره ، فباطنه مكشوف لله ، والله يكشفه لعباده ، فعليك أن تجعل باطنك خيراً من ظاهرك ، وسرّك أصبح من علانيتك ، ولا تتألّم إذا أعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل .
وقلما يتعمق في العلم ذو الثروة ، إلّا أن يكون شريف الهمة جداً أو أن يثرى بعد تحصيل العلم . وإني لا أقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها ، لأن همّته مصروفة إلى العلم فلا يبقى له التفات إلى الدنيا ، والدنيا إنما تحصل بحرص وفكر في وجوهها فإذا غفل عن أسبابها لم تأته وأيضاً فإن طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذيلة ، والمكاسب الدنية ، وعن أصناف التجارات ، وعن التذلّل لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم. ولبعض اخواني بيت الشعر :

من جدّ في طلب العلوم أفاته شرف العلوم دناءة التحصيل
(الكامل)

« وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج إلى فراغ لها وحذق فيها ، وصرف الزمان إليها . والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك ، وإنما ينتظر أن تأتيه الدنيا بلا سبب ، وتطلبه من غير أن يطلبها طلب مثلها ، وهذا ظلم منه وعدوان . ولكن إذا تمكن الرجل في العلم وشهر به ، خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب ، وجاءته الدنيا صاغرة ، وأخذها وماء وجهه موفوراً ، وعرضه ودينه مصون . واعلم أن للعلم عقبة وعرفاً ينادي على صاحبه ، ونوراً وضياء يشرق عليه ويدل عليه ، كتاجر المسك لا يخفى مكانه ، ولا تجهل بضاعته . وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهم .

والعالم مع هذا محبوب أينما كان وكيفما كان ، لا يجد إلاّ من يميل إليه ، ويؤثر قربه ويأنس به ، ويرتاح بمداناته واعلم أن العلوم تغور ثم تفور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه ، وتنتقل من قوم إلى قوم ومن صقع إلى صقع » .

ومن كلامه أيضاً المنقول من خطه قال : « اجعل كلامك في الغالب بصفات أن يكون وجيزاً فصيحاً في معنى مهم أو مستحسن فيه إلغاز تام ، وإبهام كثير أو قليل. ولا تجعله مهملاً ككلام الجمهور ، بل ارفعه عنه ، ولا تباعده عليهم جدّاً » .

نصائح مفيدة أُخرىٰ :

وقال : إيّاك والهذر ، والكلام فيما لا يعني ، وإيّاك والسكوت في محل الحاجة ، ورجوع النوبة إليك اما لاستخراج حق أو اجتلاب

مـودّة ، أو تنبيه على فضيلة . وإيّاك والضحـك مـع كـلامـك ، وكثـرة الكـلام ، وتبتير الكـلام ، بل اجعـل كـلامـك سـرداً بسكـون ، بحيث يستشعـر منـك أن وراءه أكثـر منـه ، وانـه عن خميـرة سـابقـة ، ونــظر متقدّم .

وقال : « إيّاك والغلظة في الخطاب ، والجفاء في المنـاظرة . فـإن ذلك يذهب ببهجة الكلام ، ويسقط فائدتـه ، ويعدم حـلاوته ، ويجلب الضغـائن ، ويمحق المودّات ، ويصيـر القائـل مستثقلاً سكـوته وأشهى إلى السامع من كـلامه ، ويثيـر النفوس على معـاندتـه ، ويبسط الألسن بمخاشنته واذهاب حرمته» .

وقـال : « لا تتـرفـع بحيث تستثقـل ، ولا تتنـــازل بحيث تسنخس وتستحقر » .

وقال : « اجعل كـلامك كلّه جـدلاً ، واجب من حيث تعقل لا من حيث تعتاد وتألف» .

وقال : « انتزح عن عادات الصبا ، وتجرّد عن مألـوفات الـطبيعة ، واجعـل كلامـك لاهوتيـاً في الغالب لا ينفـك من خبر أو قـرآن أو قـول حكيم أو بيت نادر أو مثل سائر» .

وقـال : « تجنب الـوقيعـة في النـاس وثلب الملوك ، والغلظة على المعاشر ، وكثرة الغضب ، وتجاوز الحد فيه» .

وقـال : « استكثـر من حفظ الأشعـار الأمثـاليـة والنـوادر الحكميـة والمعاني المستغربة» .

ومن دعـائـه . . . قـال : « اللهم أعـذنـا من شمـوس الـطبيعـة ، وجمـوح النفس الرديّـة . وأسلس لنا مقـاد التوفيق ، وخـذ بنا في سـواء

الطريق . يا هادي العمى ، يا مرشد الضلال ، يا محيي القلوب الميتة بالإيمان ، يا منير ظلمة الضلالة بنور الاتقان ، خذ بأيدينا من مهواة الهلكة ، نجّنا من ردغة[1] الطبيعة ، طهّرنا من درن الدنيا الدنيّة ، بالاخلاص لك والتقوى . إنك ما لك الآخرة والدنيا».

وتسبيح أيضاً له قال : « سبحان من عم بحكمته الوجود، واستحق بكل وجه أن يكون هو المعبود. تلألأتْ بنور جلالك الآفاق ، وأشرقت شمس معرفتك على النفوس اشراقاً وأيّ إشراق » .

بعض كتبه :

ولموفّق الدين عبداللطيف البغدادي من الكتب : كتاب غريب الحديث ، جمع فيه غريب أبي عبيدالقاسم بن سلام ، وغريب ابن قتيبة ، وغريب الخطابي . كتاب المجرد من غريب الحديث . كتاب الواضحة في إعراب الفاتحة . كتاب الألف واللّام. مسألة في قوله سبحانه إذا أخرج يده لمْ يكد يراها . مسألة نحويّة . مجموع مسائل نحوية وتعاليق . كتاب ربّ . شرح بانت سعاد كتاب ذيل الفصيح . الكلام في الذات والصفات الذاتية الجارية على ألسنة المتكلّمين . شرح أوائل المفصل .

(١) الطين والوحل الشديد .

الطبيب الذكي
علي بن رضوان[1]

كان مولده ومنشؤه بمصر ، وبها تعلّم الطب .

الطبيب على رأي بقراط :

ومن كلامه (على ما نقله عنه صاحب عيون الأنباء)[2] : الطبيب على رأي بقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال :

الأولى : أن يكون تام الخلق ، صحيح الأعضاء ، حسن الذكاء ، جيّد الروية ، عاقلاً ، ذكوراً ، خير الطبع .

الثانية : أن يكون حسن الملبس ، طيب الرائحة ، نظيف البدن والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم .

الرابعة : أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء .

---

(١) هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر.

(٢) عيون الأنباء ص ٥٦٤.

الخامسة : أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس .

السادسة : أن يكون سليم القلب ، عفيف النظر ، صادق اللهجة، لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأموال التي شاهدها في منازل الاعلاء فضلاً عن أن يتعرّض إلى شيء منها .

السابعة : أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال ، لا يصف دواء قتّالاً ولا يعلمه ، ولا دواء يسقط الأجنة ، يعالج عدوّه بنيّة صادقة كما يعالج حبيبه .

وقال : المعلم لصناعة الطب هو الذي اجتمعت فيه الخصال بعد استكماله صناعة الطب . والمتعلّم هو الذي فراسته تدلّ على انه ذو طبع خير ، ونفس زكيّة ، وأن يكون حريصاً على التعليم ، ذكيّاً ، ذكوراً لما قد تعلّمه .

وصف علي بن رضوان للبدن السليم :

وقال : البدن السليم من العيوب هو البدن الصحيح الذي كل واحد من أعضائه باق على فضيلته . أعني أن يكون يفعل فعله الخاص على ما ينبغي .

طريقة التعرّف على عيوب البدن :

وقال : تعرُّف العيوب هو أن تنظر إلى هيئة الأعضاء والسحنة والمزاج وملمس البشرة ، وتتفقد أفعال الأعضاء الباطنة والظاهرة ، مثل أن تنادي به من بعيد فتعتبر بذلك حال سمعه ، وان تعتبر بصره بنظر الأشياء البعيدة والقريبة ، ولسانه بجودة الكلام ، وقوّته بشيل الثقل والمسك والضبط والمشي وانحاء ذلك مثل أن تنظر مشيه مقبلاً

ومـدبراً ، ويؤمـر بالاستلقـاء على ظهره ممـدود اليدين قـد نصب رجليه وصفهما ، وتعتبر بذلك حال احشائه ، وتتعرف حـال مزاج قلبـه بالنبض وبـالأخلاق ، ومـزاج كبده بـالبول وحـال الاخـلاط ، وتعتبـر عقله بـأن يسأل عن أشياء ، وفهمـه وطاعتـه بأن يؤمـر بالأشيـاء ، وأخلاقـه إلى ما تميل بأن تعتبر كل واحد منها بما يحركـه أو يسكنه . وعلى هـذا المثال أجر الحال في تفقّد كل واحـد من الأعضاء والأخـلاق . أما فيمـا يمكن ظهـوره للحس فلا تقنـع فيه حتّى تشـاهده بـالحس ، وأما فيمـا يتعـرّف بـالاستدلال فـاستدل عليـه بالعـلامـات الخـاصّـة . وأمـا فيمـا يتعـرف بـالمسألـة فابحث عنـه بالمسألة . حتى تعتبـر كـل واحـد من العيـوب فتعـرف هل هـو عيب حاضـر أو كان أو متـوقع . أم الحـال حال صحّـة وسلامة .

معالجة المريض بعد التعرُّف على مرضه :

ومن كلامه قال : إذا دعيت إلى مريض فـاعطه مـا لا يضرّه إلى أن تعرف علّته فتعـالجها عنـد ذلك . ومعنى معـرفة المـرض هو أن تعـرف من أي خلط حـدث أوّلاً ، ثم تعـرف بعــد ذلـك في أيّ عضـــو هـو ، وعند ذلك تعالجه .

الطبيب الذكي
فيثاغورس

إنّ[1] فيثاغورس كان بعد بندقليس بزمان ، وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام .

من آدابه ومواعظه :

ومن آداب فيثاغورس ومواعظه حسب ما نقله صاحب عيون الأنباء من كتاب «مختار الحكم ومحاسن الكلم» للأمير محمود الدولة أبي الوفاء المبشر بن فاتك .

قال فيثاغورس :

كما أن بدء وجودنا وخلقنا الله سبحانه ، هكذا ينبغي أن تكون نفوسنا منصرفة إلى الله تعالى .

وقال: الفكرة لله خاصة فمحبتها متصلة بمحبّة الله تعالى ، ومن أحبّ الله سبحانه عمل بمحابه . ومن عمل بمحابه قرب منه ، ومن قرب منه نجا وفاز .

وقال : ليس الضحايا والقرابين كرامات الله تعالى ذكره ، لكن

---

(١) قال صاحب عيون الأنباء : ويقال فوثارغوراس وفوثاغوريا وقال القاضي صاعد في كتاب طبقات الأمم أن فيثاغورس الخ .

الاعتقاد الذي يليق به هو الذي يكتفي به في تكرمته .

وقال : الأقوال الكثيرة في الله سبحانه علامة تقصير الإنسان عن معرفته .

وقال : ما أنفع للإنسان أن يتكلّم بالأشياء الجليلة النفيسة ، فإن لم يمكنه فليسمع قائلها .

وقال : احذر ان تركب قبيحاً من الأمر لا في خلوة ولا مع غيرك ، وليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد .

وقال : ليكن قصدك بالمال في اكتسابه من حلال وانفاق في مثله .

وقال : إذا سمعت كذباً فهوّن على نفسك الصبر عليه .

وقال : لا ينبغي لك أن تهمل أمر صحّة بدنك لكن ينبغي القصد في الطعام والشراب والنكاح والرياضة .

وقال : لا تكن متلافاً بمنزلة من لا خبرة له بقدر ما في يده ، ولا تكن شحيحاً فتخرج عن الحرية ، بل الأفضل في الأمور كلها هو القصد فيها .

وقال : كن متيقّظاً في آرائك أيام حياتك ، فإن سبات الرأي مشارك للموت في الجنس .

وقال : ما لا ينبغي أن تفعله إحْذَرْ أن تُخطره ببالك .

وقال : لا تدنس لسانك بالقذف ، ولا تصغ بأذنيك إلى مثل ذلك .

وقـال : عسر على الإنسـان أن يكون حـراً ، وهو ينصـاع للأفعـال القبيحة الجارية مجرى العادة .

وقال : ليس ينبغي للإنسـان أن يلتمس القنية[1] العـالية ، والأبنيـة المشيّدة ، لأنها من بعد موتـه تنتقي على حدود طبـاعهـا ، ويتصـرف غيـرُه فيها ، لكن يـطلب من القنية مـا ينفعـه بعـد المفـارقـة والتصـرّف فيها .

وقـال : الاشكال المـزخرفـة ، والأمور الممـوهـة[2] ، في أقصـر الزمان تتبهرج[3] .

وقال : اعتقد أنَّ أُسّ مَخافَةِ الله سبحانه الرحمة .

وقـال : متى التمست فعلاً من الأفعـال فابـدأ إلى ربـك بـالابتهـال في النُّجْحِ فيه .

وقال : الإنسان الذي اختبرتَه بالتجربة فـوجدتـه لا يصلح أن يكون صديقاً وخِلاً ، إحْذَرْ مِنْ أن تجعله لك عدوّاً .

وقـال : ما أحسن بـالإنسان أن لا يخـطىء ، وإن أخـطأ فمـا أكثـر انتفاعه بأن يكون عالماً بأنه أخطأ ، ويحرص في أن لا يعاود .

وقال : الأخلق بالإنسان أن يفعل ما ينبغي لا ما يشتهي .

وقال : ينبغي أن يعرف الـوقت الذي يحسن فيـه الكلام ، والـوقت الذي يحسن فيه السكوت.

---

(١) ما اكتسب.

(٢) المطلية.

(٣) تتزيّف .

وقال : الحُر هو الذي لا يضيع حرفاً من حروف النفس لشهوة من شهوات الطبيعة .

وقال : بقدر ما تطلب تعلم ، وبقدر ما تعلم تطلب .

وقال : ليس من شرائط الحكيم أن لا يضجر ، ولكن يضجر بوزن .

وقال : ليس الحكيم من حمل عليه بقدر ما يطيق فصبر واحتمل ولكن الحكيم من حمل عليه أكثر مما تحتمل الطبيعة فصبر .

وقال : الدنيا دول ، مرة لك وأُخرىٰ عليك ، فإن تولّيت فأحسن وإن تولّوك فَلِنْ .

وكان يقول : إن أكثر الآفات إنما تعرض للحيوانات لعدمها الكلام ، وتعرض الإنسان من قِبَلِ الكلام .

النهي عن أربع صفات :

وكان يقول : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به المكروه كما ينزل بغيره : العجلة واللجاجة والعُجب والتواني ، فَثَمرةُ العجلة الندامة ، وثمرة اللجاجة الحيرة وثمرة العجب البغضاء ، وثمرة التواني الذلّة .

ونظر إلى رجل عليه ثياب فاخرة يتكلّم فيلحن في كلامه فقال له : اما ان تتكلّم بكلام يشبه لباسَك أو تلبس لباساً يشبه كلامَك .

وقال لتلاميذه : لا تطلبوا من الأشياء ما يكون بحسب محبّتكم ولكن أحبوا من الأشياء ما هي محبوبة في أنفسها .

وقال : اصبر على النوائب إذا أتتك عن غير أن تتذمر ، بل

اطلب مداواتها بقدر ما تطيق .

وقال : استعملوا الفكر قبل العمل .

وقال : كثرة العدو تقلّل الهدوء .

وكان فيثاغورس إذا جلس على كرسيّه أوصى بهذه السبع الوصايا : « قوِّموا موازينكم واعترفوا أوزانها ، عدلوا الخط تصحبكم السلامة ، لا تشعلوا النار حيث ترون السكين تقطع ، عدلوا شهواتكم تديموا الصحّة ، استعملوا العدل تحط بكم المحبّة ، عاملوا الزمان كالولاة الذين يُستعملون عليكم ويُعزلون عنكم ، لا ترفوا[1] أبدانكم وأنفسكم فتفقدوها في أوقات الشدائد إذ أوردت عليكم » .

وذكر المال عنده ومدح فقال : وما حاجتي إلى ما يعطيه الحظ ، ويحفظه اللؤم ، ويهلكه السخاء .

وقال : وقد نظر إلى شيخ يحبّ النظر في العلم ويستحي أن يرى متعلماً : يا هذا أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفضل منك في أوله .

وقال : أنكى شيء لعدوك أن لا تريه أنك تتخذه عدوّاً .

وقيل له : ما أحلى الأشياء؟ .

فقال : الذي يشتهي الإنسان .

وقال : الرجل المحبوب عند الله تعالى الذي لا يذعن لأفكاره القبيحة[2] .

---

(١) لا تبطروا أو تفسدوا.

(٢) عيون الأنباء من ص ٦٦ إلى ص ٦٨ .

الطبيب الذكي
اليبرودي

هو أبو الفرج جورجس بن يوحنا بن سهل بن إبراهيم ، من النصارى اليعاقبة ، وكان فاضلاً في صناعة الطب عالماً بأصولها وفروعها معدوداً من جملة الأكابر من أهلها والمتمرنين من أربابها ، دائم الاشتغال ، محبّاً للعلم ، مؤثراً للفضيلة .

قال صاحب عيون الأنباء[1] :

حدثني شرف الدين بن عنين . . . ان اليبرودي كان لا يمل الاشتغال ولا يسأم منه . قال : وكان أبداً سائر أوقاته لا يوجد إلاّ معه كتاب ينظر فيه .

بعض حالاته وسبب تطبّبه :

وقال : حدّثني أحد النصارى بدمشق ، وهو السني البعلبكي الطبيب قال : كان مولد اليبرودي ومنشؤه في صدر عمره بيبرود[2] ، وهي ضيعة كبيرة قريبة من صيدنايا[3] وبها نصارى كثيرة . وكان اليبرودي بها كسائر أهلها النصارى من معاناتهم الفلاحة وما يصنعه

---

(١) ص ٦١٠.

(٢) قرية في سوريا ـ قضاء النبك ـ وهي من قرى جبل قلمون.

(٣) قرية في شمالي دمشق شهيرة بدير السيدة .

الفلاّحون . وكـان أيضاً يجمـع الشيح[1] من نـواحي دمشق القريـة من جهته ويحمله على دابة ويـأتي به إلى داخـل دمشق يبيعه للذين يقـدونه في الأفـران وغيرهـا . وانه لمـا كان في بعض المـرات ، وقـد عبـر من باب توما[2] بدمشق ومعه حمل شيح ، رأى شيخاً من المتـطببين ، وهو يفصد إنساناً قد عرض له رعاف شديـد من الناحيـة المسامتـة للموضـع الـذي ينبعث منه الـدم فوقف ينظر إليه ، ثم قـال له : لم تفصـد هـذا ودمه يجري من أنفه بأكثر مما يحتاج إليه بـالفصد؟ فعـرفه أن ذلـك إنما يفعله لينقـطع الدم الـذي ينبعث من أنفه ، لكـونه يجتـذبه إلى مسـامتة الجهـة التي ينبعث منها . فقـال له : إذا كـان الأمر على مـا تقول فـإننا في مواضعنا قـد اعتدنـا أنه متى كـان نهر جـار ، وأردنا أن نقـطع الماء عنه فإننا نجعل له مسيلاً إلى نـاحية أخرى مسامتـة له فينقـطع من ذلك المـوضع ويعـود إلى الموضـع الآخر ، فـأنت لم لا تفعـل هكـذا أيضـاً وتفصده من الناحية الأخرى؟ ففعل ذلك وانقطع الرعـاف عن الرجـل ، وان ذلك الطبيب لما رأى من اليبرودي حسن نظر فيما سـأل عنه ، قـال لـه : لو أنـك تشتغـل بصنـاعـة الـطب جـاء منـك طبيب جيّـد . فمـال اليبرودي إلى قوله ، وتاقت نفسُـه إلى العلم ، وبقي متردّداً إلى الشيـخ في أوقات ، وهو يُعرفه ويُريه أشياء من المداواة .

معالجته لرجل وجد في وجهه انتفاخاً :

وقال أيضاً صاحب عيون الأنباء : ـ

حـدّثني الشيخ مهـذّب الدين عبـدالـرحيم بن علي قـال : حـدثني

---

(١) نبت سهلي له رائحة طيّبة وهو مرّ الطعم .

(٢) أحد أبواب دمشق .

موفّق الدين أسعد بن الياس بن المطران قال : حدثني أبي ، عن خالي أبي الفرج بن حيان قال : حدثنيْ أبو الكرم الطبيب قال : حدثني أبي عن أبيه قال : كنت يوماً أساير الشيخ أبا الفرج اليبرودي إذ اعترضه رجل فقال : يا سيدي كنت في صناعتي هذه في الحمام ، وحلقت رأسي وأجد الآن في وجهي كله انتفاخاً وحرارة عظيمة ، قال : فنظرنا إلى وجهه فوجدناه يربو وينتفخ وتزيد حمرته بغير توقّف ولا تدريج قال :

فأمره أن يكشف رأسه ويلقى به الماء الجاري من قناة كانت بين يديه ، وكان الزمان إذ ذاك صميم الشتاء وغاية البرد ، ثم لم يزل واقفاً حتى بلغ ما أراد مما أمر به . ثم أمر الرجل بالانصراف وأشار عليه بالأوفق له ، وهو تلطيف التدبير واستعمال النقوع الحامض مبرداً ، وقطع الزفر . قال : فامتنع أن يحدث له شرّاً ما .

انقاذه لخبّاز بدمشق من الموت :

وقال الطرطوشي[1] في كتاب سراج الملوك : حدثني بعض الشاميين أن رجلاً خبازاً بينما هو يخبز في تنوره بمدينة دمشق إذ عبر عليه رجل يبيع المشمش فاشترى منه ، وجعل يأكله بالخبز الحار فلما فرغ سقط مغشياً عليه . فنظروا فإذا هو ميّت فجعلوا يتربّصون به ويحملون له الأطباء فيلتمسون دلائله ، ومواضع الحياة منه ، فلم يجدوا ، فقضوا بموته . فغسل وكفن وصلّى عليه ، وخرجوا به إلى

---

(١) ابن أبي رندقة ولد في طرطوشه ـ الأندلس ـ وتوفّى في الإسكندرية (١٠٥٩ ـ ١١٢٦) فقيه زار مكة والمدينة وأقام في دمشق .

الجبانة . فبينما هم في الطريق على باب البلد ، فاستقبلهم رجل طبيب يقال له اليبرودي ، وكان طبيباً ماهراً حاذقاً عارفاً بالطب فسمع الناس يلهجون بقضيته ، فاستخبرهم عن ذلك فقصّوا عليه قصّته فقال: حطوه حتى أراه ، فحطوه ، فجعل يقلبه ، وينظر في امارات الحياة التي يعرفها ، ثم فتح فمه وسقاه شيئاً ، أو قال : حقنه فاندفع ما هنالك فسيل ، فإذا الرجل قد فتح عينيه وتكلّم وعاد كما كان إلى حانوته[1] .

(١) عيون الأنباء ص ٦١٠ وص ٦١٣.

الطبيب الذكي
يحيى بن عدي

إنّ(١) أبا زكريّا يحيى بن عدي وصىّ إليه أن يكتب على قبره حين حضرته الوفاة ، وهو في بيعة مرتوما بقطيعة الدقيق هذين البيتين :

ربّ ميّت قد صار بالعلم حيّاً
ومبقّى قد مات جهلاً وعيّا
فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً
لا تعدوا الحياة في الجهل شيّا

(١) عيون الأنباء .

الطبيب الذكي
يعقوب بن اسحاق الكندي

فيلسوف[1] العرب وأحد أبناء ملوكها . إلى أن قال صاحب عيون الأنباء : قال أبو محمد عبدالله بن قتيبة في كتاب (فرائد الدرّ) قال بعضهم أنشدت يعقوب بن إسحاق الكندي .

وفي أربع مني حلت منك أربع
فما أنا أدري أيّها هاج لي كربي
أوجهك في عيني أم الطعم في فمي
أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي
(الطويل)

فقال : والله لقد قسمها تقسيماً فلسفياً .

أقول : ومن كلام الكندي قال في وصيّته : وليتّق الله تعالى المتطبب ولا يخاطر ، فليس عن الأنفس عوض .

وقال : وكما يحب أن يقال له انه كان سبب عافية العليل وبرئه كذلك فليحذر أن يقال انه كان سبب تلفه وموته .

وقال : العاقل يظن أن فوق علمه علماً ، فهو أبداً يتواضع لتلك الزيادة ، والجاهل يظن أنه قد تناهى ، فتمقته النفوس لذلك .

ومن كلامه مما أوصى به لولده أبي العباس نقلت ذلك من كتاب

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ص ٢٨٨ .

«المقدمات ، لابن بختويه» ـ قال الكندي : يا بني ، الأب رب والأخ فخ ، والعمّ غم ، والخال وبال ، والولد كمد، والأقارب عقارب . وقول لا ، يصرف البلا ، وقول نعم ، يزيل النعم ، وسماع الغناء، برسام حاد ، لأن الإنسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت . والدينار محموم ، فإن صرفته مات ، والدرهم محبوس فإن أخرجته فرّ ، والناس سخرة ، فخذ شيئهم واحفظ شيئك ، ولا تقبل ممن قال اليمين الفاجرة ، فإنها تدع الديار بلاقع .

أقول : وإن كانت هذه من وصية الكندي فقد صدق ما حكاه عنه ابن النديم البغدادي في كتابه فإنه قال : إن الكندي كان بخيلاً .

ومن شعر يعقوب بن إسحاق الكندي ، قال الشيخ أبو أحمد الحسن[1] بن عبدالله بن سعيد العسكري اللغوي في كتاب « الحكم والأمثال » : أنشدني أحمد بن جعفر ، قال : أنشدني أحمد بن الطيب السرخسي ، قال : أنشدني يعقوب بن إسحاق الكندي لنفسه :

أناف الذنابي على الأرؤس ... فغمض جفونك أو نكس[2]
وضائل سوادك واقبض يديك ... وفي قعر بيتك فاستجلس[3]
وعند مليكك فابغ العلو ... وبالوحدة اليوم فاستأنس
فإن الغنى في قلوب الرجال ... وإنّ التعزّز بالأنفس
وكائن ترى من أخي عسرة ... غنى وذي ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميّت ... على أنّه بعد لم يرمس[4]
فإن تعظم النفس ما تشتهي ... تقيك جميع الذي تحتسي[5]

---

(١) لغوي مشهور تعلّم على ابن دريد. عاش في بلدة عسكر مكرم (٩٠٦-٩٩٣).

(٢) طأطأ رأسه من الذلّ.

(٣) قرّ واجلس (ن . ر).

(٤) لم يقبر.

(٥) تشرب.

الطبيب الذكي
يوحنا بن ماسويه[1]

كان طبيباً ذكياً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب وله كلام حسن .

قال يوسف بن إبراهيم : كان مجلس يوحنا بن ماسويه أعمر مجلس كنت أراه بمدينة السلام لمتطبب أو متكلّم أو متفلسف ، لأنه كان يجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب . وكان في يوحنا دعابة شديدة ، يحضر بعض من يحضر من أجلها . وكان من ضيق الصدر ، وشدة الحدة ، على أكثر مما كان عليه جبرائيل بن بختيشوع ، وكانت الحدة تخرج منه ألفاظاً مضحكة ، وكان أطيب ما يكون مجلسه في وقت نظره في قوارير الماء ، وكنت وابن حمدون ابن عبدالصمد بن علي الملقّب بأبي العبرطرد ، وإسحاق بن إبراهيم بن محمد بن اسماعيل الملقّب ببيض البغل ، قد توكلنا به بحفظ نوادره وأظهرت له التلمذة في قراءة كتب المنطق عليه ، وأظهرا له التلمذة بقراءتهما كتب جالينوس في الطب عليه .

بعض نوادره وطرائفه :

قال يوسف : فمّما حفظت من نوادره : أن رجلاً شكى إليه علّة كان شفاؤه منها الفصد ، فأشار به عليه ، فقال : لم أعتد الفصد ،

---

(١) عيون الأنباء ص ٢٤٧ .

فقال له : ولا أحسب أحداً اعتاده في بطن أمّه . وكذلك لم تعتد العلّة قبل أن تعتل ، وقد حدثت بك فاختر ما شئت من الصبر على ما أحدثت لك الطبيعة من العلّة أو اعتياد الفصد لتسلم منها .

قال يوسف : وشكى إليه رجل بحضرتي جرباً[1] قد أضرّ به فأمره بفصد الأكحل[2] من يده اليمنى ، فأعلمه أنه قد فعل. فأمر بفصد الأكحل أيضاً من يده اليسرى ، فذكر انه قد فعل . فأمره بشرب المطبوخ ، فقال : قد فعلت فأمره بشرب الاصمخيقون ، فأعلمه انه قد فعل. فأمره بشرب ماء الجبن اسبوعاً ، وشرب مخيض البقر اسبوعين ، فأعلمه انه قد فعل . فقال له : لم يبق شيء مما أمر به المتطببون إلاّ وقد ذكرتَ انّك فعلته ، وبقي شيء مما لم يذكره بقراط ولا جالينوس ، وقد رأيناه يعمل على التجربة كثيراً فاستعمله فإني أرجو أن ينجح علاجك ان شاء الله . فسأله ما هو؟ فقال : ابتع زوجي قراطيس ، وقطعهما رقاعاً صغاراً ، واكتب في كل رقعة : « رحم الله من دعا لمبتلى بالعافية » وألق نصفها في المسجد الشرقي بمدينة السلام، والنصف الآخر في المسجد الغربي ، وفرقها في المجالس يوم الجمعة ، فإني أرجو أن ينفعك الله بالدعاء ، إذ لم ينفعك العلاج .

قال يوسف : وصار إليه ، وأنا حاضر ، قسيس الكنيسة التي يتقرّب فيها يوحنا وقال له : قد فسدت على معدتي . فقال له : استعمل جوارشن الخوزبي ، فقال : قد فعلت . فقال له يوحنا :

---

(١) مرض يحدث في الجلد بثورا لها حكة شديدة.

(٢) عرق في الذراع (ن. ر).

فاستعمل السقمونيا ، قال : قد أكلت منه أرطالاً فأمره باستعمال المقداذيقون ، فقال : قد شربت منه جرّة . قال له : فاستعمل المروسيا ، فقال : قد فعلت وأكثرت ، فغضب وقال له : إن أردت أن تبرأ فأسلم فإنّ الإسلام يصلح المعدة .

مشاهدته معجزة لتربة الحسين عليه السلام وإسلامه :

في كتاب لئالى الأخبار: عن أبي موسى قال : لقيني يوحنا النصراني المتطبب في شارع أبي أحمد فاستوقفني وقال لي بحقّ نبيّك ودينك من الذي يزور قبره قوم منكم بناحية قطر بن هبيرة؟ من هو من أصحاب نبيّكم؟ قلت : ليس هو من أصحابه هو ابن ابنته فما دعاك إلى المسألة عنه؟ فقال له : عندي حديث طريف ، فقلت حدثني به ، فقال : وجّه إليّ سابور الكبير الخادم للرشيد في الليل فصرت إليه فقال : تعالى معي فمضى وأنا معه حتى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمي فوجدناه زائل العقل متكئاً على وسادة وإذا بين يديه طست فيه حشو جوفه وكان الرشيد استحضره من الكوفة فأقبل سابور على خادم كان من خاصّة موسى فقال له : ويحك ما خبره؟ فقال له أخبرك أنه كان من ساعة جالساً وحوله ندمائه وهو من أصحّ الناس جسماً وأطيبهم نفساً إذ جرى ذكر الحسين بن علي (ع) قال يوحنا : هذا الذي سألتك عنه فقال موسى : إن الرافضة لتغلو فيه حتى انهم فيما عرفت يجعلون تربته دواء يتداوون به فقال له رجل من بني هاشم كان حاضراً قد كانت بي علّة غليظة فتعالجت بها بكل علاج فما نفعني حتى وصف لي كاتبي أن آخذ من هذه التربة فأخذتها فنفعني الله بها وزال عنّي ما كنت أجده قال : فبقي عندك منها شيء؟ قال : نعم قال فوجه فجاء منها بقطعة فناولها موسى بن

عيسى فأخذها موسى فاستدخلها دبره استهـزاء بمن يداوي بهـا واحتقاراً وتصغيـراً لهذا الـرجل الـذي هذه تـربته فمـا هو إلاّ أن استدخلهـا دبـره حتى صاح : النار النار الطشت الطشت فجئنا بـالطشت.فـأخرج فيهـا ما تـرى فانصـرف الندمـاء وصار المجلس مـأتماً فـأقبل على سـابور فقـال انـظر هل لـك فيه حيلة؟ فـدعوت بشمعـة فنظرت فـإذا كبـده وطحـالـه وريتـه وفؤاده خرج في الـطشت فنظرت إلى أمـر عظيم فقلت مـا لأحـد في هذا صنع إلاّ أن يكون عيسى الذي كان يحيـي الموتى .

فقال لي سابور : صدقت ولكن كن هنـا في الدار إلى أن يتبيّن مـا يكـون من أمره فبتّ عنـدهم وهو بتلك الحـال ما رفـع رأسه فمـات في وقت السحر .

قال علي بن موسى : قال لي موسى بن سريع :

كان يوحنّـا يزور قبـر الحسين عليه السـلام وهو على دينـه ثم أسلم بعد هذا ، وحسن إسلامه .

الطبيب الذكي
يوسف بن أبي سعيد السامري

هو[1] الشيخ الإمام العالم الصاحب الوزير مهذّب الدين يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري . قد أتقن الصناعة الطبية ، وتميّز في العلوم الحكمية ، واشتغل بعلم الأدب ، وبلغ في الفضائل أعلى الرتب . وكان كثير الاحسان ، غزير الامتنان ، فاضل النفس ، صاحب الحدس . وقرأ صناعة الطب على الحكيم إبراهيم السامري المعروف بشمس الحكماء . وكان هذا شمس الحكماء في خدمة الملك الناصر صلاح الدين يوسف . وقرأ أيضاً على الشيخ اسماعيل بن أبي الوقار الطبيب . وقرأ على مهذب الدين بن النقاش . وقرأ الأدب على تاج الدين النكدي أبي اليمن . وتميّز في صناعة الطب ، واشتهر بحسن العلاج والمداواة .

حادثة تنبيء عن حسن معالجته :

ومن حسن معالجاته انه كانت ست الشام أخت الملك العادل أبي بكر بن أيوب قد عرض لها دوسنطارياً كبدية وترمي كل يوم دماً كثيراً . والأطباء يعالجونها بالأدوية المشهورة لهذا المرض من الأشربة وغيرها . فلما حضرها وجس نبضها قال للجماعة يا قوم ما دامت

---

(١) عيون الأنباء ص ٧٤١.

القوة قوية ، أعطوها الكافور ليصلح كيفية هذا الخلط الحاد الذي فعل هذا الفعل، وأمر بإحضار كافور قيصوري وسقاها مع حليب بزر بقلة محمصة ، وشراب رمان وصندل[1] فتقاصر عنها الدم وحرارة الكبد التي كانت ، وسقاها أيضاً منه ثاني يوم فقل أكثر ، ولاطفها بعد ذلك إلى أن تكامل برؤها وصلحت .

بعض كلامه في الحكمة :

ومن كلامه في الحكمة : ممّا سمعته منه ، فمن ذلك « وصيّة أول النهار » قال : قد أقبل هذا النهار وأنت فيه مهيأ لكل فعل فاختر لنفسك أفضلها لتوصلك إلى أفضل الرتب ، وعليك بالخير فإنه يقربك من الله ويحببك إلى الناس . وإيّاك والشر فإنه يبعدك عن الله ويبغضك إلى الناس . وافعل ما تحاسب نفسك عليه عند انقضاء هذا النهار . والحذر من أن يغلب شرك على خيرك وليس الفاضل من بقي على حالة الطبيعة مع عدم المؤذيات بل الفاضل من بقي عليها مع وجود المؤفيات . والانقطاع عن الناس أكبر مانع للأذى . وأقبل وصايا الأنبياء ، واقتد بأفعال الحكماء . وعليك بالصدق فإن الكذب يصغّر الإنسان عند نفسه فضلاً عن غيره . واحلم تشكر ، وتفضل فإن الحقد يعجل الهم ، ويوقع في العداوات والشرور ، وكذلك الحسد . وتجنّب الأشرار تكف الأذى وأبعد عن أرباب الدنيا تكف الأشرار . واقنع من دنياك بما تدفع به ضرورة بدنك . واعلم أن نهارك هذا قطعة تذهب من حياتك ، فانفقها فيما يعود عليك نفعه . وإذا اندفعت ضرورة بدنك اقض باقي نهارك في مصلحة نفسك ، وافعل بالناس ما

---

(١) شجر هندي طيب الرائحة يشبه شجر اللوز وله حبّ أخضر في عناقيد .

تشتهي أن يفعلوه بـك . وإيّـاك والغضب والمبـادرة إلى الانتقـام من المغضب أو الانفصال عنه ، فإنه ربما أوقع في النـدم . وعليك بـالصبر فإنه رأس كل حكمة .

وصية أول الليل :

قـد انقضى نهارك بمـا فيه ، وأقبـل عليك هـذا الليل . وليس لـك فيه فعل بدني ضروري ، فـاعطف على مصلحـة نفسك بـالاشتغال في العلم ، والفكـر في الاطلاع على الحقـائق . ومهمـا استـطعت اليقـظة في ذلـك فافعـل . فإذا أردتَ النوم فاجعـل في نفسك مـلازمة مـا أنت فيه لتكون رؤياك من هذا الجنس ، وافعل ما تحـاسب نفسك عليـه عند الصباح . واحرص ان تكون في غدك أفضل من يومك المنقضي .

وإيّـاك أن تجد بـك الطبـاع إلى الفكر فيمـا عـاينتـه في نهـارك من أحوال أرباب الدنيا فتضيع وقتك ، وتنفتـح لك أبـواب الخداع والحيـل والمكـر في تحصيل أمـور الدنيـا ، وتظلم نفسـك ، وتفسـد حـالـك ، وتبعـد عن الحقائق ، وتكتسب الأخـلاق المذمـومة ، ويعسـر تخلّصـك منها . لكن اعلم أن هذه اعـراض زائلة لا فائـدة فيها ، وان ضـرورات الإنسان قليلة جدّاً ، وفكر فيما يعود على نفسك نفعه .

وتهيّـأ للقاء الله فـإن علمك بمـوتك متى يكـون ، مستـوراً عنـك ، وما جاؤوك في أن يأتي يوم آخـر عليك أقـوى من وهمك أن تمـوت في هذه الليلة ، فودع بالثبات على ما تنتفع به بعد المفارقة ، والسلام .

وقـال : « احترم المشـايخ ولـو سكتوا عن جـواب سؤالك ، فلعـل ذلـك لبعد العهـد وكلال القـوى ، أو لأنك سـألت عمـا لا يعنيـك ، أو معـرفتهم بعجز فهمـك عن الجواب . واعلم أن فـوائدك منهم أكثـر من ذلك » .

وقال : اشتغل بكلام المشهورين الجامعة أولاً ، فإذا حصلت الصناعة ، فاشتغل بالكتب الجزئية من كلام كل قائل عارياً عن محبة أو بغضة ، ثم زنه بالقياس ، وامتحنه ان أمكن بالتجربة ، وحينئذٍ أقبل الصحيح . وإن أشكل فاشرك غيرك فيه ، فإن لكل ذهن خاصية بمعان دون معان .

وقال : إذا أقدمك الأفاضل تقدم ، وإلاّ تأخرت .

وقال : اطلب الحق دائماً تحظ بالعلم لنفسك ، وبالمحبة من الناس .

وقال : طابق أعمالك الجزئية ما في ذهنك من القانون الكلي يتيقّن علمك ، وتجوّد تجربتك ، وتتأكد تقدمة معرفتك ، وتكثر منافعك من الناس .

وقال : اشتغل من الكلام بما قصد قائله التعليم ، فإذا حصلت الصناعة فأكدها بالاشتغال بكلام محبي الحق مبطلي الباطل فإذا تبرهن علمك وتيقّن بحيث لا يقدح فيه الشكوك ، لا يضرّك حينئذٍ في بعض أوقاتك مطالعة كتب المتشككين والجدليين . فإن قصدهم إظهار قوتهم فيما يَدَّعُونه ، سواء كانوا يعلمونه علماً يقيناً أم لا ، وسواء كان ما يَدَّعُونه حَقّاً أمْ باطلاً .

تحريضه الأطباء على التقوى :

وقال : إذا تطبّبت فاتّق الله ، واجتهد أن تعمل بحسب ما تعلمه علماً يقيناً ، فإن لم تجد فاجتهد أن تقرب منه .

وقال : إذا وصلت إلى رتبة المُعَلّمين فلا تمنع مستحقّاً وهو العاقل الذكي الخيّر الحكيم النفس ، وامنع من سواه .

وقال : إذا رأيت أدوية كثيرة لمرض واحد فاختر أوفقها في حال حال .

وقال : الأمراض لها أعمار ، والعلاج يحتاج إلى مساعدة الأقدار . وأكثر صناعة الطب حدس وتخمين ، وقلّما يقع فيه اليقين وجزآها القياس والتجربة ، لا السفسطة وحب الغلبة ، ونتيجتها حفظ الصحّة إذا كانت موجودة ، وردّها إذا كانت مفقودة ، وفيهما يتبيّن سلامة الفطر ، ودقّة الفكر ، ويتميّز الفاعل عن الجاهل ، والمجد في الطب عن المتكاسل ، والعمّال بمقتضى القياس والتجربة ، عن المحتال على اقتناء المال وعلوّ المرتبة .

وقال : إنّ بالعلم من الطول وعسر الحصول ، ولو سلك فيه الايجاز والبيان جهد الامكان ، مع طول الأعمار ودقّة الأفكار ، وتعاون البشر وسلامة الفطر ، ما يعجز الناظر ويذبذب الخاطر .

وقال : انظر إلى أفعال الطبيعة إذا لم يعقها عائق ، واقتد بها في أفعالك .

وقال : ما أحسن الصبر لولا أن النفقة عليه من العمر .

وقال : كلّما انتظر الشيء استبعد زمانه ، واستقلّ مقداره .

وقال : الخير منتظر ، فالظن فيه قليل .

وقال : الظلم في الطباع ، وإنما يترك خوف معاد ، أو خوف سيف .

وقال : لا تتم مصلحة إلاّ بمفاسد .

وقال : القاصدون مصالحهم أكثر من المشفقين على مخلوقات الله تعالى بأضعاف مضاعفة .

وقال : إن شئت المقام بين الناس مظلوماً فاحترز منهم أو غير مظلوم فاظلمهم . وأما الحال الوسطى فلا تطمع بها .

وقال : الانقطاع أفضل أوقات الحياة .

وقال : الانقطاع أفضل السير.

وقال : الانقطاع نتيجة الحكمة .

مثال الارديا والاخيار :

وقال : الارديا يطلبون مع من يُفْنُون نَهَارَهم في الحديث واللهو والبطالة ، وانهم متى خلوا بأنفسهم تألموا مما يجدونه في أنفسهم من الرداءة ، والأخيار على خلاف ذلك لأنهم يأنسون بأنفسهم .

عدم الرغبة بالدنيا :

وقال : أصل كل بلية الرغبة في الدنيا .

وقال : طالما يلبث الناس عن مصالحهم لتشبثهم بالدنيا ففاتتهم .

وقال : عجبي لمن لا يعلم متى يموت ويعتقد سعادة وشقاء على أيّ حال كانت : كيف يركن إلى الدنيا ويهمل المهم من أمره .

وقال : ما أكثر المتلذذين بالآمال من غير الشروع في بلوغها.

وقال : الآمال أحلام اليقظان .

وقال : لكل وقت أشغال كثيرة فليفعل فيه أهمها .

وقال : كيف حال من يهمل مهماته في أوقاتها مؤمّلاً أن ستأتي أوقات أخرى لها مدافعاً من كل وقت إلى غيره ، إلى أن يموت مؤملاً .

وقال : ما دمت في حال تقدر على تدبير جسدك ورياضة نفسك ، بحسب استعدادهما ، غير مقتر ولا مسرف فلا تنتقل إلى غيره ، فإن لك محركاً لو رمت السكون لما أمكنك . وكم من منتقل إلى حال خالها أفضل ألفاها أخس .

وقال : لا تُعَادِ السَّعيد فَضِدُّ السعيدِ الشَّقيّ .

وقال : إن ألقى كلّ من عدوين همته على الآخر فأسعدهما جداً يقهر عدوّه ، ولذلك أمر بإجماع الهمم عند طلب الأمور العظيمة لتقوم مقام الهمّة الواحدة المعانة بالتأييد السماوي .

وقال : احرص على اتخاذ الناس اخواناً ، وإيّاك وسهام الهمم فإنها صائبة .

وقال : احذروا أذية العلماء فإنهم آل الله .

وقال : ما ظلم ذو علم حقيقي إلّا كشف الله ظلامته ونصره ، وخذل ظالمه قريباً .

العلماء يُحْرَسُون بعين الله :

وقال : إن لله أحباباً يحرسهم بعينه التي لا تنام وهم العلماء .

وقال : العلماء هم السعداء على الحقيقة .

وقال : سعداء الدنيا على اصطلاح الجمهور ، ما لم تصدر عنهم الخيرات فهم الأشرار.

وقال : قد ينطق إنسان في وقت مّا بالحكمة ، فإذا طلب نفسه ذلك في وقت آخر لم يجده .

وقال : من صاحب الجهّال على جهالاتهم ، وجذبه حبّ الدنيا إلى الحضور في مجالسهم فناله شرّهم فليسلم نفسه .

وقال : أَصْلِحِ الميزانَ ثُمّ زِنْ به .

وقال : إذا صرت ذا عقل هيولاني صِرْتَ إنساناً بالفعل بقول مطلق .

وقال : ثِقْ بعلمك إذا لم يقدح فيه الاعتراض .

وقال : نعم الرأي الواحد .

وقال : نعم الرأي المتناسب .

وقال : العمل في الرأي بحسب غاية تصدر به ، لا بحسب المصلحة المطلقة .

وقال : نعم الرأي الحادث بين المستشير الصادق ، والمستشار الأمين العاقل .

وقال : لا تثق إلّا بمعتقد في شيء ما يرجوه ، ويخافه متيقّن انه لا حق إلّا اعتقاده . فأما الشاك فيما يعتقده ، أو من لا يعتقد شيئاً البتة فلا تثق به ، ولا تتّخذه صاحباً . وذلك المعتقد المتيقّن اعتقاده ان كان غير أهل ملّتك فاحذره أيضاً لأنه يعتقد فيك الكفر بمعتقده فيتّخذك عدوّاً فيفعل بك فعل الأعداء.

وقال : ثق بالدين من أهل دينك .

وقال : تيقّن أنّ صحة الاعتقاد سبب لملازمة الأعمال الدينية وملازمة الأعمال الدينية قد تكون دليلاً على تيقن صحة الاعتقاد ، وقد يفعلها فاعلها تابعاً لغيره ، غير عالم بشيء آخر ، وقد يفعلها تقيّة ، وعلامتها إذا كانت تابعة لتيقّن صحّة الاعتقاد ظهور الآثار الإلّهيّة عليها ، وعدل سائر سيرة فاعلها من نفسه مع جميع المخلوقات .

من يجدر بالإنسان أن يصحبه :

وقال : الحرية نعم العيش .

وقال : القناعة باب الحرية .

وقال : من قدر على العيش الكفاف بحسب ضروراته ، ثم ملك نفسه لغير رغبة في فضول العيش فهو أحمق الحمقاء .

وقال : ما أقل ضرورات الإنسان لو أنصف نفسه .

وقال : اجتنب الألف بأهل الدنيا فإنهم يشغلونك إن وجدتهم ، ويحزنونك إن فقدتهم .

وقال : اصحب عند ضجرك من تبعدك صحبته مما كنت فيه .

وقال : فَقْدُ الخَليل مُؤْذِنٌ بالرُحيل .

وقال : الحكيمُ إنْ أَسأَت إليه أو توهم أنك أسأت إليه ، وإن لم تسيء ، فقد تنتفع عنده بالتنصل إن كنت بريئاً وبالاعتذار إن كنت مسيئاً . فأمّا الحقود فمتى اشعرت بأنه توهّم منك اساءة ، عدم نفع أو مخالفة أمر ، فاحذره فإنه لا يزال في خاطره التدبير في أذيّتك .

خَيْرُ العلماء من ناسبَ عِلْمُه عَقْلَه :

وقال : الأصدقاء كنفس واحدة في أجساد متفرّقة .

وقال : الطبيب مدبر لبدن الإنسان من حيث هو مقارن لنفسه ، لا من حيث هو بدن إنسان بالقول المطلق . وهذا التركيب من أشرف التراكيب فينبغي أن يكون معانيه من أشرف الناس .

وقال : المال مغناطيس أنفس الجهلاء ، والعلم مغناطيس أنفس العقلاء .

وقـال : رأيت الجهلاء يعـظمون أربـاب الأموال ، مـع تيقّنهم أنهم لا ينيلونهم منه شيئاً إلاّ ثمن متاع ، أو أجرة صنـاعة ، كمـا ينالـونه من الفقراء .

وقال : خير العلماء من ناسب علمه عقله .

وقـال : إذا أمكن الانقطاع عن النـاس بأقـل المقنعات فهـو أفضل الأحوال .

وقـال : إذا كنت تشفق على مـالـك فـلا تنفق شيئـاً منـه إلاّ في المهم ، فأحرى أن تفعل ذلك في عمرك .

وقال : الحكمة الاقتداء بالله تعالى .

وقـال : إنما يـطلع الإنسـان على عيـوب نفسـه من اطـلاعـه على عيوب الناس .

وقـال : إذا لزمت نفسـك الخلق الجميل فكـأنّـك أكـرمتهـا غـايـة الكرامة ، وذلـك انك إذا لم تغضب مثـلاً والناس كلّهم يغضبـون فأنت أفضل الناس من هذا الوجه .

وقال : بقدر مـا لكل ذات من الكمـال لها من اللذّة ، بقـدر ما في كل ذات من النقص فيها من الألم .

وقـال : أكْثِرْ من مـطالعـة سِيَرِ الحكمـاء واقتـد منهـا بمـا يمكن الاقتداء به في زمانك .

وقال : قَوِّ نفسك على جسدك .

وقال : أَصْلِح كيفيّة الغذاء واقتصد في كميته .

وقـال : إكتف من غذاء الجسم بمـا يحفظ قواه ، وإيّـاك والـزيـادة

فيها واستكثر من غذاء النفس .

وقال : غذاء النفس بالعلوم على التدريج فابتدىء بالسهل القليل وتدرج ، فإنها تشتاق حين تقوى ، وتعتاد إلى الصعب الكثير ، فإذا صار لها ملكة سهل عليها كل شيء .

قال : المعدة القوية تهضم جميع ما يرد إليها من أنواع الأغذية ، والنفسُ الفاضلة تقبل جميع ما يرد عليها من العلوم .

وقال : ما لم تطق التوحّد فأنت مضطّر إلى مصاحبة الناس .

وقال : صَاحِبِ الناس بما يُرضيهم ، ولا تطرح جانب الله تعالى .

وقال : كتب بعضُهم إلى شيخه يشكو تعذر أموره فكتب إليه : إنك لن تنجو مما تكره حتى تصبر عن كثير مما تحب . ولن تنال ما تحبّ حتّى تصبر على كثير ممّا تكره . والسلام .

وقال : أشكر المحسن ومَنْ لاَ يُسيء ، واعذر الناس فيما يظهر منهم ولا تلمهم ، فلكلّ من الموجودات طبع خاص .

وقال : إستحسن للناس ما تستحسنه لنفسك ، واستقبح لنفسك ما تستقبحه لهم .

وقال : لا تخل فعلاً من أفعالك من تقوى الله تعالى .

وقال : أطعِ الله مُحِقّاً يطعك الناس .

وقال : لا شيء أنجع في الأمور من الهمة الصادقة .

وقال : خُذْ من كلّ شيء ما يوصلك إلى الغاية التي وضع من أجلها .

وقال : كل ما يحصل بالعرض فلا تثق به .

التواضع للناس عامة وللعلماء خاصة :

وقال : إخْضَعْ للناس وخاصّة العلماء والمشايخ ، ولا تزدر أحداً ، فطالما كتم العالم علمه ليتخيّر له من يودعه إيّاه كما يتخيّر الفلّاح الأرض.

وقال : إشْتَغِل من كل علم بكلام أربابه الأول.

وقال : إسْتَكْثِرْ من العناية بالكتب الإلٓهية المنزلة ففيها كلّ حكمة .

وقال : أكْثِرْ من صُحبة المشايخ فإمّا أن تستفيد من علمهم وإمّا من سيرتهم.

وقال : إذا تأملت حركات الفضلاء وسكناتهم وجدت فيها حكماً جمّة .

وقال : رأيت اللهم عند أكثر الناس ما يجتلبون به المال.

وقال : ما أكثر ما يسمع الناس الوصايا النبويّة والحكمية ، ولا يستعملون منها إلاّ ما يجتلبون به المال .

وقال : ما أشدّ ركون الناس إلى اللذّات الجسمانيّة .

القناعة والقانع :

وقال : لا تخل وقتك الحاضر من الفكر في الآتي.

وقال : من لم يفكر في الآتي أتى قبل أن يستعد له .

وقال : القناعة سبب كلّ خير وفضيلة.

وقال: وبالقناعة يُتوصَّلُ إلى كل مطلوب .

وقال : القانع مساعد على بلوغ مآربه .

وقال : اقصد من الكمال الإنساني الغاية القصوى، فإن لم يكن في قوتك الوصول إليها فإنك تصل إلى ما في قوتك أن تصل إليه وإذا قصدت الكمال التالي لكمالك آملاً إذا وصلته أن تقصد ما يليه فربما ركنت إلى الراحة وقنعت بدون ما تستحقّه .

وقال : احرص على أن لا تخل بشيء من العبادات البدنيّة فإنها نعم المعين الموصل إلى العبادات النفسانيّة .

وقال : كفى بالوحدة شرفاً أنّ الله تعالى واحد .

وقال : كلما تمحضت الوحدة كانت أشرف ، لأنّ وحدة الله تعالى لا يشوبها كثرة من وجه أصلاً .

وقال : اعتصم بالله تعالى، وتوكّل عليه، وثق به محقاً ، يحرسك ويكفيك كل مؤونة ، ولا يخيب لك ظنّاً .

وقال : إجْعَل الملّة عضدك ، وأهلها اخوانك ، ولا تركن إلى الدول ، فإن الملل هي الباقية .

وقال : عوّد نفسك الخير علماً وعملاً تلق الخير من الله تعالى، ومن الناس عاجلاً وآجلاً .

وقال : لا تطمع بالانقطاع ما دام لك أدنى طمع .

وقال : لو وقف الضعيف عند قدره لأمن كثيراً من الأخطار .

وقال : ليت شعري بما اعتذر إذا علمت ولم أعمل ، أرجو عفو الله تعالى .

يقول صاحب عيون الأنباء :

ومن شعره وهو ممّا سمعته من لفظه . . . فمن ذلك قال :

يا صاحبي سلا الهوى وذراني ... ماذا تريدا من مشوق عاني
لا تسألاه عن الفراق وطعمه ... إن الفراق هو الممات الثاني
نادي الحداة دنا الرحيل فودعوا ... ففجعت في قلبي وفي خلاني
وسرت ركائبهم وقد غسق الدجى ... فأضاء ممن سار في الأظعان
ما كنت أعلم ان بعدك قاتلي ... حتى فعلت وغرني سلواني
وبكيت وجدا بعد ذاك فلم أجد ... أني وقد صار اللقاء أماني

(الكامل)

ذكاء زاهد
مع طبيب نصراني

حُكيَ(١) عن بعض (الزُهّاد) أنه اعتلّ فحمل إلى البيمارستان(٢) وَكَتَبَ (عليٌّ بن عيسى) الوزير إلى (الخليفة) المقتدر في ذلك فأرسل الخليفة إليه مقدّم الأطبّاء ليداويه فما نجحت مداواته قال الطبيب للزاهد : والله لو علمت أنّ مداواتك في قطعة لحم من جسدي ما عسر ذلك عليّ ، فقال الزاهد : دوائي فيما دون ذلك ، قال الطبيب : وما هو؟ قال : بقطعك الزنّار ، فقال الطبيب : أشهد أن لا إلّه إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله ، فأخبر الخليفة فبكىٰ وقال : نفّذنا طبيباً إلى مريض وما علمنا أنّا نفذنا مريضاً إلى طبيب . والماحضون في الإيمان والتقوى هم أطبّاء النفوس ويعالجون المرضى حسب حذقهم فمريضاً يسقونه عسلاً وآخر حنظلاً .

---

(١) مقتنيات الدّرر ، المجلد الثاني ج ٤ ص ١١٦ .

(٢) أي : مستشفى .

ذكاء المتطبِّب
للملك في التخفيف عن وزنه وسمنه

قال[1] أمير المؤمنين علي عليه السلام : « الهَمُّ نِصْفُ الهِرَم » .

عن[2] « محمد بن إدريس الشافعي » قال : كان « ملك » في الزمان الأول وكان مثقلاً كثير الشحم لا ينتفع بنفسه فجمع المتطبّبين وقال : احتالوا إليّ بحيلة يخف عني لحمي هذا قليلاً .

قال : فما قدروا له على شيء .

قال : فبعث له رجل عاقل أديب متطبب فاره فبعث إليه وأشخصه فقال له : عاجلني ولك الغنى .

قال : أصلح الله الملك أنا مُتَطَبِّبٌ منجّم دعني حتى أنظر الليلة في طالعك أي دواء يوافق طالعك فأسقيك ، قال : فغدا عليه فقال : أيها الملك الأمان .

قال : لك الأمان .

قال : رأيت طالعك يدل على أن الباقي من عمرك شهر فإن أحببت عالجتك وإن أردت بيان ذلك فاحبسني عندك فإن كان لقولي حقيقة فخل عني وإلاّ فاستقص منّي قال : فحبسه .

---

(١) نهج البلاغة ج ٦.

(٢) الأذكياء للسبط ابن الجوزي .

قال : ثم رفع الملك الملاهي واحتجب عن الناس وخلا وحده مهتمّاً كلما انسلخ يوم ازداد غمّاً حتى هزل وخف لحمه ومضى لذلك ثمان وعشرون يوماً فبعث إليه وأخرجه فقال : ما ترى؟

قال : أعزّ الله الملك أنا أهون على الله عزّ وجل من أن أعلم للغيب . والله ما أعرف عمري فكيف أعرف عمرك انّه لم يكن عندي دواء إلاّ الغم فلم أقدر أن أجلب إليك الغمّ إلاّ بهذه العلّة فأذاب شحم الكلى فأجازه وأحسن إليه .

ذكاء الطنطاوي
صاحب التفسير في نظمه عطاء الطب

حفظ الصحة في فصل الصيف :

يقول الطنطاوي في تفسيره[1] :

قرأت مقالة في حفظ الصحّة في أوّل فصل الصيف سنة ١٩١٦ بقلم عظيم من أعاظم الأطباء التطاسيين فجعلتها نظماً ، وها هي ذه :

أرجوزة في الطب للاخوان   نظمتها أيّام الامتحان
من بعد ما قرأتها تكرارا   لكي أزيد فهمها استبصارا
ليحفظوا صحّتهم في الصيف   فحرّه مثل غرار السيف
للصيف حرّ يلفح الوجوها   ويزهق النفوس إذ يغزوها
والشمس مهما قتلت جرثومها   فإنها تحيي سواه دوما
ما أفتك الجرثوم بالأطفال   فإنها مكثرة الاسهال
تسطو بحماها على الأولاد   فتحتسي بفلذ الأكباد
ان اتقاء المرض المخوف   أفضل من علاجه الموصوف
فنظّف الطعام والشرابا   والجسم والمكان والثيابا
كذلك الحدائق الغناء   وكلّ مجرى كل فيه الماء

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن الكريم ج ٤ ص ١٦٢ .

فإنها حمالة للداء تقذفه في داخل الأحشاء
فلتحترس من طائف الذباب فإنه أعدى من الذئاب
يعدي الذي يلقى بلا ارتياب ويجعل الأحياء في تباب
مثل الذباب فعل الناموس فإنه لمرض جاسوس
فاجعل له وقاية تقيكا على السرير حيث لا يرديكا
يا ربّة المنزل يا ذات الأدب حفظ الصغار صحّة ممّا وجب
فارعى رعاك الله عين الطفل وفمه وأذنه بالغسل
لا يشربنّ لبناً أو ماءاً حتّى تزيل النار منه الداءا
كذلك الفواكه اطبخيها حتّى يزول الداء ممّا فيها
وليستحم الرجل الكبير والطفل والطفلة والصغير
بكلّ ماء فاتر نظيف منظّف للجسم في المصيف
وليأخذ القويّ ماء بارداً إذا أراد حيث لا يخشى ردى
وقلّل المأكول والمشروبا ولا تطع من أكلوا ضروبا
وكلّ ما تشربه مبرّدا يبرد الأحشاء حتّى تخمدا
والثلج والكازوزة المعروفة وشبهها على الأذى معكوفة
ولا تطع قول الّذين قالوا الثلج يروى إنّهم جُهّال
وخذ من البقول والفواكه والخضر ما تهواه غير واله
وأقلل اللحوم والمغلظا فهل تحبّ أن تكون في لظى
خير الثياب البيض عند الحرّ وشبه بيض مثلها كالسّمر
ثم لتكن واسعة الأطراف كالردن والقباب والأعطاف
واجعل شعار الجسم لبس الصوف لمصّ ريح العرق المعروف
كذاك أما كنت في عراء ليلاً فخصّ الصوف بالغطاء
ومن يكن ذا عرق في الصيف فشرب مثلوج له كالسيف
وكلّ تيّار من الهواء يدعوه للبأساء والضرّاء

الطنطاوي مع زميله الطبيب :

يقول الطنطاوي في تفسيره[1] :

حدّثني أحد الصلحاء الأذكياء قائلاً ما يأتي :

كثيراً ما يختلج في صدري قوله تعالى : ﴿ ورحمتي وسعت كلّ شيء ﴾[2] بعد قوله : ﴿ عذابي أصيب به من أشاء ﴾ فكيف نعتقد أنّ الرحمة عامة اعتقاداً صادقاً وأنت لو فتشت في القلوب لوجدتها مطبقة على التألّم من هذه الدنيا التي حوت الحرب والمرض والطاعون وأنواع الحمى والجدري ونقص الأنفس والأموال والثمرات والبرد القارس القاتل .

فأين هذه الرحمة وإني أتمنّى أن أقف على هذه الرحمة الواسعة حتّى أفرح بها . ويا ليت شعري لماذا نزل هذا في القرآن بل كيف يكلّفنا الله بالمستحيل . ألم يرد لنا في الحديث الصحيح أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن نؤمن بالقدر وترانا نقول في قنوت الصبح كل يوم : « فلك الحمد على ما قضيت ولك الشّكر على ما أنعمت به وأوليت » إذن نحن نحمد الله على القضاء عامّة : أي على النعمة والنقمة ، وكيف يكون الحمد على النقمة ولا حمد إلاّ على نعمة ، أما النقمة فكيف نتصوّر الحمد عليها؟ .

يظهر لي أننا نعيش في جوّ من الجهالة ونلوك ألفاظاً فلا ندرك معناها . وعجبي للديانات كلّها أنها في هذا المعنى متشابهات . وما مثل الناس في ذلك إلاّ كمثل عبيد العصا يحمدون ساداتهم خوفاً من أذاهم لا حبّاً لهم .

---

(١) الجواهر في تفسير القرآن ج ٤ ص ٢٣٣ .

(٢) الأعراف : ١٥٦ .

الاجابة : التطيُّب مِنَ الله :

فقلت لـه : اعلم أنّ هذا المقـام بسطتـه في سورة آل عمـران عند قوله تعالى : ﴿ بيدك الخير إنّك على كلّ شيء قديـر ﴾[1] ففيه هنـاك ما يكفي ذا اللبّ . وقـد أبنت لـك هنـاك أنّ مـا أذكـره فتـح بـاب للبحث وأن اليقين إنمـا يـأتي من طـريق البحث والتنقيب وقـراءة آراء الأمم وعدم التعصّب لرأي خاص ورجوع النفس إلى الله والذكر والفكر .

واعلم أنّ الله عـزّ وجـل مـا ذكـر هـذا في كتـابـه ولا على لسـان رسوله ولا في دعـاء الصلاة ولا في الفـاتحة إذ كـرّر الرحمـة فيها أربـع مـرّات إلاّ ليحفـزنـا إلى درس هـذا الـوجـود ويحثّنـا على دراسـة هـذه الكائنات التي نعيش فيهـا فإن هـذه الشبهة التي وردت عليـك لم تُخْلَق فيـك عبثاً وإنمـا خلقت لحكمـة وهي حثّك على الجدّ والمثـابـرة في البحث حتى تـدرك ببصيـرتـك سرّ المـوت والحيـاة والمـرض والارزاء ومتى أدركت ذلـك اطمأنت نفسـك لهذا الـوجود وعـرفت مـا يـدل على هذه الحكمة : « ليس في الامكان أبدع ممّا كان » .

فقال ذلك الصالح الـذكي : أنا لم أقْـرَأ ما كتبتَـهُ أنتَ في سورة آل عمران ولم أدرس كتب الفلاسفة ولم أنل حـظّاً عظيمـاً من الذكـر فهات لي لَمْحَة تفتح لي بابَ النظر وعجـالة يكـون فيها المبتـدأ والخبر بحيث يفهم العـامة والعلمـاء والخاصّـة والجهلاء ولا يكـون لها سـابق ذكر في هذا الكتاب .

فقلت : ان جميـع ما نقـاسيـه في هذا الـوجـود أشبه بمـا يقـاسيـه المـريض من الطبيب فكم من مـريض بسم له الـدهر بـالـطبيب فسقـاه

---

(١) آل عمران : ٢٦ .

المرّ ومنع عنه زيارة الأصدقاء وحماه من اللذّات والشهوات وبتر منه بعض العظام والعضلات . فهل ذلك لنكاية فيه أم لاهتمام به إنّما الآلام مبدأ الرحمات وباب النجاة .

إنّ طبيعتنا أرضيّة وأحوالنا حيوانيّة . فالتأديب بالتعليم والحوادث مرهفات لعزائمنا مقوّيات لنفوسنا حتى نرجع إلى عالمنا الأعلى وما مثلنا في ذلك إلاّ كمثل ماء البحر المالح سلّط الله عليه الشمس فجعلته بخاراً فصار في الجوّ سحاباً فنزل على الأرض مطراً فجرى في مجاري مختلفات فاجتمعت تلك المجاري فكوّنت نهراً فجرى النهر إلى البحر ﴿ **كما بدأنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا** ﴾[1] ـ الآية .

فرجعت القطرات إلى أوطانها فرحات بأهلها . هكذا هذه الأرواح جاءت لهذا العالم وذاقت حلوه ومرّه ثم رجعت إلى عالمها . وان أردت ضرب أمثال للشريكون هو نفسه خيراً فهاك هذه الحوادث :

حوادث تؤكد عظمة الله عز وجل :

الحادثة الأولى :

عمليّة جراحية أورثت الشفاء في السمع والنطق . ذلك أنه في أيامنا هذه كان رجل يسمّى (أرنست باباج) مغرما بالملاكمة والمباراة فيها وبينما هو يلاكم مرّة أصيب بلكمة في عنقه فجعلته أصمّ أبكم وبقي هكذا مدّة عامين ومنذ أسابيع من كتابة هذه المقالة التي أكتبها الآن قبيل فجر ليلة ٤ يناير سنة ١٩٢٧ دخلت شظية في إحدى أصابعه فقصد طبيباً جرّاح لإخراجها لأنّ اصبعه التهبت فكانت العمليّة شديدة الصعوبة قاسية الم ، فلما أن أخرج الشظية شفي تمام الشفاء

---

(١) الأنبياء : ١٠٤ .

من المرضين معافاً فقابله أحد رفاقه فأراد أن يأخذه من ذراعه فصرخ قائلاً : (دعني وحدي فإنّي بخير الآن) فهذه أعادت له حاسّة السمع والنطق. انتهى .

أمّا ما نذوقه في الدنيا من الألم لعلّه أشبه بآلام هذا المريض عند استخراج الشظية من اصبعه وانفتاح البصيرة لمعرفة جمال هذه الدنيا الموصدة أبواب علومها أمامنا أشبه بما حصل له من شفاء سمعه ونطقه .

الحادثة الثانية :

إنّ رجلاً أعمى أخرس من قرية في مقاطعة (نورثمبتون شير) قصد طبيباً فقرّر له عمليّة في عينيه وهو لا يثق برجوع حاسّة البصر له ، وبينما هو ينتظر الجَرَّاح وهو يحضر مشارطه إذ سقط على الأرض وعند النهوض وجد نفسه قادراً على الكلام .

الحادثة الثالثة :

إنّ رجلاً أعمى جيء به إلى مستشفى في مدينة (برمنجهام) لاجراء عمليّة جراحيّة له في دمل بالمخ كان يهدّد حياته .

فنجحت العمليّة نجاحاً فوق ما يصفه الواصفون إذ شفي من الدمل وعاد إليه بصره .

الحادثة الرابعة :

روت مجلّة (اللانسبت الطبيّة) أنّ رجلاً في الثلاثين من عمره أجريت له عمليّة (الكاتاركت) في عينيه بمستشفى الرمد في مدينة (جلاسجو) وكان ولد أكمه لم يشهد في الدنيا شيئاً فنجحت العمليّة وعادت له حاسّة البصر التي لم يعرفها قبل ذلك .

الحادثة الخامسة : مزعجات حسنت الخلق :

في سنة ١٩١٤ كان رجل مجرم اسمه (سيزيكي) في سجن الحكومة بولاية (بنسلفانيا) أصيب بإصابة قوية في رأسه فعطبتها عطباً شديداً والجمجمة كانت إصابتها خطرة فأسرع (طبيب) السجن وأسعفه بالعلاج فأنقذ حياته وهناك حصل ما يدهش الأبصار . إن (سيزيكي) كان رجلاً متوحّشاً قاسي يدخل الرعب على نفوس رفقائه المسجونين فما انتهت هذه العملية حتى تبدل خلقه وصار ذكيّاً نشطاً رحيماً مطيعاً فرحاً مساعداً للسجانين والمسجونين ولله في خلقه شؤون .

الحادثة السادسة :

وقع لصبي في الخامسة عشر من العمر يسمى (حبيسي بيرد) وله نزعة قوية في الإجرام فأُصيب يوماً بجُرح في رأسه ، فلما أُجريت له عملية جراحية تبيّن أنَّ في رأسه قطعت عظم ضاغطة على المُخ فلما رُفِعَتْ هذه القطعة صار الصبيُّ ذا خُلُقٍ جميل وهو فَرِحٌ مسرور .

الحادثة السابعة :

حدث في البلاد المصرية منذ ثلاثة أعوام أنّ قرويّاً في بلدة (طلخا) أصيب بفقد بصره ولم ينفعه علاج وباع فدانين من أرضه لنفقات العلاج بلا جدوى . واتّفق يوماً أن جلس في بار (قهوة) في بلده ولمّا فتح عامل القهوة (الجرسون) زجاجة الغازوزة لأحد الجالسين طار سداد الزجاجة فأصاب أنف الرجل الأعمى المذكور فسقط الدم من أنفه كما يحصل في الفصد فعاد للرجل بَصَرُه في الحال ـ قال الشاعر : ـ

من يعتصم بالله العرشُ يحفظه فهو الحكيم يُداوى الداءَ بالدّاء

أليست هذه الحوادث تمرّ علىٰ الجُهّال مرّ النسيم على الحصباء والصرصر على الفضاء . أخلاقٌ تبدّلت وأسماعٌ وأبصارٌ شُفيت بأعمال جراحيّة . لعلّ حياتنا كلها عملية جراحية تشفي نفوسنا من أمراض فيها لا ندريها فإذا جهلنا نحن كما جهل أطبّاؤنا جميعاً في الأرض ان مرض العين في الحادثة السابعة مثلاً يشفيه فصد في الموضع المعيّن من الأنف .

وإنّ المجرمين في الحادثة الخامسة والسادسة يكفي لتحسين خلقهما عملية في رأسيهما مع أن علم الطب قد تقدّم في زماننا تقدّماً عظيماً وقطع دابر الأمراض العامة وأثر أثراً محسوساً حتى كثر نوع الإنسان على الأرض .

أقول : إذا جهل أطبّاؤنا ما ذكر في أجسام إنسانيّة حاضرة لدينا فإنّ ذلك يدلّ دلالة قاطعة أن هذه الأجسام وهذه العوالم مكتظة بالعلوم والرحمات مملوء حكمة وأنواراً وأسراراً ، وأن الله يحدث أمثال هذه النوادر ليقول لنا : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلا ﴾[1] فجدوا وابحثوا فلن تصلوا إليّ حتى أطلعكم على حقائق رحماتي ، وما أنتم اليوم إلاّ كسمك في البحر والرحمة أشبه بالعوالم المائية والهوائية ، فأنتم لا تعرفون من رحماتي إلاّ كما يعرف عالِمُ السمك عن عالم الأرض والهواء من نبات وحيوان وطير ، ولن يكون يقين إلاّ بالجدّ في التهذيب ودراسة العلوم جميعها شرقيّة وغربيّة، فإذا قال المسلم رضيت بالله ربّاً ، وإذا قال آمنت بالقدر . . . من الله فإنّ ذلك يسوقه إلى أن يتّبع الإيمان بالعلم ان استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ومتى درس النظام جاءه اليقين .

---

(١) الاسراء : ٨٥.

نهاية قبل النهاية

إنساء الأجل :

اعلم[1] أرشدك الله تعالى أنّ الكلام هنا يقع في مقامين : الأوّل في قبوله الزيادة والنقصان فقد تعارضت فيه الآيات ظاهراً وكذا الأخبار ، قال الله تعالى : ﴿ **لكلّ امّة أجل فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **وما يعمّر من معمّر ولا ينقص من عمره إلاّ في كتاب** ﴾[3] ، ففيهما تعارض بحسب الظاهر ، وأمّا الأخبار فروي أنّ من يموت بالذّنوب أكثر ممّن يموت بالآجال ، ومن يعيش بالإحسان أكثر ممّن يعيش بالأجل .

وفي حديث آخر :

انّه يكون قد بقي من عمر أحدكم ثلاث سنين فيصل رحمه أو يفعل شيئاً من أنواع البرّ فيمحو الله الثلاث ويثبت له ثلاثين .

وقد يكون بقي من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه أو يعقّ والديه فيمحو منه الثلاثين ويثبت له ثلاثاً .

---

(١) نقلنا هذا العرض من كتاب «الأنوار النعمانيّة» للمرحوم الجزائري ج ٤ ص ١٨٨ فصاعداً، وذلك بتصرّف يسير منّا.

(٢) سورة يونس: آية ٤٩ .

(٣) سورة فاطر: آية ١١ .

وفي حديث آخر :

إن الله سبحانه يمدّ للمؤمن في عمره ما علم انّ الحياة خير له فإذا علم أنّ في حياته ارتكاب موبقات الذنوب قبضه إليه .

وقوله تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب ﴾[1] قد ورد في الأخبار تفسيره بمحو الأعمار زيادة ونقصاناً .

والأخبار الواردة بهذا المضمون مستفيضة بل متواترة .

وفي بعضها ما يعارض ذلك .

كقوله عليه السلام في الدعاء :

ويا من لا تبدّل حكمته الوسائل .

وفي الدعاء الأوّل من الصحيفة السجّاديّة :

ثم ضرب له في الحياة أجلاً موقوتاً ونصب له أمداً محدوداً يتخطّا إليه بأيّام عمره ، ويرهقه بأعوام دهره حتّى إذا بلغ أقصى أثره واستوعب حساب عمره قبضه إلى ما ندبه إليه من موفور ثوابه أو محذور عقابه .

وقال النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع : ألا ان الروح الأمين نفث في روحي انّه لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ، إلى غير ذلك من الأخبار .

هل يقبل الأجل الزيادة والنقصان؟ :

ومن ثمّ وقع الاختلاف بين العلماء في قبول الأجل للزيادة والنقصان ، فذهب جماعة منهم إلى انّه لا يقبلهما وإنّما هو أجل

---

(١) سورة الرعد، آية : ٣٩.

واحد تعويلاً على ظواهر تلك الأخبار وما روى في معناها ، وعلى دليل آخر وهو أنّ المقدورات في الأزل والمكتوبات في اللوح المحفوظ لا تتغير بالزيادة والنقصان لاستحاله خلاف معلوم الله تعالى وقد سبق العلم بوجود كلّ ممكن أراد وجوده وبعدم كلّ ممكن أراد بقاءه على حالة العدم الأصلي أو إعدامه بعد ايجاده فكيف يمكن الحكم بزيادة العمر أو نقصانه بسبب من الأسباب؟ وأجابوا عن الأخبار الأول بوجوه :

أحدها : انّ تلك الأخبار الدالّة على الزيادة والنقصان إنّما وردت على سبيل الترغيب حتّى يقبل الناس على فعل الاحسان وبرّ الوالدين وصلة الأرحام ، **وثانيها** أنّ المراد بزيادة العمر الثناء الجميل بعد الموت كما قال الشاعر :

ذكر الفتى عمره الثاني وغايته (حاجته)
ما فاته وفضول العيش اشغال

وقال :

ماتوا فعاشوا بحسن الذكر بعدهم
ونحن في صورة الأحياء أموات

وقال :

كم مات قوم وما ماتت محاسنهم
وعاش قوم وهم في الناس أموات

طريقة حمل بعض الآيات والأخبار :

وثالثها : أنّ المراد بزيادة العمر زيادة البركة في الأجل امّا في نفس الأجل فلا ، وذهب آخرون إلى ما دلّت عليه الأخبار الأولى من

قبول الأجل للزيادة والنقصان وأجابوا عن آية ﴿ فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾[2] وعن الأخبار الواردة بمضمونها تارة بأنّ الأجل صادق على كلّ ما يسمّى أجلاً موهبيّاً أو أجلاً مسببيّاً ويحمل على الموهبي ويكون وقته الذي لا يقبل التقدّم والتأخّر ، وأخرى بأنّ الأجل عبارة عمّا يحصل عنده الموت لا محالة سواء كان بعد العمر الموهبي أو المسبّبي ونحن نقول كذلك لأنّه عند حصول أجل الموت لا يقع التأخّير ، وليس المراد به العمر إذ الأجل مجرّد الوقت .

وأمّا عن دليلهم العقلي فأجابوا عنه أوّلاً بأنّه وارد في كلّ ترغيب مذكور في القرآن والسُّنَّة حتّى الوعد بالجنّة والنعيم على الإيمان ، وكذلك التوعّد بالنيران وكيفيّة العذاب وذلك انّ الله تعالى علم ارتباط الأسباب بالمسبّبات في الأزل وكتبه في اللّوح المحفوظ ، فمن علمه مؤمناً فهو مؤمن ، ومن علمه كافراً فهو كافر ، وهذا اللاّزم يبطل الحكمة في بعثة الأنبياء والأوامر الشرعيّة والمناهي وفي ذلك هدم الإيمان .

تحقيقٌ للشهيد الأول (قده) :

وأما ثانياً فالجواب عن كلّ هذه الأمور واحد وهو أنّ الله تعالى كما علم كميّة العمر علم ارتباطه بسببه المخصوص وكما علم من زيد دخول الجنّة جعله مرتبطاً بأسبابه المخصوصة من ايجاده وخلق العقل له وبعث الأنبياء ونصب الألطاف وحسن الاختبار ، والعمل بموجب

---

(١) سورة يونس آية : ٤٩ .

(٢) سورة المنافقون آية : ١١ .

الشّرع ، فالواجب على كلّ مكلّف الاتيان بما أمر به ولا يتّكل على العلم فإنّه مهما صدر منه فهو المعلوم بعينه فإذا قال الصادق انّ زيداً إذا وصله رحمه زاد الله في عمره ثلاثين سنة ففعل كان ذلك اخباراً بأنّ الله تعالى علم أنّ زيداً يفعل ما يصيّر به عمره زايداً ثلاثين سنة ، كما انّه إذا أخبر بأنّ زيداً إذا قال لا إلّه إلّا الله دخل الجنّة ففعل تبيّناً انّ الله تعالى علم انّه يقول ويدخل الجنّة بقوله .

وبالجملة جميع ما يحدث في العالم معلوم لله تعالى على ما هو عليه واقع من شرط أو سبب وليس نصب صلة الرّحم زيادة في العمر إلّا كنصب الإيمان سبباً في دخول الجنّة ، والعمل بالصّالحات في رفع الدرجة والدّعوات في تحقيق المدعو به ، وقد جاء في الحديث لا تملّوا من الدعاء فإنّكم لا تدرون متى يستجاب لكم ، وفيه سرّ لطيف وهو انّ المكلّف عليه الاجتهاد ففي كلّ ذرّة من الاجتهاد امكان سببيّة لخير علم الله تعالى كما قال سبحانه : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا** ﴾[1] ، وهذا الجواب لشيخنا الشهيد الأوّل قدّس الله روحه ، وأمّا تحقيق هذا المقام فانتظره في المقام الثاني سيأتيك إن شاء الله تعالى .

اتّحاد الأجل وتعدّده :

المقام الثاني : في اتّحاد الأجل وتعدّده ، ذهب الأشاعرة إلى أنّ أجل الحيوان هو الزمان الذي علم الله أنّه يموت فيه ، فالمقتول عندهم مات بأجله الذي قدّره الله تعالى له وعلم أنّه يموت فيه ولا يتصوّر تغيير هذا المقدّر بتقديم ولا تأخير ، والمعتزلة قالوا ما تولّد من

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٦٩ .

فعل القاتل فهو من أفعاله لا من فعل الله تعالى، وقالوا أنّه لو لم يقتل لعاش إلى الأمد الذي قدّره الله تعالى له فالقاتل عندهم غيّر بالتقديم الأجل الذي قدّره الله تعالى له ، وادعوا في هذه الضرورة واستشهدوا عليه بذمّ القاتل والحكم بكونه جانياً ولو كان المقتول مات بأجله الذي قدره الله تعالى له لمات وان لم يقتله ، فالقاتل لم يجلب بفعله أمراً لا مباشرة ولا توليداً ، فكان لا يستحقّ الذمّ عقلاً ولا شرعاً لكنّه مذموم فيها قطعاً ، إذا كان القتل بغير الحق ، واستشهدوا أيضاً بأنّه ربّما قتل في المعركة الواحدة ألوف ونحن نعلم بالضرورة أنّ موت الجمّ الغفير في الزمان القليل بلا قتل ممّا يحكم العادة بامتناعه ، ولذلك ذهب جماعة منهم إلى أنّ ما لا يخالف العادة كما في قتل واحد وما يقرب منه واقع بالأجل منسوب إلى القاتل .

نظرة الإمامية حول اتّحاد الأجل وتعدُّدِه :

وأمّا أصحابنا الإماميّة رضوان الله عليهم فمنهم من وافق المعتزلة في تعدّد الأجل وقالوا الأجل منه محتوم كمن مات حتف أنفه ، ومنه أجل محزوم كالمقتول والغريق ومن هوى من عال فمات ، وبعضهم كما سمعت سمّى الأوّل أجلاً موهبيّاً والثاني مسبّبياً .

وذهب شيخنا الصدوق (ره) إلى مذهب الأشاعرة وأجاب عن بعض شبه المعتزلة حيث قال في كتاب التوحيد أجل الإنسان هو وقت موته ، وأجل حياته هو وقت حياته وذلك معنى قول الله عزّ وجلّ فإذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون[1] ، فإن مات الإنسان حتف أنفه على فراشه وإن[2] قتل فإنّ أجل موته هو وقت موته ، وقد

---

(١) سورة يونس ، آية : ٤٩ .

(٢) شرط لا وصل.

يجوز أن يكون المقتول لو لم يقتل لمات من ساعته ، وقد يجوز أن يكون لو لم يُقتَل لبقي وعِلْمُ ذلك مغيّب عنّا وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتِبَ عليهم القتلُ إلىٰ مضاجعهم ﴾[1] .

وقال عز وجلّ : ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أوِ القتل ﴾[2] ولو قتل جماعة في وقت لجاز أن يقال أنّ جميعهم ماتوا بآجالهم ، وأنّهم لو لم يقتلوا لماتوا من ساعتهم ، كما كان يجوز أن يقع الوباء في جميعهم فيميتهم في ساعة واحدة ، وكان لا يجوز أن يقال انّهم ماتوا بغير أجلهم .

وبالجملة أنّ أجل الإنسان هو الوقت الذي علم الله عزّ وجلّ أنّه يموت فيه أو يقتل ، وقول الحسن عليه السلام في أبيه صلوات الله عليه انّه عاش بقدر ومات بأجل ، تصديق لما قلنا في هذا الباب انتهى كلامه (ره) .

قول جامع بين القولين :

وأمّا الذي فهمناه من تتبّع اخبار فهو معنى ثالث جامع بين القولين ، وذلك أنّ الله سبحانه وتعالى قد خلق لوحاً وسمّاه لوح المحو والاثبات وكتب فيه الآجال والأرزاق وجميع ما يكون واقعاً في عالم الكونين معلّقة على الأسباب والشروط، وهي التي يقع فيها المحو والاثبات والتغيير والبداء ، مثلاً كتب أنّ عمر زيد عشر سنين إن لم يصل رحمه وإن وصل رحمه فعمره ثلاثون سنة ، وإنّ رزق زيد في

(١) سورة آل عمران آية: ١٥٤ .

(٢) سورة الأحزاب آية : ١٦ .

هذه السنة مائة درهم إن لم يسعى السعي الفلاني وإن سعى فيه فرزقه ألف درهم، وإنّ فلاناً في هذه السنة من الحاجّ إن لم يكن يصدر منه ذلك الفعل وإن وقع منه ذلك الفعل فلا يكون حاجّ وكذلك جميع الكائنات فهذا اللّوح الّذي وصف سبحانه نفسه بأنّه كلّ يوم في شأن .

اللوح المحفوظ وعلم الباري :

وقد خلق سبحانه لوحاً آخر وهو اللّوح المحفوظ وكتب فيه الكائنات على ما علمه سبحانه وتعالى منها في الأزل فإنّ علمه بالأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها[1] وهذا العلم الذي علمه

---

(١) قوله : فإن علمه بالأشياء قبل وجودها كعلمه بها بعد وجودها الخ .

أقول هذا هو اعتقاد أصحابنا الإماميّة رضوان الله عليهم فإنّ الله تعالى عالم بجميع الأشياء جزئياتها وكلّياتها وعلمه تعالى بما كان وبما يكون وبالأشياء قبل وجودها وبعد وجودها على نهج واحد ولا يتغيّر علمه سبحانه بالشيء بعد ايجاده فإن علمه عين ذاته وليس بزائد على ذاته فإن قلنا ـ العياذ بالله ـ إنّ له تعالى علماً حادثاً بعد وجود الشيء يلزم كون ذاته محلاً للحوادث والتغيّر ونسبة الجهل إلى الله تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً .

وأمّا من ذهب إلى أنّ لله تعالى علمين قديم وحادث وأنّ علمه الحادث هو من صفاته الفعليّة فقد تورط في الهلكة وضلّ عن الصراط السوي وقال بمقالة لم يقل بها أحد من علماء الإسلام ولا الحكماء والفلاسفة الإلّهيّين وخالف ضرورة الدين وتكلّم على خلاف القرآن المبين وأخبار أهل البيت الميامين صلوات الله عليهم أجمعين وقد صرّح صاحب هذا المقال في كثير من كلماته أنّ لله تعالى علمين قديم وحادث وعلمه الحادث يحدث بحدوث المعلوم وانه تعالى لم يكن في الأزل عالماً بجميع الأشياء على حد سواء وقال في كتابه حياة النفس المطبوع في هذه الآونة الأخيرة بتبريز سنة (١٣٧٧) هـ. ق. ما هذا عين ألفاظه :

وعلمه قسمان علم قديم هو ذاته وعلم حادث وهو ألواح المخلوقات - إلى أن قال - : وأما العلم الحادث فهو حادث بحدوث المعلوم لأنه لو كان قبل المعلوم لم يكن علماً لأنّ العلم الحادث شرط تحقّقه وتعلّقه أن يكون مطابقاً للمعلوم وإذا لم يوجد المعلوم لم تحصل المطابقة التي هي شرطه الخ انظر ص ٤ - ٥ .

وقال في شرح العرشية بعد أن نقل اختلاف الحكماء في كيفيّة العلم : (الحاصل أنّ الحق في المسألة انّ العلم عين المعلوم في الحادث والقديم وأمّا الحادث فقد كانت له مراتب كثيرة - إلى أن قال - فعلمه بذاته هو ذاته وعلمه بما سواه هو ما سواه وكما لا يوجد ما سواه في ذاته ولا يوجد علمه تعالى بهم في ذاته (اهـ) قوله ان العلم عين المعلوم الخ كلام لا يتفوّه به من كان من أهل العلم .

وقال أيضاً في شرحه على العرشية عند قول صدر المتألّهين (ره) : علمه بجميع الأشياء حقيقة واحدة ومع وحدته علم بكلّ شيء لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الخ . ما هذا لفظه : القول بأنّه تعالى عالم بها في الأزل يلزم منه وجودها في الأزل معه سبحانه وهو أجلّ من أن يكون معه في الأزل غيره فإنّ العلم في الأزل والمعلوم في الامكان فلا يجوز أن يقول هو عالم بها في الأزل فيجب أن يقول انه عالم في الأزل بها في الحدوث وحينئذٍ يكون العلم هو وقوع العلم أي تعلّقه الحادث على المعلوم حين وجد المعلوم الخ، وله أمثال هذه الكلمات في كتبه كثيرة وحاصل مدّعاه أنّ الله تعالى لا علم له بما سواه بعلمه الذاتي بل عالم بالأشياء بعلمه الفعلي بعد كونها وتحقّقها وتمسّك في اثبات مرامه بأدلّة واهية مردودة وتمسّك أيضاً ببعض الآحاد والعجب أنه نسب مدّعاه الباطل إلى أهل البيت عليهم السلام مع أنّ أخبارهم على خلافه متظافرة وأضف إلى ذلك أنّ مدّعاه صريح في تجهيل ذاته تعالى عمّا يقول الظّالمون علّواً كبيراً .

والقارىء العزيز جد خبير بأن دحض شبهاته وردّ أدلّته الواهية يحتاج إلى بسط في الكلام ولا مجال له في المقام وقد أجاب العلّامة الأكبر والمجتهد المتبحّر الأشهر السيّد اسماعيل الطبري النوري (ره) أربعة عشرة جواباً علميّاً تحليلياً عن مدّعاه وذكرها في كتابه النفيس : كفاية الموحّدين . انظر المجلّد

وكتبه في ذلك اللّوح لا يتغيّر ولا يتبدّل بوجه من الوجوه لأنه علمه مربوط بالمسبّبات والأسباب ، وعلم وقوع الأسباب وعدم وقوعها لأنه قد علم أنّ زيداً يصل رحمه فيكون عمره كذا ، أو لا يصل رحمه فيكون عمره كذا وإنّ زيداً إذا خرج إلى المعركة الفلانيّة يقتل وإذا لم يخرج لم يقتل ، وقد علم في الأزل أحد الطرفين فكتبه في اللّوح ، وهذا العلم المكتوب في اللّوح هو الذي أشارت إليه الأخبار المتشابهة كقوله صلى الله عليه وآله قد كتب القلم في اللّوح بما هو كائن إلى يوم القيامة وجفّ القلم بما فيه فلن يكتب بعد أبداً ، وقوله عليه السلام قد فرغ من الأمر ، ونحو ذلك .

اللوح المحفوظ أو أمّ الكتاب :

وهذا اللّوح هو المسمّى في لسان الشرع بأمّ الكتاب في قوله تعالى : ﴿ يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب ﴾[1] ، يعني أنه

الأوّل في مبحث العلم من الصفات الثبوتيّة حتّى تعرف أن مدعاه لا ينطبق على العقائد الدينيّة ولا القواعد العلمية والمباني التي جعل بناء مدّعاه وعقائده عليها من أن شرط العلم وتحقّقه وتعلّقه أن يكون مطابقاً للمعلوم وأن يكون مقترناً بالمعلوم وقبله لم يتحقّق الاقتران وأن يكون واقعاً على المعلوم وقبله لم يتحقّق الوقوع وأنّ العلم عين المعلوم في الحادث والقديم وأنّ الله تعالى لو كان عالماً بالأشياء في الأزل يلزم منه وجودها في الأزل .

كلّ تلك المباني مع ما وضع عليها من بناء عقائده باطلة فاسدة من أصلها وأساسها ولا وسع في المقام لذكرها تفصيلاً وردّها وقد دحض تلك الشبهات الواهية وقلع أساس تلك الأضاليل والأباطيل العلّامة الحكيم المتألّه المولى اسماعيل الأصفهاني (ره) أيضاً في شرحه على عرشية صدر المتألّهين (ره) فراجع .

(١) سورة الرعد آية : ٣٩ .

لا يدخله محو ولا إثبات .

نعم إذا بلغ بك البحث إلى هنا فليكن هذا حدّك ولا تلج في اللجّة العميقة التي بعد هذا الكلام فإنّك إذا وضعت قدمك خارج هذه المقالة دحضت بك المزالق في بحر لجيّ بعيد قعره كثير الحيّات والأفاعي أسود الجوف والماء قد غرق فيه عالم كثير وكلّما أمكنك التنحّي عن ساحله فأبعد عنه ، وإيّاك والفكر فيه فإنّ الفكر الذي نهى عنه سيّد العارفين مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وهو يتّصل ببحر القضاء والقدر .

الجواب عن قول المعتزلة :

وأمّا الجواب عن قول المعتزلة أنّ القتل لو كان هو الأجل لم يكن القاتل جانياً ولما استحقّ الذمّ فهو أن نقول القاتل إنّما يستحقّ هذا باعتبار أنّه أوصل هذا الألم إليه وكان الواجب عليه تركه حتّى يكون الموصل إليه ذلك الألم هو الله سبحانه وتعالى لأنّ إيصال هذا الألم مقصور على الله عزّ وجل لإيصال أنواع المثوبات إليه وذلك القاتل لو لم يقتله لمات ذلك الوقت ، وكان الواجب عليه أن يدعه وربّه في قبض روحه ، وهذا ظاهر لا غبار عليه ومن تصفّح الأمور الواقعة في هذا العالم جزم بأنّ الآجال أُمور مقرّرة موقوفة على البلوغ إلى حدّ كمالها .

حكاية سرقة :

ومن تلك الأمور أنّ جماعة من اللّصوص دخلوا دار رجل في اللّيل ليسرقوه فلمّا دخلوا الدار رأوا أنّ ذلك الرجل له ولد رضيع مشدود في المهد ، فقالوا نخاف أن يبكي ويستيقظ أمّه وأبوه من بكائه ، فأخذوا ذلك الولد في المهد وأخرجوه من الدار ووضعوه

خارج الحوش ، وشرعوا في نقل أثاث البيت ووضعه في الحوش ، فلمّا فرغوا من نقل الأثاث رجعوا إلى داخل البيت لعلّه أن يكون قد بقي شيء ، فلمّا دخلوا استيقظت المرأة لولدها فلم تره ،ـ فقالت لزوجها أين المهد؟ فخرجا إلى الحوش يطلبون الولد ، فلمّا خرجوا من البيت وإذا البيت قد وقع سقفه وجدرانه فرأوا الولد في المهد مع جميع أثاث البيت ، فلمّا أصبح الصباح حفروا التراب وإذا اللّصوص أموات ، فانظر إلى هذا التقدير الأزلي كيف وافق الحكمة الإلٓهيّة .

حكاية العالم الذي نجى بأهله من الهلاك!!

ومن تلك الأمور أنّ رجلاً عالماً من علماء تستر وكان صاحب لنا كان بيته على جرف الشطّ وكان الجرف عالياً ، فكان ليلة من اللّيالي قدّموا إليه طعاماً فجلس ، هو وأهله وأولاده ليأكلون ،ـ فاتّفق انّهم نسوا احضار الملح ، فقال لزوجته أحضري الملح ، فقامت ومضت فأبطئت ، فتبعها الولد وأبطأ وقامت البنت أيضاً وتبعتهم الجارية وهم يريدون الاتيان بالملح من الحجرة الأُخرىٰ ، فتعجّب ذلك العالم وخرج في أثرهم فلما وضع رجله خارج العتبة انهالت الحجرة في الماء مع ما فيها وكان بين الأرض والماء ما يقرب من طول المنارة ، فسلموا كلّهم بحمد الله سبحانه ، وفي هذا التأريخ بعضهم موجود في شيراز .

حكاية رجل نجى من البحر بصورة عجيبة :

ومن الأُمور أيضاً انّي لمّا كنت أسافر في البحار لطلب العلوم حكى لنا صاحب سفينة أنّه قد كان في يوم من الأيّام كثير الهوى والموج جلس رجل من أهل السفينة على حافتها لقضاء الحاجة ، فاتّفق انّه سقط في البحر فغطّاه الماء ، فأتى إليه واحد من أهل

السفينة ومدّ يده في الموضع الذي سقط فيه فاستخرجه من تحت الماء فدثروه بلحاف وبقي ساعات ، فلمّا رفعوا الغطاء عنه وشرع في الكلام فإذا هو غير صاحبهم الذي وقع ، فسألوه عن قصّته ، فقال انّه قد كسر بنا السفينة منذ سبعة أيّام وقد كانت لي لوحة أسبح عليها وقد ضعفت عن امساكها هذا اليوم ، فذهب عنّي فبقيت على وجه الماء ساعة وغشي عليَّ وما شعرت لنفسي إلاّ وأنا عندكم في هذا المركب ، فذهب صاحبهم(1) فانظر إلى هذا التقدير كيف يمكن الكلام فيه .

لم يُغني الحذر من القدر :

وذكر اليافعي في تاريخه في حوادث سنة تسع وخمسمائة أنّ بعض الملوك قال له منجّموه انّه يموت في الساعة الفلانية من عقرب تلدغه ، فلمّا كان قبل الساعة المذكورة تجرّد عن جميع لباسه سوى

---

(1) ونظير هذه الحكاية قصّة عجيبة نقلها العالم الفاضل المرحوم الشيخ حسين الشام غازاني (شام غازان محلّة بتبريز في الجانب الغربي) وقال :

إنّي كنت في بعض الأيام في الكوفة على ضفة الفرات والصيّادون كانوا يصيدون السمك وجاء رجل موقّر من العرب وأعطى فلوساً إلى أحد الصيّادين وقال : « هاك على بختي » فألقى الصيّاد شبكة وأراد أن يخرجها وكانت الشبكة ثقيلة فإذا فيها ولد سنّه يقرب من ثمان أو تسع سنين ولمّا رآه ذلك الرجل فصاح بأعلى صوته : « هاي ابني » فنجى ولده من الموت بفضل الله تعالى وتقديره .

ونقل هذه القصّة شيخنا العلاّمة المحدّث المتتبّع المعتمد الحاج مولى علي التبريزي الخياباني صاحب وقائع الأيّام المتوفّى (١٣٦٧) هـ في كتابه الذي ألّفه في أواخر أيّام حياته في ترجمة جمع من معاصريه انظر إلى كتابه (علماء معاصر) ص ٤٠٠ ط تبريز.

ما يستر عورته وركب فرساً بعد أن غسله ونظفه ودخل به البحر حذراً ممّا قيل له ، فبينما هو كذلك إذ عطست فرسه فخرجت من أنفها عقرب فلدغته فمات منها ، فما أغناه الحذر من القدر .

حيّة تهاجم شاباً وعقرب تلدغها :

وروي أن ذا النّون المصري خرج ذات يوم يريد غسل ثيابه فإذا هو بعقرب قد أقبل إليه كأعظم ما يكون ، قال ففزع منها فزعاً شديداً واستعاذ بالله منها فكفى شرّها ، فأقبلت حتّى وافت شطّ النيل فإذا هي بضفدع قد خرج من الماء ، فاحتملها على ظهره وخرج بها إلى الجانب الآخر ، قال ذو النون فعبرت خلفه فأتت إلى شجرة كثيرة الظلّ فإذا غلام أمرد نائم تحتها وهو مخمور ، فقلت انّها أتت لقتل هذا الفتى فإذا أنا بأفعى أتت لقتل الفتى ، فظرفت العقرب بالأفعى ولزمت دماغ الأفعى حتّى قتلها ورجعت إلى الماء وعبرت على ظهر الضفدع إلى الجانب الآخر ، فأنشد ذو النّون :

يا راقداً والجليل يحفظه　　من كُل سوء يكون في الظّلم
كيف تنام العيون عن ملك　　تأتيك منه فوائد النّعم

قال : فانتبه الفتى من كلام ذي النّون فأخبره الخبر فنزع ثياب اللّهو ولبس أثواب السياحة وساح ومات على تلك الحالة ، وأمثال هذه الحكايات كثيرة .

نعم يبقى الكلام في فائدة لوح المحو والاثبات وتغيير الكائنات وصفاتها فيه مع وجود لوح المحفوظ ، وعدم اطّلاعنا على العلّة لا يقتضي نفيها ، والتفحّص عنها غير محتاج إليه بل إنّما نحتاج في هذا المقام إلى التسليم والإذعان لا غير ، إذا عرفت هذا فلنشرع الآن في بيان الموت .

قوم رفع عنهم الموت لفترة!!..

فنقول: انّه كما قال مولانا عليه السلام: قد خطّ الموت على ابن آدم كما خطّ القلادة على جيد الفتاة[1] وفي هذا التشبيه لطيفة مليحة: وهي انّ الموت يزيّن ابن آدم وهو حلية له كما انّ القلادة حلية لجيد الفتاة، روى أنّ نبيّاً من الأنبياء طلب منه قومه أن يدعو الله تعالى ليرفع الموت عنهم، فدعاه فرفع الموت عنهم حتّى كان الرجل ينظر إلى أبيه وجدّه وجدّ أبيه وجدّ جدّه وهكذا وكذلك من طرف الأمّ، فكان يقوم بخدمتهم ويتعاهد أحوالهم كالأطفال فيشتغل بخدمتهم عن الكسب لهم وضاقت بهم الدور والمنازل، فطلبوا إليه بأن يدعو الله سبحانه ويجري عليهم الموت.

ما شاهده إبراهيم عليه السلام بعد ما استأجل موته:

وروى أيضاً إنّ إبراهيم عليه السلام سأل الله تعالى أن لا يميته إلّا إذا سأل، فلمّا استكمل أيّامه التي قدرت له خرج، فرأى ملكاً على صورة شيخ فانٍ كبير قد أعجزه الضعف وظهر عليه الخرف ولعابه يجري على لحيته وطعامه وشرابه يخرجان من سبيله على غير اختياره، فقال له يا شيخ كم عمرك؟ فأخبره بعمر يزيد على عمر إبراهيم بسنة، فاسترجع وقال أنا أصير بعد سنة إلى هذا الحال فسأل الموت.

هذا مع انّ الإنسان إذا كبر سنّه ملّ الحياة وملّته الأهل والأحباب وطلبوا موته وإن تعاهدوا حاله بخدمة من الخدمات فإنّما هو من جهة

---

(١) هذه الكلمات النيّرة من فقرات خطبة سيّد الشهداء عليه السلام وقد ألقاها في المكّة المكرّمة قبل خروجه إلى العراق.

التكليف الإلّهي لا من باب المحبّة والـوداد ، نعم طلب الموت وإرادتـه ممّا ورد النهي عنه ، وذلـك انّ عمر المؤمن جـوهرة نفيسـة لا قيمة لهـا ويمكنه في كلّ نفس منه أن يصل إلى درجة من درجات المقرّبين .

من أحب لقاء الله ، أحب الله لقائه . .

ومن هـذا كان مـولانا السجّـاد عليه السـلام إذا رأى جنـازة قـال : الحمـد لله الـذي لم يجعلني من الســواد المختـرم ، أي : لـم يجعلني شخصاً هالكاً فهو يحمـد الله سبحانـه على الحياة ، نعم يجـوز الدعـاء بمـا كان يـدعو بـه عليه السـلام من قـولـه : اللّهم أبقني مـا علمت انّ الحيـاة خير لي فإذا صار عمـري مرتعـاً للشيطان فـاقبضني إليـك ، ولا ينـافي هذا مـا ورد من قولـه عليه السـلام : من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقائه، ومن كره لقاء الله كره الله لقائـه، لأنّ هذا كمـا جاء في الـروايات إنّما هو حال الموت ومعاينة أحوال تلك النشأة، وذلـك أنّ الله سبحانـه يــوحي إلى ملك المــوت أن امض إلى فــلان عبــدي المؤمن واقبض روحـه ولا تقبضها إلاّ بـرضا منـه فيأتي إليـه ويقف عنده وقفـة العبد بين يـدي المـولى ويقـول لـه : إنّ الله تعـالى قـال لي لا أقبض روحـك إلاّ بـرضاك ، فيقـول المؤمن : لا أرضى فيصعد ملك المـوت ويقول إلّهي علمت مـا قال عبـدك المؤمن ، فيقول الله سبحـانـه امض إلى بيتـه في الجنّة وخذ لـه منه قبضـة من الريحـان واكشف له عن منزله في الجنـة حتى يعـاينه ، فيـأتي بقبضة الـريحان إليـه ويفتح لـه بـابـاً إلى داره في الجنّـة ، فيقول لـه يا ملك المـوت ما هـذا الريحـان الطيّب؟ وذلـك انّ راحته تشمّ من مسيرة خمسمائة عـام ، وما هـذا المكان؟ فيقـول : هذا مكانك في الجنة ، وهذا الريحان منـه ، فعند ذلـك يضطرب ويقـول : عجّلوني عجّلوني ، ويرشح جبينُه عرقـاً ، فعند ذلـك الوقت يحبّ لقـاء

الله ويحب الله لقاءه ، وإن كان كافراً أتى إليه ملك الموت وكشف له عن مكانه في النار حتى يعاينه ، فعند ذلك يقول ردّوني ، ردّوني فيكره لقاء الله ويكره الله لقائه .

حديث قُدسي حول قبض روح المؤمن :

وإلى هذه الألطاف الإلهيّة أشير حيث قال تعالى في الحديث القُدْسي : ما ترددتُ في شيء أنا فاعله مثل تردّدي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مسائته ، فكراهته للموت إنّما هي قبل المعاينة ، وتردّده تعالى كناية عن إيصال تلك الألطاف إليه حتّى توجبه الرِّضى والقبول ، مع أنّ الموت أمر قد رغبت عنه وعافته الأنبياء والأولياء وغيرهم ، أمّا رغبة الأخيار عنه فلأنّهم أرادوا تحصيل أعالي الدرجات والفوز بما لديه من القربات ، وأسبابه لا تكون إلّا قبل الموت ، فأحبّوا الحياة رغبة فيما بعد الموت .

ما بال بعضنا يكره الموت؟!! .

وأمّا رغبة الأشرار عنه فلما قال مولانا الحسن عليه السلام حين سئل : يا ابن رسول الله ما بالنا نكره الموت وأنتم لا تكرهونه؟ فقال عليه السلام : لأنّكم عمرتم منازلكم هذه وخربتم تلك المنازل فلا تحبّون الانتقال من عمران إلى خراب ، وأمّا نحن فَنَقَلْنَا كُلَّ ما عندنا من الأثاث إلى تلك الدار فخربنا هذه وعمّرنا تلك ، فنحن نُحِبُّ الانتقال من خراب إلى عمران ، مع أنّ هذه الحياة ممّا جبلت الطبيعة على حبّها وطلبها ، ولذا لا ترى أحداً يطلب الموت إلّا إذا تضايقت عليه أسباب الحياة ، إمّا بفقر أو بِكِبَرِ سنّ أو بخوف من عدوّ أو نحو ذلك ، وأمّا وقت اتّساع أسباب الحياة فهو ممّا لا يخطر بباله بوجه من الوجوه ، ومن هنا كان صلى الله عليه وآله يقول : اللّهم اجعل رزق

محمـد وآل محمد كفافاً لا كثيراً فأطغى ولا قليلاً فأشقى ، وقد دعا إلى رجل أساء إليه بكثرة الرزق ، ودعا لرجل أحسن إليه بالكفاف، فقيل له في ذلك! فقال : أما سمعتم قوله تعالى : ﴿ إنَّ الإنسانَ لَيَطْغَىٰ أنْ رَآهُ ٱسْتَغْنَىٰ ﴾[1] .

بين آدم وجبرئيل حول عمر داود النبي (ع) :

فاعلم أنّ أوّل من عرف الموت وكرهه أبونا آدم عليه السلام ، روى الصدوق طاب ثراه بإسناده إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : إنّ الله عزّ وجلّ عرض على آدم عليه السلام أسماء الأنبياء وأعمارهم قال فمرّ بآدم اسم داود النبي عليه السلام فإذا عمره في العالم أربعون سنة ، فقال آدم : يا ربّ ما أقل عمر داود وما أكثر عمري؟ يا ربّ أنا زدت من عمري ثلاثين سنة أتثبت ذلك له؟ قال : نعم يا آدم ، قال : فإنّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة فأنفِذْ ذلك له وأثبِتْها له عندك وأطرحها من عمري ، قال أبو جعفر عليه السلام : فأثبت الله عزّ وجلّ لداود عليه السلام من عمره ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبتة فذلك قول الله عز وجل : يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب[2] ، قال : فمحا الله ما كان مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً، قال : فمضى عمر آدم فهبط عليه ملك الموت ليقبض روحه فقال له آدم : يا ملك الموت انّه قد بقي من عمري ثلاثون سنة ، فقال له ملك الموت يا آدم ألم تجعلها لابنك داود النبيّ وطَرَحْتَها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذريّتك

---

(١) سورة العلق، آية : ٦.

(٢) سورة الرعد، آية : ٣٩.

وعرضت عليك أعمارهم وأنت يومئذٍ بوادي الدّخنا؟ قال فقال له آدم : ما أذكر هذا ، قال : فقال له ملك الموت : يا آدم لا تجحد ألم تسأل الله عزّ وجل أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك؟ فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك في الذِكر ، قال آدم : لم أذكر حتّى أعلم ذلك ، قال أبو جعفر عليه السلام : وكان آدم صادقاً لم يذكر ولم يجحد ، فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمّى لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه .

أقول: لو كان آدم عليه السلام ممّن يحبّ الموت لما قدم على هذه السؤالات وتفحّص عن هذه الأمور .

حوار جميل بين إدريس النبي وملك الموت :

وأمّا إدريس النبي عليه السلام فروى الشيخُ الراوندي في كتاب القصص أنّ إدريس النبي عليه السلام كان يُسبّح النهارَ ويصومُه ويبيت حيث ما جنّه اللّيل ، ويأتيه رزقه حيث ما أفطر ، وكان يصعد له من العمل الصالح مثل ما يصعد لأهل الأرض كُلِّهم ، فَسَأل مَلَكُ الموت ربَّه في زيارة إدريس وأن يسلّم عليه ، فأذن له فنزل وأتاه فقال إنّي أريد أن أصحبك فأكون معك ، فصحبه وكانا يسبّحان النهار ويصومانه فإذا جنّهما اللّيل أتى إدريس فطره فيأكل ويدعو مَلَكَ الموت إليه فيقول لا حاجة لي فيه ، ثمّ يقومان يصلّيان وإدريس يصلّي ويفطر وينام وملك الموت يصلّي ولا ينام ولا يفطر فمكثا بذلك أيّاماً ثمّ انّهما مرّا بقطيع غَنَم وكَرْمٍ قد أينع ، قال ملك الموت هل لك أن تأخذ من ذلك حملاً أو من هذا عناقيد فتفطر عليه ، فقال أعودك إلى مالي فتأبى فكيف تدعوني إلى مال الغير ، ثمّ قال إدريس صلوات الله عليه

قـد صحبتني وأحسنت فيما بيني وبينـك من أنت؟ قـال : أنـا ملك المـوت ، قـال إدريس : لي إليـك حاجـة ، قـال : ومـا هي؟ قـال : تصعـد بي إلى السمـاء فـاستـأذن ملك المـوت ربّـه في ذلـك فـأذن لـه فحمله على جناحه فصعد به إلى السماء .

ثم قـال لـه إدريس عليـه السلام : إنّ لي إليـك حـاجـة أُخـرىٰ ، قـال : ومـا هي؟ قـال : بلغني من المـوت شـدّة أحبّ أن تـذيقني منه طرفاً فانظر هو كما بلغني ، فاستأذن ربّه فأذن لـه فأخـذ بنفسه سـاعة ثمّ خلّى عنه ، فقال لـه : كيف رأيت؟ فقال : بلغني عنـه شدّة فـإنّه لأشـدّ مما بلغني ولي إليك حاجة أخـرى تريني النـار ، فاستـأذن ملكُ الموت صاحِبَ النار ففتـح له ، فلمـا رآهـا إدريس عليـه السـلام سقط مغشيّـاً عليـه ، ثمّ قال لي إليـك حاجـة أخرى تـريني الجنّـة ، فـاستـأذن ملك المـوت خازن الجنّـة فدخلهـا فلمّا نظر إليها قـال : يا ملك المـوت ما كنت لأخرج منها إنّ الله تعالى قال : ﴿ كـلّ نفس ذائقة المـوت ﴾ وقد ذقتـه ، ويقول : ﴿ وإن منكم إلّا واردهـا ﴾ وقـد وردتهـا ، ويقـول في الجنّـة ﴿ ومـا هم بخـارجين منهـا ﴾ ، فـانـظر إلى ادريس النبي عليـه السلام كيف احتال على رفع الموت عنـه ، وما ذلـك إلّا لكراهتـه له ، وسماعه بشدّته ومرارته .

نوح النبي مع ملك الموت عندما قرب أجله :

وأمّـا نوح عليـه السلام فـروى عن الصادق عليـه السلام أنّـه قال : عـاش نوح عليـه السـلام ألفي وخمسمـائـة سنـة منهـا ثمـانمـائـة سنـة وخمسـون سنة قبـل أن يبعث وألف سنة إلّا خمسين عـامـاً ومـائتـا عـام في عمـل السفينة وخمسمـائة عـام بعـد مـا نـزل من السفينـة ، ونصب الماء فمصّر الأمصار وأسكن ولده البلدان ، ثمّ جـاءه ملك الموت وهـو

في الشمس فقال : السلام عليك ، فردّ عليه نوح صلوات الله عليه وقال : ما جاء بك؟ قال : جئت لأقبض روحك ، قال : تدعني أدخل من الشمس إلى الظلّ؟ فقال له : نعم ، قال : فتحوّل نوح عليه السلام ثم قال : يا ملك الموت كان ما مرّ بي من الدنيا مثل تحوّلي من الشمس إلى الظلّ فامض ما أمرت به فقبض رُوحَه صلوات الله عليه .

أقول : كان ذلك الظلّ بيته عليه السلام الّذي بناه آخر عمره وإلاّ فطول عمره كان هو وعياله يستظلّ بالأشجار ، فأذن الله تعالى أن يصنع بيتاً من سقف النخل إذا نام فيه يكون نصفه في الظلّ ونصفه في الشمس ، وطلبه التحوّل إليه من ملك الموت امّا لأجل الاحترام والاعتزاز فإنّ حرمة المؤمن في منزله ومأواه ، وامّا لأجل طلب الحياة تلك اللحظة التي يتحوّل بها ، وامّا لكليهما ، فانظر إلى نوح عليه السلام مع ما أوتي من العمر الطويل كيف لم يرغب بالموت ابتداء فكيف يكون حالنا نحن مع ما نحن عليه من قصر الأعمار وعمارة الديار .

والخليل عندما هبط عليه عزرائيل . . .

وأمّا الخليل عليه السلام فروينا مسنداً إلى مولانا الصادق عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام لمّا أراد الله تعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام هبط إليه ملك الموت فقال : السلام عليك يا إبراهيم ، قال : وعليك السلام يا ملك الموت أداع أنت أم ناع؟ قال : بل داع فأجبه ، فقال إبراهيم : فهل رأيت خليلاً يُميتُ خَليلَه؟ قال : فرجع ملك الموت حتّى وقف بين يدي الله فقال : إلٰهي قد سمعت ما قال خليلُك إبراهيم ، فقال الله جلّ جلاله : يا ملك الموت

اذهب إليه وقل لـه : إنّ الحبيب يُحِبّ لقاء حبيبَـه هل رأيت حبيباً يكره لقـاءَ حبيبِه؟ وتـوفّى إبراهيم عليـه السـلام بـالشـام ولم يعلم اسمـاعيـل بموته فنزل جبرئيل عليه السلام فعَزّاه بأبيه .

بين موسى (ع) وملك الموت :

وأمّا الكليم عليه السلام فقد كـان أكثرهم كـراهة للمـوت كما روى عن الصـادق عليه السـلام أنّ ملك الموت أتى مـوسى بن عمـران فسلّم عليـه فقال : من أنت؟ قـال : أنا ملك المـوت ، قال : مـا حـاجتـك؟ فقـال له جئت أقبض روحـك من لسانـك ، قال : كيف وقـد كلّمت بـه ربّي عـزّ وجلّ؟ فقـال : من يديـك ، فقال لـه موسى كيف وقـد حملتُ بهما التوراة؟ فقال : من رجليك ، فقـال : كيف وقد وطـأتُ بهما طُـورَ سيناء؟ قال : وعدّ أشياء غيـر هذا ، قـال : فقال لـه ملكُ الموت فـإنّي أُمـرت أن أتركـك حتّى تكون أنت الـذي تـريـد ذلـك ، فمكث مـوسى عليه السلام ما شاء الله ، ثمّ مرّ برجـل وهو يحفـر قبراً فقـال له مـوسى عليـه السلام ألا أعينـك على حفر هـذا القبر؟ فقـال لـه الـرجـل : بلى قال : فأعانه حتّى حفر القبر ولحّد اللحد فأراد الرجـل أن يضطجـع في اللحـد لينظر كيف هـو ، فقال لـه موسى عليـه السلام : أنـا أضـطجـع فيه ، فاضطجَعَ موسى فأُرى مكانه من الجنّـة ، فقال : يـا ربّ أقبضني إليك ، فقبض ملكُ الموت رُوحَه ودفنه في القبر وسوّى عليـه التراب ، قـال : وكان الـذي يحفر القبـر ملك في صورة آدميّ فلذلـك لا يُعْـرَبُّ قَبرُ موسى عليه السلام .

الـروايـة المــوضـوعــة حـول مــا دار بين مـوسى (ع) وملك الموت :

وفي حـديث آخر : أنّ مـوسى عليه السـلام لمّا جـاءه ملك الموت

ليقبض روحه لطمه فاعوره[1] فقال : ربّ إنّك أرسلتني إلى عبد لا يحبّ الموت ، فأوحى الله إليه أن ضع يدك على متن ثور ولك بكلّ شعرة وارتها يدك سنة ، فقال : ثمّ ماذا قال الموت فقال انته إلى أمر ربّك .

وأمّا المسيح عليه السلام فقد فرّ من الموت والتجأ إلى الله سبحانه حتّى رفعه إليه فهو الآن في عالم الملكوت ويهبط إلى الأرض زمان خروج المهدي عليه السلام كما تنصّ عليه النصوص .

---

(١) الظاهر أنّه الحديث الذي أخرجه الشيخان ـ البخاري والمسلم ـ في صحيحيهما بالإسناد إلى أبي هريرة ، وهو من الأحاديث التي نقلها سيّدنا الإمام المجتهد الأكبر السيّد شرف الدين العاملي (ره) في كتابه : أبو هريرة . ثم أخذ في التنقيب حولها وكشف الحقيقة الراهنة في حق تلك الأحاديث الموضوعة حتّى أسفر الحق بسبب كتابه النفيس وظهر فيه صبح اليقين؟ .

وقال بعد نقل هذا الحديث : وأنت ترى ما فيه ممّا لا يجوز على الله تعالى ولا على أنبيائه ، ولا على ملائكته ، أيليق بالحقّ تبارك وتعالى أن يصطفي من عباده من يبطش على الغضب بطش الجبّارين؟

ويوقع بأسه حتّى في ملائكة الله المقرّبين؟ ويعمل عمل المتمرّدين؟ ويكره الموت كراهة الجاهلين؟ وكيف يجوز ذلك على موسى؟ وقد اختاره الله لرسالته وائتمنه على وحيه وآثره بمناجاته وجعله من سادة رسله وكيف يكره الموت هذا الكره مع شرف مقامه؟ ورغبته في القرب من الله تعالى والفوز بلقائه؟ وما ذنب ملك الموت عليه السلام؟ وإنما هو رسول الله إليه ، وبما استحقّ الضرب والمثلة فيه بقلع عينه؟ وما جاء إلاّ عن الله ، وما قال له : سوى أجب ربّك أيجوز على أولي العزم من الرسل إهانة الكرّوبيّين من الملائكة؟ وضربهم حين يبلغونهم رسالات الله وأمره عزّ وجل؟ تعالى الله وتعالت أنبياؤه وملائكته عن ذلك علوّاً كبيراً (اهـ) انظر كتاب : أبو هريرة ص ٨٣ ـ ٨٧ ط صيدا .

النبي (ص) وأمير المؤمنين (ع) واستقبالهما للموت :

لكن إذا أردت من استقبل الموت ولم يخف منه فهما الاخوان المباركان النبي صلى الله عليه وآله وأخوه علي بن أبي طالب عليه السلام .

أمّا النبي صلى الله عليه وآله فقد أرسل الله سبحانه إليه ملكاً في زمن مرضه ومعه بغلة عليها مفاتيح خزائن الأرض ، فقال له إنّ الله أرسلني إليك بهذه المفاتيح لتكونَ مَلِكاً في الدنيا ولا يُنقِصُ عليك شيئاً من حظّ الآخرة ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : أريد لقاء ربّي ، وما قال هذا إلاّ لما عرف من إرادة الحبيب لقائه .

والله لابن أبي طالب آنَسُ بالموت من الطفل بثدي أُمّه ! !

وأمّا سيّد الموحّدين عليه السلام فقد كان يباشر الحروب بثياب بدنه حتّى انّ ابنه الحسن عليه السلام قال له في لبس الدّرع فقال : يا بنيّ والله لا يبالي أبوك أعلى الموت وقع أم وقع الموت عليه والله لابْنُ أبي طالب آنسُ بالموت من الطّفل بثدي امّه ، ولمّا ضربه ابنُ مُلْجَم لعنه الله قال : فُزْتُ وربّ الكعبة[1] وفي تلك اللّيلة كان يكرّر النظر إلى السماء ويقول : ما يمنع قاتلي عن قتلي ، وكان قد ترك خضاب لحيته حتّى كانت بيضاء فقيل له في ذلك؟ فقال : إنّ حبيبي

---

(١) معنى كلامه عليه السلام : انه فزت بدرجة الشهادة التي كانت من آمال أمير المؤمنين طيلة حياته ، وعنه عليه السلام ، قال : قلت : يا رسول الله (ص) انّك وعدتني الشهادة فاسْألِ اللّهَ تعالى أن يعجلها فقال : أجَلْ قد كنتُ وعدتُك الشهادة فكيف صبرك إذا خُضِبَت هذه من هذا وأومىء إلى راسي ولحيتي ـ الحديث ـ انظر الأمالي للشيخ المفيد (ره) ص ١٦٩ ط النجف .

رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه أخبـرني أنّ لحيتي سَتُخْضَب من دم رأسي فأنا مُنتظرٌ لذلك الخضاب فـأنْظُرْ إلىٰ رجـل جعل زينتَـه وخضابَـه دَمَ مِفْرَقَ رأسِهِ وكـان يقول : والله لَيَضْـرَبُ الرجـلُ ألفَ ضَرْبـةٍ بالسّيف على رأسـه خَيْرٌ من أن يقـال فيه : إنّـه مات على فـراشه ، يعني ينبغي للرجل أن يُقْتَلَ في سبيل الله لا أن يموت موتاً .

استقبال أبي الأحرار (ع) للموت :

وقـد اقتدى بهـذين الأخوين أولادُهم الـطاهـرون عليهم السـلام ، وناهيك بـه مبادرة مـولانا أبي عبـدالله الحسين عليه السـلام إلى العراق عـارفاً بقـدومه على المـوت والقتل سـامعاً لصـوت قائـل يقـول : يسيـر هؤلاء القـوم والمنايـا تسير معهم ، ولمّا قرب إلى العـراق وسمع بقتـل ابن عمّه مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة أشار عليه أصحـابه بـالرجـوع فقـال : لا خير في الحيـاة بعد هؤلاء الفتيـة ، فأقبـل بأهـل بيتـه وفتيتـه مبـادراً إلى المـوت مثـل مبادرة الـظمئان إلى المـاء الزلال ، فجـالـدهم بسيفـه حتّى أفنى منهم الجمّ الغفيـر إلى أن تكـاثـروا عليـه فخـرج إلى لقاء ربّه شاكياً من هـذه الأمّة وفعـالها ، راغبـاً عن قيل الـدنيا وقـالها ، وتبعه على هذا الأثـر أولاده المعصومـون فما منهم إلّا وقتيـل أو مسموم وسيعلم الّذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون .

روايةٌ تُطيبُ القلبَ وتطمئنه :

والحـاصل أنّ مثـل الأنبياء إذا خـافوا من المـوت فكيف لا نخـاف نحن منه لكن الّذي يطيب القلب ويجعله مطمئنـاً ما روى مستفيضـاً بل متـواترة في الأخبـار من حضـور رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وأميـر المؤمنين عليه السلام عند المحتضر حال احتضاره .

ما يشاهده المؤمن قبل موته :

روى شيخُنا الكليني (ره) وَغَيْرُه من أصحابنا عن مولانا الصادق عليه السلام : لو أنّ مؤمناً أقسم على ربّه أن لا يميته ما أماته أبداً ، ولكن إذا حضر أجلُه بعث الله عزّ وجلّ ريحين ، ريحاً يقال لها المنسيّة ، وريحاً يقال لها المسخية فأمّا المنسية فإنّها تنسيه أهله وماله ، وأمّا المسخية فإنّها تسخى نفسه عن الدنيا حتّى يختار ما عند الله .

وقال عليه السلام : إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول له ملك الموت : يا وليّ الله لا تجزع فوالذي بعث محمّداً لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك ، فافتح عينيك فانظر فينظر فيرى رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فهؤلاء رفقاؤك فينادي رُوحَه مناد من قِبَل ربّ العزّة فيقول : يا أيّتها النفس المطمئنّة إلى محمد وأهل بيته ارجعي إلى ربّك راضية بالولاية مرضيّة بالثواب ، فادخلي في عبادي ، يعني محمداً وأهل بيته ، وادخلي جنّتي فما من شيء أحبّ إليه من انسلال روحه واللحوق بالمنادي .

لن يموت المؤمن حتي يشاهد رسول الله وعلياً عليهما السلام :

وقال عليه السلام لعقبة : يا عقبة لن تموت نفس مؤمنة حتّى تراهما ، قلت : أذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدنيا؟ فقال : لا يمضي أمامه ، قلت له : أيقولان شيئاً؟ قال : نعم يدخلان على المؤمن فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه ، وعلي عليه

السلام عند رجليه فيكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : يا وليّ الله أبشر أنا رسول الله إنّي خير لك ممّا تركت من الدنيا ، ثمّ ينهض رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم علي عليه السلام حتّى يكبّ عليه فيقول : يا ولي الله أبشر أنا علي بن أبي طالب الذي كنت تحبّ أما لأنفعنك ، ثم قال : إنّ هذا في كتاب الله عزّ وجلّ ، فقلت أين جعلني الله فداك؟ قال في يونس قول الله عز وجل هٰهنا : ﴿ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ في الحيَاةِ الدُّنيا وفي الآخرةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذٰلِكَ هو الفَوْزُ العظيم ﴾[1] .

وفي خبر آخر قال أبو عبدالله عليه السلام إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عن يمينه ، والآخر عن يساره ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله أما ما كنت ترجو فهو ذا أمامك ، وأما ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه ، ثم يفتح له باباً إلى الجنّة فيقول : هذا منزلك في الجنّة فإن شئت رددناك إلى الدنيا ولك فيها ذهب وفضّة ، فيقول لا حاجة لي في الدنيا ، فعند ذلك يبيّض لونُه ويرشح جبينُه وتقاص شفتاه ، وتنشر منخراه ، وتدمع عينه اليسرى ، فاي هذه العلامات رأيت فاكتف بها .

خروج النفس من الجسد وما يعرض عليها :

فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليها وهي في الجسد فتختار الآخرة فينزل عليه بكفن من الجنّة بمسك أذفر ، فيكفن بذلك الكفن ويحنّط بذلك ثمّ يكسى حلّة صفراء من

---

(١) سورة يونس آية : ٦٤ .

حلل الجنّة ، فإذا وضع في قبره فتح لـه بـاب من أبـواب الجنّة ثمّ يفسح له عن امامه مسيرة شهر ، وعن يمينـه وعن شمالـه ، ثم يقال لـه نم نومة العـروس على فراشهـا ، ثم يزور آلَ محمـد في جِنان رضـوي فيـأكـل معهم من طعـامهم ، ويشـرب معهم من شـرابهم ، ويتحـدّث معهم في مجالسهم حتّى يقوم قائمنا أهل البيت فَأَقْبلُوا معـه يلبّون زُمـراً زُمراً .

بعض مشاهدات الكافر المحتضر :

وإذا احتضـر الكافـر حضره رسـولُ الله صلى الله عليـه وآلـه وعليٌّ وجبـرئيـلُ وملكُ المـوت عليهم السـلام فيـدنـو منـه عليٌّ عليـه السـلام فيقـول : يا رسـول الله إنّ هذا كـان يبغضنا أهـلَ البيت فابغضـه فيقول رسـول الله صلى الله عليه وآلـه : يـا جبـرئيـل إنّ هـذا كـان يبغض الله ورسـولَ الله صلى الله عليه وآلـه وأهل بيت رسُـوله فـابغضـه ، ويقـول جبـرئيـل يـا ملك (لملك) المـوت إنّ هـذا كـان يبغض اللّهَ ورسـولَـه وأهـلَ بيت رسـولـه فـابغضـه واعنف عليـه ، فيـدنـو منـه ملك المـوت فيقول : يا عبـدالله أخذت أمـان براءتـك من النار ، تمسّكت بـالعصمة الكبـرى في الحياة الـدنيـا؟ فيقـول : لا ، فيقـول : أبشـر يـا عـدوّ الله بسخط الله عـزّ وجل وعـذابه والنـار ، أمّا الـذي كنت تحذره فقد نـزل بـك ، ثم يسلّ نفسـه سلّاً عنيفاً ، ثم يوكّـل بروحـه ثلاثمـائـة شيـطان كلّهم يبزق في وجهه ويتأذّى بروحـه ، فإذا وضـع في قبره فتـح له بـاب من أبواب النار فيدخل عليه من قيحها ولهبها .

وقال عليه السـلام في الميّت تدمـع عيناه عنـد الموت ، قـال ذلك معاينة رسول الله صلى الله عليه وآلـه فيرى مـا يسرّه ، أمـا ترى الـرجل يرى ما يسرّه فتدمع عينه لذلك ويضحك .

قول علي (ع) لحارث عجب . . .

قال ابن أبي يعفور كان خطّاب الجهني خليطاً لنا وكان شديدَ النّصب لآل محمّد ، قال : فدخلت عليه أعوده للتقيّة فإذا هو مغمى عليه في الموت ، فسمعته يقول ما لي وما لك يا علي؟ فأخبرت بذلك أبا عبدالله عليه السلام ، فقال أبو عبدالله عليه السلام رآه وربّ الكعبة ثلاثاً ، ومخاطبته عليه السلام لحارث الهمداني متواتر نقله الخاصّة والعامّة، وهو[1] :

يا حار همدان من يمت يرني ... من مؤمن أو منافق قُبُلا

(١) يظهر من كلام المصنف انّ هذه الأشعار أنشدها أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً بها الحارث الهمداني (ره) وانها من كلامه المنظوم ولكن الصواب انها من أشعار السيّد الحميري (ره) وقد حكى فيها ما تضمّنه كلام أمير المؤمنين عليه السلام من مخاطبته لحارث الهمداني (ره) وقد وقع هذا التسامح والاشتباه في عبارات كثير من المؤلّفين .

وقد روى الشيخ الأعظم الإمام المفيد (ره) في كتابه «الأمالي» بإسناده حديثاً شريفاً عن جميل بن صالح ـ والظاهر انّه الأسدي الثقة الجليل من أصحاب الصادق عليه السلام عن أبي خالد الكابلي عن الأصبغ بن نباتة قال : دخل الحارث الهمداني على أمير المؤمنين عليه السلام في نفر من الشيعة وكنت فيهم ـ ثم نقل كلماتاً مشرفة نيّرة من مخاطبات الإمام عليه السلام لحارث إلى أن قال عليه السلام ـ : وأبشرك يا حارث لتعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة قال الحارث : وما المقاسمة؟ قال : مقاسمة النار أقاسمها قسمة صحيحة أقول هذا وليّ فاتركيه ، وهذا عدوّي فخذيه ، وفي آخر الحديث : قال جميل بن صالح وأنشدني أبو هاشم السيّد الحميري رحمه الله فيما تضمّنه هذا الخبر :

قول علي لحارث عجب ... كم ثم أعجوبة له حملا

يا حار همدان إلى آخر الأبيات التي ذكرها المصنف (ره) ولكن حذف من أوّلها هذا البيت الّذي ذكرناه ؛ وهذا الخبر الشريف صريح بأنّ هذه الأبيات للسيّد الحميري (ره) انظر الخبر في أمالي الشيخ المفيد ص ٢ - ٤ ط ٢ النجف .

وقال العلاّمة الأمين العاملي (ره) صاحب أعيان الشيعة في كتابه : (ديوان أمير المؤمنين عليه السلام على الرواية الصحيحة ص ٨ - ١٠ ط دمشق) :

ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما يوجب القطع بفساد نسبة البعض ممّا في الديوان المشهور إليه عليه السلام . . . ومن ذلك إيراده الأبيات الّتي أوّلها :

يا حار همدان من يمت يرنى الخ مع انها للسيّد الحميري وأوّلها : قول علي لحارث عجب الخ فإنّه صريح في أنّ ذلك حكاية قوله عليه السلام لا نفس قوله .

والعجب أنّ جامع الديوان ذكر هذا البيت في آخر الأبيات مع انّه في أوّلها وصريح في انها ليست له عليه السلام والشيخ الطوسي في أماليه في المجلس الثامن عشر نسب الأبيات إلى السيّد الحميري وذكر هذا البيت في أوّلها .

وقد وقع في هذا الاشتباه ابن أبي الحديد في شرح النهج فنسب الأبيات إلى أمير المؤمنين عليه السلام، لما رأى في أوّلها خطاباً للحارث ولم يذكر البيت الذي في أوّلها .

وقال أيضاً في ص ١١٤ من الديوان : وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة انّ الشيعة تروي عنه شعراً قاله للحارث الأعور الهمداني : يا حار همدان من يمت يرنى الخ ولكن الصواب انّ هذه الأبيات للسيّد الحميري نظم فيها هذه القصّة فتوهّم الرواة انّها لأمير المؤمنين عليه السلام من قوله فيها : يا حار همدان وإنّما ذلك حكاية قول أمير المؤمنين لا نفس قوله روى ذلك الشيخ الطوسي في أماليه في مجلس يوم الجمعة ١٨ جمادى الآخرة سنة ٤٥٧ بسنده عن جميل بن صالح قال : أنشدني السيّد بن محمد : قول علي لحارث عجب الخ (انتهى).

وانظر إلى تعليقة صديقنا العلاّمة الخطيب البارع الواعظ الجرند ابي على كتاب أوائل المقالات ص ٤٦ - ٤٧ ط ٢ تبريز.

يعرفني طرفُه وأعرفه بنعته واسمه وما فعلا
وأنت عند الصراط تعرفني فلا تخف عثرة ولا زللا
أسقيك من بارد على ظمأ تخاله في الحلاوة العسلا
أقول للنّار حين تُعْرَض للعرض دعيه لا تأخذي الرجلا
دعيه لا تقربيه إنّ له حبلاً بحبل الوصيّ متّصلا

وتحقيقٌ وردُّ تأويلٍ حول : .. مَنْ يَمُتْ يَرني ..

ولم يذهب أحد من الأصحاب إلى تأويل هذا ولا إلى انكاره ، نعم ذهب سيّدنا الأجل علم الهدى تغمّده الله برحمته إلى تأويله ، فقال معنى قوله من يمت يرني أنّه يعلم في ذلك الحال ثمرة ولايته عليه السلام ، وانحرافه عنه لأنّ المحتضر :

قد روى أنّه إذا عاين الموت وقاربه أرى في تلك الحال ما يدلّ على انّه من أهل الجنّة والنّار ، وقد تقول العرب رأيت فلاناً إذا رأى ما يتعلّق به من فعل أو أمر يعود إليه .

♦ وقال العلّامة الخبير السيّد عبدالله الشبّر (ره) في كتابه حقّ اليقين : « قول أمير المؤمنين لحارث الهمداني يا حار همدان من يمت الخ وهذا البيت قد رواه الخاصّة والعامّة» (انتهى) انظر ص ٦٣ ج ٢ ط صيدا .

ولعلّ مراده من كون هذا البيت ممّا رواه الخاصّة والعامّة هو مضمونه لا نفس هذا المنظوم وإلّا فأين تلك الروايات المسندة التي رواها الخاصّة والعامّة وفيها هذا البيت وهذا القول من الخبير الماهر عجيب ، وأعجب منه ادّعاء المصنف تواتر نقل مخاطبة الإمام عليه السلام لحارث بهذا البيت مع كونه خبيراً ماهراً أيضاً .

ولعلّ المراد تواتر الأخبار عن الأئمّة الأطهار عليهم السلام في حضورهم عليهم السلام عند المحتضر كما أنّ هذا الاعتقاد من ضروريّات مذهب الإماميّة (رض) وأخبارُهم به متواترة .

وإنّما اخترنا هذا التأويل لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام جسم فكيف يشاهده كُلُّ مُحتَضر ، والجسم لا يجوز أن يكون في الحالة الواحدة في جهات مختلفة ، ولهذا قال المحصّلون انّ مَلَكَ الموت الذي يقبض الأرواح جنس ، ولا يجوز أن يكون واحداً لأنّه جسم والجسم لا يجوز أن يكون في حالة واحدة في أماكن متعدّدة ، فقوله تعالى : ﴿ قل يتوفّاكم ملك الموت ﴾[1] أراد به الجنس ، كما قال : ﴿ والمَلَكُ على أرجائها ﴾[2] هذا كلامه (ره) .

والعجب منه كيف ارتكب تأويل هذه الأخبار الكثيرة مع أنّ بعضها من جهة صراحته في المطلوب غير قابل للتأويل لهذا الدليل العقلي[3] والجواب عن كلامه (ره)، هو أنّ شيخنا المعاصر أدام الله

---

(١) سورة السجدة آية : ١١ .

(٢) سورة الحاقة آية : ١٧ .

(٣) اعلم أنّ الاعتقاد بحضور النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين بل الأئمة من ولده عليهم السلام عند المحتضر من اعتقادات الإماميّة ومن العقائد الحقة الخاصّة بهم وعليه ضرورة مذهبهم وقد أخذوا وتعلّموا هذا الاعتقاد عن أهل البيت سلام الله عليهم .

والدليل العقلي الذي أوجب لسيّدنا علم الهدى (ره) وشيخه الأعظم شيخنا المفيد (ره) أن ذهبا إلى تأويل الدلائل النقليّة الواردة عن أئمّتنا عليهم السلام فهو بالنظر إلى الأجسام الطبيعيّة المادية ومكانها دليل تام لا شك فيه بحسب الظاهر فإنّ من الواضح أنّ حضور الجسم الواحد في آن واحد وحالة واحدة في أمكنة متعدّدة وجهات مختلفة غير ممكن ولكن لما لم يتحقّق في زمن السيّد (ره) هذه المباحث على نحو التحليل العلمي ولذا ذهب السيّد (ره) إلى ذلك التأويل .

وأمّا اليوم فقد حُقّق في محلّه انّ حضورهم عليهم السلام عند المحتضر لا ينحصر أن يكون في مكان الأجسام الطبيعيّة كما يتخيّل في بادىء النظر حتّى يرد ◀

أيّامه بنى هذا على تعدّد البدن المثالي ، فيكون لعليّ عليه السلام أبدان متعدّدة كلّ بدن منها في مكان من الأمكنة المختلفة ، وأمّا الذي رَجّحناه نحن أخذا من مفاهيم الأخبار فهو القول بالتمثّل ، بأنّ الله سبحانه يمثّل للميّت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام ، كما مثّله لأهل السماوات حين رآه النبي صلى الله عليه وآله في جميع السماوات واقفاً يصلّي

♦ بذلك الاشكال العقلي بل من الممكن أن يكون حضورهم في مكان الأجسام اللطيفة أو مكان الأرواح المجرّدة فإنّ الأمكنة بالنسبة إلى الأجسام المادية والأجسام اللطيفة والأرواح المجرّدة مختلفة كما نشاهد اليوم أن حركة بعض الأجسام بواسطة بعض القوى المادية في مكان الجسم اللطيف كالهواء أسرع بمراتب من الحركة في مكان الأجسام الكثيفة وهكذا يختلف تزاحم الأجسام في تلك الأمكنة بعضها مع بعض وعدمه وسرعة الحركة والسير أيضاً فيها مختلفة ولهم عليهم السلام بحسب نفوسهم القدسيّة القدرة والاستعداد بالتصرّف في جميع الأمكنة من أمكنة الأجسام الكثيفة واللطيفة والأرواح الأدنى والوسطى والعليا وإحاطة التصرّف في عالم الملك والملكوت بإذن الله تعالى واقداره نعم إن كان المكان منحصراً إلى مكان الجسم المادي فقط فيرد حينئذٍ ذلك الاشكال العقلي ولكن ليس كذلك انظر إلى ما نقلنا عن شيخنا الاستاذ الإمام كاشف الغطاء (ره) في كتاب « جنة المأوى » وما كتبنا في ذيله من صفحة ١٧٤ إلى ١٧٨ ط تبريز .

وما هو جدير بالذكر أنّه غير خفيّ على الباحث الخبير أنّ الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في هذا الباب مختلفة في تعبيراتها يظهر من بعضها حضورهم عند المحتضر بنفوسهم وأشخاصهم الشريفة وعن بعضها التمثّل كما ذكره المصنف ومن بعض آخر أن المحتضر يرى النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وغيرهما من الأئمة عليهم السلام ورؤية المحتضر أعمّ من حضور أشخاصهم ولعلّ حضورهم يختلف بحسب مراتب الأشخاص والمحتضرين والله العالم .

والملائكة تصلّي خلفه فقال هذا علي بن أبي طالب عليه السلام تركته في الأرض وها هو قد سبقني إلى السماء؟ فقال الله عزّ وجل هذا شخص مثل علي بن أبي طالب خلقته في جميع السماوات حتّى تنظر إليه الملائكة فتطمأنّ إليه نفوسهم من شدّة حبّهم لعليّ بن أبي طالب عليه السلام .

رواية تؤكد مثولهم عليهم السلام للمحتضر :

ويؤيّده ما رواه الكليني في رواية سدير الصيرفي عن مولانا عليه السلام في قول ملك الموت للمحتضر افتح عينيك فانظر ، قال : ويمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذريّتهم عليهم السلام ، فيكون عليه السلام يأتي إلى بعض المحتضرين بنفسه الشريفة وصورته الأصليّة ، ويأتي إلى بعض آخر صورته الممثّلة المشابهة لتلك الصورة الأصليّة ، وهذا غير الجواب الأوّل الّذي بنى على البدن المثالي .

روايةٌ نافعةٌ مُفَسِّرَةٌ لتلك الرِّواية :

وهذا التمثّل من باب ما رواه شيخنا الكليني طاب ثراه قال قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنَّ آبنَ آدم إذا كان في آخر يوم من أيّام الدنيا وأوّل يوم من أيّام الآخرة مُثِّلَ له مالهُ وولده وعمله ، فيلتفت إلى ماله فيقول : والله إنّي كنت عليك حريصاً شحيحاً فما لي عندك؟ فيقول : خذ منّي كَفَنَك ، قال : فيلتفت إلى وُلْدِه فيقول : والله إنّي كنت لكم محبّاً وإنّي كنت عليكم محامياً فما لي عندكم؟ فيقولون : نؤدّ بك إلى حفرتك فنواريك فيها ، قال : فيلتفت إلى عمله فيقول : والله إنّي كنت فيك لزاهداً وإنّك كنت عليّ لثقيلاً فما لي عندك؟

فيقول : أنا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتّى أُعرَضُ أنا وأنت على ربّك ، الحديث .

علاماتٌ لإنساء الأجل :

في لئالى الأخبارج ٢ ص ٢٣٢ :

قال أبو عبدالله عليه السلام في وجع الأضراس ووجع الأُذن : إذا سمعتم من يعطس فابدؤه بالحمد .

وقال : من سمع عطسة فحمد الله وصلى على النبي وأهل بيته لم يشتك عينيه ولا ضرسه .

ثم قال : إن سمعتها فقلها وإن كان بينك وبينه البحر .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : من قال إذا سمع عاطساً الحمد لله عَلىٰ كُلّ حال ما كان من أمر الدنيا والآخرة وصَلّىٰ الله على مُحمَّدٍ وآله لم ير في فمه سوءاً .

وفي طبّ النبي قال : من سبق سمت العاطس بالحمد لله أمن من الشوص[1] واللوص[2] .

وعن رجل من العامّة قال : كنت أجالس أبا عبدالله عليه السلام فلا والله ما رأيت مجلساً أبتل من مجالسته قال : فقال لي ذات يوم من أين تخرج العطسة؟ فقلت : من الأنف . فقال لي : أصبت الخطأ . فقلت : جعلت فداك من أين تخرج؟ فقال : من جميع

---

(١) الشوص : وجع الضرس أو البطن ، والشوصة : وجع في البطن بسبب ريح تأخذ الإنسان تجلو مرّة هنا ومرّة هناك . المنجد ص ٤٠٨ .

(٢) اللوص : وجع الأُذن أو النحر ، المنجد ص ٧٣٩ .

البدن كما أنّ النّطفة تخرج من جميع البدن ومخرجها من الاحليل .

ثم قال : أما رأيت الإنسان إذا عطس نفض أعضاه وصاحب العطسة يأمن الموت سبعة أيّام .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : العطاس للمريض دليل العافية وراحة للبدن .

وفي خبر قال : من عطس في مرضه كان له أمان من الموت في تلك العلّة .

وعن عبدالصمد من حذيفة قال : قال عليه السلام العطاس ينفع في البدن كلِّه ما لم يزد على الثلاث ، فإذا زاد على الثلاث فهو داء وسُقم .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان الرجل يتحدّث بحديث فعطس عاطس فهو شاهد حقّ .

وفي خبرين آخرين قال صلى الله عليه وآله : تصديق الحديث عند العطاس .

وفي بعض نسخ الحديث : العطسة عند الحديث شاهد عدل ، والعطستان شاهدا عدل ، وأصدق الحديث ما عطس عنده .

وقال الرضا : التثاؤب من الشيطان والعطسة من الله .

وقال صالح : سألت العالم[1] عليه السلام عن العطسة وما العلّة في الحمد لله عليها؟

---

(١) يعني الإمام الكاظم عليه السلام .

فقـال : إنّ لله نعماً على عبـده في صحّة بـدنه وسـلامـة جـواره ، وإنّ العبد ينسى ذكر الله على ذلـك ، وإذا نسي أمر الله الـريح فتجـاوز في بدنه ثم يخـرجها من أنفـه فيحمد الله على ذلـك فيكون حمـده عند ذلك شكراً لما نسى .

وقـال أبو عبـدالله عليه السـلام : كثرة العـطاس يـأمن صـاحبـه من خمسة أشياء :

أوّلها : الجذام .

والثاني : الريح الخبيثة التي تنزل في الرأس والوجه .

والثالث : يأمن من نزول الماء في العين .

والرابع : يأمن شدّة الخياشم .

والخامس : يأمن خروج الشعر في العين .

قال : وإن أحببت أن يقلّ عطاسك فاستعط بدهن المرزنجوش .

قلت : مقدار كمّ؟

قال : مقدار دانق .

قال : ففعلت خمسة أيّام فذهب عنّي .

وفي الكـافي ، عن أبي بكر الحضـرمي قـال : سـألت أبـا عبـدالله عليه السلام عن قول الله انّ أنكر الأصوات لصوت الحمير؟

قال : العطسة القبيحة .

والحمد للّه أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

الفهرس

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس